أهـــداف الـــنـــدوة
كـلـمـــة الافـتـتـاح

للأستاذ الدكتور محمد رشاد الحمزاوي
رئيس جمعيّة المعجميّة العربية بتونس

1 ـ 1 : لقد عزمنا على عقد هذه الندوة العربية الدولية بتونس سنة 1989 بعد ان أدرجناها منذ تكوين جمعية المعجمية العربية في برنامجنا، لأننا قررنا ان ننظر في قضية من أهم القضايا التي لها صلة وثيقـة بتراثنـا وحـاضرنـا ومستقبلنا، ونعني بذلك المعجم التاريخي العربي (مُتَع) ـ فهو بالنسبة الينا حلقة من الحلقـات المفقـودة في الثقافة العربية الاسلامية، ويبدو لنا إشكالية قائمة الذات، وأزمة فكرية شديد ة الوقع بقدرما نلاحظ:

ـ أ ـ مرور أربعة عشر قرنا على الثقافة العربية الاسلامية دون ان يكـون لها معجم تاريخي يؤرخ لكـلامهـا، وبيانها وأسلوبهـا، وبـالاحـرى لخطابهـا بأنواعه وتفكيرها في تراثه ومختلف اتجـاهـاته إسوة بمثيلاتها من الحضارات الانسانية الكـبرى التي نظمت ماضيها، وأصّلت حاضرها، وأعدت العـدة لمستقبلها، فعز علينا أن تظل لغتنا وحضارتها بدون

تاريخ من شأنه أن يحفظها ويؤيد مالها من قيمة ومن جدة.

ـ ب ـ قيام هذه المسؤولية في الماضي على عاتق المستشرقين على جليل اعمالهم، دون ان يكون فيها للعرب ضلع في العصور الحديثة، إذ ان التفكير في اول معجم عربي تاريخي والتطبيق له كان من مبادرة المستشرق الالماني أوغيست فيشر الذي تبنّى مجمع اللغة العربية بالقاهرة مشروعه سنة 1935 دون ان ينجزه لأسباب يطول شرحها.

ـ ج ـ مرور ما يقرب من نصف قرن على قبر مشروع فيشر سنة 1949 بالاقطار العربية، وعودته الى المانيا حيث عنيت به جامعة توبنغن دون غيرها. ولقد خيّر مجمع اللغة العربية تعويضه بالمعجم الكبير في انتظار ما يتوفر من الكفاءات والاستعدادات لقيام مشروع جديد.

ـ د ـ قناعة أهل الذكر من المعجميين العرب المسلمين لا سيما بتونس بأن المعجم التاريخي العربي مسؤولية علمية وثقافية وحضارية قد آن الاوان للعناية بها تنظيرا وتطبيقا ولانجازها في نطاق العالم العربي الاسلامي بالتعاون مع المؤسسات الشقيقة والصديقة.

1 ـ 2 : إن المعجم التاريخي العربي أصبح ضرورة لا غنى عنها في عصر الاعلاميات والتوثيق والمعلومات المتنوعة، فهو يعتبر أداة وظيفية متعددة المقاصد يستحيل الاستغناء عنها:

فهو ذاكرتنا اللغوية والثقافية والحضارية المنظمة التي تضبط رصيدنا الفكري، وتكوّن مرجعنا العلمي الأمين الذي نعود اليه وثيقة موضوعية، ومدونة من النصوص الثابتة التي تقوم حجة تاريخية لا جدال فيها. فهو آلية من الآليات المنهجة التي تؤرخ لحضارتنا وثقافتنا من خلال خطابنا اللغوي، لا سيما وان الاعتقاد يسود بان اللغة مرآة عن العقائد والمذاهب

والمجتمعات وما يطرأ عليها من تطورات .

وهو المقياس الذي يمكن ان نقيس عليه لقضايا أساسية لغوية وعلمية وأدبية وجمالية. فيكفينا ان نتفق على مناهجه ومحتواه لنتطرق الى مسائل ساخنة متعددة مثل مسألة الفصاحة وإشكالياتها وصلاتها بأساليب العربية القديمة والحديثة ولهجاتها المعاصرة. فهو يؤسس للقضايا اللغوية الكبرى ويؤصلها من خلال ما فيه من شواهد على نمو اللغة الطبيعي والمجتمعي ، بأن التطور اللغوي العربي أمر يكاد يكون محتوما، تستوجبه حاجات مجتمعنا التّوّاقة الى التقدم والرقي . فهو النّص الكبير الجامع الشامل لجميع علوم اللغة والذي يؤهلنا لأن ننزل لغتنا وخطابها وحضارتها منزلتها من نفسها ومن غيرها .

وهو الاداة التربوية المركزية التي ستسمح لنا بتصوّر وظائف المعاجم الاخرى التي تنشأ منه ومن مادته ومناهج ترتيبه ، لتكون في خدمة المستفيدين منها باعتبار ان المعجم ليس خزانة تتراكم فيها المعلومات والمعارف، بل هو أداة تُعرَف بوظيفتها وما تستلزمه من معارف ومنهجيات دون اسقاط ولا تكرار ولا إهمال. فالمعجم الموسوعة ليس معجم الطلاب ولا معجم الأدباء، ولا معجم السياح ولا معجم الاخصّائيين. ولذلك سيكون المعجم التاريخي العربي المَرْكز الدوار الذي تدور في فلكه المعاجم الأخرى مهما تباعدت أهدافها ومقاصدها .

ـ 1 ـ3 : ولقد جدّت ظروف جديدة ساعدت مساعدة جادة على تنظيم هذه الندوة وعلى التفكير في انجاز معجمنا التاريخي العربي منها :

ـ 1 ـ حاجتنا الملحة لتنظيم شؤون بيتنا العربي اللغوي

والحضاري ونحن على ابواب القرن الواحد والعشرين.

ـ 2 ـ تطور العلوم اللسانية عموما والمعجمية خصوصا في العالم العربي ولا سيما بتونس، مما زودنا بمنهجيات وتقنيات من شأنها ان تيسر علميا وماديا مبادرتنا في انجاز المعجم التاريخي العربي. فالمعجميات وتطبيقاتها الاعلامية والحاسوبية قد أتت بالعَجب العُجاب من حيث استقراء النصوص وتصنيفها ادخالا واستخراجا، وإدراجها في مناطيق ونظم لا تحصى، مما سيساعدنا على طي المراحل وعلى اعتبار المعجم التاريخي العربي معجزةً غير عسيرة الادراك.

ـ 3 ـ ايمان الجامعة التونسية وكلية الآداب وقسم العربية منها بأهمية هذا الهدف وجدواه منذ مدة طويلة، لاننا نكاد نتفرد في كل الجامعات العربية، لاعتبارنا، المعجم العربي مسألة علمية وثقافية أساسية وحضارية؛ فنزلناها منذ عشرين سنة بالبحث والدرس والتدريس والتأليف، منزلتها التي تقرّ بها للنظريات المعجمية العربية من ريادة وطرافة وجرأة كثيرا ما كانت مغبونة بين أهلها، فضلا عما لحقها من الجحود والنسيان في الخارج.

ـ 3 ـ نشأة جمعية المعجمية العربية بتونس التي اقرّت في اول ما أقرّت العناية بالمعجم التاريخي العربي وانجازه حتى تؤدي تونس ما عليها من واجب في هذا الميدان. وما ندوتنا هذه الا خطوة من خطوات نضالنا العلمي من أجل هذا الهدف الذي دعونا اليه في مؤتمراتنا السابقة، وفي مجلة المعجمية الناطقة بلسان جمعيتنا، وقد بلغت عددها الرابع.

1 4 : إن هذه الندوة تعتبر الخطوة الأولى في سبيل انجاز المعجم التاريخي العربي. وهي عندنا بمثابة وقفة الخبرة والتأمل والبناء

والنقد في المستوى النظري والتطبيقي ، قبل ان ننطلق في شهر ينـاير 1990 ، في نطاق الجـامعة التونسية في انجاز معجمنا التاريخي ، لا سيما من حيث استقراء مصادره ومراجعه ، وإقرار مكتبته ، ووضع مناهجه وتقنياته اللسانية والمعجمية ، وتركيز بنيته الادارية .

ولقـد آزرت عملنـا هذا وزارة الثقـافـة والاعلام التي ما انفكت واقفـة وراءنا فأيدت تكوين جمعيتنا ، ودعمت مجلتنا ماضيا وحـاضرا ، وسـاعـدت على تنظيم ندوتنا الاولى حول «إسهام التونسيين في اثراء المعجم العربي» وندوتنا الثانية حول «مائوية الشدياق والبستاني ودوزي» وندوتنا الثالثة هذه حول «المعجم التاريخي العربي : قضاياه ووسائل انجازه».

امـا وزارة التعليم العـالي والبحث العلمي بالجمهـورية التونسية ، فلقد رصدت لموضوعنا لسنة 1990 ـ 1991 مبلغا أوليا قدره 000 25 دينـار تونسي دعـما للخـطوات المنهجية الاسـاسية الأولى ، مما يفيد بعنـاية تونس بالمعجم العـربي التاريخي . والمشروع مفتوح في وجه كل من يريد الاسهام فيه حسب طرقٍ ومناهج يمكن الاتفاق عليها ، شريطة ان يتقدم الركب ولا يتيه في التكهنات واستصعاب الهدف ، لأننا نؤمن بما لنا من تجربة وممارسة في ميدان المعجمية العربية بأن اللغة العـربية لغـة تاريخية تستحق ان تدخـل التـاريخ بمعجمهـا التاريخي ليشهد على وجودنا في التاريخ ومنزلتنا منه . وطموحنا ان نتجاوز المعجم التاريخي العربي لوضع معاجم أخرى أهمّ منه ، ولنؤسس لصناعة ثقافية معجمية ثقيلة مزدهرة تشعّ على ثقافتنا وحضارتنا ونمونا ، كما هو الشأن في الأقطار المتقدمة .

تاريخ المعجم التاريخي العربي (متع)
في نطاق العربيّة :
المبادرات الرائدة

بحث : الاستاذ الدكتور محمد رشاد الحمزاوي

أ العرب وقضية التأريخ لمعجمهم :

إنّ الحديث عن المعجم العربي التاريخي في العصور الحديثة وعن قضاياه ووسائل انجازه، وعن مقاربته الأولى في زماننا هذا، تستوجب قبل الحديث عنها ان نتساءل عن الأسباب والمسببات الممكنة التي منعت من ان يدرك العرب القدامى والمحدثون **مفهوم المعجم التاريخي**، مثلما هو الشأن في اوروبا. ويزداد استغرابنا من هذا الموقف بقدر ما نعلم ان المعجمية العربية أطول عمرا وأرسخ قدما من المعجمية الاوروبية بجميع أنواعها وأجناسها. فان ربطنا المعجمية العربية في مفهومها الكلاسيكي بكتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ)، لاحظنا ان المعجمية العربية قد قطعت أشواطا هامة، وخلقت نماذج من المعاجم المتميّزة لم تدركها المعجمية الاوروبية الرائدة الا في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وما بعدهما إذ لم يظهر مصطلح المعجمية (Lexicographie) الا في سنة 1680

م بانكلترا وسنة 1716 م بفرنسا [1].

1 ـ 2 : تواجهنا في هذا الصدد معطيات متناقضة لا يمكن لنا ان نعتمدها حجّة كافية للحكم على العرب أو لهم في هذا الميدان، إذ توجد احتمالات عديدة عن موقف المعجمية العربية من المعجم التاريخي العربي. إن عصر التدوين الذي ابتدأ حوالي سنة 148هـ قد كان منطلقا لمبادرات عديدة لا تخلو من الجرأة وروح المغامرة. فلقد طلع علينا الخليل في كتاب العين بنظرية معجمية مكتملة بلغت أصداؤها العصر الحديث ونظرياته [2]. وزودنا سيبويه في نفس الفترة تقريبا بالكتاب، وهو مؤلف جامع شامل له أبعاد لسانية وبنيوية لا تخفى، [3] فكيف لم يفكرا مع غيرهم من المعجميين بالخصوص، في التاريخ لألفاظ اللغة المستوعبة في المعاجم، خاصة وان الخلافات في الرواية الشعرية كانت متفشية، والرواية في الحديث مضطربة، وقراءات القرآن متعددة، والشعوبية في الأفق معلنة، مما كان يفرض ضرورة التأريخ لهذه التظاهرات سعيا إلى التوفيق بينها، إسوة بتقاليد ثقافية تعتمد التأريخ اساسا لها، من ذلك سيرة الرسول (صلعم)، وتاريخ الخلفاء، والصحابة والتابعين، وأعمال الملوك والأمراء، ومناقب الأشراف والصحابة والأولياء، فضلا عما كان للعرب من عناية وشغف بلغتهم لأسباب عقائدية وثقافية وحضارية ،حتى قال فيهم أوغيست فيشر، المستشرق الألماني،

---

(1) ـ محمد رشاد الحمزاوي : اعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ دار الغرب الاسلامي بيروت 1988 ص 491

(2) ـ محمد رشاد الحمزاوي : النظريات المعجمية العربية وسبلها في استيعاب الفكر العربي ـ تونس 1989 ـ دراسة قدمت لمؤتمر وزراء الثقافة المنعقد بالرباط ـ ديسمبر 1989 .

(3) ـ M.G.Carter التراث اللغوي العربي الاسلامي ـ ترجمة رشاد الحمزاوي انظر من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا ـ بيروت 1986 ص 179 ـ 199

والمبادر الاول لوضع معجم تاريخي عربي «**وإذا استثنينا الصين، فلا يوجد شعب آخر يحق له الفخار بوفرة كتب علوم لغته، وشعوره المبكر بحاجة الى تنسيق مفرداتها بحسب أصول وقواعد**» [4].

1 ـ 3 : ولقد اعتبر بعضهم ان الثقافة العربية الاسلامية تكاد تتميّز عن غيرها بعلم التاريخ الذي رسخ قدمه عبد الرحمان بن خلدون، ووضع مبادئه ومقاصده في تصور المجتمعات والحكم لها أو عليها. فكيف يمكن لهذه التقاليد ألا تهتم بأهم مظهر من مظاهرها، وهو اللغة، ولا تؤرخ لها في معاجمنا التي تعتبر في نهاية الأمر مدونات، تؤرخ للغة الاعجاز القرآني وما تبعه؟ وكنا ننتظر آثار معالجة هذه القضية في عهد الاحتجاج (القرن الرابع الهجري) الذي سعى الى أن ينظر نظرة نقدية الى الرصيد الثقافي والفكري واللغوي الذي أنتجهُ الفكر العربي الاسلامي. إلا اننا لا نجد أثرا يذكر في هذا الشأن. ولقد تواصل هذا الامساك عن المسألة حتى العصور الحديثة، مرورا بإضاءة الراموس لأبي الطيب الصميلي المغربي (1699 ـ 1761) [5] الذي أخذ عنه احمد فارس الشدياق (1804 ـ 1884) في الجاسوس على القاموس، [6] وقد اعتبره بعضهم ثورة على المعجم التقليدي العربي ومناهجه، دون ان يكون للقضية أثر في مؤلفه، وإن كان قد عالج فيه قضايا عديدة تتصل بتحديث المعجم العربي وتطويره. ولم يبرز مفهوم

(4) ـ أ. فيشر: المعجم العربي التاريخي، القسم الاول، نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة 1387هـ/1967م ص 4

(5) ـ ابو عبد الله محمد بن الطيب الفاسي الصميلي: إضاءة الراموس وإضافة القاموس على إضاءة القاموس ـ تحقيق عبد السلام الفاسي والتهامي الهاشمي ـ مطبعة فضالة بالمحمدية المملكة المغربية ـ 3 أجزاء والباقي في الانتظار.

(6) ـ محمد رشاد الحمزاوي: منزلة الجاسوس على القاموس. . . من إضاءة الراموس مجلة حوليات الجامعة التونسية عدد 28 (1988) ص 19 ـ 27

المعجم التاريخي العربي إلا في سنة 1934، عندما أنشىء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعرض عليه المستشرق الألماني أوغيست فيشر (1865 ـ 1949) [7] معجمة التاريخي العربي.

1 ـ 4: فما هي أسباب ذلك؟ يبدو ان الأمر يعود إلى ذهنية ثقافية لا تخلو من نظرة عقائدية مركبة، من ذلك أنّ الصراع الذي قام بين ثقافة العصر الجاهلي المتقلّص وثقافة العهد الاسلامي العربي الصاعد، قد أسس **لمفهوم القطيعة** بين العهدين وتواصل ثقافتيهما ولغتيهما ومالهما من صلة رحم. فلغة الجاهلية كانت تبدو في مرحلة أولى أساسية غير مؤهلة لتكون بصريح القول لغة أمّا للغة القرآن، الذي سيعتمدها ضمنيا في الجدل والحجج لتأهيل فصاحته وعروبتها، فضلا عمّا استعمله من لغة الجاهلية ومفاهيمها التي أصبحت مفاهيم إسلامية. [8] ويعزى ذلك الى عامل آخر، وهو النفور من كل ما له صلة بعلم أصول اللغات وفصائلها وما لها من تعامل وتداخل وأثر وتأثير وسبق وتبعية. فالعربية لغة القرآن، وهي بالتالي أم اللغات وأشرفها مثلما يؤكد على ذلك ابو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر [9]. ويظهر هذا النفور من التأريخ من خلال المعركة القديمة الحديثة المتفجرة المتعلقة بالدخيل والمعرب والأعجمي في العربية عموما، وفي القرآن بالخصوص. ولقد طغى الطابع العقائدي [10] على المظهر اللغوي حتى قال ابو عبيدة معمر

---

(7) ـ محمد رشاد الحمزاوي: اعمال مجمع القاهرة ص 97 ـ 98

(8) ـ محمد رشاد الحمزاوي: النظريات المعجمية العربية السابقة الذكر حاشية (2)

(9) ـ ابو منصور الثعالبي: يتيمة الدّهر (المقدمة)

(10) ـ محمد رشاد الحمزاوي: العربية والحداثة او الفصاحة فصاحات ـ بيروت 1986: اللغة مرآة العقيدة ص 139 ـ 156

بن المثنى «من زعم ان في (القرآن) غير العربية فقد اعظم القول»، وان كان ابو ميسرة التابعي قد روى عن رسول الله : « وفي القرآن من كل لسان» [11]. والمعرب او الاعجمي عموما موضوع من اهم مواضيع المعجم التاريخي العربي، لايمكن البحث فيه الا في نطاق حيزه التاريخي.

1 ـ 5 : **فالعربية في هذا المنظار تكاد تكون قبل التاريخ، وفوق التاريخ وخارجة عن التاريخ، لا تاريخ لها إلا انعدام تاريخها**. ولعل ذلك يعود كذلك الى ما يسميه العابد الجابري بمقاربات العقل المستقيل الذي نشأ من الافلاطونيّة الحديثة وأثرها في التيارات الشيعية والصوفية، وما لها من تأويلات وتخريجات باطنية متنوعة.

إلاّ ان هذه الاحتمالات تقابل احتمالات أخرى تبيّن أن للثقافة العربية علامات تعتبر محاولات محتشمة، يمكن ان نتحسس منها مقاربات تؤرخ لمحتوى المعجم العربي. وتظهر تلك المقاربات من خلال المعطيات التالية :

ـ أ ـ الابتداء بالتأريخ للغة العربية من العرب العاربة وما لهم من فروع وقبائل تستحق التدقيق والتمحيص

ـ ب ـ ربط مفهوم الفصاحة مكانا وزمانا بقبائل معينة يمكن التأريخ لها.

ـ ج ـ اعتماد منهجية الرواية، وما لها من إسناد وعنعنة حسب قيود وشروط لا تخلو من الدقّة. ونجد لذلك آثارا في مداخل المعاجم والموسوعات اللغوية.

---

(11) - جلال الدين السيوطي : الاتقان في علوم القرآن القاهرة 1951 ج135/1

(12) ـ محمد عابد الجابري : تكوين العقل العربي دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت 1984، 351 ص حيث يتعمق في هذه الظاهرة وميادينها

ـ د ـ مفهوم المدونة [13] بالمعنى الاصطلاحي اللساني الحديث. وقد اعتمدها بعض المعجميين الكبار من أمثال ابن فارس في المقاييس وابن منظور في لسان العرب. فلقد ركز الاول معجمه على خمسة مراجع وهي : كتاب العين للخليل، وغريب الحديث ومصنف الغريب لابي عبيد، وكتاب المنطق لابن السكيت، وكتاب الجمهرة لابن دريد. أما ابن منظور فلقد أسس معجمه على تهذيب الأزهري، وصحاح الجوهري، ومحكم ابن سيده، وحواشي ابن بري، والنهاية في غريب الحديث لابن الاثير [14]. وفي تلك المعاجم المصادر المتعاقبة عناية بتاريخ المراحل الكبرى للغة، وإن كانت معاجمنا قد فضلت على التاريخ النظريات الكفيلة باستيعاب الفكر العربي قبل التأريخ له [15].

II نشأة المعجم التاريخي العربي: (متع) ـ معجم فيشر.

2-1 : إن مفهوم المعجم التاريخي اللغوي، مهما كانت اللغة التي ينتسب إليها، هو وليد العصور الحديثة وخاصة اللسانيات المعاصرة ابتداء من القرن التاسع عشر. فلقد اعتنت اللسانيات العامة وخاصة اللسانيات المقارنة [17] بأصول اللغات وما لها من صلات تقارب وتنافر، وما تتكون منه من فصائل يبدو أنها

---

(13) ـ محمد رشاد الحمزاوي : مفهوم المدونة عند ابن منظور، من قضايا المعجم العربي ص 147 - 139

(14) ـ ابن منظور: لسان العرب ـ المقدمة

(15) ـ محمد رشاد الحمزاوي : النظريات المعجمية العربية السابقة الذكر

(16) ـ L. Kukenheim, Esquisse historiqque de la linguistique française - Leiden 1962; p 43-45

(17) ـ نفس المرجع ص 55 ـ 58

معتمـدة على معـايير صوتية متينـة، أيدتهـا قاعـدة الأخوين غريم [18] الصوتية، وعلى قواعد صرفية ونحوية متميزة أسست لها مدرسة **النحويين الجدد** [19] الالمان (Neo Grammairiens) الـذين قالوا «إن اللغة تتطور بمعزل عن الارادة الانسانية، بحسب القواعد الصوتية، فلا يوجد شيء شاذ، ولا عرضي، بل ان كل شيء مبرر فيها» [20].

فلقـد توفـرت للغـة وسـائل منهجية وإجرائية مكنتها من خوض غمار البحث عن أصـول اللغـات وخصائصها المميزة وتـداخلاتها المتنوعة عبر العصور. ولقد تولد عن ذلك علوم أخـرى مهمة في هذا الميدان، منها اللسانيات الجغرافية التي اعتنت بالموروث الشعبي القديم وعلم أصول الكلمات، [21] الذي تدعّم مع النحويين الجدد، واشتد ساعده ابتداء من سنـة 1935. وراجت سوق الـدراسـات المقـارنة، لا سيما دراسات اللغات السامية، وما لها من صلات مدهشة عندما لاحظ الـــدارســـون ان العـربية والعـبرية والحبشية أخـوات ساميات، وان السنسكريتية الهندية أم اللغات الهندواوروبية مثـل الفـارسية والاردية، والالمـانية والفـرنسية، والانكليزية واليونانية التي تدعى كلها باللغات الهندواوروبية.

2 ـ 2 : إن هذه **«الاكتشافات»** اللسانية والثقافية كانت أساسية لربط الصلة بين اللغـة والتاريخ، ولتركيز مفهوم المعجم التاريخي الذي يحويها. والملاحظ ان العرب لم يكونوا على علم ولا على دراية بهذه **«الاكتشافات»** ومناهجها وتكنولوجياتها، ولم يكن لهم فيهـا باع ولا اختصـاصيون الى يوم الـدين هذا، مجابهة لمستلزمـاتهـا ومقتضياتهـا، ومنهـا المعجم التـاريخي العـربي

(18) ـ نفس المرجع ص 44
(19) ـ نفس المرجع ص 68
(20) ـ نفس المرجع
(21) ـ نفس المرجع ص 149 ـ وعلم أصول الكلمات هو ما يعبر عنه بالفرنسية بـEtymologie

وشروطه. وذلك ما ينسر على ما يظهر تأخرهم عن معالجة هذه القضية الأساسية.

إننا نعتقد ان اول من بادر بالتأريخ للعربية هو المستشرق الهولندي دوزي Dozy في معجمه **تكملة المعاجم العربية**[22] ولقد دعم عمله ذاك ما نُشر من أمهات الكتب والمصادر والمراجع في عهد النهضة بالعالم العربي، وخصوصا بمصر وبمراكز الاستشراق بأوروبا. والملاحظ أنه قد اعتمد فيها المصادر الاندلسية والمغربية والأعجمية المزدوجة اللغة، مع ميل واضح الى كتب التاريخ والرحلات والآداب العامة .ولقد امتاز عمله بتوثيق أصول الكلمات بنصوصها مما مكنه من التأريخ لها، [23] إلا ان ذلك لا يمنع من الاشارة إلى هنات هذه المقاربة. فهي قد ركزت على مصادر اندلسية غالبة وأعجمية وعامية ،وأدرجت في هذه التكملة المعجمية مداخل كثيرا ما تنتسب الى اللغة العامية المقولة أو الالفاظ الأعجمية التي لا صلة لها بالفصحى ومستوياتها. وليس لدينا ما يثبت الى اليوم أن العرب من أهل النهضة قد بادروا بمشروع في هذا الميدان، لاسيما في ميدان المعجم التاريخي العربي العام. ولقد وجدت بعض المحاولات في ميادين معينة منها أعمال محمد ابو النجا في المسرح [24] ومحمد رشاد الحمزاوي في اللسانيات[25] وعلوم الادارة [26]

---

(22) - Dozy, Supplement aux dictionaries arabes

(23) ـ نفس المرجع انظر معاني مادة «بحر» مثلا

(24) ـ محمد ابو النجا وقد وضع معجما مقارنا يشمل مصطلحات المسرح العربي مستخرجة من المعاجم وكتب الآداب

(25) ـ محمد رشاد الحمزاوي : المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية ـ تونس-الجزائر 1987

(26) - محمد رشاد الحمزاوي : معجم المصطلحات الادارية في تونس من خلال الرّائد التونسيّ (1860 1900) وهو تحت الطبع.

2 ـ 3 : وعلى هذا الاساس تعتبر مقاربة المستشرق الألماني فيشر، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة مقاربة رائدة في مستوى المعجم العربي التاريخي. فالمؤرخ لمعجمه يلاحظ أنه عرض مشروعه على جمعية فقهاء اللغة الألمان في مؤتمرهم بمدينة بال سنة 1907، كما عرضه على مؤتمرين استشراقيين بكبنهاغن وأثينا سنتي 1908 و 1912. وقد حضر الامير أحمد فؤاد المؤتمر الثاني، واليه يعود تكوين مجمع فؤاد الاول للغة العربية. واعتمد فيشر في معجمه على أعمال مستشرقين سابقين منهم A. Fleischer و H. Thorbecke وعلى نصوص عربية جمعها المستشرقون A. Bevan و J. Ledersen و G. Bergsträsser و A. Grohmann و F. Krenkow الذين استقرأوا كليا أو جزئيا القرآن الكريم، وحديث مسلم، ومؤلفات أدبية [27] ومخطوطات عربية قديمة مثل كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني الخ

ولقد عرض مشروعه على مجمع العربية بالقاهرة سنة 1936 بمؤازرة المستشرق الايطالي نلينو (1872 ـ 1938)[28]، فأقره في المرسوم الخاص بانشاء مجمع اللغة العربية إذ تنص المادة الثانية (ب) على «ان يقوم المجمع بوضع معجم تاريخي للغة العربية» بدعم مادي ومعنوي من الحكومة المصرية. فيقول فيشر في هذا الصدد «وأخيرا بدأ في سنة 1936 التطور السعيد، إذ قررت الحكومة المصرية في خريف هذه السنة بناء على اقتراح مجمع اللغة العربية بالقاهرة. . . السماح لي بإتمام معجمي بالقاهرة، وان تتحمل نفقات

---

(27) ـ محمد رشاد الحمزاوي: أعمال مجمع القاهرة ص 509

(28) ـ نفس المرجع ص 96

طبعه. . . وهكذا برهنت الحكومة المصرية والمجمع على ان رعاية اللغة العربية وفق ما تجلى في المرسوم الخاص بانشاء المجمع - أمر يعنيها كل العناية» [29]. واشتغل في معجمه حتى منعته من ذلك الحرب العالمية الثانية سنة 1949 ،وتوفى ولم يتمم عمله الذي كان من المنتظر الانتهاء منه في مدة جديرة بالعناية إذ يقول: «ظننت أني في حاجة الى ست سنوات أو سبع لاتمامه، والآن أرجح ان يستغرق هذا العمل ثماني سنوات أو تسعا، فتصنيف معجم كبير من الأمور التي يجب ان يتسع لها الزمن. ونحن نرى ان السيد مرتضى الزبيدي قد قضى أربعة عشر عاما في تصنيف تاج العروس على الرغم من ان جله مأخوذ من لسان العرب.» [30].

وتخلى مجمع اللغة العربية عن هذا المشروع باعتبار ان الشروط العلمية والمالية والفنية والانسانية لم تتوفر في المجمع للقيام بهذه المهمة التي استعاض عنها بالمعجم الكبير. [31] فلقد لاحظ ابراهيم مدكور، رئيس المجمع الحالي ان انجاز المعجم يستوجب استقراء مؤلفات عديدة منها ما لم يعتمد، ومنها ما لم يستكشف، وهي ضرورية لوضع معجم يشمل مختلف مراحل اللغة حتى القرن الثالث الهجري مما يفيد بأن وضع معجم تاريخي عربي، قضية سابقة لأوانها [32]. وتولت جامعة توبنغن (Tobingen) بالمانيا الاتحادية بإشراف الاستاذين

(29) - فيشر: المجمع اللغوي التاريخي ص 31
(30) - نفس المرجع ص 31 - 32
(31) - مجمع اللغة العربية - المعجم الكبير - الهمزة - أخي
(32) - ابراهيم مدكور: مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما - القاهرة 1964 ص 66

ميللر وشبيتالر العناية به حسب منهجية جديدة،(33) مراحلها متناثرة ومتباطئة، لا تفيدنا بأن مشروع فيشر مازال قائما حسب تصورة الاول، كما جاء في النموذج الذي نشره مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

III أهداف فيشر ومنهجياته: عرض ونقد:

2 ـ 4: إن كان مجمع اللغة العربية قد أطلق على هذا المعجم في تأليفه ونصوصه (34) «المعجم اللغوي التاريخي» و «معجم فيشر الخاص»، فان صاحبه قد ضبط أهدافه بقوله: «ومنتهى الكمال لمعجم عصري ان يكون معجما تاريخيا. ويجب ان يحوي المعجم التاريخي كل كلمة تداولت في اللغة. فإن جميع الكلمات المتداولة في لغة ما، لها حقوق متساوية فيها، وفي ان تعرض وتستوضح أطوارها التاريخية في معجماتها، ولكن المعجمات العربية بعيدة كل البعد عن وجهة النظرة هذه، إذ انها لا تعالج الناحية التاريخية لمفردات اللغة بل تقتصر على إيضاح الاتجاه النموذجي لها، أعني ان مصنفيها إنما أرادوا التفرقة الدقيقة بين الفصيح من العربية وغير الفصيح، وذلك بوضع قانون للاستعمال الصحيح للكلمات ويدل هذا الاتجاه ـ دون شك ـ على إحساس لغوي دقيق عند اللغويين ـ ولكنه عاق القوة الحيوية الدافعة عن التقدم والتوسع». (35)

---

(33) ـ Worterbuch der Klassischen Arabischensprache Band 1 - Wiesbaden 1970; 582 p

والملاحظ ان اسمه قد تبدل فأصبح «معجم اللغة العربية الكلاسيكية» وحذف منه مفهوم التاريخية فضلا عن ان مداخله قد تغيرت تماما.

(34) ـ انظر الحاشية (4) وهو يحتوي على المقدمة والمصادر ومتن المعجم ـ ويشتمل على 53 صفحة

(35) ـ أ. فيشر: المعجم ص 7

فما هو موضوع هذا المعجم ؟ فهو حسب صاحبه «معجم تاريخي للآداب العربية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، أي حتى منتهى ما وصلت اليه اللغة العربية الفصحى من الكمال.» [36] ولقد سن فيشر منهجيات لطرق هذا الموضوع وحصرها في سبع وجهات نظر وهي: الوجهات التاريخية والاشتقاقية، والتصريفية، والتعبيرية والنحوية، والبيانية والاسلوبية [37]. ويكفينا في هذا العرض ان نهتم بالوجهتين التاريخية والاسلوبية لأن الوجهة التاريخية «تجاوز كل وجهات النظر هذه في القيمة» [38]، واعتبار تطور اللغة المستمر وتطور الفاظها التي يجب استخراجها من الشواهد ذات الطابع الخاص أي «تلك التي تدلّ بحال من الاحوال على الاطوار التاريخية للكلمة» [39]، وذلك بضبط كل المواضع التي وردت فيها الكلمة لأول مرة في الآداب العربية دون اهمال الكلمات الرائجة التي لم تدخل الكتب، فضلا عن العناية بآخر تطورها، ومواتها قديما وحديثا، واندثار معناها، وقيام مرادف لها مع تبيان المواضع التي تقدم اوضح صورة من التطور التاريخي للكلمة ويقول في شأن الشواهد: «واذا تعددت الشواهد يقتصر على اوضحها معنى، ويقدم المنسوب الى قائله ويهمل الآخر» [40] والملاحظ ان فيشر لم يخف ماهذه المقاربة من قضايا وصعاب، لاسيما في مستوى الموارد والمصادر المعرضة للنقد إن قليلا او كثيرا.

2 ـ 5: أمّا الوجهة الاسلوبية فغايتها المحيط اللغوي الذي

---

(36) ـ نفس المرجع ص 25
(37) ـ نفس المرجع ص 22 ـ 25
(38) ـ نفس المرجع ص 22
(39) ـ نفس المرجع
(40) ـ نفس المرجع ص 23

تستعمل فيه الكلمة أو التعبير أو التركيب استعمالا عاما [41] سواء في محيط عام مثل لغة القرآن أو الحديث أو الشعر، أو في محيط خاص كالاسلوب الشخصي، «لأنه قد يميل مؤلف إلى استعمال كلمة أو تركيب بالذات لا يجيء إلا لمامًا أو لا يجيء بتاتا عند غيره.» [42].

فما هو شأن المصادر اللغوية المعتمدة في هذا المعجم ؟ يتخذ المؤلف منها موقفا مبدئيا عاما لا يفرط في اي شيء ابتداء «بالكتابة المنقوشة المعروفة بكتابة النمارة من القرن الرابع الميلادي، ومنتهيا بالعهد السابق ذكره [أي القرن الثالث الهجري]، أعني انه يتناول الكلمات الموجودة في القرآن والحديث والشعر، والامثال، والمؤلفات التاريخية، والجغرافية، وكتب الآداب، والكتابات المنقوشة، والمخطوطات على أوراق البردي، وعلى النقود سادامت انواع الآداب الثمانية المذكورة لم تتجاوز الحد المذكور... وقد استثنيت من ذلك في الغالب الكتب الفنية الا اني توسعت في أخذ المصطلحات منها.» [43]. فالمعجم لا يعتمد إلا على المتون التي لها به صلة حتى يستخرج تحديد عمر الكلمة ومعانيها، ومنها دون غيرها.

ولقد أضاف فيشر مبدءا ثانيا عاما مفاده اعتماد بعض المعاجم الخارجة عن نطاق المدة المحدودة، لأنها تحتوي على كلمات وتعابير، لم توجد لها شواهد في مصادره المقررة ولأن مؤلفي تلك المعاجم «كان لديهم مادة من لغة الكتابة ولغة

---

(41) ـ نفس المرجع ص 25
(42) ـ نفس المرجع
(43) ـ نفس المرجع ص 26

الكلام انتهت إليهم، وليس في مقدورنا اليوم الحصول عليها» [44].

اعتمد فيشر في مؤلفه على 264 مصدرا ومرجعا عربيا و26 مصدرا ومرجعا استشراقيا أتت مذكورة في المقدمة، واشتملت على جميع انواع الشعر والنثر في معالمها الكبرى، مما يفيد بقيمة المكتبة اللغوية التي تدعم هذا العمل المعجمي الجبار.

6 ـ 1 : ان موقفنا من هذه المبادرة يدعونا الى اعتبارها مقاربة جريئة كان من الضروري ومن المتحتم الاقدام عليها. وكان من الأجدر ان تصدر عن جهة علمية عربية. وهي تخضع لمعايير ومقاييس معينة منها:

1 : ضرورة وضع معجم تاريخي للغة العربية في مراحلها المختلفة باعتماد منهجية المراحل حسب عهود مترابطة اجتماعيا وثقافيا. وفي هذه المرحلية منفعة لأنها بقدرما تركز على عنصر التطور في اللغة (الديكرونية) اي دراستها من مرحلة الى اخرى، فإنها تعتني بعنصر استقرارها (السنكرونية) اي دراستها في مرحلة ثابتة ومعينة نسبيا.

2 : الاقتصار مبدئيا على المظهر التاريخي دون غيره اي على تطور الكلمة من بدايتها الى آخر مرحلة من مختلف ترحالها، وذلك في نطاق الآداب العربية دون غيرها، مما يعني الاعتناء نسبيا بأصول الكلمات وجذورها الأولى حتى لا يخلط بين المعجم التاريخي والمعجم الأصولي. ولقد أكد فيشر على ان معجمه مخصص لكلمات في الآداب العربية انطلاقا من نقوش النمارة الى القرن الثالث الهجري.

(44) ـ نفس المرجع ص 26

3 : الاهتمام بالفصيح المكتوب مع اعتناء عند الضرورة بالألفاظ الاعجمية، لا سيما بقضية ترتيبها في المعجم إذ يقول «والكلمات الأعجمية المعربة الزائدة على ثلاثة أحرف تتبع الكلمات العربية في ترتيب المعجم... إن تصرَّف فيها العرب بالاشتقاق مثل ابريق، دكان، ديباج... نجدها في مادة برق، ودكن، ودبج». [45]

4 : اعتماد كل النصوص المكتوبة، والمنقوشة والمخطوطة مهما كانت أجناسها الأدبية، ومهما كانت ميادين المعرفة التي تنتسب اليها، على ان محتوى المعجم التاريخي لا يرتكز على اللغة العلمية المختصة إلّا بمقدار لم يضبطه المؤلف [46].

6 ـ 2 : ولاشكّ ان هذه المقاييس الاربعة العامة تحتاج الى نظر اليوم لأن الدراسات اللسانية والدراسات المعجمية بالخصوص، قد وفرت لنا تصورات ومفاهيم ومنهجيات يحسن الاستئناس بها في هذا الشأن ومنها :

ـ أ ـ ضبط وظيفة المعجم المنتظر: فإن فيشر لم يعين بالتدقيق المستفيدين منه ومقاصده من ذلك المعجم حتى ندرك مفهوم التأريخ للكلمات، لأن التأريخ للكلمات في الآداب العربية لا يعني بالضرورة البحث عن أصولها وصلاتها بلغات أخرى. فإن كانت **الأصولية تحتاج بالضرورة للتأريخ فإن التأريخ للكلمات** لا يحتاج بالضرورة للأصولية في كل الأحوال. إلا ان فيشر قد مزج بين الاثنين. إذ أنّه قد أرجع أصل كلمة «أبّا» في الآية و «فاكهة وأبا» إلى الآرمية إبّا والى الأكدية: إنْبُو وأُنبو أي الثمرة والفاكهة [47]، أمّا **أَبَدُ** فإنه قد

(45) ـ نفس المرجع ص 27

(46) ـ لا يتجاوز هذا المقدار 20٪ في معجم اكسفور الانكليزي وكنز اللغة الفرنسية

(47) ـ أ. فيشر، المعجم ص 26

عكس فيها طريقته، فذكر أوّلا أصلها السامي المشترك وصلته بالأثيوبية في معنى «ضــل، وســار على غير هدى»[48].

فالسؤال المطروح هو ما يلي: هل أن كل كلمة عربية تحتاج إلى أصل من الضروري ان يكون ناشئا من أخواتها الساميات إطلاقا كما بين لنا المثالان السابقان؟ إن علم الأصولية علم ناشىء، له منـافع لا تنكر، على شرط الا يخضع لمبدئيات مسبقة منها أن العربية مدينة لغيرها في جميع أصولها الى غيرها.

أمّا فيما يتعلق بالمصادر المجموعة التي قدمها لنا المؤلف فهي تبلغ 264، أختيرت في جلها وعن قصد من المصادر المجموعة التي حققهـا ونشرهـا المستشرقـون دون غيرهم. ولقـد اختلطت فيهـا النصـوص المـدونات بالمراجع الثانوية، لأن المؤلف لم يفصل بين النصوص الأصول والمراجع الثانوية التي يستعين بها للاستدراك على بعض السقطات أو الفراغات في النصوص الأصلية. فلقـد حشر النوعين من النصوص في زمرة واحدة كأنها متساوية في القيمة من حيث صلتها بالمعجم التاريخي. ولقد سكت عن هذه القضية المهمة التي تحتاج الى توضيح.

6 ـ 3: واعتبارا إلى ما سبق فإن موقفه غيْر واضح تمام الوضوح في معالجة قضية الوجهات السبع التي يجب ان تعالج ضمنها كل كلمة [الـوجهـات التـاريخية والاشتقاقية، والتصريفية والتعبيرية، والنحـوية، والبيانية والاسلوبية]. فالحجـة تبدو غير مقنعة عندما يقول في شأن الوجهة التاريخية «ويجب أن تفيد المواضع التي يتبـين منها انها تقدم أوضح صورة من التطور التاريخي للكلمة ولكن هذه الطريق تتطلب حتما من القارىء ان يكون ملمّا بتـاريخ آداب اللّغـة واقفـا على تاريخ حياة النـاظمين

(48) ـ نفس المرجع ص 32

والناثرين من ابنائها». [49] فالالمام بتاريخ آداب اللغة المعنية بالامر ليست آلية كافية لادراك تاريخ الكلمات وتطورها.

ولقد تطرّق فيشر إلى مفهوم هام جدا وهو مفهوم الفصاحة لأنه اعتبر ان معجمه مخصص للغة العربية الفصحى دون غيرها دون ان يوضح لنا موقفه من معايير تلك الفصاحة ومن مصادرها المختارة التي تشهد على تطور الكلمات. فلقد لاحظنا مثلا خلو قائمة مصادره من كل ما له شأن بلحن العامة، وإن كان قد ورد منها ما له صلة بالمعرب والدخيل،مثل كتاب المعرب للجواليقي. ولا بدّ ان نشير كذلك إلى الموسوعية المستبدة ببعض مداخل معجم فيشر،مثل المدخل المخصص للالف الذي استغرق 22 صفحة، تغلبت فيها المسائل الصرفية والنحوية على المسائل المعجمية. ولابد أن ننبه كذلك الى إدراجه مداخل لا نعلم إن كانت تنسب الى الفترة المدروسة من ذلك كلمة «آهندال» فارسية معربة وتفيد «شجر الحديد». ولقد استقرأها عن ابن الفقيه [50] الذي لم يرد مذكورا في مصادره [51]. ويحتج بالمزهر للسيوطي رواية عن ابن عباس، والسيوطي ليس من مصادره ومراجعة، فضلا عن انه متأخر عن الفترة المدروسة.

والغالب على الظن ان النموذج الذي تركه لنا فيشر ثري بايجابياته وسلبياته،مما يدعونا الى اعتباره وثيقة اساسية تستحق العناية من الضروري ان نطبق عليها ما زودتنا به اللسانيات الحديثة من مقاربات ومنهجيات نظرية وتقنيات تطبيقية في مستوى الجمع والوضع والتعريف، [52] وخاصة في مستوى

---

(49) - نفس المرجع ص 23

(50) - نفس المرجع ص 22

(51) - نفس المرجع ص 31

(52) - محمد رشاد الحمزاوي: من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا ص 149 وما بعدها

الفصاحة ومواكبتها للتطور اللغوي، مما يدعو إلى ضبط مقاييسها حسب دراسة ميدانية وصفية وتاريخية مقارنة [53].

ويسعدني في هذه المناسبة أن أعلن عن اننا قررنا في نطاق الجامعة التونسية أن نشرع في سنة 1990 في دراسة المنهجيات والآليات التي ستساعدنا في ظرف سنتين عل الابتداء في وضع المعجم التاريخي العربي وانجازه، راجين ان يسهم فيه كل من له رغبة في تحقيقه، وذلك في نطاق اتفاقات وتعهدات علمية يمكن النظر فيها حسبما يربطنا من وشائج التعاون بالمراكز والمؤسسات العلمية بالأقطار الشقيقة والصديقة.

محمد رشاد الحمزاوي

(53) ـ محمد رشاد الحمزاوي: العربية والحداثة او الفصاحة فصاحات ص 11 ـ 26

من الألفاظ الى المعاني والعكس

بحث : الدكتور الاستاذ دانيال ريغ

ليس غرض المعجمي ان يخلق عوالم خيالية وأشخاصا ورقية عن طريق الكلمات كما يفعل الروائي، بل ان يجمع تلك الكلمات، نفس الكلمات، ويخضعها لنظام تابع لقواعد تختلف عن تلك التي تعتمدها الرواية وإن كان بامكان مادّة المعجم هذه ان تشكل نوعا من الخطاب... فهي في الحقيقة ليْسَت جامدة متحجرة ويمكننا ان نحللها على مستويات عديدة:

هناك شكل هذه المادة، أي كيفية معالجتها: ترتيب ألفبائي، اشتقاقي مباشر أو معاكس (حسب اوائل الأصول أو أواخرها) ثم جعل الافعال أولا ومن بعدها الأسماء أو العكس، أو خلط هذه وتلك حسب درجة الاشتقاق.

هناك أيضا مستوى التفسير أو الشرح أي تعريف الكلمات أو تحديدها بالمترادفات او الأضداد أو الجمل إلى غير ذلك...

هناك ايضا مستوى المعاني بالاشارات الى حالتها اللغوية أوْ بدونها: حقيقية هي او مجازية، بائدة أو مستعملة، أدبية أو صحافية أو عَلمية، الى غير ذلك من الاشارات التي توفّرها المعاجم الحديثة للقراء.

هناك أخيرا مستوى رابع هو مستوى معنى المعنى اي معنى كل المـواد التي أحصيتها في المستويات السابقة ونستطيع ان نعالج فيه ما يتعلق بالمؤلف: بيئتـه، ثقـافته، شخصيته وأصالته الى غير ذلك من الحالات والظروف، خارجية كانت أو داخلية، التي من شأنها ان تؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة على العمل المعجمي.

هذا وقد يدخل أيٌّ مستوى من المستويات التي وصفها مجال هذه النـدوة لأنه يتعلق بمادة كل الانواع من المعاجم وبالخصوص المعاجم التـاريخية للغات، وأريد هنا ان أكتفي بالحديث عن مستوى التفسير فقط نظرا الى موضوع هذه الندوة فأقدّم بعض الأفكار المتواضعة التي خطرت ببالي ولو أنّها ظهرت مفككة ومبعثرة انها يحكمها نظام ضمني بامكانه أن يكشف عن موقف واضح.

لقد نشأ منذ زمن نوع من اللّعِب، ميدانه اللغة وبصورة خاصة، كلمات اللغة. فنمت هذه اللعبة وانتشرت وتكاد لا تخلو منها جريدة ولا مجلة من الجـرائـد والمجلات المعاصرة حتى أخذت تصدر منشورات عديدة خاصـة بها في كل لغـات العالم. إنها تُلقِي ضوءا ساطعا على روحات الفكر الانساني وغدواته بين الكلمة ومعناها وهي معروفة باسم «الكلمات المتقاطعة». إنما ننظر إليها عادة نظرة اللاعب الذي يستهدف اكتشـاف الكلمات، منـطلقًـا من التعريفات المقترحة ومحاولاً مطابقة الاولى على الثانية ونَنْسى ان لهذه اللعبة واضعا اخترع العلاقة بين هذا التعريف (المفتاح) وتلك الكلمة وَلو أنّه لم يخترع طبعا لا الكلمة ولا المفتـاح. إنـه يختـار بعض المفـردات ويجعـل منهـا سلاسـل حروفية متقـاطعة البعض منها عمودي والآخر أفقي. بعد ذلك يجتهد في إيجاد تعريف مناسب لكل من المفردات الموجودة في هذه الشبكة المؤلفة من سطور وأعمدة. أخيرا يمحو الكلمات ويُبقي بعض العلامات منها المعنوية ومنها الشكلية التي من شأنها ان تدل على الكلمات المخفيّة. من بين العـلامـات التعـويضية هذه، على صعيد الشكـل، هنـاك عدد الحروف التي تتكون منها الكلمة المعنية من جهة والحروف التي وجدها

الـلاعب أو التي كانت موجـودة من قبل، من جهة أخرى. أما على صعيد المعنى، فلدينا العلامات التعريفية التي أشرت اليها آنفا.

يمكننـا إذن ان نقـول إن اللاعب يبحث عن كلمة عن طريق التعريف المقترح بينما يكون واضع اللعبة قد بحث عن تعريف منطلقا من الكلمة الى مفهومها ومن المفهوم الى الكلمة فلدينا اذن الطريقان اللتان يسلكهما عمل المعجمي. فهو قائم إمّا من جهة الواضع للكلمات المتقـاطعـة أو من جهة اللاعب لها وقد يطبّق على الكلمات تعريفاتها كالأول فيدخـل مجال سيمازيولـوجيا (Sémasiologie) أو قد يطبّق على التعـريف الكلمات المنـاسبـة له كالثـاني فيدخـل مجال أونومازيولوجيا (Onomasiologie). الـطريقـة الاولى هي التي يتبعها مؤلف المعاجم اللغـوية العـادية أمـا الثـانية فتؤدي الى تأليف معـاجم المـترادفـات والمتجانسات والمعاجم المخصّصة لكل فرع من فروع العلم والصناعة وكـذلـك الخـاصة بالاعراض الأدبية. قد يهتم بهذه الطريقة الاخيرة اللغـويون طبعا وعلماء البلاغة والكتّاب كما يهتم بها المتخصصون في العلوم الانسانية الذين يرغبون في دراسة مظاهر الثقافات والحضارات المختلفة.

أريد الآن ان أُلفت الانتبـاه الى بعض المشـاكـل التي يثـيرهـا التعريف (أو التحديد، أو الشرح، أو التفسير). بعدما ينظّم المعجمي الألفـاظ التي ينوي دراستها فيوضح لكل واحد منها السياق التركيبي الذي قد تظهر فيه الكلمة ويحلّل معناها أو معانيها إلى وحدات معنوية بسيطة فيستـطيع وقتـذاك ان يُلقي ضوءًا على الحياة التـاريخية لهذه الوحدات اذا توفرت له من قبل المعلومات الكافية ليثبت وقت دخولها اللغة. هذا الجرد التركيبي والمعنوي، هو ما يطلق عليه اسم **التعريف** الذي قد يأخذ أشكالا متنوّعة.

قد يبدو التعريف كمبدإ من المبادىء القبلية التي يبنيها العقل الفلسفي او العلمي والتي يرتكز عليها في إنشاء مجموعة من المفاهيم وتسييرها. في نظام علمي كهذا تترابط التعريفات ترابطا وثيقا منطقيا

لأنها نشأت كنتائج لعمل استنتاجي مبرمج .

قد يبدو التعريف كقضيّة (proposition) تُخبر عن اتساع المفهوم وعن كثافته أعني بالاول مجموع الموضوعات التي يدل عليها المعنى وبالثاني جميع الصفات المشتركة بين هذه الموضوعات .

قد يبدو التعريف أيضا أقلّ علمية ودقة واكثر شُمولية وسعَة كما هو الحال في المعجم اللغوي لأن التعريف هنا لا تشترط وظيفته تناسق نظام استدلالي كما تتأسّس على البديهات السائدة في معجم المفاهيم العلمية أو الفلسفية . في المعجم اللغوي لا يخضع التعريف لضرورة علمية أو منطقية ، إنما هو مقول يجد مبرر وجوده في الكلمة المعرفة نفسها . وفيما يلي سنرى عن كثب انواعا من هذا التعريف ومن الاخطار التي قد تكون للمعجمي بالمرصاد.

النوع الاول هو شرح مطول للكلمة - الأسَاس، قد يكون معناه هو معناها نفسه، وقد يكون أوسع أو أفقر منه إذ إن الكلمة كمدخل من مداخل المعجم، « شكل » شكل يتخذه المعنى ليعبر بواسطته الى الوجود اللغوي ويتحقق كوحدة كلامية. فممّا لا شك فيه ان موضوع التحليل المعجمي هو المعنى الذي لبس هذا الشكل في هذه الكلمة في وقت معيّن من احتياجات اللغة الثقافية لا الشكل بحدّ ذاته . وذلك واضح تمام الوضوح في اللغة العربية التي لم تتغيّر شكليا منذ وصلت الى الوجود اي منذ أكثر من خمسة عشر قرنا ولو انها تغيّرت معنويًا، تغيّرا بيّنا في كل الميادين التي تدل عليها . في ذلك يكمن الجواب او بعضه عن التساؤلات عن عدم اهتمام العرب بالمعاجم التاريخية ، فأخذوا الجزء اي الشكل اي الكلمة شكلاً ومعنى . فاغتنت منذ نشأتها على أساس اتصالاتها العديدة بالحضارات والثقافات الأخرى طيلة تلك القرون الطويلة . ولدى المعجمي كل الشواهد التي يحتاج اليها في بحوثه عن تاريخ المعاني فلذلك اعتقد، بكل تواضع ، ان اول مهمة من مهمات اللجنة الخاصة بتأليف معجم تاريخي للغة العربية هي التفكير في كل ما يتعلق بالمعنى : المعنى

اللغوي والمعنى السيميائي وبالوسائل المتوفرة لنا للوصول إليه وتحليله ومنها التعريف. لذلك أريد ان أكرّس دقائق لهذا النوع من المشاكل حتى ألقي بعض الأضواء على الأخطاء التي قد تسيء العمل المعجمي تاريخيا كان أو لا.

لنأخذ مثلا كلمة «ضَرْب» التي خصصتها للدلالة على معنى واحد من معانيها العديدة حتى يكون البرهان أوضح وأنفع، فوجدت في بعض المعاجم العربية المعاصرة هذا التعريف:

ضَرْب = نوع وشكل

ممّا نستطيع ان نلاحظه في هذا التعريف ان معنى «ضَرْب» هذا يتحلّل، حسب المعجمي الذي قام بالعمل التحريري، إلى وحدتين معنويَتين معطوفتين.

لَنفرض الآن أنّ القارىء يحتاج الى مزيد من المعلومات فيرجع الى كل من كلمتي الشرح فيجد ما يلي:

في باب نوع = صَنف

في باب شكل = صورة وهيئة

وإذا تابع بحثه في نفس المعجم وجد:

في باب صَنْف = نوع

وفي باب صورة = شكل

وفي باب هيئة = شكل وصورة

إنّ عملية التعريف التي نلحظها في هذا المثال هي شيء عادي في المعاجم اللغوية. انها عملية دورية بمعنى انها تدور على نفسها حتى تعرِّف الكلمة نفسها بنفسها في آخر المسار التعريفي.

هناك مثل آخر قد يكون فيه التعريف مكوّنا من جملة او جملتين مثلا:

دخل مكانا = صار داخله، ضدّ «خرج»

داخل من كل شيء = باطنه

خرج = برز، ضد « دخل »

بَرَزَ = خرج

تنغلق الحلقة التعريفية على ذاتها بعد مسار قد يطول أو يقصر وكل هذه الأنواع أو الأصناف او الضروب أو الصور من التعريف بالمترادفات والحمل والأضداد ناقصة من جهة وحرّة من جهة أخرى.

فهي ناقصة لأنها تبحث عن حقيقة معنى كلمة ما عن طريق كلمات اخرى هي أشكال لمعانٍ ليست بمعانٍ. وفي مرحلة ثانية تعرّف الاخيرة عن طريق الاولى. إن هذه التعريفات مؤلفة على أساس استناد الخطاب المعجمي إلى نفسه حتى يعود بالقارىء بواسطة آليات متنوعة، إلى مقولات قد انتجها من قبل ويحقّق بذلك وظيفته الاستنادية. ولكن هذه المقولات السابقة يُنتجها المتكلّمون الطبيعيون بصورة بديهيّة أي من دون ان يجتهدوا في تعريف كل الألفاظ المكوّنة لها. علاقاتهم الطبيعية باللغة مؤسّسة على الحدس لا على العقل. وهناك يكمن الفرق الرئيسي بين التعريفات اللغوية العادية والتعريفات العلمية. لا تُكوِّن الاولى كما رأيناه مجموعة من المفاهيم الثابتة المعدودة على غرار المبادىء الفلسفية والمنطقية المعرّفة قبليًا والمنتمية الى مجموعة متماسكة متناسقة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فتكون هذه التعاريف اللغوية حرّة. يعني ذلك أنها قد تختلف من معجم الى آخر وهذه الاختلافات عائدة الى ميزات المعجمي الثقافية والعقلية لا الى ضغوط علمية محدّدة.

ولكن هناك نوع آخر من التعريفات التي تفتقد علميتها في الرجوع إلى الحقيقية الواقعية الخارجة الموجودة في العالم الطبيعي... ولكن تثير هذه الطريقة الكثير من المشاكل الفلسفية لأن اللجوء إلى مرجع خارج عن الكلام لتعريف المفردات المكوِّنة له يؤدي في وقت آخر الى الاعتقاد الساذج بأن الكلمة هي الشيء الذي تدلّ عليه. وعلى هذا الاعتقاد يترتّب الاستعمال المتكاثر للوثائق المصوّرة في بعض المعاجم اللغوية كأنما أحسن التعريف لشيء من أشياء الطبيعة هو إظهار الشيء نفسه أو صورته.

ويجب هنا ان نفهم فهمًا قاطعا ان الصورة التي تجيء في هامش المعجم لتفسّر بشكل واقعي، موضوعي، معنى كلمة «كلب» مثلا، لا تتطابق بأي حالٍ من الأحوال مع الحقيقة العلمية لأن الصورة هي صورة كلب معيّن من جنس معيّن بلون معيّن وطول معيّن. أمّا التفسير اللغوي للكلمة فقد جرّد مفهوم «كلب» من كل خصائصه المعيّنة. ما أريد ان أقوله عندما أتحدث عن الاستناد الى العالم الطبيعي لتعريف بعض المفردات هو أن هذا العالم ليس العالم في طبيعته لأننا لا نستطيع ان ناخذه قطعة قطعة ونُدخله الى معجماتنا، بل هو العالم كما تحقّقه اللغة وتوسطه. ليست الكلمة الشيء الذي تدل عليه بل إنما هي صياغة أخرى لواقعه الذي نتكلم عنه او الذي ننطلق منه عند بحثنا عن المعاني الدّالة على الأشياء.

نتذكر كلّنا ݣوليفير الذي وصف ما شاهده في جزيرة من الجزر العجيبة التي زارها. فرأى مرة عددا من العلماء وقد غرقوا في نقاش حادّ وأخرجوا كلماتهم – الأشياء من الحقائب التي أتوا بها والتي كانت مملوءة بأشياء مختلفة اعتقادا منهم ان اظهار «الحجر» مثلا هو أحسن طريقة للتحدث عنه. قد يكون الحجر احسن وسيلة لاقناع الآخرين ببعض الحقائق ولكن لكل مقام مقال...

على عكس هذا الاعتقاد الذي يجعل بعض الناس يستمد مراجعه من حقيبة الطبيعة (أو حقيقتها) كأنها قَبْليات كل خطاب، نجد موقفا فلسفيا آخر يؤدي بالمعجمي العادي إلى اللجوء الى المراجع التي يُوفرها العالم الذي يخلقه الكلام ويبنيه. فلنأخذ مثلا، كلمة «حجر» حتى نتحقق من هذه الطريقة.

حجر: جسْم طبيعي صلب يُستعمل في البناء

أمّا جسْم: كل ما له طول وعرض وعمق

تركيب هذا التعريف يختلف اختلافا تاما عن التعاريف التي قرأناها من قبل لأنه يُحلّ محلّ الكلمة ـ الأساس حَجَرٌ وهي ذات معنى

خاص، كلمة أخرى ذات معنى أعمّ. هنا ننتقل من معنى «الحجر» الخاص الى معنى «الجسم» العام كما يدل عليه التعريف الذي أتينا به: «كل ما له طول وعرض وعمق».

بعد ذلك يتراجع التعريف فيُخصص المعنى الأخير مرتبا علاماته المميزة الداخلية ومقيدا صفاته بالاستناد الى الواقع الخارجي. عندنا، في التعريف، وصف لهذا «الجسم الحجري» وهو «جامد، طبيعي صلب» فهذه الصفات: الجماد، الطبيعية، والصلابة كلها مستمدة من باطنية المفهوم. أما «استعمال هذا الجسم في البناء» فهو قيد تعريفي في الوصف، ناتج عن حضور الصفات المعنيّة داخل هذا النوع من الاجسام. من الافضل حقّا ان يبني الانسان منزله بمادّة متينة. ولكن قد كان من الامكن ان يختار المحرر قيدا تعريفيا آخر أو يزيده للاول ويقول: «يستعمل في البناء وفي القتال ايضا».

فالاستشهاد بطبيعية الحجر في حالة استعماله كسلاح من الاسلحة يؤدي بنا إلى آفاق أخرى لمعنى التعريف لّمحت اليها في بداية هذا الحديث ولقد رجعنا بمثلنا هذا الى مستوى معني المعنى وقد يكون بإمكاننا اتخاذه موضوعا للبحث في اطار أعمال مؤتمر آخر.

دانيال ريغ
جامعة باريس

دائـــرة المـعــارف الاسلامـيــة أصـــل من أصـول المـعـجـم العربـي التاريـخـي

أحمد العايد

رافق مطلع عصر النهضة تغيّرات أساسية اجتماعية فكرية ثقافية أدبيّة سياسية آلت الى انفتاحات على الغرب ومنهجياتهم والاستفادة من طرق بحثهم والى رغبة حقيقية في تطعيم المعارف العربية الاسلامية بألوان ثقافية جديدة، فظهرت:

«دائـرة المعـارف»: وهي موسوعة ألفها بطرس البستاني وتابعها ولداه نسيب ونجيب مع سليمان البستاني بعد ان وضع بعض أجزائها سليم البستاني.

كذلك ظهرت **«دائرة معارف القرن العشرين»**: وهي موسوعة ألفها محمد فريد وجدي في عشرين جزءا وطبعت بمصر سنة 1938.

كذلك اهتم المستشرقون بالحضارة العربية الاسلامية وبدؤوا لمدّة أربعين سنة تقريبا من أوائل القرن الى سنة 1938 يصدرون مقالات تباعا في **«دائرة المعارف الاسلامية»** ENCYCLOPEDIE DE L'ISLAM (E.I)

وكانت دائرتهم تصدر في لغات ثلاث انكليزية وفرنسية وألمانية ثم

ظهـرت بعـد الحـرب العـالمية الثـانية الـطبعة الجديدة لهذه الموسوعة ENCYCLOPEDIE DE L'ISLAM (Nouvelle Editioin : N.E. I) .

وهي مازالت في حرف - M - الى اليوم .

فلئن اعتبرنا ان دائرة المعارف هي موسوعة وان «المعجم التاريخي هو من المعاجم الموّسعة فلنتساءل : هل يمكن ان تكون «دائرة المعارف الاسلامية» الأخيرة أصلا من أصول المعجم العربي التاريخي ؟

أولا : تعريفات :

«المعجم» : «القاموس»

لفظة **معجم** غير موجودة في «لسان العرب» لابن منظور [1] بل نجد في مادة ع . ج . م . كلاما عن الإعجام اي الإبهام وعن المعجم الحروف المقطّعة لأنها أعجمية ، ونجد «قُفْلٌ مُعْجَم» و «أَمْرٌ مُعْجَم» إذا **اعتاص.**

كذلك لفظة **«قاموس»** في لسان العرب هو قعر البحر، أو وسطه ومعظمه أما **«المعجم»** في المنجد في اللغة والأعلام، [2] المتداول بين أيدي التلاميذ والطلاب فهو: كتاب اللغة وما يعرفونه بالقاموس.

والقـامـوس: يطلقـه أهـل زماننا على كل كتاب في اللغة فهو عندهم يرادف كلمة «معجم» و «كتاب لغة» .

وفي «المعجم الوسيط» [3]: **المعجم**: حروف المعجم، حروف الهجـاء. **والمعجم** ديوان لمفردات اللغة مرتبة على حرورف المعجم ج معجمات ومعاجم. **القاموس**: هو البحر العظيم، هو عَلَم في معجم الفيروزابادي، هو كل معجم لغوي على التوسع (مجمع) ويقال: هو قاموس لكذا: جامع لعلمه (مُولَّد) وفي «قاموس الطلاب» [4] **المعجم** :

(1) انظر المراجع في آخر البحث.

(2) انظر المراجع في آخر البحث.

(3) انظر المراجع في آخر البحث.

(4) انظر المراجع في آخر البحث.

هو القاموس المفسر لمفردات اللغة. أمّا شرحه للقاموس فهو شبيه بشرح المنجد.

أمّا المعجم العربي الأساسي [5] فانه يتناول المفردتين كما يلي:

معجم: جمع معجمات ومعاجم: **قاموس**، كتاب يضم مفردات لغوية مرتبة ترتيبا معينا وشرحا لهذه المفردات أو ذكر ما يقابلها بلغة أخرى.

قاموس ج. قواميس هو معجم لغوي.

إذن لئن اختلفت دقة تعريفات لفظة معجم فان التعريف الأدق فيما يبدو نجده في **المعجم العربي الاساسي**، بيد ان هذه المعاجم جميعها لا تتعرض الى مفهوم «المعجم التاريخي».

لهذا ينبغي ان ننظر في «**المعجم الكبير**» لمجمع اللغة العربية [6] في تقديم جزئه الاول اذ قال الاستاذ ابراهيم **مدكور**: «منذ ربع قرن تقريبا أخذ المجمع نفسه بوضع معجم كبير يساير الزمن ويتمشى مع فنّ التأليف المعجمي الحديث، فأخذ نفسه بذلك يوم ان يئس من إخراج «معجم فيشر التاريخي» الذي تعاقد عليه قبل هذا ببضع سنين».

كذلك لا نجد أثرا للفظة «**موسوعة**» في «لسان العرب» وفي «المعجم الوسيط» وفي «منجد الطلاب» وفي «المعجم العربي الحديث لاروس» [7] وفي «قاموس الطلاب» هذه المعاجم المتداولة بيننا، ولا نجد ضالتنا إلا في «المعجم العربي **الاساسي**» إذ وردت به:

موسوعة: ج. موسوعات: دائرة معارف: «الموسوعة الاسلامية، الموسوعة الفلسطينية، الموسوعة الطبية».

---

(5) انظر المراجع في آخر البحث.

(6) انظر المراجع في آخر البحث.

(7) انظر المراجع في آخر البحث.

موسوعي: 1 ـ منسوب الى الموسوعة «معلومات موسوعية»
2 ـ ج ـون عالم جليل ذو معارف واسعة مؤلِّف مَوْسُوعِيّ.
وما من شك في ان للمعجم صلة بلفظتي حضارة وثقافة فما مدلولاتها في المعاجم الحديثة؟: مظهر الرقي العلمي والفني الحديثة ؟
نجد في «المعجم الوسيط» **حضارة**: مظهر الرقي العلمي والفنيّ والادبي والاجتماعي في الحضر (مُوَلَّدَة).
أمّا ثقافة: فهي العلوم والمعارف والفنون التي تتطلب الحذق فيها (محدثة).
وقدد حدّد «المعجم العربي الحديث لاروس»:
الثقافة: بـ «مجموع ما توّصلت اليه جماعة أوبلاد في الحقول العامّة من أدب وفكر وعلم وفنّ وصناعة ونحوهما.
والحضارة في «المعجم العربي الاساسي» هي ج حضارات: مجموع الخصائص الاجتماعية والدينية والخُلقية والتقنية والعلمية والفنية الشائعة في شعب معينّ كالحضارات الهندية واليونانية والعربية.

ثقافة ج ثقافات:
1 ـ هي العلوم والمعارف والفنون التي يدركها الفرد.
2 ـ مجموع ما توصلت اليه أمّة أو بلاد في الحقول المختلفة من أدب وفكر وفن وصناعة وعلم.
3 مجموع العادات والأوضاع الاجتماعية والقيم الذائعة في مجتمع معينّ ونحوها مما يتصل بطريقة حياة الناس و «إذا دلّ لفظ الثقافة على معنى الحضارة كان له وجهان: وجه ذاتي وهو ثقافة العقل، ووجه موضوعي وهو مجموع العادات والاوضاع الاجتماعية».
والثقافتان: استعمال حديث يراد به الثقافة العلمية والثقافة الادبية أو ما يسمى بالانسانيات.
كذلك يحسن ان ننظر في مفهوم «معارف» وقد نجد في «المعجم الوسيط ما يلي:

«**معارف**»: يقال هي حسنة المعارف: الوجه، وحيّا الله المعارف الوجوه وغطّوا معارفهم تلثموا، وهو من المعارف من المعروفين، وهاجت معارف فلان: ولّى عنك بودّه كما يهيج النبات فيصفرّ، وخرجنا من مجاهل الارض الى معارفها أي إلى ما عرف منها.

ونجد التعريفات نفسها تقريبا في «المنجد» وفي «القاموس الجديد» وفي «العجم العربي لاروس».

أمّا في «المعجم العربي الاساسي» فنجد:

معارف مفرد معرفة :

1 ـ معلومات علوم، «دائرة معارف» موسوعة (انظر دائرة) وزارة المعارف: الوزارة التي ترعى شؤون التربية والتعليم ويطلق عليها الآن في معظم البلاد العربية وزارة التربية.

2 ـ معارف الشخص: الناس الذين يعرفهم.

ونجد في هذا المعجم اشارة الى دائرة المعارف لبطرس البستاني ولمحمد فريد وجدي ولدائرة المعارف الاسلامية الغربيّة كما نجدها في المنجد (قسم الأعلام).

ثم كيف يُشْرَحُ «تراث» في هذه المعاجم المتداولة بين أيدينا؟ في «المعجم الوسيط» التراث هو الإراثُ.

والإِرَاث هو ما وُرث (وهو أحد المعاني الموجودة في «لسان العرب») وفي «المنجد» الإرْث والوِرث والوِرَاثَة والتُّراث (مصادر): ما يخلّفه الميّت لورثته.

وعلينا من جديد أن نفتح «المعجم العربي الاساسي» لكي نجد مدلولات ثلاثة لهذه المفردة:

1 ـ ما يخلفه الميّت لورثته آية «وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمًّا».

2 ـ كل ما يُمْلك،

3 ـ مجموع الآراء والأنماط والعادات الحضارية المتنقّلة جيلا الى جيل «التراث العلمي العربي» «التراث الاسلامي» «التراث الثقافي» «التراث الشعبي».

هكذا يبدو أن «التراث» غير متألّف من القديم فحسب بل من الحديث أيضا، لا من التليد فقط بل من الطريف ايضا، لذا وجب ان نكون على بصيرة من هذا المفهوم تاريخيا.

وفي واقع الأمر اذا تعرضنا الى المفاهيم الآنفة الذّكر معجم، قاموس، موسوعة، حضارة، ثقافة، معارف، دائرة معارف، تراث، فالغاية من ذلك عدم معالجتها على انها عرض لفكرة حديثة أو نظرية علمية جديدة، بل هو سَبْرُ غور مواد وإبراز شتاتها المتفرّقة وتبيين ان هذه المعاجم جميعها مقصّرة في تحديد هذه المفاهيم الاساسية ممّا سيفيدنا في تصوّر «معجم تاريخي».

والمعجم ما هو؟ هو «جمع كلمات أو أصناف كلمات للغة من اللّغات مرتّبة غالبًا ترتيبا ألفابئيا ومفسّرة في اللغة نفسها أو مترجمة للغة أخرى.

وهو أداة إعلام عملي غايتها إرضاء حاجات واضحة تنطلق من حوار ضمني بين مستعمل المعجم والمعجم ذاته.

هكذا يبدو المعجم مُؤلّفا تعليميا يضع على الأقل مجموعتين لسانيتين:

- أوّلها: الكلمات المسجّلة (المداخل المختارة)
- وثانيها: التعريفات لتوضيح هذه المداخل

والمعاجم اللغوية أو معاجم المفردات تتعرض الى معطيات لسانية متكاملة: نطق المفردة، رسمها، نوعها، جنسها، مدلولها، استعمالاتها حسب مستويات مختلفة وملقّات متنوعة، علاقتها بعناصر أخرى: اي أصلها وتاريخها.

وفي هذا الصنف يدخل «المعجم التاريخي» الذي هو من صنف المعاجم الموسوعية أي تلك التي تتعرض الى وصف المفاهِيم وشرحها والواقعة التي تدل عليها وتطوّر استعمالات المفردات المعبرة عنها عبر التاريخ.

وفي القرن التاسع عشر بأروبا ظهور منهجية تاريخية للسانيات

غيّر من إعداد المعاجم التي بدأت تسعى الى ضبط تاريخ الكلمة بصفة كاملة متكاملة.

و «المعجم التاريخي» يبسط بالضرورة المشاكل التالية: هل هو «توسّع» أم «انتقاء» هل هو «آني» أم «زماني» ؟

المعجم الذي يطمح الى السّعة يتوق الى ذكر كل كلمات اللغة بدون الحدّ من ذكر أصلها واستعمالها وقيمتها، هو يسعى غالبا الى الاستيعاب الكلّي الذي يبقى مثلا أعلى قد لا يتحقق دائما.

و «المعجم العالمي» او «الذخيرة اللّغوية» هما أنموذجان لهذا النوع من الطموح وهي من المعاجم التي تتوسع ولا تنتقي أي هي من ذوات «التوسع» لا «الانتقاء».

كذلك هي معاجم «زمانية» تتعرض الى التراث الأدبي والثقافي بمفهومه الواسع ذاك الذي يتّسع الى قرون عدّة وهو بالتالي يغطّي حالات شتّى للغة معيّنة.

والمعاجم التاريخية التي ظهرت في القرون الأربعة الأخيرة بأروبا هي أمثلة للمعاجم الزمانية تلك التي لا تتقيد بالآنية أي بضبط مفردات حالة معيّنة للغة اعتمادا على وصفها ووظيفيتها.

وإذا نظرنا في تاريخ المعجم الفرنسي على سبيل المقارنة نجد ان لهذا البلد تاريخا حافلا في مجال إعداد المعجم التاريخي ونذكر من هذه المعاجم بالخصوص:

- «المعجم التاريخي الكبير»

MORERI: Grand Dictionnaire Historique (1674)

- المعجم التاريخي والنقدي»

BAYLE: Dictionnaire Historique et Critique (1696 - 1697)

- المعجم العالمي (المحتوي على كل الكلمات الفرنسية القديمة منها والحديثة)

FURETIERE: Dictionnaire Universel (1690)

- «المعجم العالمي للقرن التاسع عشر» في 15 مجلدا وملحقين، الملحق

الاول 1878 والملحق الثاني 1888 .

LAROUSSE: Dictionnaire Universel du 19 ème siècle (1866 - 1876)

ـ «معجم اللغة الفرنسية»

LITTRE: Dictionnaire de la langue française

في أربعة مجلدات 1863 ـ 1873، وملحق 1877 وفي هذا الملحق جرد المؤلف مؤلفات كتّاب معاصرين ومقالات للصّحفيين.

هكـــذا نرى ان صانـــع المعـــاجم «اَلمعَـــاجِميّ» هو بالضرورة «مُعْجميّ» أي عارف بعلم المفردات عامة حسب ظَهَورها وتطوّرها عبر الزمان.

لذا يجب على صانـع المعاجم لا سيما «المعجم التاريخي»، ان يكون عارفا بالموسوعات معتمدا عليها في ضبط مفاهيمه وتحديد مفرداته.

واذا كان هذا «المعـــاجميّ» عربيا فعليه ان يكـــون واعيا بان الاتصالات بالحضارات الغربية وأسبابها حثّ العرب على العودة الى المنبع الاول وهو التراث اللغوي المكتوب والمنقوش والشفوي ودراسته بمنـظار المنهجيات الغـربية وهذا لا يكون الا إذا كان القائمون على «المعجم التاريخي» بالمرصاد الى البحوث الحيوية الهامّة التي تعالج قضايا العالم العربي قديما وحديثا أي اللصيقة بتطوّر الحياة عبر العصور، معنى ذلك ان عليهم ان يرجعوا الى «المقالات» الواردة في الموسوعات بأقلام متخصّصين ونذكر بالخصوص «دائرة المعارف الاسلامية» لما لها من شأن وقيمـة، وقد ترجمت هذه الدوائر بصيغتها القديمة والحديثة في «دائرة المعـارف الاسـلامية» (كتاب الشعب) [8] وقد جاء في مقدمة الطبعة الاولى من هذه الدائرة بقلم أعضاء لجنة الترجمة في يوليو 1933 ما يلي:

«أكبَّ فريق كبير من علماء الغرب المستشرقين على دراسة تراث تلك

---

(8) انظر المراجع في آخر البحث.

الحضارة العظيمة (حضارة العرب وحضارة الامم الاسلامية) بما فيه من دين سمح رضي كريم ومن لغة غنيّة بمفرداتها، مرنة باشقاقاتها... ثم رأوا ان يجمعوا خلاصة أبحاثهم في كتاب جامع يتبعون فيه منهج القواميس والمعاجم».

ونلاحظ ان ترجمة «دائرة المعارف الاسلامية» الى العربية اعتمدت الأصل الغربي في الطبعة الاولى و الطبعة الثانية ولم تقتصر على مواد الدّائرة فحسب بل تجاوزته الى التعليق على كثير من المواد بالتصحيح أو التكملة أو ردّ مطعن، وتولّى ذلك أئمة الكتّاب وعلماء العرب حتى أصبحت النسخة العربية من عدّة وجوه أكمل من الأصل» (هذا كلام هيئة التعريب).

وفي واقع الامر ينبغي اعتماد النسخة الأصلية باللّغة الفرنسية أو بالانكليزية أو بالالمانية ويحسن ان ينظر أيضا في الترجمة العربية التي مع الأسف لم تواكب النقل من اللغات الغربية الى اللغة العربية مواكبة موازية تامّة في الزمان.

وعلى سبيل المثال تطعيما لمعجم عربي تاريخي ما، ينبغي الرجوع الى «المقالات» التي ذكرناها آنفا: معجم، قاموس، موسوعة، حضارة، ثقافة، معارف، تراث،

ويحسن أن نختار المقالات التالية التي سنتعرض اليها سريعا على سبيل الذّكر لا الحصر: أدب، دين، علم، معارف، ديوان، دستور، بلاط، خُبز، لون.

ثانيا: الرجوع الى موّاد بدائرة المعارف الاسلامية . E.I, N.E.I)

ـ مقالة «أدب» نجدها في الطبعة الاولى بقلم كولد تسيهر (8 و 9 و 10) I. GOLDZIHER .

---

(8) و (9) و (10) انظر المراجع في آخر البحث.

والمقالة الثانية في الطبعة الجديدة لكابريالي (8 و 9 و 10)
F. GABRIELI

ونستشهد من هاتين المقالتين بأهم ما فيهما في ضوء موضوع بحثنا «المعجم العربي التاريخي» قال كولد تسهير: «هناك قول مأثور جرى مجرى الحديث هو «كاد الادب ان يكون ثلثي الدين» . . . وللفظ الأدب أيضا معنى مجازيّ نشأ عنه ما طمح الناس الى الثقافة . . . هو يدل على جملة المعارف التي تسمو بالذهن والتي تبدو أكثر صلاحية في تحسين العلاقات الاجتماعية وخاصّة اللّغة والشعر وما يتّصل به، وأخبار العرب في الجاهلية» . . .

ونذكر من كلام كابر يالي في مادّة «أدب» ما يلي: «إن تاريخ كلمة أدب لمِرآة لتطور الثقافة العربية من أصولها الجاهلية حتى اليوم وهو يفصح عن هذا التطور إفصاحا يوازي ما يفصح عنه تاريخ كلمتي «علم» و «دين» الى ان يقول . . وفي العصر الحديث اصبح الأدب ـ بل الآداب ـ ترادف كلمة الأدب في أخصّ معانيها، مثال ذلك تاريخ الآداب العربية وكلّية الآداب الخ» . . .

كما نرى لفظة «أدب» أتت بألفاظ أخرى أساسية: «دين»، «ثقافة»، «معارف»، «علم».

ـ ففي مقالة «دِين» بقلم كتن (8 و 9 و 10) J. S. COTON نقرأ ما يلي:

ذكر فقهاء اللغة من العرب في مادّة «دين» معاني مضطربة أساسها كلمات قائمة برأسها:

1) كلمة آرامية عبرية مستعارة (أي مقترضة) معناها «الحساب»
2) كلمة عربيّة خالصة معناها «عادة» أو «آستعمال»
3) كلمة فارسية مستقلة تمام الاستقلال معناها «الديانة».

وفي مقالة «عِلْم»: بتأليف هيئة تحرير «دائرة المعارف الاسلامية»

---

(8) و (9) و (10) انظر المراجع في آخر البحث.

في طبعتها الجديدة [9] نجد الصلة بين علم وجَهْل و حِلم ومعرفة وفقه و حِكمة وشعور وتعلّم وعرَف وعَارف وعرّاف والعِلم قديم أو مُحدث أو حديث وعِلْم عمَلِي وعِبَادات وعِلْم ومَعرفة وأَدَب وعالِم وطَلَب العِلْم وإحْصاء العُلوم ومَرَاتِب العُلوم وعُلوم مَحْمُودة وعُلوم مَذْمُومة.

هذا بالاضافة الى مقالات أخرى تَتْبع مقالة «علم» وهي :

«علم الجمال» لكاتبها قهواجي S. KAHWAGI .

«علم الهندسة» لكاتبها بانكري D. PINGREE .

«علم الهندسة» لكاتبها الاستاذ محمد السويسي من تونس M. SOUISSI

«علم الحساب» لكاتبها صبرة A. I. SABRA

«علم الكلام» لكاتبها كاردي L. GARDET

«علم الرجال» لكاتبها أموراتي B. SCARCIA/AMORETTI

- أمّا مقالة «معارف» بالمجلد الخامس من الطبعة الجديدة [9] فانها تشتمل على أجزاء عديدة.

1) الامبراطورية العثمانية والبلدان العربية بالمشرق - (الامبراطورية العثمانية وتركيا، - مصر -، الدول العربية في المشرق العربي).

2) شمال إفريقيا : تونس بقلم أحمد العايد A. ELAYED .

- الجزائر بقلم عبد الرحمان الحاج صالح A. HADJ SALAH .

- المغرب بقلم السالمي J. SALMI .

3) إيران بقلم محمود سنئي M. SANAI .

وفي هذه المقالات الأربع «أدب»، «دين»، «علم»، «معارف» نجد معطيات ومجالات معرفية لا نجدها في المعاجم المتداولة بيننا القديمة والحديثة إذن على دارس اللغة العربية وحضارتها ان يكون ملمًّا

---

(9)انظر المراجع في آخر البحث.

بها وبالتالي لا يمكن لشارح هذه الألفاظ شرحا لغويا تاريخيا أن يستغني عنها لما فيها من ذكر المدلولات حسب المكان والزّمان ذكرا مستفيضا أو يكاد. هذا بالاضافة الى الاشارة الى أصولها العربية أو غير العربية من اقتراضات من لغات أخرى سامية أو فارسية أو لاتينية أو يونانية وغيرها ولنا من هذه الكلمات الدّخيلة امثلة أخرى نذكر منها **ديوان**، **دستور**، **بلاط**.

«**ديوان**»: مقالة بقلم هيوار (8 و 9 و 10) I. HUART هذه المفردة مشتقة حسب قوله من كلمة إيرانية ومعناها سجلّات الحساب العامّة التي تكتب باليونـانية في الشـام، ومصر بالفهلويّة في بلاد فارس، في السّنين الأولى من الفتح العربي، ثم نقلت الى العربية. . . وأطلق الاسم بعـد ذلك على مكاتب بيت المال. . . وأطلق في عهد صلاح الدين على الخليفة نفسه. . . وتدل كلمة ديوان في العربية والفارسية التركيّة على مجموع قصائد شاعر من الشعراء. . .

ويدل «الديوان» أيضا على بناء كبير تجبى فيه المكوس، وينزل به التجار الغرباء ويستعمل ايضا مخزنا للبضائع ومن ثم فان هذه الكلمة ترادف في الـواقـع كلمـة «خـان» أو «خـاروان سراي» caravansérail ونضيف نحن اليوم أنّ «الديوان» في تونس له مفهوم دار القضـاء ومكتب سياسيّ، «الـديوان السياسي للحزب» ومفهوم وكالة كبـيرة متخصصـة «ديوان الحبـوب»، وديوان التجارة»، ومفهوم إدارة «ديوان الإفتاء».

«**و دَستُـور**»: كلمـة فارسية هي اسم الكهنة عند الزّرادشتية وتطلق أيضا على الوزير وعلى القاعدة وعلى النسبة التي يحددها العرف على المال الذي يدفع نقدا، كما تطلق أيضا على القانون الأساسي ومنها الدُّستور التونسي.

---

(8) و (9) و (10) انظر المراجع في آخر البحث.

«وبلاط»: بقلم كيس (8 و 9 و 10) F. GIESE كلمة عربية مستعارة (أي مقترضة) من اليونانية أو اللاتينية . . . ويقال لساحة وقعة بواتيي وتور POITIERS et TOURS بلاط الشهداء نسبة الى الطريق الروماني الذي حدثت فيه الواقعة وكثيرا ما تسمّى الأماكن بهذا الاسم في الشام وفي الاندلس.

وفي المقالة الثانية لبلاط بقلم سوردال (8 و 9 و 10) D. SOURDEL نجد ما يلي:

كلمة عربية لها عدّة معان أتت من اشتقاقها الثنائي اللاتيني أو اليوناني بحسب الأحوال فهي إذا كانت مشتقة من «بالاتيوم» PALATIUM فان معناها هو «القصر».

أمّا اذا اشتقت من الكلمة اليونانية «پلاتيا» فانه يكون لها معنيان «الطريق المرصوف».

ونجد مقالة ثالثة «لبلاط» عن اسبانيا ومقالة رابعة «بلاط»: قرية صغيرة في موضع ميلقوس (ملطيّة)، ونجد مقالة خامسة: «بلاط الشهداء».

إذن نلاحظ ما لهذه الكلمات: «ديوان»، «دستور»، «بلاط» من مدلولات تتطوّر وتتكامل حسب الأمكنة والأزمنة.

وإذا ما أخذنا مقالة «خُبز» في المجلد الخامس من الطبعة الجديدة بقلم الاستاذ شارل بيلا Ch. PELLAT [9] نجد فيها ألفاظا حيّة مستعملة بالفعل في القرون الوسطى عهد الجاحظ والى يومنا هذا وقد ذكرها كاتب المقالة بشواهدها.

«خَمِير»، خَبَّاز» «فُرن»، كُوشة»، «طُلَمة»، وهي نوع من الرقاق المهيَّا على حجرة ساخنة.

---

(8) و (9) و (10) انظر المراجع في آخر البحث.

(8) و (9) و (10) انظر المراجع في آخر البحث.

(9)انظر المراجع في آخر البحث.

«مَلّة» : خبز مهيّأ في الرماد

«خوّارة» : وهي السميد شديد البياض .

«خُبـز قَفَـر» : هو خبـز جاف وخُبْز سَمِيذ ، خُبْز جَيِّد و«الكِسْرَة» (في المغرب) والقُرْص (المشرق) هو الشعير.

إن هذه الالفاظ الغنيَّة من الواجب ذكرها في معجمٍ تاريخي مزمع إعداده ذاك الذي يتابع العالم الاسلامي عبر العصور.

- وفي مقـالـة «لَـوْن» : كذلـك في المجلد الخامس من الطبعة الجـديدة (9) بقلم مورابيا A. MORABIA ، نجد اشارات هامّة الى: أَبْيَضُ ، أَسْوَدُ ، آدَمُ ثَاغِم ، جَوْن ، أَشْيَب ، صِقْلَب ، ظَلْم أَغَرّ ، فَقِيع ، أَغَمّ ، حَوَاري ، خَالِص ، أَزْهـر ، أَقْمَر ، قُهَابِيّ ، لَهَق ، نَاصِع ، يَقَق ، أَهُتَم ، حُنْبُوب ، حِنْدَس ، حُلْبَة ، حَالك ، أَحَمّ ، أَحْوَز ، أَحْوَى ، أَدْكَـن ، أَدْلَم ، أَدْهَـم ، أَسْـحَم ، أَصْفَى ، مُظلم ، غُدَاف ، غِرْبِيب ، قَائم ، قاتِن ، قَاحِم ، شَاهِب ، أَشْهَب ، أَغْثَم ، أَقْهَب ، أَدْسَم ، أَرْبَد ، أَرْمَد ، أَرْمَك ، أَغْبَث ، أَوْرَق ، أَطْحَل ، قَهْد ، أَكْلَس ، أَنْمَس ، أَمْلَح ، أَمْهَق ، الخ .

لا شكّ ان هذه المقالة أغنى بكثير مّما نجده في كتاب «فقه اللغة» للثعالبي في ترتيب سواد الانسان إذ قال :

* إذا علاه أدنى سواد فهو أَسْمَر (brun)

* فإذا زاد سواد مع صُفرة تعلوه فهو أَصْحَم (jaune sale)

* فإذا زاد سواده على الصُّفرة فهو آدَم (bruni tirant vers le rouge)

فإذا زاد سواده على ذلك فهو أَسْحَم (noir comme le corbeau)

* فإذا اشتدّ سواده فهو أَدْهَم (très noir)

إن مقـالة «لون» تسجّل مفردات استعملت ومازالت تستعمل اليوم في اللغات الدّارجة «أحمّ» مثلا «حَمَّ لي قَلْبي» .

---

(9)انظر المراجع في آخر البحث.

فكلمتا «خُبْز» و «لَوْن» بغنى مدلولاتها وتنوّع استعمالاتها هما من المفاهيم التي لا يمكن ان نجدها مستوفاة متكاملة العناصر في المعاجم العربية القديمة والحديثة، فلا بدّ إذن الى الاهتداء الى هذا المرجع الأساسي «دائرة المعارف الاسلامية» لاستخراج ما فيه من مدلولات متطورة استعملت قديما أو هي بصدد الاستعمال حديثا. وكذلك الشأن في مقالات أخرى عديدة كمقالة إخْلاص، «أخْلاق»، «أَدَاة»، «أدْوية»، «إذْن»، «إبْتداء»، «لُغة»، «عَرَب»، «حَضَارة»، «قُطْن»، «لَقَب»، «كِنَايَة»، «خِلْعَة»، «خِتان»، «خِطْبَة»، «خُطْبَة»، «خِلافَة»، «خَلِيفَة»، «إمامة»، «قِبْلَة»، «القِبط»، «خِنْزِير»، «الكِيمِياء»، وغيرها كثير مفيد.

هذا بالاضافة الى أسماء الأعلام وهي كثيرة هامّة يجب جردها جَرْدًا متأنّيا كاملا إذن «دائرة المعارف الاسلامية» معدن لاينضب وبها المفردات مسجّلة تسجيلا دقيقا بالحروف والحركات، وبها كل مجالات اللغة العربية والحضارة العربية الاسلامية بمختلف ميادينها من علوم انسانية الى علوم دقيقة بذكر جذورها العربية وغير العربية اي ذكر هذا الرصيد اللغوي المشترك على ضفتي البحر الابيض المتوسط وما وراءه من حضارات في القارات الثلاث آسيا وإفريقيا وأروبا ذوات اللغات السامية والحامية السامية والهند أوربية.

إن قيمة هذه المقالات بأقلام علماء مختصين من مستشرقين غربيّين وعرب ومسلمين هي في مدى استيعابها لموضوع المادة المعنية بالبحث. يضاف الى ذلك المراجع والمصادر التي توجد في آخر كل مقالة باللغات الاجنبيّة الانكليزية والالمانية والفرنسيية أو غيرها... وباللغة العربية بما في ذلك كتب الأدب عامة وكتب العلماء والموسوعات «كرسالة إخوان الصفاء» و «كشف الظنون» و«كشاف اصطلاحات الفنون» وغيرها.

فما من شكّ اذن في ان «دائرة المعارف الاسلامية» هي من

الاسس الأولى او قل المصدر الأول للرّاغبين في إعداد «معجم تاريخي عربي» هي مُدَوَّنة لا يستغنى عنها.

وما من شك أيضا في ان هذا العمل الجليل باللغات الأجنبية الفرنسية والانكليزية والألمانية لهو من المراجع العلمية الدقيقة الثابتة التي ينبغي ان يرجع اليها في أصولها الغربية، أي على مؤلِفي «المعجم التاريخي» ان يكونوا ملمّين بهذه اللغات أو على الاقلّ بإحداها حتى يكونوا على صلة حيوية بآخر ما يصدر فيها دون ترقّب نقل ما فيها الى العربية لما في عمليّة النقل من بعض تحريف ومن تأخير ومن عدم مواكبة في الزمان.

وختاما اذا علمنا ان «معجم أكسفورد» الانكليزي استغرق انجازه سبعين سنة وضمّ أكثر من ثلاثة ملايين ونصف شاهد لغوي، واذا علمنا أن المركز القومي الفرنسي في «نانسي» جمع في عشر سنوات حوالي مائتين وخمسين مليون شاهد بمعدّات إلكترونية.

وإذا علمنا ان معجم «روبار الكبير» يحتوي على مائة وعشرين الف شاهد، وإذا علمنا أن المعجم عامّة يُطعَّمُ باستمرار فَمثلا بين طبعة معجم «فيهر» الاولى سنة 1958 وطبعته الرابعة سنة 1970 زيد ربع المداخل تقريبا، واذا علمنا أن تأليف المعجم يتطلّب معرفة بعلم المفردات اي «المعجمية» (Lexicologie) ومعرفة بصناعة المعجم اي المعاجمية (Lexicographie) اتضح لنا ان المعجم عامّة أصبح عملا مؤسّساتيا لا فرديا.

أمّا إن كان المعجم تاريخيا فإنّه يفترض لانجازه مؤسسة علمية خاصّة أو حكومية أو عربية أو دولية مؤسسة يشترك فيها علماء عديدون من لغويّين مُعجَمِيّين مَعاجميّين ومن مختصّين في العلوم الانسانية وفي العلوم الدقيقة. وعلى سبيلَ المثال نذكر ان مؤسسات عديدة تشترك في إنجاز «معجم هانس فيهر» [11] شركة «أرمكو» والمجلس الأمريكي

(11) انظر المراجع في آخر البحث.

للمجمعيات العلمية وجامعة «كورنال» أمّا «معجم السّبيل» [12] لزميلنا الاستاذ دانيال راغ Daniel REIG فشركة لاروس تحتضنه طباعة وتوزيعا.

إنّ «المعجم العربي التاريخي» المثالي يصعب تأليفه، هو عمل طويل النَّفَس يتطلّب تظافر جهود العلماء وجهود التقنيين في الحواسيب، هو عمل جماعيّ يلتقي فيه العالم في الصوتيات، في الصرف والنحو، في علم الدّلالة، ويلتقي فيه العلماء في كل العلوم الانسانية الأخرى من تاريخ الى جغرافيا الى علوم الاجتماع الى علم النفس الخ... ويشترك فيه بالضرورة العلوم الدقيقة من فيزياء الى كيمياء الى علم الفلك الى طب الخ... ويسهم فيه مباشرة العلماء في تسخير الأجهزة الالكترونية والاستفادة من المعلوماتية والحوسبة المتقدّمة المتطوّرة وصناعة المعجم هي حرفة وتصنيع.

لكن لنتذكّر ما قاله هيوود HAYWOOD «المعجم العربي منذ نشأته كان يهدف الى تسجيل المادّة اللغوية بطريقة منظّمة وهو بهذا يختلف عن كل المعاجم الأولى للأمم الأخرى التي كان هدفها شرح الكلمات النادرة أو الصعبة» ولْنتسلّح بالأمل إذ لنا تقاليد عربية مُعجَمِيّة مَعَاجِمِيَّة فنرجو ان ينجز «معجم عربي تاريخيّ» لهذه اللغة العربية المتسعة مكاناً في اثنتين وعشرين دولة عربية وفي دول أخرى اسلامية في القارات الخمس، والمتسعة زمانا الى اكثر من خمسة عشر قرنا إذا تصورنا المنهجية الفضلى والمواصفات الدقيقة والأجهزة المعاصرة المُعينة تساءلنا: هلاّ قريبا من مؤسَّسة مخطِّطة لهذا العمل الطويل؟ هلاّ قريبا من «معجم عربي تاريخيّ»؟ نرجو ذلك إذ بإنجازه سيتحقّق ما في مادة ع ل م من قوى كامنة لا حدّ لها أيّ من «عَلِمَ» وعَمِلَ» «لَمَعَ» فكان «العَلَم» فليكن المعجم التاريخي العربي ذاك المشروع الذي مَنْ عَمِل فيه بِعِلْمِه لَمَعَ فكان المحتذى والعَلَم.

---

(12) انظر المراجع في آخر البحث.

المــراجــع

1) **لسان العرب**: ابن منظور المتوفى سنة 711 هـ / 1311 م، ترتيب اشتقاقي حسب حروف الهجاء (الطبعة الجديدة: إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي بيروت 1970 ـ 3 مجلدات).

2) **المنجد في اللغة والاعلام**: تأليف لويس معلوف والاباء اليسوعيين (دار الشرق بيروت. ط 17 سنة 1960)

3) **المعجم الوسيط**: معجم مجمع اللغة العربية (قام باخراجه ابراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات. حامد عبد القادر، محمد علي النجار، واشرف على طبعه عبد السلام هارون. جزآن ج 1 1960، ج 2 1961 مطبعة مصر القاهرة)

4) **القاموس الجديد للطلاب** (معجم عربي مدرسي ألفبائي): تأليف بن هادية بلحسن البليش، الجيلاني بن الحاج يحيى ط 1 1979.

5) **المعجم العربي الأساسي** (معجم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم): تأليف أحمد العايد، أحمد مختار عمر، الجيلاني بن الحاج يحيى، داود عبده، صالح جواد الطعمة، علي القاموسي، نديم المرعشلي، تنسيق: علي القاسمي، مراجعة: تمام حسّان، حسين نصّار نديم المرعشلي (الكسو ـ لاروس 1989) معجم مرتّب حسب الترتيب الجذري «وهو مخصّص للناطقين بغير اللغة العربية ممن بلغوا مستوى متوسّطا أو متقدّما في دراستها وللمدرّسين والأساتذة منهم والطلبة الجامعيّين في أقسام الدراسات العربية والاسلامية والمثقفين منهم بوجه عامّ، وهو معجم لغوي تتخلّله معلومات موسوعية ومصطلحات علمية مختارة وشواهد وأمثلة توضيحية كثيرة».

6) **المعجم الكبير**: (مجمع اللغة العربية): الجزء الاول حرف الهمزة دار الكتب 1970.

7) **المعجم العربي الحديث لاروس** (معجم موسوعي للجميع): تأليف د. خليل الجرّ.. (مكتبة لاروس باريس 1973) مرتب ترتيبا ألفبائيا.

8) **دائرة المعارف الاسلامية**: النسخة العربية، اعداد وتحرير ابراهيم زكي خورشيد، أحمد الشناوي، د. عبد الحميد يونس (كتاب الشعب) القاهرة، الطبعة الثانية ص سنة 1969).

9) Encyclopédie de l'Islam + Suppléments
Wenseck, Bassek, Hartmann, Lewis, Pellat, Schacht, Levy-Provençal...
Encyclopédie de l'Islam - Nouvelle Edition
C.E. Bosworth, E. Van Donzel, B. Lewis, Ch. Pellat (Leiden - E.J. Brill. Paris ed. Maisonneuve et Larose)

10) **المستشرقون**: نجيب العقيقي ج 1 1964، ج 32 1965، ج 3 1965 (دار المعارف بمصر).
11) **معجم العربية المكتوبة المعاصرة**: هانس فيهر (عربي انكليزي) ,HANS WEHR
DICTIONARY of MODERN WRITING ARABIC . الطبعة الرابعة فيزبادان 1979).
12) السبيل: معجم عربي فرنسي - فرنسي عربي، دانيال ريغ (معجم للغة العربية الحديثة. مكتبة لاروس باريس 1981)
DANIEL REIG, Dictionnaire Arabe - Français/Français - Arabe

دائرات المعارف
وصلتها بالمعجم التاريخي (العربي)

بحث : الأستاذ فرحات الدريسي

إنّ الظن الغالب انّ من أعلق ضروب التصنيف بعصر التدوين من جهة جمع المادة اللغوية وعلى تقرير السّبق في الزمان التأليف المعجمي في اللغة العربيّة [1] ولعلّ حركة التأليف المعجمي بطبيعتها - من جهة العموم - وعند العرب - من جهة الخصوص - من أكثر حركات التأليف انشداداً الى الرغبة في الاحاطة وفي الشمول [2] ابتغاء الاستيفاء والاستتمام.

ولعل هذا المقصد ذاته ظلّ - إلى جانب دوافع أخرى - يستحثّ - إن قليلا أو كثيرا - حركة التأليف المعجمي في العصر النهضوي الحديث على تقرير ما بات يقينا من حرص شديد على رصد نقائص المعجم العربي وتتبع هناته وضبط سقطاته تصحيحا واستدراكا وإحياء ووضعا [3].

(1) - انظر مثلا : حسين نصّار = المعجم العربي. نشأته وتطوره. دار مصر للطّباعة.
محمد حسن جبل = «الاستدراك على المعاجم العربية» دار الفكر العربي. 1986

(2) - انظر مثلا : «الأزهري» تهذيب اللغة، الدار المصرية للتأليف والترجمة. القاهرة 1964 - 1967، (10 أجزاء).
- «الجوهريّ» : «الصحّاح»، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. دار الكتاب العربي القاهرة 1956 (6 أجزاء).

(3) - انظر: محمد ضاري حمادي : حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث، دار الرشيد، وزارة الثقافة والاعلام بالجمهورية العراقية، بغداد، 1980.
أحمد الشرقاوي إقبال: معجم المعاجم دار الغرب الاسلامي بيروت 1987.

إنّها لتـذكرة ناصّة على انّ سمة الاستيفاء في العمل المعجمي موسوعيا كان او عامّا أو متخصصا من اللّزوم في صناعة المعجم من جهة الجمع لكنها لا ترقى إلى الكفاية حتى وإن تعددت المصادر والمراجع واتّسعت فضـلا عمّا يحكمهـا من شرائط وعـمّا يصـدر عنه مزاوله من متصورات وأحكام [4].

ولعـلّ الاجماع مستحصل تصريحا وتلميحا على ان مردّ مطعن القصور في شأن حركة التأليف المعجمي بالعربية - على قدم تلك الحركة - إلى خلوّهـا من معجم يستقلّ بأطوار استعمال الكلمة على اختلاف الأزمنة والأمكنة.

ولعلّ بعض المستشرقين ممّن وقف عمله على الدراسات اللغوية - في حدود المعلوم من الوثائق - من أول من فطن الى خلوّ حركة التأليف المعجمي بالعـربية من معجم تاريخي وإن انـبرى هو نفسه يستكمل المعـاجم العربية ويستجمع شيئا من الرّابطات الجامعة بينها وبين ما سواها من الألسنة [5] بهدي من رؤية ستستحكم ملامحها في نوع من المعـاجم لغير العرب في أزمنة لاحقة [6] ألحّ فيها اصحابها على قيمة

---

(4) - انظر: السيوطي: المزهر في علوم اللّغة وأنواعها تحقيق محمد جاد المولى وعلي البجاوي ومحمد أبي الفضل دار إحياء الكتب العربية (د.ت)

(5) - R. Dozy : Supplément aux dictionnaires arabes E.J.Brill Leyde 3éme éd 1967 2vol

R. Dozy : dictionnaire détaillé des noms des vetements chez les arabes, Amsterdam, 1845

(6) - انظر على سبيل المثال:

Emile Genest: Dictionnaire des citations (des phrases, vers et mots célèbres employés dans le langage courant avec précision de l'origine), Paris 1967

وممّا جاء في تقديمه (ص6):

«Nombre de pensées reflexions, sentences, maximes éparses chez les écrivains français ont pris l'aspect de proverbes ou s'implantent en «phrases connues» dans les livres, écrits, discours journaux etc... On les énonce, on les répète à l'envi sans se rappeler toujours leur état civil, l'œuvre qui les contient, l'écrivain qui leur a donné le jour»

[كم من أفكار وآراء وأحكام وحكم منثورة عند الكتاب الفرنسيين قد جرت مجرى الأمثال أو تنـزّلت جملا مألـوفـة في التصانيف والتآليف والأقوال والصحف وغيرها . . . يتلفظ بها الانســان ويكرر استعمالها قدر ما شاء دون أن يتذكر أبدا أصولها ومرجعها والمؤلف الذي استعملها أوّل مرّة] .

انظر أيضا :

Paul Rouais: Dictionnaire des idée suggérées par les mots. 33éme édition. Armand colin Collection U Paris (S. d.)

ومما ورد في تمهيده :

... Le mot sur le bout de la langue ou de la plume et ce mot ne se présente pas a l'esprit , où le chercher? où le trouver?...

إلى أن يقول :

... Et ces mots éveillent les idées remédiant ainsi à la difficulté plus grande d'aller de l'idée au mot que du... mot à l'idée.

[اللفظ على مشارف طرف اللسان او يقارب تسطير القلم إلاّ أنّه لا يتجلّى للذّهن فأنّى يبحث عنه؟ وأنّى يعثر عليه؟

. . . وتهدى تلك الألفاظ [الذّهن] الى المعاني فتخفف وطأة النّهج الأعسر بالانتقال من المعنى الى اللّفظ بدل الانتقال من اللّفظ الى المعنى] .

ولقـد ترسم ـ الآن ـ الاستعمال ولواحقه سلطة لغويّة عنها يصدر العمل المعجميّ محكوما بقانون تطوّر اللغة .

انظر ـ على سبيل المثال :

Cahiers de lexicologie

(Revue Internationale de lexicologie et lexicographie) vol L 1987. Article F.J.H Le dictionnaire, catalogue d'emplois, étude de lexicographie comparée. PP. 107 - 114.

وممّا ورد فيه :

Les dictionnaires selon la belle formule de Robert Léon wagner sont non seulement des cataloges de mots, mais en rapport direct avec leur qualité des catalogues d'emplois... Il ne saurait y avoir de bon dictionnaire d'usage sans la «présentation des emplois réels des mots dans le discours».

[إنّ المعاجم ـ حسب قولة روبر ليون فيقنر ـ البليغة ليست قائمات ألفاظ فحسب وإنّما هي أيضا من جهة النّظر الموصول بكيفيّة ما هي عليه قائمات في وجوه استعمال . . .

إنّـه ليس بوسعنـا أن نحصـل على معاجم صالحة للاستعمال ما لم نعرض وجوه استعمال الكلمات كما هي عليه في واقع الكلام.]

وأمّا الحركة المعجمية العربية ـ على تنوّع مسائلها وثراء موادّها واختلاف مقاصدها وتعدّد مناهجها ـ فقد ظلّت قديما وحتى حديثا محكومة ـ على وجه الخصوص ـ بمقصدي التصويب اللغوي وتقويم اللّسان أو منشدّه إلى الغريب بأصنافه. ولئن كان حظّ معاجم المعاني من الحركة المعجمية حظّا غير مبخوس (معاجم الأضداد والترادف والاشتراك . . .) [7] فإنها حركة معجمية قد انخرطت في الفصاحة والبيان رغبة في حقّ القول وحق النّقض فنشأ عن ذلك ان كانت قاصرة عن إدراك تحولات معاني الألفاظ ودلالاتها وعن استيعاب معاني تلك التحولات وفق اختلاف الأزمنة والأمكنة [8].

وإذ رقي الثقافي في الذهنية العربية بصفة أعمّ واللّغويّة عموما والمعجمية خصوصا منذ قرن أو يزيد صارت إثره مباحث الزمان والمكان من مطالب الفكر التحديثي وصحّ العزم على مقاربة صناعة المعجم التاريخي للّغة العربية بعد ان استساغ التفكير اللغوي ذاك المبحث على صعيدي الفرداني والمؤسساتي ارتأينا ان لا يغفل البحث عن مدى ما يمكن ان تسهم به دائرات المعارف أو الموسوعات من جهة ما قد يخاله لغوي من وسائط بين دائرة المعارف وبين المعجم عامّة والمعجم التاريخي خاصة على صعيدي المعرفي والمنهجي قد يستخلص منها الباحث تقاطعا أو توازيا بين دائرة المعارف والمعجم.

---

(7) ـ انظر ـ مثلا ـ أحمد الشرقاوي إقبال: معجم المعاجم (تعريف بنحو ألف ونصف ألف من المعاجم العربية التراثية)، الجمعية المغربية للتّأليف والترجمة والنشر دار الغرب الاسلامي ط (1) بيروت 1987.

(8) ـ انظر خاصة: أوجيست فيشر: المعجم اللغوي التاريخي القسم (1) من أول حرف الهمزة الى (أبد). نشر مجمع اللغة العربية ط (1) القاهرة 1967. يقول في ص. 7 متحدثا عن المعجم التاريخي: «. . . يجب ان يحوي المعجم التاريخي كل كلمة تُدُووِلَتْ في اللغة... لكن المعجمات العربية بعيدة كل البعد عن وجهة النظر هذه إذ أنها لا تعالج الناحية التاريخية لمفردات اللغة بل تقتصر على إيضاح الاتجاه النموذجيّ لها. . . ولكنه [هذا الاتجاه] عاق القوة الحيوية الدافعة في اللغة عن التقدم والتوسع.

وإذا كانت قيمة الافتراض في البحث مقترنة بمدى إخصابه فان شرعية هذا المبحث تترسّم من جهة ما يستحصل من عناصر المؤالفة والمجـانسة بين خطّة دائرة المعارف وخطّة المعجم التاريخي على تقدير المقصد النظري والعمل الاجرائيّ .

وإنّها لتضيق على تقـدير ما يكـون بينهـا من عنـاصر المخالفة والمغايرة [9] . فكيف تتجلّى حينئذ في دائرة المعارف درجة الوعي - متى استخلصت - بالبعد التاريخي للكلمة في علاقته بالاستعمال على تقدير تطوير المعنى وتتبع تحوله وتسجيله وفق أطوار تاريخية للكلمة بالحرص على التنصيص على معناها الاول في زمن استعماله الاول وعلى تثبيت التدرج في ضبط تحولات المعنى وفي تفسير معنى تلك التحولات [10] .

إنّ مبدأ مطلبنا حينئذ في تدبّر جهود موسوعية فردية عددنا منها دائــرة معـارف بطرس البستـاني [11] ثم دائـرة معـارف محمـد فريد وجـدي [12] وفي تدبر جهد جماعي «دائرة المعارف الاسلامية» قام به أعـلام المستشرقين [13] دون ان نغفل كل الغفلة عن جهود موسوعية

---

(9) - لعل في ذلك تبريرا لما أشار اليه أوجيست فيشر في مرجعه السابق ص 6 ، بقوله : «... ومن المرغوب فيه كل الرغبة القيام ببحث دقيق قائم بذاته عن علاقة المعجمات العربية بعضها ببعض او بعبارة أخرى عن ردّ بعضها الى بعض»

(10) - انظر على سبيل المثال مقدمة :
J. Picoche: Dictionnaire Etymologique du français (les uusuels du Robert). N. ED. 1983. Paris

(11) - بطرس البستاني دائرة المعارف وهو قاموس عام لكل فنّ ومطلب ط . بيروت 1876 (6 ج)

(12) - محمد فريد وجدي : دائرة معارف القرن الرابع عشر/العشرين . دار المعرفة للطباعة والنشر ط . 3 بيروت 1971 (10 مج)

(13) - دائرة المعارف الاسلامية نقلها الى العربية محمد ثابت الفندي - أحمد الشنتاوي - إبراهيم زكي خورشيد - عبدا لحميد يونس (د . ت) (14 مج)

أخرى قد يقلّ شأنها في حدود ما نروم اختباره من مبحث معجمي وقد عددنا منها دائرة معارف الأعلمي [14] ودائرة المعارف العثمانية [15] وموسوعة أحمد عطية الله [16] وموسوعة التهانويّ [17].

يلحظ الناظر في مقدمات دائرات المعارف منذ البداية أنّ أصحابها لا يصدرون ذهينا عن نظرية في تأليف المعاجم أو عن شعور بنقائص المعاجم العربية او عن رغبة في تأليف معجم جديد أو عن إدراك ناصّ على وعي عارف بالبعد التاريخي في علاقته باستعمال الكلمة من جهة جواز ان يتطور معناها الاول من حيث المفهوم والاستعمال وفق أطوار تاريخية للكلمة وإنما أمر أهلها من العرب دون استثناء إحياء الآداب والمعارف واللغة العربية وتيسير تحصيلها وترويضها على التعبير عن «وسائط التمدن والتقدم» [18] لاتساع أفق المعرفة، وأمّا حاصل نوايا المستشرقين ومقاصدهم فنشر تراث الاسلام وتعميمه وتعميق المعرفة به بالكشف عن أسسه ومثله [19] بينما ظلّت دائرة معارف

---

(14) ـ محمد حسين سليمان الأعلمي: دائرة المعارف المسماة بمقتبس الأثر ومجدّد ما دثر ط(1) مطبعة الحكمة قم 1374هـ.

(15) ـ دائرة المعارف العثمانية ط(1) حيدر آباد الدكن الهند (د. ت) (3 مج)

(16) ـ أحمد عطية الله: القاموس الاسلامي مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1963/1966 (5 مج)

(17) ـ محمد التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون تحقيق لطفي عبد البديع ترجم النصوص الفارسيّة عبد النعيم محمد حسنين وراجعه أمين الخولي. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر 1963 (2 مج).

(18) يقول محمد فريد وجدي: في مقدمة مج (1)

«... ولكننا اليوم... ذكرنا حاجة الامة الى دائرة معارف أغزر مادة وأجمع فوائد... ولكن من أين لهم هذا إلاّ بدائرة علوم مستكملة لا تدع صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها؟... فأجمعنا على وضع دائرة معارف... فعزمنا أن نتوسع في قسم اللغة توسعا لا يدع حاجة في النفس وان نتبسّط في القسم العملي تبسّطا يبلغ بالطالب غاية ما يرمى اليه»

ـ انظر كذلك مقدمة البستاني

(19) ـ انظر مقدمة دائرة المعارف الاسلامية مج(1) الترجمة العربية

الأعلمي والعثمانية وموسوعة التهانويّ محكومة بغاية الاستدراك والاتمام بدافع رغبة جارفة في الاستيفاء والشمول [20].

إنّ ما ألمعنـا إليه لا يعني البتّـة ان خطة دائـرة المعارف ـ عند المحدثين العرب ـ المحكومة بالمقصد النهضوي على صعيد المعرفيّ قد رقيت الى درجة احتجب معها أثر خطّة المعجم في دائرة المعارف إذ ما انفكّ مفهوم المعجم يكافىء من بعض وجوهه مفهوم دائرة المعارف إذ يرسّم بطرس البستاني عنوانا يقرن بين دائرة المعارف والمعجم على هذا النحو: «دائرة المعارف = وهو قاموس عام لكلّ فنّ ومطلب».

ويضيف في الصّفحة الخامسة من مقدّمته مج (1) «فهي . . . قاموس عام للمعارف من جغرافية وتاريخية وعلمية وصناعية وسياسية وأدبية يحتوي على كلّ ما تصبو إليه النفس ويغني مقتنيه عن مكتبة كبيرة».

وينصّ «وجـدى» في مقـدمتـه. مج (1) على ان دائرة معارفه «قاموس عام مطوّل للغة العربية والعلوم النقليّة والكونية بجميع أصولها وفـروعها» ويثبت «الأعلمي» في مقدمته. ص 2: أنّ دائرة معارفه « معجم كبير وسفر خطير جمع فأوعى وحاز فأوفى».

ويلحظ الدّارس انّه كثيرا ما حافظت دائرة المعارف عند العرب ـ على وظيفة المعجم إن لم نقل تأسّست عليها إلى حدّ كبير إذ يقول وجدى ـ مثلا ـ في مقدمته «فقد وضعنا كتابنا (كنز العلوم واللغة) قبل خمس سنين وكان غرضنا الأول منه أن نحصر خلاصة معلومات البشر كلّها في دائرة واحدة. . . ولكنّنا اليوم. . . . أجمعنا على وضع (دائرة معارف) على أسلوب يناسب الحاجة العصرية ليكون بإزاء سابقه (كنز العلوم

---

(20) ـ يقول الاعلمي في مقدمة مج (1) ص 7

«والباعث على التأليف أنني نظرت في كتب أصحابنا رضوان الله عليهم وموسوعات تراجمهم التي بأيدينا من المصنفات والمؤلفات فوجدناها خالية من ذكر جمع من الأعاظم وأعيان الرجال وثقاة الرّواة. . .».

واللغـة) كدائـرة معارف لاروس الكبيرة بجانب قاموسه الصغير. . .
فبدل ان نقتصر على بعض اللغة نلمّ باللغة كلّها».

ولقـد ظلّت خطّة دائـرة المعارف تهتدي على صعيد الاجرائي كذلـك بخـطّة صنـاعـة المعجم من جهة الترتيب والتبويب إذ يقول «البستاني» في مقدمته ص. ص 5 ـ 6. «قد رتبنا دائرة المعارف ترتيبا قامـوسيا سهلا. . . فيكفيه (القارىء) ان يعرف تهجئة الكلمة. . . فيطلبهـا في الحرف الأول منها سواء كان من أصول الكلمة أو مزيدا عليها. ويشير «وجدى» في مقدمته إلى ان مادة تصنيفه «مرتّبة ترتيب القاموس لتسهل مراجعتها على الطّالب»

ويسجّل «الأعلمي» في ص. 4. من مقدّمته «. . . قد راعيت في حروف الكلمات كل ذلك على ترتيب حروف المعجم والهجاء. . . ثم ذكرت في الاثناء ما يتعلّق بالكلمة من باب المناسبة والاستطراد».

والتـزم «أحمـد عطيّة» في «القـاموس الاسلامي» ترتيبا أبجديا وصنّف التّهـانـوي مواده» أبوابا وفصولا، الباب باعتبار أوّل الكلمة والفصل باعتبار آخرها». . . فلعلّه يتّضح حينئذ ان حدود الفصل بين دائرة المعارف والمعجم في ذهن اللغوي العربي واهية وان عناصر التميز بينهما منطمرة مادام الفهم المنبني على المدركات يحيل على المعجم إحالته على دائرة المعارف ومادام التمثّل والتصور يسلمان إلى الصّنفين مجتمعين متكافئين فضلا عن المستحصل منهما من تماثل وتطابق بينهما من جهة ردّ المواد إلى ترتيب واحد. . . حتى لكأنّ الشأن تطويل وتوسيع وتبسّط أو على حدّ عبارة «وجدى» في مقدمة. مج (1). «فبدل ان نقتصر على بعض اللغة نلمّ باللغة كلّها».

فإذا كان العقل المدرك العربي لا يفصل فصلا واضحا بين حدود دائرة المعارف وبين حدود المعجم ووسعنا ان نردّ المدركات فيهما بعضها الى بعض جازت مسألة: إلى اي مدى حينئذ يمكن ان نستخدم دائرات المعـارف مصدرا من مصادر المعجم التاريخي بعد ان ألمعنا إلى إجماع لغوي يمكن ان تختزنه عبارة أوجيست فيشر الآتية (في القسم الاول من

المعجم التـاريخي . ص 7 .) وان تختزله «المعجمات العربية بعيدة كل البعد عن وجهة النظر هذه إذ انها لا تعالج الناحية التاريخية لمفردات اللغة بل تقتصر على إيضاح الاتجاه النموذجي لها» فضلا عن التذكير بمنحى المعجميين المحدثين والذي يمكن ان تنبىء به عبارة «البستاني» الآتية في ثنايا تقديم «قطر المحيط» وقد سمّيناه بقطر المحيط لأن نسبته إلى كتـابنـا المطوّل في هذه الصناعة بمحيط المحيط توشك ان تكون كنسبة قطر دائرة إلى محيطها» .

إنّـه لئن فاق حظّ عنـاصر المؤالفة والمجانسة بين دائرة المعارف والمعجم حظّ عنـاصر المخـالفـة والمغايرة وانخرطت دائرة المعارف في مظاهـر العمـل المعجمي المعهـودة من جهـة المفهوم والوظيفة وخطّة الانجاز فان الناظر في مقدمات دائرة المعارف يستشفّ انبثاث هاجس عنه صدر أصحاب دائرات المعارف وفيها اندسّ بدرجات متفاوتة إن هو إلّا الحاجة الملحة إلى سدّ مواطن شغور عديدة بين الاسماء والاشياء في جانب اللّغة العربية وقد تجمعت منبّهات الحاجة في حركة الزمان اي في التاريخ .

إنه لئن لم ترق مفهوميا دائرات المعارف العربية إلى درجة ينكشف معهـا ان الموسوعيين العرب المحدثين فقهو ان للكلمة أطوارا تاريخية والتقـطوا ظاهرة تحولات المعنى وبصروا بمعنى التحولات فهل يعني ذلـك اننا عدمنا في دائرات المعارف عبر خطّة انجازها إجرائيًا ما قد يشفع لها مصدرا من مصادر من مصادر المعجم التاريخي على صعيدي المعرفة والمنهج ؟

---

(21) ـ انظر ـ مثلا ـ ر. بلاشير: تطورات اللغة العربية ومجاراتها للعصر الحاضر (ترجمة محمد فريد غازي) الفكر س.4 ع6 مارس 1959 ص ص 62 ـ 64

ـ وانظر كذلك: تز ب ارمنغ (مستشرق أمريكي): نظرية ابن خلدون في اللغة المرجع السابق ص 51

لقد انبنت سائر دائرات المعارف المعدودة على نزعة موسوعية إذ رامت غزارة المادة مطلبا واستفاضة البحث منهجا فنشأ عن ذلك استتباعا واستلزاما ـ ان تراكمت المعارف وان استبدّت رغبة البحث في الاحاطة والاستيفاء بالتصنيف الذي انقاد بدوره الى عمل معجمي سرعان ما انشدّ إلى الانشغال بتعدد المعاني انطلاقا من المعنى اللغوي فالمعنى الاصطلاحي في غياب مطلق لاستحضار أحوال الكلمة وتغيرات معناها ومعنى تغيراته على غرار ما يلي من أمثلة نموذجية تتوزع على جانب من الموسوعات المرصودة:

يقول «البستاني» في مج. 2. ص 558:
ـ احتكار = الاحتكار في اللغة احتباس الشيء لغلائه وفي الاصطلاح الشرعي اشتراء قوت البشر والبهائم وحبسه الى وقت الغلاء...
ـ وفي مج. 2. ص 622:
ـ اختيار = الاختيار ترجيح الشيء وتخصيصه وتقديمه على غيره وهو أخصّ من الارادة وفي اصطلاح النحاة امتلاك إجراء الكلام على اصله ونقيضه وهو التزام إخراج الكلام عن أصله لباعث يستلزم ذلك...
وفي اصطلاح المتكلمين قد يطلق على الارادة وقد يطلق على القدرة ويقابله الايجاب...
ويورد «وجدى» في مج. (1). ص ص 307 ـ 309

اسفكسيا: = كلمة أعجمية معناها الاختناق. وهي حالة تعتري الانسان بعارض من عوارض كثيرة ينقطع فيها النفس ويظهر على المصاب علامات الموت وما هو بميّت.
ـ أسبابه = رداءة الهواء أو عدمه كما في حالة الغرق والخنق.
ومنها ما يحصل من زيادة الحرارة... ومنها ما ينشأ من الصواعق... الاختناق من الفحم... الاختناق بالغرق... الاختناق من الحمام... الاختناق من الازدحام... اختناق الاطفال المولودين...

ويورد «الاعلمى» في مج . (1) . ج 2 . ص 223 :
الآل = بالمدّ . قال في (مص) آل يؤول أولا ومآلا . رجع . والآل أهل الشخص وهم ذو قرابته . وقد يطلق على اهل بيته وعلى أتباعه . وقـال . . . أهـل الـرجل آله وهم أتباعه وأهل ملّته (ثم) كثر استعمال الآل على اهل بيت الرجل لأنهم من يتبعه وأهل كل نبيّ أمّته .

ويورد أحمد عطيّة . في مج 2 . ص 70 :
الحزب = لغة الطائفة من الناس أو الجماعة المؤتلفة من حيث المعتقد أو العمل الذي تشترك فيه وقد جاء لفظ حزب في القرآن بهذا المعنى حينا مجردا مثل قوله تعالى «كل حزب بما لديهم فرحون» أو مضـافـا إلى الله تعـالى مثل قوله تعالى «رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله» أ و مضافا إلى الشيطان مثل قوله «ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون» كما وردت كلمة أحزاب وهي جمع حزب في مواضع مختلفة من القرآن تشير إلى طوائف الكافرين بدعوة الرسل والانبياء عامة . قال تعالى : «فلمّا رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله» .
2 ـ الحزب اصطلاح يقصد به قسم من القرآن الذي ينقسم إلى ثلاثين جزءا وكل جزء يقسم إلى حزبين . . .
3 ـ الحزب اصطلاح يقصد به الورد الذي يتلوه الصوفي في خلوته وهو مجموعة من آيات قرآنية وأدعية يصوغها الولي لأتباعه .

ـ وانظر كذلك على سبيل المثال : أحمد تيمور : الموسوعة التّيموريّة : «من كنوز العرب في اللغة والفن والادب» . القاهرة . 1961 .
ص . ص 27 ـ 29 . قصيدة في معاني لفظ العين لأحمد السجاعي (ت 1197 هـ) . (26 معنى) .

وقلّما عثرنا على استخلاص دلالات اللّفظ المتطورة من عصر الى عصر ومن بيئة الى بيئة على غرار ما صادف ان سجّله «وجدى» في دائرة معارفه مج. 6. ص 583. من تحولات في المعنى ومعنى التحولات التي طرأت على كلمة «العلم» وإن كانت منقوصة من الشواهد الحاسمة إذ يورد:

«العلم: كلمة من أشيع الكلمات المستعملة قديما وحديثا وهي في كلّ دور من أدوارها تطلق على ما يضاد الجهل على الاطلاق وكثيرا ما لحق بها التّخصيص في أحوال معيّنة فصارت تعنى ما يضاد الجهل بنوع محدود من المعارف. فلنعتبر حال هذه الكلمة عند العرب مثلا في حال جاهليتهم فقد كانت تطلق على ما ينافي الجهل بمعارف الجاهليين المحدودة وكانت لا تتعدّى الشعر والكهانة والقيافة والخطابة والانساب فلمّا ظهر الاسلام كان يراد من العلم ما ينافي الجهل بما ظهر من المعارف الجديدة وهي الكتاب والسنة وأخبار الملاحم. ولما ازدادت معارف العرب صارت تطلق على ما ينافي الجهل بما ظهر من المعارف الجديدة كالفقه والتفسير وشرح السنة والتاريخ وطبقات رواة الحديث والنحو ثم انتشرت العلوم الكونية فيهم وتشعّبت المعلومات لديهم فصار يستعملها كل فريق فيما هو بسبيله فاتسع مدلولها اتّساعا يناسب اتّساع مجالات المعارف الجديدة. ولكنّها اليوم تعني في أوروبا مجموع المعارف الانسانية المؤيدة بالدلائل الحسّية وجملة النواميس التي اكتشفت لتعلّل حوادث الطبيعة تعليلا مؤسسا على تلك النواميس الثابتة ولا تستعمل إلا مفردة ومع هذا فقد تطلق على مجموع معارف في فرع خاصّ من المعارف الانسانية وفي هذه الحالة يلحق بها التخصيص فيقال: علم الكيمياء وعلم الفلك مثلا. وقد يعتريها الجمع فيقال العلوم الكونية والعلوم الرياضية. وقد كابد العلم تخصيصا معنويا في هذه القرون المتأخّرة فصار لا يطلق إلا على المعارف التي تقع تحت أحكام المشاعر وتخضع لامتحانها».

فلعلّ هذه المثال وأشباهه ونظائره ممّا نَدُر استحصاله من دائرات

معارف العرب المعدودة من بعض آثار وعي مصطدم بحقيقة تغيّر الزمان غير انه لا يترسّم في الفكر ولا يتجسّم في اللغة إلا متى أطلّ المثقف العربي على شيء من أسباب تمدّن الآخِر (الغرب ⟷ العلم)، وإن هي إلا وثبات معدودات سرعان ما تغْبر في مظاهر العمل المعجمي المألوف الذي يردّ دائرة المعارف إلى معجم مطول أو الى معجم أعلام (22) أو المعجم إلى ضرب من دائرة معارف.

إنّ افتقاد التضام أو التضايف بين اللغة من جهة أنّها كيان حي يخضع لسنّة التطور والتبدل وبين التاريخ (الزمان) من جهة انّه حركة دائبة وقوة دافعة في أعمال المعجميين العرب النهضويين قد وازاه وعي عارف - عند المستشرقين - «بالناحية التاريخية لمفردات اللغة» نرصد رسومه في حدود ما نحن بصدده في «دائرة المعارف الاسلامية» على صعيدي التصور والمنهج في الوقت نفسه (أي على صعيدي العلم ومنهج العلم) إذ لا يخلو تقريبا - بشيء من المسامحة والتجوّز - استخدام مفهوم من المفاهيم من ثوابت خطّة عمل أهمّها تاريخية اللّفظة وتحوّلات المعنى ومعنى تحوّلات المعنى تاريخيا وفكريا وتثبيت الشواهد الحاسمة وذكر المراجع.

وإذ أنّ الشاهد يزيد الحجّة إقناعا وجب ان نضرب بعض الامثلة التي انتخبنا منها المواد اللغوية الآتية (23):

- أدب. مج 1. ص 532
- زكاة. مج 10. ص 355
- زنديق. مج 10. ص 441

---

(22) - انظر على سبيل المثال أيضا «دائرة المعارف» بطرس البستاني

- ومجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الكبير ج(1) حرف الهمزة (1956) مطبعة دار الكتب - القاهرة 1970.

(23) - انظر نصوص الشواهد تامة في مظانّها إذ أسقطناها حتى لا نثقل العمل.

- صدقة. مج 14. ص 164
- صلاة. مج 14. ص 277
- صوم. مج 14. ص 392.

وإذا أنّنا ننشغل - خاصة في خطة مقصدنا - بنظام التصور وبالعلائق بين حلقاته وبشرائطها على تقدير انتظام اللغة في التاريخ و «باستراتيجية التّسمية» من جهة تقاطع محور «أسماء الأشياء» مع محور «آنات الزّمن» فإننا معنيون برصد القرائن اللغوية التعبيرية والتركيبية التي تسهم بدرجات متفاوتة في تسجيل المعنى الأول وفي تحديده تحديدا زمنيّا وفي الالحاح على تحولاته وعلى اسبابها على غرار:

«لفظ [أدب] كان يدلّ في الجاهلية والاسلام على... وهناك قول مأثور... وللفظ الأدب أيضا معنى مجازي إلى جانب هذا المعنى العملي نشأ عندما طمح النّاس إلى الثقافة... في القرنين الثاني والثالث للهجرة وهو بمعناه المجازي يدلّ على... (خزانة الأدب. ج 4 ص 124) الخ...

زكاة: (تعريفها الفقهيّ)... وعلماء الاسلام يفسّرون كلمة زكاة في العربية... والحقيقة أنّ النبي«صلعم»استعملها بمعنى أوسع من ذلك بكثير. وكان النبي وهو ما يزال في مكّة يستعمل كلمة «زكاة» ومشتقاتها مختلفة من مادة «زكا» (بمعنى طهر)... وهذه المشتقّات نفسها لا يكاد يكون لها في القرآن سوى ذلك المعنى الّذي ليس عربيّا أصيلا بل هو مأخوذ عن اليهودية وهو «التّقوى» وكلمة زكاة تدلّ في الاصطلاح على... كما تدلّ أيضا مع تطور في المعنى لا يكاد يلحظ على... (انظر سورة الأعلى. آية 14 وسورة المؤمنون. آية 4 - وسورة اللّيل. آية 18...)

زنديق : . . . ثم صار الزنديق اسما له دلالته الثابتة (في ق 2 هـ) . . .
ولكن كلمة «زندقة» فقدت مع الاستعمال معناها الدقيق . . .
(الطبري . طبعة دي غوري ج 3 . ص 588) . . .
ويمكن بيان تطور هذا المصطلح من صبغتـه السياسية . .
ويستطيع الانسان ان يحدّد مراحل هذا التطور تحديد ادقّ إذا
هو أجمـل ذكـر تعـريفـات كلمـة «زندقة» بحسب المذاهب
الاسلامية المختلفة . . .

صدقة : « . . . وهذا المعنى قد بقي للكلمة حتى عصر ظهور الاسلام
وما بعده . . . »

صلاة : . . . ويبدو ان كلمة صلاة لم تظهر في الآثار الأدبية السابقة
على القرآن . . . »

صوم : . . . والمعنى الأصلي للكلمة في لغة العرب . . . . أمّا الصوم
بمعنى الامسـاك عن الـطعـام والشراب . . . . وهـذا المعنى
أصبح للكلمة في السّور المدنيّة . أمّا في السّور المكّية فهي لم ترد
إلاّ مرة واحدة في سورة مريم . الآية 27 . والمفسرون يفسّرونها
«بالصّمت» .

فلعلّنا نكون قد كشفنا ان خطة «دائرة المعارف الاسلامية» كثيرا ما كانت دالّـة على استحصال وعي لغوي عارف بمتانة العلاقة بين استعمال الكلمة وأطوار تاريخها وبتحولات معانيها باختلاف الأزمنة والأمكنة .

وانّه لوعي معرفي تعظم جدواه وتقلّ من جهة مدى الاهتداء به في إنجاز المعجم التاريخي للّغة العربيّة على صعيدي المنهج أوّلا والمعرفيّ ثانيا وأمّـا ما سوى «دائـرة المعـارف الاسـلامية» من دائرات المعارف

المرصودة فلقد انخرطت في حسّ لغويّ عربيّ قديم ـ وإن تفاوت من أثر إلى آخر ـ بقيمة تصريف الكلمة الواحدة وفق أوجه استعمال متعددة ومختلفة على تقدير تعدّد المعاني من فنّ إلى فنّ آخر في أحايين كثيرة واختلاف استعمالها من طور إلى طور آخر في الفن الواحد في أحايين قليلة أو نادرة تُطلّ ـ على نُدرتها ـ إطلالة غير قصديّة ـ على تخوم تصوّر المعجم التاريخي وتمثّله.

وإنّنا كثيرا ما نستحصل هذا الحسّ اللّغوي المستفاد والذي لم يرق الى مرتبة الوعي العارف بكنه المعجم التاريخيّ الذي يعنى بأوجه استخدام الكلمة التي يشفع لها اختلاف الاستعمال ويضمن لتطوّر معانيها شرعية الوجود من سياق الى سياق آخر ومن آن إلى آن مغاير من التّصانيف القائمة على صناعة التحديدات أو الحدود والتي درجت مباحثها على إثارة مسألة المتشابه من الالفاظ وما يوقع فيه من الأخطاء من جهة الوهم أو الظنّ وهي تصانيف كثيرا ما استخدم أصحابها قائمة أو أكثر قد تطول وقد تقصر في أوجه استعمال الاصطلاح الواحد من فنّ الى فنّ آخر مثلها في ذلك مثل التّفاسير والشّروح وآداب المناظرات والـرّدود والدّعاوي وغيرها من التصانيف التي باتت على حظّ وافر ممّا أشبه ذلك العمل المعجمي [24]. ولعلّ صنفا آخر تضمّنته حركة التّأليف اللّغوي عند العرب حجّب عن أنظارهم إمكان صناعة معجم تاريخي يتأسّس على تصور معنى الكلمة باختلاف الاستعمال من طور إلى طور.

---

(24) ـ انظر ـ مثلا ـ الفارابي: كتاب الالفاظ المستعملة في المنطق تحقيق محسن مهدي دار المشرق بيروت 1968

ـ ابن سينا: البرهان (الفن الخامس من كتاب الشفاء) تحقيق عبد الرحمان بدوي. ق. 1954

ـ ابن حزم: التقريب لحدّ المنطق والمدخل اليه بالألفاظ العامية والاسئلة الفقهية تحقيق إحسان عبّاس بيروت 1959

ـ الغزالي: المستصفى من علم الأصول ط(2) دار الكتب العلمية بيروت 1983 (2 ج)

ونعني شيوع كتب اللّحن ـ كان لحن عامة أو لحن خاصّة ـ على تقدير أنّها في نظرنا مشغل ـ على أهميّته نظريًا ـ هو ـ إجرائيا ـ ضرب من تعطيل تطور الاستعمال ووجه من وجوه إلغاء الاستعمال المغاير لأنها كتب لغوية رامت ترسيم حقّ القول الصائب وتثبيت سلطة المعيارية على عكس صنف آخر من التصانيف اللغوية من جنس كتب الفروق اللغوية [25]. وهو صنف لئن دلّ على وعي حادّ بالفويرقات المعنوية لوعي عارف بدقّة الاختلاف بين معاني الألفاظ المحمولة ـ استعمالا ـ على الترادف على وجه العموم فإنه لم يرق ذهنيا ـ اي في حدود التصور والتمثّل ـ بالفكر اللّغوي العربي عموما والمعجمي خصوصا إلى ان يلتقط قوانين المعجم التاريخي المتأسّسة في صميمها على وصل الكلمة بالاستعمال وفق آنات الزمان وأحايينه، فلم يسعه ان يبدّد ما ظلّ محتجبا عنه.

وهكذا انحبست حركة التأليف اللغوي الواسعة عند العرب ـ قديما وحديثا ـ في تآليف لغوية نراها عطّبت حلقة من حلقات نقلة الفكر اللّغوي العربي إلى ما كان يمكن ـ نظريا على الاقلّ ـ أن يتولّد عن ذلك العمل اللّغوي الواسع إذ عاقت ـ من جهة إجرائية ـ إخصاب المعجم التاريخي للغة العربية فلم تتجاوز ـ من جهة النّظر ـ استحصال وعي لغوي ظلّ خفيا أو عَرَضيا في شأن الوعي العارف باختلاف استعمالات الكلمة الواحدة من طور إلى طور ومن مكان إلى مكان إذ كان وعيا لغويا محدودا لم يرق ذهنيا أو فلسفيا إلى تصوّر إمكان أنظمة متعدّدة ومتغيّرة ومتطورة بين الكلمات والاشياء على مرّ الأزمنة وبتغير الأمكنة وإنما ظلّ قَيْد النقل والمجاز والمتشابه والمشترك والترادف في حدود البيان والفصاحة والبلاغة وبقي محكوما بسلطة القول الصّائب وصادرا

---

(25) ـ انظر مثلا: أبا هلال العسكري: الفروق اللغوية ـ مطبعة القدس ـ القاهرة 1934 ـ وانظر ـ لمزيد المعارف ـ وجدي رزق غالي: المعجمات العربية (ببليوغرافية شاملة مشروحة) ـ نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة 1971.

عن سلطة حقّ القـول الفصيح دفعـا للتّـوهم ورفعـا للّبس لأنه رام المعيارية غاية وأعرض عن الوصفية المتجددة منهجا. ولكنه ـ مع ذلك ـ وعي لغـوي يحار له المـرء ان أتى على جلّ شرائط الكـلام المقـول والمكتـوب، الصريح والمستفاد، وعلى أنظمته تعلّما وتعليما ولم يخصب ضربا من صناعة المعجم التاريخي لو لم تتبدّد اليوم حيرتنا بما نقنع به من استلزام تنزيل ذلك المبحث المفتقد من حركة التأليف اللّغوي الواسعة في فهم شامل لبنية اشتغال العقل المدرك العربي ولأنظمة التّسمية فيه والتي قد لا ينيرها سوى عمل يكشف عن نظام تعامل العقل العربي عموما والفكر اللّغوي خصوصا مع حركة الزمن ولا نراه إلاّ مبحثا ذهنيا ثم إجرائيا بوسعه ان يكشف عمّا قد يخفيه علينا العمل المعجمي خاصّة واللّغوي عامّة في بعده الفكري من رؤية فلسفية هي المعين القاصي والحـاكم الفيصـل في أنظمة التّسمية الرّاسمة للعلاقات الجامعة بين الكلمات والأشياء أو اللغة والزمن.

فرحات الدريسي
كلّية الآداب، جامعة تونس (1)

منزلة «المستدرك»[1] و«معجم الملابس»[2]
لدوزي (1820 - 1883) من التأريخ للفظ العربي

بحث : منجيّة منسيّة

يتمتع مستدرك دوزي بمزايا متعددة حتى انه لا يُسمح لمن يتتبع مراحل المعجمية وتطورها ان يغض الطرف عنه. إلاّ انه قد يعتبر من النقص الاقتصار عليه إذا ما أردنا إبراز جهود الكاتب التأريخية للفظ. لذا يتحتّم علينا أن نتمّم عنايتنا بمعجم آخر لدوزي حتى وإن سبق المستدرك بأربعين سنة تقريبا وقلّ نسبيا عدد الالفاظ فيه. وتبرز قيمة المعجم المفصل للملابس عند العرب أساسا فيما تضمّنه من معلومات ومناهج للبحث ومن مقترحات حتى انه لا يمكن الحديث عن المستدرك إلا بسبْقه وهذا: فمعجم الملابس يعتبر بداية الحلم والمستدرك محاولة لإنجازه مع الوعي بصعوبة ذلك الانجاز.

وان اعتبر عمله ثروة تدعو الى التوسع فيها بحثا، فاننا سنقتصر على ما يتفق وغرض الندوة فنحصر الدراسة حول مفهوم المعجم

---

(1) - Supplément aux Dictionnaires Arabes, Leyde

وقد استعمل البعض (ملحق او تكملة) لترجمة Supplément

(2) - Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes. E.J.Brill 1881

وقد قام الدكتور أكرم فاضل بنقل جزء منه الى العربية في مجلة اللسان العربي ج 3/1973.

التاريخي عند دوزي وحول ما يتماشى مع هذا المفهوم من مختلف مراحل المنهج المعتمد.

1 ـ الاطار التاريخي:

1 ـ 1: لا يمكن اعتبار قيمة معجم الملابس والمستدرك بعده أو الغرض الحقيقي منهما إلاّ إذا نزّلناهما منزلتهما الظرفية من علاقتهما بالمسار السياسي والثقافي في القرن التاسع عشر وما شهده هذا القرن من تطورات في العالم الغربي أدّت الى استحداث علاقة خاصة بالعالم العربي، شرقه وغربه تبعتها اهتمامات بهذا العالم الآخر لاستكشاف أوجه طرافته مما دعا الى تدفق بعثات علمية رسمية وغير رسمية وظهور فئة من الباحثين أخذت على عاتقها ولوج أعماق الذهن العربي بالخوض في خباياه التاريخية والادبية والاجتماعية عامة، سواء عن طريق الاكتشافات الاثرية او الابحاث العلمية أو تحقيق المخطوطات والتعليق عليها لفهم هذه النصوص فهما يمكنهم من إجلاء رواسب هذه الحضارة ومميّزاتها فكرا وسلوكا وذلك من شأنه ان ييسر عليهم التغلغل في هذه المجتمعات المقصودة تغلغلا أعمق فضلا عن الدوافع الحقيقية المختلفة الداعية لذلك.

وقد غذّت هذه التجارب أدب الرّحلة بحيث دوّن أصحابها ما شاهدوه إقليما إقليما ووصفوا وقارنوا وبادروا بالتحليل، وقد أعانهم على ذلك ما توفّر من بوادر علوم إنسانية كعلم الاجتماع والانتروبولوجيا وعلم التاريخ والجغرافيا. فضمّنوا هذه الأوصاف مصطلحات خاصة بتلك المجتمعات ورأوا انه عليهم شرحها وتفصيل وصفها، كما ظهر منهم من اعتنى بترجمة بعض المخطوطات أو أجزاء منها وشفعوها بتعاليق لغوية لتيسير تبليغ الصورة إلى الفهم الغربي.

1 ـ 2: ويندرج مجهود دوزي ضمن هذا المسار الاستشراقي العام وتنضاف الى ذلك اهتماماته الشخصية بالتاريخ العربي وخاصة

الاندلسي [3] قبل وضعه للمعجم ولقد اعتنى بعد وضعه بالتعليق على بعض المخطوطات العربية وبأثر الألفاظ العربية في اللغات الهولندية والاسبـانية والبرتغالية [4]. وكان واسع الاطّلاع على المصادر العربية وعلى تجارب المستشرقين العديدة ممن شاركوا في النشر او التحقيق او في وضع المعاجم كدي غوية (DE Goeje) وانجلمان (Angelmann)،فجابه عبر كل ذلك قضايا اللفظ العربي مباشرة وقيّم حدود هذه المجهودات الاستشراقية واضافاتها الثمينة مما دفعه إلى تدارك النقص واقتراح اتجاه جريء من حيث المحتوى والمنهج،غايته في ذلك الحصول على معجم يعتني بدلالة اللفظ في مفهومها الحضاري لتبليغها الى القارىء الاوروبي الذي كان هو المقصود أساسا من هذا العمل خاصة بعد ان أدرك عجز المعاجم التقليدية عن تحقيق المقصود. وسنحاول في مرحلة أولى تحديد موقفه من المعاجم العربية.

2 ـ قصور المعاجم:

لقد نقد دوزي حدود المعاجم التقليدية من حيث اقتصارها على الفصيح دون اعتبار ما توارد من المولّد وما تبنّته غالبا من تعريف دون اعتبـار السياق او الـتركيب او الاستعـمال اليومي عبر اللهجـات والتّحولات،وأكبر دليل على ذلك انه اشار، من خلال 246 مصطلحا في معجم الملابس،الى غياب 122 مصطلحا في المعاجم العربية المعتمدة

---

(3) ـ كتب:

Scriptorum arabum loci de Abbadidis Leyde 1846

كما كتب:

Recherches sur l'histoire et la litterature de l'Espagne pendant le moyen âge

ط1 ; 1849 وط2 ; 1860

(4) ـ Dozy et Engelmann. Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'arabe 2 édition, Leyde et Paris 1869

Verklarende, lyst der Nederlandsche woorden, die nithet Arabisch Hebreeuwsch, Chaldeewsch, Perzisch en Turkisch of Komstig zym, La Haye etc 1867

او غاب على الأقلّ المعنى المتداوَل في بعض المؤلفات العربية. وكذلك الحال في شأن الالفاظ التي جمعها في المستدرك: فلفظ رئيس مثلا لا تخلو منه أيّ رحلة بينما هو مفقود في المعاجم في ذلك المعنى. وان هذه الالفاظ، وإن عُرِّفت، كان تعريفها يرد عاما أو غامضا تنقصه الدّقة والتفصيل: كقلنسوة وكساء وثوب... كما يعيب على هذه المعاجم عدم اعترافها بصيغ صرفية استعملها الكتّاب العرب بدون حرج رغم مخالفتها قوانين اللغة: كأفحش، جَوْهَر، مجوهر، انحزم، بخانق [5]... ثم هي خاصة لم تعتن أساسا بتحديد أصل اللّفظ ولا بمراحل اشتقاقه. إلّا أننا بدورنا نعيب على دوزي في هذا المجال تعميمه هذا النقد بينما لم يعتمد عددا كبيرا من هذه المعاجم،فقد انحصر تعويله على الصّحاح والقاموس المحيط [6] في معجم الملابس واضاف محيط المحيط في المستدرك. وهذه المعاجم ليست من أقدمها ولا من أمّهاتها.

وفي الحقيقة فموقفه هذا ناتج عن إدراكه لحتمية التغير والتحول وهذا ما دفعه إلى البحث في الدواعي التاريخية لتغيّر العربية.

3 ـ تغيّر اللغة العربية عبر التاريخ:

يعدّد دوزي في مقدمة المستدرك الأسباب الدّاعية لتغيّر العربية تغيّرا تضاعف تدريجيا بالاحتكاك الناتج عن عدّة عوامل أهمّها:

ـ 1 : الفتوحات السريعة وما أدت اليه من اتّصال بأمم مغلوبة تكلم أهلها العربية فلحنوا وأثّر ذلك اللحن في العرب ذاتهم مما انجرّ عنه تحوّل في استعمالهم للغتهم دون اعتبار القواعد اللغوية واستعمال الألفاظ في غير محلها المعتاد. كما أدّى بهم ذلك الى الاقتراض من لغات

---

(5) ـ دوزي: معجم الملابس: ص 374 ـ 96 ـ 139 ـ 56

(6) ـ استعمل الصحاح وكان لا يزال مخطوطا رقم 85. أمّا القاموس فكان قد نشر بكلكوتا

(7) ـ البستاني، بطرس: محيط المحيط

هذه الأمم : السّريان والفرس والقبط والبربر والاسبان والترك . . . وفي المقابل هجروا الالفاظ الكثيرة التي كانت تعبّر عن أفكار بدوية بينما استحدثوا ألفاظا تعبّر عن هذا الوضع الجديد وما لحقه من ترف .

ـ 2 : انقسام الامبراطوريات إلى دويلات وأقاليم شرقا وغربا وامتياز كلّ إقليم بلهجته الخاصة .

هذا وقد صادف هذا التغير رفض من قبل فئتين :

* فئة رجال الدّين والفقهاء الذين لم يعترفوا إلا بالفصيح ورفضوا فكرة تغيّر الغة لتغيّر الفكر.

* وفئة ألّفت المعاجم وسنّت النحو ونقدت الاخطاء بكلّ قسوة واقترحت تصحيحا .

وإنّ هذه الجهود المعادية،وإن منعت ظهور لغة أخرى كما وقع في الغرب،فانها لم تعزل العربية عن التأثيرات السياسية والاجتماعية.فتولدت ألفاظ ومعان . ولم ير الكتّاب حرجا في استعمال الألفاظ الدّخيلة أو حتى العاميّة منها .

واعتمادا على هذه الاعتبارات رأى دوزي ضرورة تحديد مسار سياقي تأريخي للمعجم .

4 ـ مفهوم المعجم التاريخي :

4 ـ 1 : لئن اعتبر المعجمان هامين في هذا المجال،فان تقديمه لهما هو في نظري أهمّ،لما عرضه من خطّ واضح ومقترحات طريفة منها العاجل ومنها الآجل . فلئن تمثلت مقدمة المستدرك ، في جانبها العملي ، في تحديد المنهج والمراجع ، فان مقدمة معجم الملابس قد سبق لها ان تعمّقت أكثر في مفهوم المعجمية وحدّدت الغايات البعيدة منها وأبرزت المقصد المعنوي وما يحمله اللفظ من دلالات اختلفت باختلاف الظروف فأتى دوزي بتعريف لمعجم عربي متلاحق المراحل يحدّد أصل الدّال مع تحديد أصل استعمال مدلوله ويحصر دلالته بأكثر دقّة ممكنة مع

مراعاة مختلف الدلالات التي ـ سل عليها عبر مراحل استعماله الزمني وحسب اختلاف الأقاليم العربية. فلقد رسم تاريخ كل لفظ باعتبار المكان وعبر الزمان وما يحمله من معان متنوّعة حسب متطلبات النثر أو الشعر. وهو معجم جامع لكل الالفاظ المكتوبة والملفوظة عامة حتى وان خرجت عن نطاق الفصيح.

4 ـ 2 استحالة فتعويض: إلّا انه يرى ان مقترحه هذا مستحيل التطبيق في تلك الظروف على الاقل وذلك لعدة اسباب منها:

* كثرة المخطوطات المتفرقة عبر العالم والتي لم يقع الاعتناء بها بعد (لم ينشر آنذاك سوى 50 عنوانا) فلا بدّ أوّلا من جمعها وتحقيقها ونشرها.

ـ عدم التعمق في دراسة أمّهات الكتب الادبية والعلمية والمقارنة بينها.

وبصفة عامة فهو عمل يتطلّب نفسا طويلا وتظافر جهود علماء من القارات الثلاث: أوروبا وآسيا وإفريقيا،ثم إنه لا يمكن التفكير جدّيا في إقامة معجم كهذا وحال المعجمية على ما هي عليه في تلك الفترة،إذ انها لم تتقدم على غرار تقدّم العلوم التاريخية والجغرافية وغيرها.

وفي انتظار هذا المعجم المثالي الشامل،اقترح دوزي أعمالا تمهيدية من شأنها ان تتقدم بالمعجمية شوطا وتتبنى ولو جزئيا بعض مراحل هذا المعجم وتتمثل في ثلاث إمكانات:

ـ 1 : إمّا إضافة تعاليق لغوية في الهوامش عند تحقيق النص أو شفعه بشرح للكلمات الصّعبة:وهذه طريقة قد اعتمدها عدد من المستشرقين وسوف يعمل بها دوزي ذاته في مرحلة موالية [8].

ـ 2 : وإما جمع الالفاظ الخاصة بميدان معيّن من الميادين ومحاولة التفصيل في الاعتناء بها اعتناء تاريخيا. وهذا ما قام به في معجم الملابس حينما اختار التأريخ لمصطلح اللباس عند العرب حتى كان نموذجا

---

(8) ـ Dozy et Goge, Gossaire joint à la description de l'Afrique et de l'espagne (publiée par Dozy) Leyde 1866

مصغرا لما اقترحه عامّة إلا انّه لم يخل من بعض العوارض.

ـ 3 : وإمّا جمع الفاظ تنتمي إلى حيّز واحد سواء كان زمنيا أو مكانيا. فما مدى استجابة دوزي عمليا لمقتضيات التأريخ للفظ العربي ؟.

5 ـ مجهوداته التاريخية :

لقد آمن دوزي بالدور الهام الذي بامكان هذا الصنف من المعاجم ان يضطلع به لو تمّ تحقيقه، في إزاحة اللثام عن محيّي اللفظ وخباياه الحضارية وما يعكسه من تلاحق المراحل التاريخية. ورغم أنّه اعترف بعسر تنفيذ مااقترح،فقد حاول في المعجم ثم في المستدرك ان ينتهج منهجا يفي على الاقل ببعض ما وعد،وعلينا هنا ان نحاول الكشف عن هذه المجهودات التي تتمثل أساسا في اختياره للمصادر والمراجع او الرصيد اللغوي أو منهج التعريف وكيفية اخضاع هذه المعطيات إلى غرض حضاري وثائقي وإن كان في ظاهره شرح وتفسير.

5 1 : المصادر والمراجع :

ـ 1 : لعلّ أهمّ ما يشدنا في معجمي دوزي قضية المصادر من حيث تعددها وتنوّعها وكيفية استغلالها،وقد هداه توجّهه التاريخي للحضارة العربية والاسلامية إلى تجاوز المعاجم واعتماده ما دوّنه المؤلفون العرب وغير العرب في مختلف المجالات وبشتّى اللّغات. فاذا كانت توازي 439 مصدرا في المستدرك، فإن معجم الملابس ـ وإن لم يحصرها دوزي في قائمة ـ يضمّ حوالي 346 من بين 94 مصدرا عربيا 75 مخطوطا وفي المستدرك 47 مخطوطا من 108 مصدرا،وقد عوّل بصفة خاصة على المخطوطات المحفوظة بمكتبة ليدن او تلك التي وفرها له بعض اصدقائه من الباحثين.

والملاحظ ان تعويله على المصادر العربية هو من ناحية محدود بحدود المتوفّر لديه آنذاك، فهي لا تمثّل كل المراحل التي مر بها اللفظ العربي ولهذا فقد فاته ذكر الكثير منها: فلم يعتمد على سبيل المثال

الموشّى [9]، وهو الذي تميّز بوصف المجتمع البغدادي في أوج تمدنه او حتى وإن اعتمد بعض هذه المصادر، فان الكثير من العبارات فاته إدراكها ولم يقم بتجريد تام لها كما حدث بالنسبة الى المقدسي [10] مثلا. وهو لم يرجع غالبا اليها مباشرة بل عبر المراجع الغربية أو حتى العربية. كما انه لم يعوّل على اقدمها للوصول الى تحديد أدنى ثمّ ترتيب مراحل الاشتقاق. فلفظ «أبو قلمون» مثلا اعتمد في المستدرك لتعريفه على ما نقله الاصطخري عن المقدسي بينما نجد ان الجاحظ قد سبق ان ذكره في كتابه التبصر بالتجارة[11] كما ذكره الهمداني في كتاب الجوهرتين العتيقتين [12] فهو لم يرجع الى مصادر أقدم من تلك التي دونت حياة الرسول إلا نادرا، ولم يعتن كثيرا بسجلّات الجاهلية.

وبشكل عام فقد اعتبر هذه المؤلفات العربية قاصرة عن توفير المعلومات الشافية لما بخلت به من وصف دقيق وتوسّع في التحليل لذلك غلب التجاؤه الى المراجع الغربية.

5 ـ 2 : المراجع الاجنبية :

اعتمد دوزي في معجم الملابس ما يقرب عن 239 مرجعا باللغة الاجنبية بالاضافة الى ثلاثة مخطوطات بالفارسية وفي المستدرك ما يقرب عن 331 مرجعا وكانت على اربعة اصناف :

أ ـ معاجم موحدة أو ثنائية اللغة : عربية لاتينية أو عربية اسبانية أو عربية بربرية وعربية فرنسية أو عربية ألمانية. [13].

---

(9) ـ الوشّاء، ابو الطيب : الموشّي بيروت 1965

(10) ـ انظر : الالبسة العربية في القرن الرابع الهجري من خلال أحسن التقاسيم للمقدسي، مجلة المعجمية، تونس، العدد الرابع 1988، ص ص 11 ـ 36

(11) ـ الجاحظ، ابو عثمان عمرو : التبصرة بالتجارة، تحقيق ح ح عبد الوهاب، القاهرة 1935. ص 22

(12) ـ الهمداني، احمد بن يعقوب : كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء، تحقيق محمد محمد الشعيبي، ط1، اليمن ص 25

(13) ـ ذكر من بينها مخطوطا لاتينيا عربيا بليدن رقم 231 وآخر هو Vocabulista وكذلك معجما عربيا فرنسيا لـEllious Bocthor ومجمعا لـBeaussier إلى غيرها من المعاجم وهي عديدة.

ب ـ تحقيقات وحواشي لمصادر أو دراسات حول الحضارة العربية
ج ـ ترجمات لها او لبعض أجزائها [14]
د ـ وبصفـة خاصة رحلات دوّنها عدد كبير ممن توافدوا على الاقاليم العربية من فرنسيين وهولنديين وانجليز والمان واسبان وايطاليين ولعلّ معجمي دوزي يعتبران في هذا المجال ثروة لمن يريد دراسة صورة العالم العربي من خلال الرحلات الغربية، فقد حصر قائمة هامة تغني عن البحث [15]. وقـد اعتمـد هذا الصنف لما حواه من أوصـاف دقيقـة وشروح للفظ ومدلوله مكّن الغرب من أكثر معلومات ممكنة.

ولقـد مجّد دوزي عددا كبـيرا من هؤلاء المستشرقين كوايلد أو كاترمار ولين [16] وغيرهم لما امتازوا به من أمانة وسيطرة على الموضوع ودقة في التعريف والبرهنة. إلا ان هذا لم يمنعه كذلك من التعبير عن احترازه من هذه المراجع فنقدهم متى وجب النقد وساءه منهم أحيانا سوء التأويل والاخطاء والاعتباطية حتى انه حصر في بداية المستدرك قائمة من الالفاظ عند بيدرو دي ألكلا [17] لم تكن كتابتها متأكدة. وقد أجبره ذلك على ترك عدد كبير من الالفاظ والملاحظات.

---

(14) ـ كترجمة Rasmussen في «Annals Islamisi» للدمشقي او ترجمة Quatremère لسلوك المقريزي وكتاب البكري او ترجمة Père Moura لرحلة إبن بطّوطه بالبرتغالية...

(15) ـ نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

Light: Travels in Egypt, Nubia: Holy land, Mount Libanon and Cyprus. Vansleb : Nouvelle relation, d'un voyage fait en Egypte... Wittman: Travels in Asiatic Turkey, Syria and Egypt...

(16) ـ New Reipbesch reibungeines gefangenen Ghristen - Wild

انظر رأي دوزي في المعجم ص433 وQuatremère له عدّة مؤلفات نذكر من بينها:

Mémoires géographiques et hist. sur l'Egypt و Histoire des Sultans Momelouks

ـ انظر تعليقه ص398 و Modern Egyptians: Lane و 1001 Nigths

(17) ـ Pedro de Alcala وله معجم اسباني عربي طبع في غرناطة 1505 (انظر مقدمة المستدرك) ويعطي مثالا في معجم اللباس حول أخطاء الترجمة: فلقد ترجم Quatremètre مثلا عصابة ب Drapeau في مقطع للمقريزي يتحدث فيه عن النساء بينما ترجم De Sacy عصائب سلطانية ب Turbons royaux ولو عكسا لأصابا (ص301)

5 ـ 2 : الرصيد المعجمي :

إنّ حكم دوزي القاسي على المعاجم لهو في حقيقة الامر ناتج أساسا عن اقتناعه بان اللغة هي نتاج الفكر تخدمه وتلبّي حاجياته مهما كانت هذه الاحتياجات وحسب فعل الظروف فيها. ولذا لم يقف عند صفوية الفصيح لأنه لا يفي بحاجيات الفكر وتغيّراته ولا يصوّر الضرورة الاجتماعية التي يلعب فيها اللفظ دورا حقيقيا فتجاوزه الى إضافة ما تولّد من الالفاظ والمعاني بحكم تطور المجتمع الاسلامي والتأثيرات الداخلية أو الخارجية التي نجمت عن الانقسام الاقليمي من ناحية والاحتكاك بالحضارات الاعجمية من ناحية ثانية. فهجر بعض المصطلحات او المعاني المتداولة لفائدة مصطلحات خلت منها واستجدت بعد عصر الاحتجاج. . وجمعها دون اعتبار مقياس لساني ولا تمييز بين الفصيح والعامي بل اعتبر العامية في المرتبة نفسها. كما اعتبر اللهجات متممة لها بل محيية لأنها المصورة للواقع اللغوي الناجم عن الواقع الحضاري.

وقد اضاف الى هذا الرصيد الألفاظ الأعجمية الدخيلة والمعربة وتعامل معها بنفس تعامله مع اللفظ العربي ذاته من حيث الترتيب والجذر دون مراعاة القواعد والفروق، إلّا ان ذلك أوقعه في الزّلل على مستوى المصطلح على الاقل لأنه لم يحترز كثيرا من أخذه عن المخطوطات او المراجع الغربية رغم كل مجهودات النقد.

5 ـ 3 : الوضع :

1ـ : أما التعريف فغالبا ما يكون عند دوزي مرحلة ختامية يسبقها منهج يتمثل في معاينة الاحداث وذكر الشواهد، شاهدا شاهدا، مع استقرائها للتأكيد على هذا المعنى او نفيه أو على هذا الاستعمال اللفظي أو ذاك. فالتعريف هو نهاية مطافه في هذه المصادر والمراجع وما يأتي به من براهين قائمة على المقارنة بين الشواهد او باعتبار القياس او هو يعوّل احيانا على الترجمة لفهم المعنى والاستنتاج الدال مع تقييم مستوى فهم المترجم رغم انه يبدي احيانا عجزه عن ترجمة

بعض المقاطع [18] كما انه يراعي في تحليله تصرف الشعراء وتحرّرهم من قيود القاعدة خدمة للنظم او توشية بالمحسنات البلاغية من مجاز وتشابيه [19] وكذلك في الترجمة رغم انه يترجم احيانا بشيء من الحرية .

2 - : اختلاف النطق :

لقد اعتنى دوزي في بعض الاحيان بملاحظة كيفيات متنوعة في نطق اللفظ أو تغييرات طارئة عليه وسجل التطور الصوتي كما تعرض للخصائص الصّوتية لبعض اللغات ـ وإن كان ذلك عرضا ـ وكيفيات تغيرها عند العرب، فكان يذكر هذه الاختلافات على مستوى النطق أو الشكل بدون تعليق أو تفضيل إلاّ أنّه يلاحظ عدم تطابقها احيانا مع الواقع اللغوي . وبالرغم من ذلك كان يقع في اخطاء من حين لآخر لأنه كان ينقل عددا من الالفاظ رسمت بالأحرف اللاتينية إذ كان يجهل أصل كتابتها بالعربية ثم انه كان يرجع بضرب من المقارنة في تقييمه أحيانا للفظ الى مقياس لغوي فصيح [20] .

3 ـ : أصل الكلمات :

وقد سمح له ما تمّتع به من سعة اطلاع ومعرفته لعدّة لغات بالبحث في أصل الكلمات ومعاينة التأثر والتأثير إيمانا منه بترابط الحضارات والثقافات حركيا وسكونيا . وهو، وان عبّر صراحة عن عدم تحرّجه من خوض مغامرة التأويل والتخريج الاشتقاقي، قد حاول من حين لآخر ان يرجع اللفظ الى اصله خاصة اذا كان اصلا أعجميا، فارسيا أو تركيا أو اسبانيا أو بربريا أو عبريا مع ذكر صورة انتقاله أحيانا، إلا انه لم يتخذ ذلك قاعدة مطّردة . وحتى وان ذكر الاصل الاجنبي فانه

---

(18) ـ ذكر فقرة حول التصوف بالفارسية لم يتمكن من ترجمتها

(19) ـ انظر معجم الملابس ص42 ـ 62 ـ 262 . . .

(20) ـ انظر حول شدّ ص214 أو خفية ص168 او الفواقي ص286 معجم الملابس

لم يحسم هذه القضية حسما موضوعيا بل كان غالبا على سبيل التخمين والتكهن مّما أدّى به الى احتمالات اكثر منها تحققات. هذا علاوة على انه لم يرجع إلى الأصول السّامية أو الأرامية.

ولقد اعتنى من ناحية اخرى بأصل استعمال المدلول مثلما اعتنى بأصل الدال،فكان اللفظ لا يعنيه بقدر ما يعنيه ـ بالاضافة الى أصل الصيغة وتطورها-البحث في بداية استعمال المدلول وتطوره. فنراه خاصة في معجم الملابس يجهد نفسه في التحليل والابتعاد بالمعنى لغاية استنتاج بداية استعمال مدلول اللّفظ كالبحث في أصل لبس النساء الطاقية (في عهد المماليك) أو تحديد ما دخل من اللفظ والمعنى عند دخول العرب اسبانيا او بعد الحكم المسيحي او غزو العثمانيين لمصر. وهذا غزو جعله مرجعا تاريخيا لدخول اللفظ التركي في العالم العربي الى درجة أنّه تساءل بل ابدى استنكاره ودهشته حول وجود الفاظ تركية بمكّة في القرن الرابع عشر بعد الميلاد [21] اي حوالي قرنين قبل غزو العثمانيين لها. هذا بالرغم من انه كان يصرّح بعجزه عن تحديد هذا الاصل: فحول القفطان مثلا عبّر عن جهله لفترة استعمال العرب هذا اللفظ من أصل أجنبي: فالرسول لم يلبسه ويظهر ان العرب كانوا يجهلونه آنذاك رغم انه عثر له عن ذكر عند القدامى كالمسعودي مثلا. وهو يعتمد في اغلب الاحيان على ما لبسه الرسول فيعتبره النموذج العربي الاسلامي المنتمي الى حيّز معين والقدوة من حيث مراعاة الحدود الدّينية. وذهب بمعاينة التغيّر الحاصل عبر الزمان الى مقارنة لباس الرسول بلباس شريف مصري في القرن السادس عشر الا ان هذه المقارنة في غير محلّها [22]، فالرسول طبقيا كان يعيش حياة بسيطة لم يعشها الاشراف آنذاك،ثم هو ينتمي الى الاقليم نفسه والمقارنة تتطلب نفس الزمان او نفس المكان.

---

(21) ـ معجم الملابس ص337

(22) ـ نفس المرجع ص217

4 ـ : **الانتماء الحضاري :**

تركزت رغبة دوزي أساسا في الكشف عمّا يحمله اللفظ من اشارات ورموز تتميّز بها حضارة مجتمع معينّ خاضع لاعتبارات مادية ومعنوية . فكان يشير عبر ما يجمعه من تعليقات واستشهادات بطريقة مباشرة أو غير مباشرة الى ما تميّز به هذا المجتمع او ذاك من انتماءات مدنية : بدو/حضر . أو طبقية ؛ أمراء ، أشراف/إماء ، عبيد/جواري . غلمان/عامة . فقراء . أو دينية مذهبية : رجال الدين/الصوفية / أهل الذمة . . . أو اعتبارات نفسانية : حزن / فرح / اقتصاص . حقد،مع اعتبار العادات والتقاليد [23] التي تنطوي عليها هذه الاشارات وحتى وإن جرّته سعة المعلومات هذه إلى استطرادات فإنها أخرجته من مستوى المعجم المقتصر على الشرح المختصر الى توفير وصف دقيق مفصّل يوحي بثقل أزر اللفظ الدلالي والمعنوي .

5 ـ : **من تعدد المعاني الى التوالد :**

إن تعـريفـه لهو في الحقيقـة تحليل لكيفيات استعمال اللفظ في دلالات مختلفة متعددة متنوعة حسب السياق والتركيب النحوي وخاصة الحقل الحضاري الذي تتحرك فيه . فكان يربط اللفظ أساسا بالمعاني والاعراض ويحلّلها بعلاقتها بالمجتمع الذي يفرض عليها معنى يتصرف فيه متى اقتضت الحاجة ، لذا نراه ينطلق أحيانا من المعنى لدراسة اللفظ (Onomasiologie) أو العكس (Sémasiologie)،وهـو يراعي تطور هذا الاستعمال مع التغيرات الحاصلة . فهو يجمع تعدد المعاني للفظ الواحد

---

(23) ـ بالنسبة الى أهل الذمة مثلا : المسح : لباس العبيد المسيحيين والطيالسة العسلية في عهد المتوكل وكذلك الزنار . ومن ناحية اخرى فشكل العمامة في حدّ ذاته يفرق بين السيد والجندي ورجل الشارع كما يميز حتى نوع العمل الذي يقوم به المتعمم

ـ حول الحزن والفرح . . . انظر قضية الالوان : معجم الملابس ص6ـ7

– اما من حيث ذكره للعادات نذكر هنا تحليله لكيفية تقبيل الأرض أو عند إشارته لمحاسن المرأة العربية لتفسير بيت المتنبي، معجم الملابس ص 429...

إلا انه يخرج من التعدد المطلق ليحاول تحديد الحيّز الزماني لكلّ معنى اي التسلسل المعنوي أو التوالد على مستوى اللفظ والمعنى حتى يصل به المطاف الى إبراز تأثر الحضارات الاخرى في اقتراضها بدورها اللفظ العربي مع الابقاء على معناه او تغييره كاقتراض الاسبانية والبرتغالية والفرنسية والمالطية وحتى الهولندية. ويبرز عمق استنتاجات دوزي أحيانا دقّته [24] في تحديد الاطار الزماني عند ذكر تاريخ الحدث (خاصة عند أخذه عن المقريزي مثلا) عند الاستشهاد بنصّ. ويؤدي به هذا التحليل والدقة في التحديد التاريخي للفظ الى حصر امكانية تاريخ تأليف بعض المصادر مثل ألف ليلة وليلة إذ وصل به الاستنتاج الى تحديد فترة تأليفه بعد الغزو التركي [25].

6 ـ : التميّز الاقليمي :

بالاضافة الى التحديد التاريخي وما يعمل من تحويرات كلية أو جزئية سواء في اللفظ على مستوى النطق أو الصّيغة أو المعنى على مستوى التعدّد والتوالد، اعتنى كذلك بالتحديد المكاني وتأثيره لأنه كان يؤمن بدور الامصار في اثراء الفكر العربي والانماط الاجتماعية من ناحية واللغة العربية عبر لهجاتها المختلفة وخصوصياتها في النطق والمعنى من ناحية أخرى. فقد ألحّ على المميزات الاقليمية لفظا ومعنى والاختلاف بين شعوب هذه الاقاليم: بالجزيرة وفارس وبلاد الشام ومصر وشمال إفريقيا حتى وإن كانت جلّ هذه الاقاليم تنتمي سياسيا في فترة ما إلى امبراطورية واحدة تتّحد في الدين واللغة رسميا. فهذا الانقسام ساهم بلا شكّ في تكوين اللهجات واستقلالها حسب كل اقليم ولو كان استقلالا نسبيا.

---

(24) ـ كاعتماده ابن اياس: تاريخ مصر مخ 367 ص41 حول احداث 822 هجري او السيوطي (احداث 282 هجري) او النويري (احداث 235 هجري)

(25) ـ انظر معجم الملابس ص157 و226ـ227

وقد اختلفت في :

1 ـ التأثر بالجوار والاحتكاك دون ان يثنيها حتى اختلاف الدين: فنرى المشرق يتأثر بالسريان والبيزنطيين والفرس خاصة في العهد العباسي ومصر والشام بالاتراك بعد الغزو والاندلس بالمسيحيين خاصة في آخر فترة من الامبراطورية.

2 ـ تأثرها بما سبقها في ارضها من حضارات تنتمي الى تاريخها الخاص كتأثر المغرب بالبربر والاندلس بالمسيحيين.

وهذا الاختلاف نجده حتى داخل الاقليم الواحد بين القرى والمدن مثلا او حتى بين مجموعات دنيا داخل هذه الوحدات. فكلّما اختصت مجموعة بمدلولها إلاّ واستتبعه دال في لهجتها دون غيرها إلا أننا نجد أحيانا اشتراكا في الدال مع اختلاف في المدلول أو العكس بالعكس: فالثوب له معنى عام إلاّ انه يقصد به لباس محدد في مصر (توب) وكذلك القميص والكساء واللباس ثم ان البدن هو خاص بمكة وجدّه دون غيرهما والقبقاب لم يجده إلا باسبانيا.

ويقارن فيعثر على نقط اتفاق لفظا ومعنى في بعض الاقاليم (فرنجية في مصر وفراجة في القسطنطينية) أو اختلاف في اللفظ للدلالة ذاتها (حقو عند الانازيس. وبريم عند اهل الشمال) كما يصل الى حد المقارنة بين البلاد العربية وغيرها من البلدان الاجنبية. وبشكل عام فهو يوحي بامكانية وضع اطلس معجمي. إلاّ ان تخصيصه هذا قد ركز فيه أساسا على مصر بحكم وثائقه وعلى الاندلس بحكم اختصاصه كما وجد صعوبة حتى في هذا التحديد الحيّزي وفشل غالبا،رغم كل المصادر والمجهودات بما اتسمت به طريقته من تذبذب واضطراب ولم تحلّ هذه المجهودات،عددا من مركبات المعجم التاريخي سواء فيما يخصّ مكوّنات اللغة أو الاصل أو الاشتقاق اللفظي أو حتى المعنوي. ورغم أنه يعيب على لين Lane وخاصة Hoest و Freytag [26] عدم الدقة فانه غالبا ما

---

(26) ـ Hoêšt Freytag: Nachrichten von Marokos و Proverbia Arabica

يقع في السطحية ذاتها والخطأ والغموض. فتكثر عنده عبارات مثل: يبدو - ربما - اظن - افترض (Il me semble, peut être, Je suppose, Je crois) ولعلّ ما نشعر به أساسا انه يفتقر الى منهج شامل يطبّقه على كل المصطلحات فنراه يضطرب في التركيب وضبط المراحل كما يقع عند التأويل والاستنتاج في احتمالات شخصية وان حاول ان يقيمها على البرهان واستقرار النصوص إلا انها لم تكن ثابتة تؤخذ مأخذ اليقين.

وعلى كل حال فلا بدّ من الاشادة بتواضعه عند تصريحه بحدود عمله وقصوره عن الايفاء أو عن تقدير مجهود الآخرين حق قدره أو احترام اختلاف الرأي. فكان كلّما زاد جهده ازداد تواضعا ويكفيه شرفا انه سد ثغرة في المعاجم لا تغتفر حتى اصبح معجماه ضروريين للكشف عن عويص المعاني وخصوصياتها وفي طرح قضية المعجم التاريخي وسنّ منهج مع محاولة تطبيقه. فجاءت ابحاث دوزي المعجمية لتؤكد ان الرؤية الاستشراقية يمكن ان تفيد الى حدّ كبير الحضارة العربية عامّة والمعجم التاريخي بصفة خاصة لأنها توفر إضافة جديدة تعتمد البحث العلمي الذي أصبح يعتمد منهجية جديدة لمعالجة القضايا كما تعتمد بعدا مقارنيا له بالنسبة الى الأعمال المعجمية وتفتح لذلك آفاق بحث جديدة أمام العرب المسلمين لاثراء هذا الطابع من الدراسات الذي مازال في نظرنا في حاجة الى التأليف والاهتمام. وما اعمال دوزي الا نموذج للكثير من المراجع الغربية في هذا المجال والتي تنتظر الى حدّ الآن التعريف بها وإعادة نشرها واعتمادها لتطوير المعجمية العربية.

منجيّة منسيّة

المعجم التاريخي العربي
(مفهومه ـ وظيفته ـ محتواه)

د . علي توفيق الحمد

المفهوم :

يتفق الباحثون والمختصون على جوهر مفهوم المعجم اللغوي ـ بشكل عام ـ حتى انهم يكادون يتفقون في الالفاظ التي استخدموها للتعبير عنه، وهو – عندهم – لا يكاد يخرج عن أنه «كتاب **يجمع كلمات لغة ما، مرتبة على نهج معين، ويشرحها شرحا يزيل غموضها،** بتوضيح معانيها، مضافا الى ذلك ما يناسبه من معلومات تعين الباحث على معرفة الكلمة واحوالها، ومعانيها، واستخداماتها»[1].

هذا هو المفهوم الذي ارتضاه معظم الباحثين العرب، ولكن هل يختلف مفهوم المعجم لديهم عنه لدى المراجع الأجنبية؟

للاجابة عن هذا السؤال، رأى الباحث ان ينظر في تعريف مادة

---

(1) انظر على سبيل المثال: د. أحمد/المعاجم العربية ـ دراسة تحليلية ـ (الكتاب الأول)، 17 18، وأ. الجرح/النشاط العربي المعجمي – أصيل أم دخيل – بحث في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 28، (1971 م) ص 167 . ود. عمر/البحث اللغوي عند العرب – ط 2، 116، ود. فاخر/دراسات في المعاجم العربية، ص 5، ود. الطيب/معجمات العربية - مادتها ومناهجها، ص 14، وأ. الخطيب/من قضايا المعجمية المعاصرة، بحث في (المعجمية العربية المعاصرة) ص 597.

«معجم Dictionary » و«معجمة Lexicography » في بعض المعجمات الانجليزية الكبيرة، وفي دوائر المعارف في تلك اللغة.

ففي معجم «Collins Large Print English Dictionary » نجد تحت مادة (Dictionary) بيان نطقها، ومكان النبر فيها، ونوعها من اقسام الكلام - أنها اسم - وجمعها، وأصلها، ثم معاني الكلمة «معجم» ومفهومها، وقد ذكر لها معان ثلاثة، يهمنا في هذا البحث منها المعنى الاول، وهو مفهوم المعجم اللغوي الاحادي اللغة، وجاء فيه: «أنه كتاب فيه قوائم كلمات، مبوبة ألفبائيا في لغة ما، بتعريفات، وتوضيح أصول الكلمات، ونطقها. . . الخ، وذكر ان هذه الكلمة مرادفة لكلمة «قاموس Lexicon »[2].

وفي معجم « Webster's Third New International Dictionary » نجد تحت مادة (Dictionary) : بيان نطقها، ونوعها - اسم - وجمعها، وأصلها، ثم معاني هذه الكلمة، وهي - عنده - تسعة معان، يهمنا منها المعنى الاول، جاء فيه :

«أنه كتاب مرجعي، يحتوي كلمات لغة ما (الانجليزية)، مرتبة - عادة - ترتيبا ألفبائيا، مع تعريفات عن صيغها، ونطقها، وعملها، وأصولها، ومعانيها، واستعمالاتها التركيبية بشكل عام. وذكر في آخر المعاني التسعة، أن هذه الكلمة مرادفة لكلمة (Lexicon) أيضا[3].

وفي معجم أوكسفورد التاريخي للغة الانجليزية (Oxford English Dictionary) نجد مفهوم المعجم لا يكاد يختلف عن مفهومه في المراجع السابقة، فقد جاء فيه تحت مادة (Dictionary) «أنه كتاب يختص بالكلمات الفردية - الشخصية - للغة، (او بعض الاصناف المعينة منها)، يوضح ضبط الهجاء، والنطق، والمعنى، والاستخدام، ومرادفاتها، واشتقاقها، وتاريخها، او بعض هذه الحقائق على الاقل،

(2) - Collins large Print english Dictionary, P.210, (Dictionary).

(3) - Webestr's Third New International Dictionary, (Dictionary).

وتـرتب المفـردات وفق نظام معـين لملاءمة الاحالات، وهذا النظام (الترتيب) ألفبائي الآن في معظم اللغات. وفي المعاجم الاكبر، توضح المعلومات المعطاة بالاقتباسات ـ الشواهد ـ من الادب، او المعجم، (القاموس). والمعاجم اللائقة ـ الممتازة ـ على نوعين: ثنائية اللغة او متعددتها، وأحادية اللغة، والأولى هي الأسبق والأقدم»[4].

وجاء فيه تحت مادة (Lexicon):انه معجم ـ قاموس ـ للكلمات، وتستخدم هذه الكلمة اساسا للدلالة على معجم اليونانية، او العبرية، او السريانية او العربية. وهذا الاستخدام المقيد ـ المقصور ـ يعود الى حقيقة وهي: أنه حتى المعاجم الاخيرة لهذه اللغات الخاصة كانت عادة باللاتينية، وفي اللغة الحديثة أيضا، تستخدم (Lexicon) عادة.

وتحت مادة (Lexicography): نجد أنها تعني كتابة أو تصنيف معجم، أو أنها فن أو مهارة كتابة المعاجم[5].

واذا انتقلنا الى دوائر المعارف ـ الموسوعات ـ ونظرنا فيها وجدنا مفهوم المعجم لا يكاد يختلف كثيرا عما ذكرته المعجمات، ولا عن المفهوم العام الذي التقى عليه الباحثون العرب.

ففي «موسوعة كل رجل (Everyman's Encyclopaedia) الجزء الرابع، من الطبعة الخامسة، نجد تحت مادة (Dictionary): أنه ـ بمعناه الحقيقي المميز ـ الكتاب الذي يحتوي قائمة من كلمات لغة ما، مرتبة حسب نظام محدد، عادة ما يكـون ألفبائيا ـ مع شروح (توضيحات) لتلك الكلمات، وفي المعجم الشامل تعطى معلومات عن أصول كل كلمة، ويوضح فيه النطق الصحيح بنوع من الرموز»[6].

وفي موسوعة كولير (Collier's Encyclopedia) الجزء الثامن، نجد تحت مادة (Dictionary): أنه «تصنيف ـ ترتيب ـ كلمات لغة ما، ترتيبا

---

(4) The Oxford English Dictionary, V3, (Dictionary) –

(5) نفسه، .(Lexicography) ,(Lexicon) ,OED, V6 –

(6) Everyman's Encyclopaedia, V.4, (Dictionary), P.390. –

ألفبائيا مع شرح لمعانيها، واستعمالاتها، ثم تورد معاني المصطلحات الشقيقة ومفهوماتها المتنوعة الأخرى، حسب طبيعتها وموضوعاتها»[7].

أما دائرة المعارف البريطانية (Encyclopaedia Britannica) في طبعتها الخامسة عشرة - الجزء الخامس - فقد جاء في تعريف كلمة (Dictionary) : «أنه يضم مجموعة من الكلمات، مع معلومات عنها، وقد يحاول ضم مفردات اللغة، او مجموعة صغيرة منها. وفي الأساس يرتب المعجم قوائم من الكلمات، مع معلومات عنها، وتحاول هذه القوائم ان تكون مخزونا كاملا للغة. . . »[8].

ثم تتحدث عن كلمة (Lexicon) وعن الفرق بين المعجم والموسوعة، وعن تاريخ تصنيف المعاجم، واهم المعاجم المعروفة، ثم تخصص باقي الصفحات، وهي تزيد على أربع، للحديث عن معجم أوكسفورد التاريخي (O E D) وفكرته، ومشروعه، وخطة العمل فيه حتى طبعه وظهوره. ثم تعرض ملامح العمل ومشكلاته في ذلك المعجم[9].

وبتفحص هذه التعريفات من المراجع المختلفة - العربية منها والاجنبية - نتبين انها جميعا تتفق في تصور جوهر مفهوم المعجم، وان هذا المفهوم يقوم أساسا على عناصر ثلاثة معروفة، وهي: مادة المعجم - كلمات اللغة، وشرح هذه المادة - ألفاظا ومعاني واستخدامات - وترتيب مواد المعجم ومداخله ومشتقاتها.

ولعل المراجع الأجنبية التي أحلنا عليها - أو معظمها - تميزت في تعريفها مفهوم المعجم بأنه يتناول في الشرح أصول الكلمات (Etymology) اذ يبدو اهتمام معجماتهم بهذا الجانب اوضح منه في معجماتنا العربية.

وكذلك، فقد حددت الترتيب المرضي والمتبع لديهم، وهو

---

(7) - Collier's Encyclopaedia, V.8, (Dictionary), P. 193.

(8) - Encyclopaedia Britannica, V.5, (Dictionary), P. 173.

(9) نفسه .PP. 718 - 722

الترتيب الألفبائي حسب منطوق الكلمة بكاملها، لانه الترتيب المعتمد والشائع ـ وربما المناسب ـ في معجماتهم، بينما تنوعت طرائق الترتيب في معجماتنا، وبخاصة القديمة منها.

بعد أن حددنا وتبينا مفهوم المعجم اللغوي بشكل عام، لابد من استعراض مفهوم المعجم التاريخي وتصوره لدى الباحثين وفي المؤلفات التي تناولت الموضوع وعنيت به، وكان ذلك منذ منتصف القرن التاسع عشر، وهو زمن بدء مشروع اول معجم تاريخي متكامل، وهو معجم أوكسفورد للغة الانجليزية (O E D)[10].

فقد تصور دوزي عام 1845 م هذا المعجم، أنه معجم يعرفنا بوضوح ودقة، كلما عدنا اليه، المعنى الدقيق لأي لفظ في أصل استعماله، بمختلف الدلالات التي طرأت عليه في جزيرة العرب وبلاد فارس والشام... الخ، أي في كل الأمصار التي كونت تلك الامبراطورية الشاسعة، التي امتدت ما بين بلاد الهند والحدود الفرنسية، هو معجم يرسم لنا ـ بالاعتماد على الشواهد والنصوص اعتمادا مستمرا ـ تاريخ كل لفظ وكل عبارة، ويميز بين المعاني الخاصة بكل لفظ في مصر عربي ما، والمعاني التي كان يفيدها في مصر آخر، بين مدلول كل لفظ عند الشعراء، ومدلوله عند الناثرين. ثم هو معجم يشتمل على كل مصطلحات العلوم والفنون مفسرة تفسيرا منهجيا[11].

ويعقب ابن مراد على ما تقدم بقوله «ويستنتج من هذا الراي ان المعجم المثالي في نظر دوزي هو المعجم اللغوي التاريخي، الذي يدون

---

(10) يجدر التنبيه على ان البدايات الأولى للمعجمة التاريخية ظهرت على يد S. Johnson باستخدامه المنظّم للاقتباسات لتوضيح التعريفات وتحقيقها. وباضافة Richardson مبدأ التوضيح التاريخي للأعمال المعجمية السابقة، وهذه المرحلة أطلق عليها المرحلة الثانية من صناعة المعجم. (OED, Historical Introduction, P. VII).

(11) - Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes, 1845, pp.V-VI

نقلا عن د. ابراهيم بن مراد في بحثه/منزلة مستدرك دوزي من المعجمية العربية ـ في «في المعجمية العربية المعاصرة» ص 271.

شتات ألفاظ اللغة العربية وعباراتها، ويؤرخ لمختلف دلالاتها في مختلف العصور والامصار، بالاعتماد على استقراء النصوص»[12].

فمفهوم المعجم التاريخي في نظر دوزى يقوم على اعطاء المعنى الدقيق لأي لفظ استخدمته العربية في عصورها وأمصارها، والدلالات المختلفة لكل لفظ، وتطور هذه الدلالات تطورا تاريخيا، وتاريخ كل لفظ وكل تعبير، ومستويات استخدام الألفاظ، اعتمادا على النصوص والشواهد، لنتبين الدلالة المقصودة في كل نص وكل استخدام.

وعن أهمية التأصيل، وبيان أصول الكلمات التي استعملت في العربية، يقول دوزى في موضع آخر: «وجدت معاجم اللغة الفصحى التي تحوى كثيرا من الكلمات الأعجمية الأصل، لا تشير الا الى أصول قليل منها»[13].

من هذا نفهم اهتمامه بضرورة تقديم معلومات عن أصول الكلمات في المعجم العربي الذي يريده، وهو الذي عناه وحدد ملامحه، كما بينا في موضع سابق.

وبعد أن ظهر أول عمل معجمي تاريخي متكامل بصدور معجم أوكسفورد (O E D)، تقدم فيشر بمشروع لوضع معجم تاريخي للغة العربية، بعد ان كان بدأ المحاولة بنفسه، وكان يتوخى القيام به واتمامه، اذ وضع جذاذات كثيرة، تعد بداية صالحة لمشروعه، لكن المنية عاجلته عام 1949م، قبل انجاز هذا المشروع الضخم، وكان قد تقدم بمشروع رسمي لهذا العمل الطموح الى مجمع اللغة العربية القاهري، وضح فيه تصوره لهذا المعجم التاريخي الكبير، ومبادئه، ومنهجه في العمل[14].

---

(12) ـ نفسه/ص 272.

(13) دوزى/تكملة المعاجم العربية ـ ج 1 (الترجمة العربية) المقدمة ـ ص 27.

(14) انظر ذلك في: د. نصار 778 ـ 780، ود. درويش 137 وما بعدها، ود. عمر 198 وما بعدها.

ويتلخص مفهوم المعجم التاريخي في نظر فيشر بقوله: «ان منتهى الكمال لمعجم عصري ان يكون معجما تاريخيا، ويجب ان يحتوي المعجم التاريخي على كل كلمة تدوولت في اللغة، فان جميع الكلمات المتداولة في لغة ما لها حقوق متساوية فيها . . . ولكن المعجمات العربية بعيدة كل البعد عن وجهة النظر هذه، اذ أنها لا تعالج الناحية التاريخية لمفردات اللغة»[15].

وقد قام مشروعه على مبادىء يحسن ذكرها بايجاز[16]، لانها توضح مفهوم المعجم التاريخي - في نظره - وغرضه ومحتواه أيضا، وهي:

- المفردات: ينبغي ان يشتمل على كل كلمة وجدت في اللغة بلا استثناء، وأن يسجل هذا المعجم ما يعرف بالفصيح من المفردات، ومصادرها - في رأيه - كتب الأدب والحديث، والمؤلفات الاولى، ودواوين الشعراء الذين عاشوا في عصر الاحتجاج، حتى النصوص العربية القديمة التي وجدت على بعض اوراق البردي والنقوش، إضافة إلى المفردات المدونة في المعاجم العربية القديمة، وبخاصة تلك التي وردت لها شواهد، كما يمكن الاعتماد على المعاجم الاوروبية الكبيرة التي وضعت للغة العربية.

- ثم بيَّن طريقة جمع المواد وتنظيم هذه العملية.

- ووضح طريقة ترتيب الكلمات في المعجم.

- وبين أهمية الاصطلاحات - الرموز - في المعجم المنشود، وذكر ان الناحية التاريخية يمكن ملاحظتها بالنص على أول شاعر أو أديب استعمل تلك الكلمة في المعنى الجديد، وأبرز - أيضا - أهمية ذكر أصل الكلمة كلما أمكن ذلك. وعالج قضية أسماء الأماكن والنباتات والمعادن، بضرورة توضيحها توضيحا كاملا، كما ذكر ضرورة تسجيل المصطلحات العامة دون اسهاب.

---

(15) عن د. عمر 199 - 200.

(16) درويش 139 - نقلا عن «المقتطف»، عدد مارس 1949 م.

ـ ورأى أنه يحسن ترجمة المادة الرئيسية الى اللغات الأوروبية المشهورة أو احداها، تيسيرا على المستشرقين والباحثين الأجانب.

ثم تناول التقرير عرض منهجه في تصنيف الكلمات ومعانيها، واقترح ان يكون حسب وجهات نظر سبع[17]، يهمنا هنا عرض الناحية التاريخية، اذ رأى فيشر ان كل كلمة في اللغة العربية لها تطورها الخاص،ويجب ان يعنى بهذا الجانب، فقال: «والأهمية العظمى – مهما كان الحال ـ هي للموضع الذي وردت فيه الكلمة في آداب اللغة لأول مرة... ويجب ان تقيد ـ على حسب الترتيب التاريخي، بين أقدم الشواهد وأحدثها ـ المواضع التي يتبين منها أنها تعطي أوضح صورة من التطور التاريخي للكلمة ومعانيها»[18].

مما سبق يتضح ان تصور فيشر للمعجم التاريخي قام على اساس تدوين كل كلمة في العربية من عهد النقوش ـ أول نص مكتوب ـ حتى نهاية عصر الفصاحة والاحتجاج، مع بيان اصول الكلمات، وتتبع التطورات التي أصابت هذه الكلمات ومعانيها تاريخيا ـ زمنيا ـ كل ذلك مدعما بالنصوص ـ الشواهد والاقتباسات ـ من اللغة المكتوبة، من مصادرها المختلفة، والاهتمام بسياقات النص، والاستعمالات والأساليب الاستخدامية المختلفة. الا انه لابد من تسجيل مخالفتنا لمشروع فيشر، الذي ارتأى حصر المفردات بالفصيح فقط[19]، وان يتوقف تسجيل الكلمات حتى نهاية عصر الفصاحة والاحتجاج[20]، وهذا الأمر سيقصره على الانتقائية، ويجعله يهمل الثروة اللغوية

---

(17) سيعرضها البحث ويناقشها في موضع لاحق، عند تناول «المحتوى».

(18) د. درويش 141.

(19) انظر مبادىء مشروعه، وانظر د. عمر 199.

(20) حدده فيشر بالقرن الثالث الهجري (د. عمر 200، 201)، مع انه أورداستعمالات للزمخشري وهو من القرن السادس الهجري. وذكر د. درويش ان فيشر وضح في موضع آخر أنه لا ينبغي تحديد الفصيح بفترة معينة من الزمن. (د. درويش 146)، وهو ما نميل اليه ونأخذ به.

اللاحقة، ويهمل مسايرة مبدأ التطور على مستوى الألفاظ والمعاني.

وقد تناول الشيخ د. عبد الله العلايلي مفهوم المعجم التاريخي (النشوئي) في كتابه «مقدمة لدرس لغة العرب»، قال فيه: «المعجم التاريخي او النشوئي، يبحث في نشوء المادة وتطوراتها الاستعمالية، وتراوحها بين الحقيقة والمجاز، مقيّدة بالعصور ويكون على اسلوب مادي»[21].

وأضاف د. العلايلي في بيان منهج هذا المعجم قائلا: «ويدرس المعجم التاريخي نشأة المواد، وعروبتها، أو تعريبها، واختلاف اللغات واللهجات فيها، وما يتصل بذلك من اختلاف في النطق، او الصيغة، او المعنى، او الاستخدام، ويرتب ترتيبا تاريخيا بحسب ظهور الصيغ، اي حسب الترتيب الذي تنادي به النظرية الثنائية للغات، فهو يقدم البناء المعتل، ثم الثنائي المضعف، ثم المهموز، ثم المضاعف الرباعي، ثم الثلاثي، ثم الرباعي، وهو الترتيب الذي تنادي به النظرية الثنائية للغات»[22].

نتبين مما ذكره د. العلايلي ان مفهوم المعجم لديه قد تأثر بصناعة المعاجم التاريخية الحديثة، وأفاد من مذهبها، ومما قررته ووصلت اليه، ففيه تفصيل لوظيفته، اذ ذكر اضافة الى الناحية التاريخية والأصولية والاقتباسية والشواهد، التي عبر عنها بالاسلوب المادي، ذكر توضيح عروبتها او تعريبها، واختلاف اللهجات واللغات فيها، وبيان النطق والصيغة، والاستخدام، والمعاني وتطوراتها، الا انه اختط لنفسه منهجا في الترتيب يتفق ومذهبه الذي اختاره، وهو تبني النظرية الثنائية، التي ترى ان ظهور الثنائي كان اولا، يليه المعتل، فالمضعف، فالمهموز... الخ، وهذا موضع نظر ولا نوافقه على منهجه في الترتيب الذي قام على

---

(21) د. العلايلي/عن د. نصار 762.

(22) نفسه / عن د. نصار 762.

اساس النظرية الثنائية في نشأة اللغات.

وقد حاول الشيخ تطبيق مفهومه للمعجم التاريخي في معجمه «المرجع» الذي صدر جزؤه الاول سنة 1963م، عن مكتبة الفرح الحديثة في بيروت، فحاول تحقيق مبادىء نظريته على مستوى المادة والترتيب والتأريخ، فأرخ للالفاظ ودلالاتها بالاشارة الى العصر الذي وجدت فيه اللفظة، أو المعنى، أو الاستعمال.

وفي عمله هذا محاولة للتجديد، وتحديث صناعة المعجم على أسس تاريخية وأصولية، على ما فيه من قصور ونقص، لا يصل معهما الى مستوى المعجم التاريخي المنشود.

ويرى د. محمد عيد الطيب «ان المعجم اللغوي يهدف ـ الى جانب التأريخ لألفاظ اللغة ـ الى تأصيلها، بالنص على اصلها، والنص على طريقة نطقها، وما طرأ عليه، اضافة الى انه يقفنا على المستوى الاستخدامي للفظ، من حيث البيئة أو الطبقة الاجتماعية التي تستخدمه، والزمن الذي استخدم فيه... فهو ـ على وجه الاحتمال ـ ينحو الى تسجيل اللغة بكل مستوياتها الاستخدامية في احقاب التاريخ المختلفة، فهو يعتمد على علم اللغة الوصفي، ويستعين بعلم اللغة التاريخي، ويهتدي بعلم اللغة المقارن في تدوين المفردات والألفاظ، وارشاد الباحث الى مقوماتها الصوتية والبنيوية والدلالية، بل النحوية حين يحتاج الامر الى النص على حركة بنائها، ان كانت هذه الحركة ثابتة لا تتغير.

بل انه يستعين بعلم الاحصاء، في احصاء كلمات اللغة في مختلف العصور التي كتبت فيها لغتنا، وبعلم التاريخ، في الوقوف على الاحداث التاريخية، وما ساد المجتمع من ظواهر وعادات ومعتقدات، أثرت في دلالات الألفاظ، حتى يكون العمل المعجمي علميا متسما بالدقة المطلوبة في مختلف الاعمال العلمية»[23]

---

(23) د. الطيب 507، 508.

وفيها يتصل بالشرح والتفسير، يرى د. الطيب «أن هذا المعجم يجب ان يتقصى معاني اللفظ في مختلف العصور والبيئات، ولدى كل الطبقات الاجتماعية، سواء كان اللفظ عربيا اصيلا فصيحا، أو كان معربا او دخيلا أو مولدا، تذكر معانيه كلها دون اهمال معنى منها، مع مقارنة هذه المعاني في لغتها الاصلية ـ في المعرب والدخيل ـ بمعانيها في العربية»[24].

وعن الشواهد والاقتباسات، «ينبغي الا يخلو من الشواهد، غير ان طريقة الاستشهاد ينبغي ان تختلف عن طريقة استشهاد المعجميين القدامى، فلا يذكر من الشواهد الا معلوم القائل، او على الاقل معلوم الرواية، عن الثقة الدقيق الضبط غير المتهم، مع ذكر المرجع والمصدر الذي ورد فيه الشاهد»[25].

هذا التصور الذي قدمه د. الطيب لمفهوم المعجم المنشود، استفاده مما توصلت اليه صناعة المعاجم الحديثة، في وضع معجم لغوي تاريخي تأصيلي، قائم على الشواهد والسياقات، والاستخدامات المختلفة للكلمة او المعنى، وهو تصور ملائم قريب مما يرتضيه البحث.

وحول مفهوم المعجم اللغوي ـ بشكل عام ـ ويعنينا هنا الجزء الخاص بمفهوم المعجم التاريخي بالذات، فقد اوردت الموسوعة الامريكية الأكاديمية ما ترجمته: «حسّن القرن العشرون طرق إنتاج المعاجم وطوّرها، خاصة بالنسبة لظهور معاجم اللهجات، والمعجمات الخاصة، ومعجمات المصطلحات، **وتاريخ اللغات**، اذ استخدم الحاسوب على نطاق واسع، خاصة في تحديد الاستعمالات الخاصة، والمعاني الخاصة للكلمات، وفي تحليل الامثلة (الشواهد) من كتابات الماضي وتصنيفها، وتعد الدراسة المقارنة للغات وتأصيل الكلمات، احد

---

(24) نفسه 512.

(25) نفسه 513.

المجالات المثمرة النافعة للبحوث الجارية هذا القرن»[26].

يظهر لنا هذا النص عناية الدراسات اللسانية الحديثة الخاصة في مجال المعجمة، بالتأريخ لألفاظ اللغات ومعانيها، والاستعمالات الخاصة، والمعاني بأنواعها وتطوراتها، والشواهد ـ الاقتباسات ـ وتأصيل الكلمات والمقارنة بين اللغات.

وحول المفهوم نفسه، وما طرأ عليه من تطورات في المعجمة بشكل عام في القرن العشرين، جاء في موسوعة العصر الحديث (New Age Encyclopedia) ما ترجمته: «أصبحت المعاجم تفيد المراحل الماضية للغة، تأسيسا على مستوياتها ـ سجلاتها ـ المكتوبة، وعلى مستوييها: الحديث والكتابة، اضافة الى معلومات لغوية اخرى.

فالمعاجم الافضل هي التي تعد تسجيلات كاملة للغة، والمعجم الجيد يحاول ان يسجل اللغة كما هي، ويسجل حقائق استخدامها، يقررها حسبما تسمح به المعرفة، وهو لا يقرر ما يجب ان يكون عليه الاستخدام»[27].

وتضيف: «أن المعاجم التاريخية تعتمد في دراسة الاصول (Etymology) نتائج الدراسات العلمية الحديثة للتغيرات الصوتية في تاريخ اللغات، وللمرة الاولى، اصبحت تستخدم الاقتباسات ـ النصوص والشواهد ـ لأغراض تاريخية، ولم تعد تستخدم الاقتباسات المؤرخة ـ المضمنة فيها ـ لتقرر سلطة الكتاب المتميزين في فرض استخدام خاص، بل تستخدمها لتوضيح السجل التاريخي للغة. وهي ـ أخيرا ـ تحدد تاريخ أول استعمال عرف لكل كلمة، وتوضح التغير

---

(26) - Academic Americain Encyclopaedia, Princeton, New Jersy U.S.A., 1980, V.6, (Dictionary), P.159 - 160.

(27) وهذا هو الفهم الحديث لوظيفة المعجم، حيث اصبح المطلوب منه ان يكون وصفيا، يصف ما كان وما هو كائن فقط، ولا يعني بالمنهج المعياري أو الفرضي، فلا يهتم بما يجب ان تكون عليه اللغة في استخدامها، حسبما كانت عليه المعاجم القديمة.

والتطور في معانيها، أو اسقاط هذه المعاني والكلمات من اللغة وهجرها»[28].

فما جاء في هذه الموسوعة، اضافة الى مفهوم المعجم ـ بشكل عام ـ انه يتناول بيان نطق الكلمة وتطوره ورسمها (تهجيها) ومراحله، واشتقاقها وتصريفاتها، وبيان معانيها وتطورها، ومستويات استخدامها، اعتمادا على الاقتباسات (الشواهد والنصوص)،ما جاء فيها: هو الاهتمام بالناحية التأصيلية للكلمات، والتأريخ لها ولاستخداماتها، ومعانيها، وما حل بهذه جميعها من تطورات وتغيرات، معتمدة في ذلك كله منهج الوصف المحض، على ان يكون المعجم سجلا تاريخيا شاملا لكل ما استخدم في اللغة.

ولو نظرنا في الموسوعة البريطانية (Encyclopaedia Britannica) لوجدنا المواصفات نفسها، والمفهوم نفسه للمعجم التاريخي[29].

وكل ما تقدم حول مفهوم المعجم التاريخي، لا يكاد يخرج عما ورد في مقدمة اول واضخم معجم تاريخي عرفه العصر الحديث، وهو معجم اوكسفورد للغة الانجليزية (OED)[30]، ذلك المعجم الذي يعد ثورة في عالم المعجمة، وطور مفاهيم هذه الصناعة وأسسها، حتى وصلت الى ما هي عليه الآن.

بعد هذا الاستعراض، يستطيع البحث اقتراح تصور لمفهوم المعجم التاريخي العربي المنشود، فنقول «انه سجل شامل لكل مفردات اللغة العربية الاصيلة منها والمعربة والدخيلة والمولدة التي استخدمت في تاريخ حياة اللغة منذ بدايتها الموثقة حتى الآن، على مستوى لغة

---

(28) New Age Encyclopaedia, 1980, V.6, P. 10, 11. -

(29) سيعرض البحث في تلك الموسوعة في قسم «المحتوى»، لأن ما فيها مفصل واسع، يناسب ذلك الموضع.

(30) OED, Preface (P.V), Historical Introduction, (P.VII), General Eplanation, (P. xxVII).

التـأليف والكتـابـة، مع بيان تطور كل كلمة ورسمها، وما طرأ على نطقها، أو رسمها، أو صيغتها، أو تصريفها، منذ وجودها حتى اليوم، وتأصيلها، واستخداماتها المختلفة، ومستويات تلك الاستخدامات، ومعـانيهـا ودلالاتهـا المختلفـة، وتطورات تلك الدلالات، ووظائفها الـتركيبية ـ النحـوية ـ ومـوقعها ـ ان كان محدّدا ـ في الجملة، وإيراد النصوص والاقتباسات ـ الشواهد ـ الدالة التي وردت فيها الكلمة، وتوضح معانيها المختلفة، واستعمالاتها الدقيقة، كل ذلك على اساس التدرج الزمني، ليوضح التطور التاريخي لكل لفظة او معنى، على ان ترتب كل المفردات ترتيبا يناسب خصائص لغتنا الاشتقاقيّة[31]، يحفظ وحدة المشتقات التي تنتمي الى اصل ـ جذر ـ واحد وترابطها، ليبين علاقتها بمعنى الجذر، ويوضح ما بينها من علاقات على مستوى اللفظ والمعنى، على ان يكون ميسورا سهل المأخذ والتناول، وان يرتب المعاني على أساس منطقي يتدرج من الحقيقي الى المجازي، ومن العقلي الى الحسي، ومن العام الى الخاص، كل ذلك بأسلوب وصفي محض .

هذا المفهوم المقترح يستند الى الأسس الثلاثة التي يقوم عليها اي عمـل معجمي، وهي: المـادة وجمعهـا واستيعابها وشمولها، والشرح والتفسير اللازمان المرتجيان وتوضيحهما وتوثيقهما، ثم الترتيب المناسب.

ولعله يشمل كل الاقتراحات والتصورات التي قدمتها البحوث والمؤلفات المختلفة التي تناولت مفهوم المعجم التاريخي وأسسه.

الوظيفة :

لعل من المسلم به ان المعجم ـ أي معجم ـ مادة وشكل، او محتوى ومنهج، والعنصران معا يقوم عليهما بناء المعجم. وقد تكون المادة التي يحتويها المعجم في المقام الاول في نظر المعجمي والباحثين الذين

(31) سنتناول قضية الترتيب – بايجاز – في القسم الثالث من هذا البحث.

يتلقون المعجم على السواء، الا ان الشكل او المنهج وهو العنصر الثاني لا يقل خطرا عن سابقه، ويسهم بشكل ملحوظ في نجاح المعجم وانتشاره، واقبال الناس بله المثقفين منهم عليه.

ويتحكم في تحديد هذين العنصرين معا وظيفة المعجم، والغرض الذي صنف أساسا لخدمته وتحقيقه. فالوظيفة تحدد مادة المعجم: نوعيتها، وغزارتها، وطريقة تناولها، وشرحها وتفسيرها، والايجاز او الاطناب فيها، اضافة الى طريقة عرضها وترتيبها وتصنيفها واخراجها.

فوظيفة المعجم على هذا الاساس خطيرة، ولابد من أن يتمثلها المعجمي ويلتزمها في كل خطوات عمله، حتى يضمن تحقيقها، وحتى لا يقع في خلط او نقص او اخفاق، فمتى تحددت وظيفة المعجم بدقة ووضوح في ذهن المعجمي، استطاع ان يجمع المادة التي تحقق هذه الوظيفة، والتزم في عمله طريقا سالكا واضحا، على مستوى الجمع، والمعالجة، والتصنيف والترتيب والاخراج.

وتتعدد انواع المعاجم وفقا لوظيفة كل منها وهدفه، فالمعجم الذي يهدف الى الاشتقاقات وحسب ـ مثلا ـ معجم اشتقاقي، والمعجم الذي يهدف الى دراسة المعاني المجازية، معجم مجازي، وقل مثل ذلك في معجمات اللهجات، او الحرف والمهن، او الطبقات، او المصطلحات، أو التأريخي، أو الأصول، أو الأساليب، أو الموضوعات المختلفة، أو أحادي اللغة او ثنائيها، أو غير ذلك.

وأرى أن العلاقة بين مفهوم المعجم ووظيفته ومحتواه علاقة تبادلية، قائمة على تأثير كل منها في الاخر وتأثّره به، فمفهوم المعجم مستمد من وظيفته التي تحدد مضمونه، كما أن المفهوم الذي يرتضى للمعجم يحدد الوظيفة والمحتوى في آن واحد.

وما يؤثر في تحديد وظيفة المعجم، اضافة الى نوعه، نظرة المعجمي الى الفاظ اللغة موضوع الوصف، والعلاقات القائمة بينها، ونظرته ـ كذلك ـ الى جمهور القراء الذين يهدف المعجم الى خدمتهم

ومساعدتهم[32].

كما أن بيان وظيفة المعجم او هدفه يحدد لنا نوعية المادة التي يتضمنها، اضافة الى المنهج والترتيب الذي سنصطنعه. فالمعجم المدرسي - مثلا - يختلف عن معجم المثقفين، وهذا - الاخير - يختلف عن معجم المتخصصين (التاريخي) مثلا[33]وهذه كلها تختلف عن معاجم المصطلحات، أو اللهجات وغيرها، على مستوى المحتوى والترتيب معا.

وعند تحديد وظيفة المعجم، لابد من الأخذ بعين الاعتبار طبيعة اللغة، والألفاظ والمفردات من حيث فصاحتها وأصالتها أو عجمتها، وهل سنعنى بالألفاظ ومعانيها المرادفة، او سنهتم بالسياقات، ومستويات الاستعمال، وفيما اذا كنا سنعنى بالمصطلحات الفنية والعلمية، والتعابير الاصطلاحية (Idioms)، أو نقتصر على الالفاظ بأصل وضعها اللغوي ومعانيها الحقيقية الاولى، او تدرج تلك الالفاظ والمعاني وتطورها، وما طرأ على اللفظ من تبدلات او تغيرات صوتية او صرفية، أو ما طرأ على المعنى من تطورات، على مستوى التعميم او التخصيص، او الشيوع، او المجاز وغير ذلك، وما طرأ على رسم الالفاظ، أو تأصيلها مثلا.

ولما كان البحث مقصورا على المعجم التاريخي، وبما أننا نريد هذا المعجم المنشود تتويجا للجهود المعجمية العربية قديمها وحديثها، وقد حددنا مفهومه - وفقا للدراسات المعجمية الحديثة - بأنه معجم يعنى بكل لفظ استعمل او يستعمل في العربية المكتوبة، وبيان نطقه وتطور ذلك النطق ان طرأ عليه تطور، ورسمه وتعدده وتغيره، وتصريفه، وجوانبه التركيبية، ومعانيه وتطوراتها، ومستويات استخدامه، وأصوله

---

(32) د. القاسمي/بحث «ترتيب مداخل المعجم» مجلة اللسان العربي، مجلد 19، العدد الاول، ص 14.

(33) د. الطيب/500 - 508.

والتأريخ لكل الطوارىء والتغيرات التي اصابت اللفظ أو المعنى، اعتماداً وتسجيلا لكل الشواهد (النصوص والاقتباسات) الدالة المساعدة، كل ذلك بأسلوب وصفي تسجيلي بحت، أقول: لابد ان تكون وظيفته والهدف من تصنيفه تحقيق هذه الامور كلها، وفق احدث الاساليب التي عرفتها صناعة المعاجم حتى الآن، مستفيدين من الدراسات اللسانية الحديثة وتجارب الأمم التي سبقتنا في هذا المجال، ولعل أدقها وأشملها معجم أوكسفورد التاريخي للغة الانجليزية (O E D)، مع ضرورة استدراك ما قد يكون فيه من نقص أو خلل.

فعلى هدي المفهوم المقترح، ومع أخذ الدراسات الحديثة في صناعة المعاجم (Lexicography)، وتجربة معجم أوكسفورد، بعين الاعتبار، نستطيع تأكيد بعض القضايا، التي ينبغي ان تكون من وظائف المعجم التاريخي العربي، ولا بد من تحقيقها.

أولا : تلافي النقص والقصور والخلل الذي وقع في الاعمال المعجمية العربية القديمة، فبعد أن ذكر د. ابراهيم أنيس عيوب معاجم القدماء، قال: «من أجل هذا وغيره، فكر بعض المحدثين من المستشرقين في وضع معجم عربي حديث، تقتبس ألفاظه من النصوص، وفيه تراعى كل الدراسات الحديثة، التي يلحظها الدارسون في المعاجم الأوروبية»[34].

ويعني د. أنيس ببعض المحدثين من المستشرقين المستشرق الألماني فيشر، صاحب اول محاولة في هذا المجال، وصاحب مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، الذي قدمه الى مجمع اللغة العربية القاهري.

ولابد ايضا من تدارك النقص والقصور اللذين وقعا في المعجمات العربية الحديثة ايضا، والاستفادة من آخر ما وصلت اليه صناعة

---

(34) د. أنيس/دلالة الالفاظ 249.

المعاجم في العصر الحديث، على ان تتجاوز ما قد يكون وقع في بعض المعجمات العالمية (الأوروبية) الحديثة، كإهمال المعاني الدقيقة للتعبيرات الاصطلاحية (Idioms) اذ يقول دافيد كريستال: «ولكن من الواضح ان هناك قضايا كثيرة يجب ان يكشف عنها النقاب، مثال: وصف النماذج المختلفة للعبارات الاصطلاحية (Idioms) الموجودة»[35].

هذا الراي ذكره كريستال في كتابه (What Is Linguistics) الذي صدرت طبعته الاولى عام 1968م، اي بعد صدور أكثر المعاجم الاوروبية والامريكية الحديثة المعروفة، ولذا فرأيه هذا يعد نقدا لتلك المعاجم، وبيانا لاوجه النقص فيها.

فينبغي التنبه ان يكون من أغراض معجمنا تدارك هذا النقص وأمثاله.

وقد ذكر د. حسين نصار «أن على المعجم اللغوي التاريخي ان يحتوي جميع الاساليب والتراكيب الخاصة الاصطلاحية (Idioms) التي اتخذت دلالة معينة، لا تتضح من المعنى المألوف للكلمات التي تتألف منها»[36]، وذلك مثل: كعب اخيل، مواعيد عرقوب، أعطى القوس باريها، وبذل جهده، ولقي حتفه، وغيرها.

ثانيا: ان ندرك ونحن في صدد تصنيف هذا المعجم «أن صناعة المعاجم علم وفن، فالمعجمي عالم ـ الى حدّ ما ـ لانه يحاول ترتيب وشرح الكلمات بدقة، وهو فنان ـ الى حدّ ما أيضا ـ لأنه يتحسس حاجات قارئيه المتنوعة ويشبعها. وان العنصر الانساني في هذا المجال مهم دائما، فبعض صانعي المعاجم اكتسبوا شهرة لكونهم ذوي أفكار

---

(35) كريستال/التعريف بعلم اللغة ـ ط 2 ـ ترجمة د. خليل، ط 1، ص 141. الا أن معجم اوكسفورد (OED) جاء في مقدمته (ص 5) أنه تناول كل كلمة وكل عبارة اصطلاحية (Idiom) تناولا تاريخيا، وهذا التناول هو مبرر وجوده.

(36) د. نصار ـ 776.

وآراء قوية ومستقلة»[37].

ثالثا: أن يشمل هذا المعجم كل لفظ عرفته العربية واستخدمته منذ عهد نقوشها في القرن الرابع الميلادي حتى اليوم، على أن يستوعب هذا المعجم: الأصيل والمعرب، والدخيل والمولد، والمهمل والممات والمهجور، وكل لفظ استخدم ولو لمرة واحدة على ألسنة أبناء الأمة، في أي عصر كان، وعلى أي مستوى لغوي أو اجتماعي كان، حتى يصدق فيه انه سجل كامل ـ ديوان ـ لألفاظ لغة العرب[38].

وأن يعني بتسجيل أول مرة استخدم فيها النص، ثم يتتبع هذه الاستخدامات على مدى العصور المختلفة، ويجب ان يعنى بكل لفظ جاء في لغة الكتابة والتأليف، حتى لو كان عاميا، وأن يحاول تأصيله وتفصيحه، وأن يبيّن دلالته، مع الاشارة الى موطنه او قبيلته. على ان يضع رموزا تدل على نوع كل لفظ من حيث أصالته (فصاحته)، أو تعريبه، أو عجمته، أو توليده، الى غير ذلك.

ويرى د. أنيس أن أول وجود عربي يمكن ان يدون في المعجم يعود الى القرن الثالث او الرابع الميلاديّ، وهو زمن وجود أول نقوش عرفت، وهي نقش النمارة عام 328م، ونقش زبد ـ قرب حلب ـ عام 512م، ونقش حوار ان 568م[39].

ولكنه يقترح عدم الاعتماد على هذه النقوش في معرفة طفولة اللغة العربية، لأنه يرى أن لغتها مزيج من العربية والآرامية، وأن نقتنع بلغة نصوص الأدب الجاهلي، التي هي عربية صرف[40].

---

(37) Collier's Encyclopaedia V.8, P.193

(38) د. نصار 761

(39) د. أنيس/في اللهجات العربية 33

(40) نفسه 36

ويرى الباحث الا نهمل لفظا من لغة تلك النقوش، ان تأكدنا من اصالته العربية، اما ان تشككنا فيها، فيكتفى بلغة نصوص الادب الجاهلي، كما اقترح د. أنيس.

رابعا : الا يكتفى بالنقل عن المعجمات القديمة، الا بعد التحقق، وان يكثر المعجم المنشود من مراجعه، وان يعود الى المصادر الادبية والمؤلفات القديمة، ويدعم ما يسجله بالنصوص والاقتباسات التي وردت فيها، والا يهمل لغة النثر، اكتفاء بلغة القرآن الكريم او الحديث الشريف أو الشعر[41]. والا يقتصر في شواهده واقتباساته على انتاج كبار الادباء فقط، او امهات المراجع العربية، بل عليه ان يحاول مسح واستقصاء كل المؤلفات العربية المكتوبة، القديمة منها والحديثة، المطبوعة والمخطوطة حتى اليوم ما أمكن لان هذا الامر سيغنيه بثروة ضخمة من الالفاظ وصيغ المشتقات والمعاني، ويفيده كثيرا في دقة التأريخ والتطور التاريخي للغة بمفرداتها ومعانيها.

خامسا : ان تكون الدراسة التاريخية وتتبع التطور الكامل للالفاظ والمعاني في جميع العصور حتى اليوم دراسة علمية نظرية وعملية، اذ يقول د. حسين نصار في هذه القضية: «ولعلهم ـ اعضاء المجمع اللغوي القاهري ـ يريدون بالتطور التاريخي إبانة اصول بعض الالفاظ المعربة والدخيلة... أما اذا كانوا يريدون التطور الكامل للالفاظ في جميع العصور حتى اليوم، فهل يريدونها دراسة علمية نظرية او دراسة عملية؟ لقد كان الهدف من دراسة الاقدمين للعربية عمليا محضا، فأضاع علينا كثيرا من المفردات واثار منا الشكوى، فاذا ما اصبح هدف المجمع من هذا المعجم التاريخي نظريا محضا اضاع ما أضاع»[42].

---

(41) مشروع فيشر / عن د. درويش 139، ود. عمر 200.

(42) د. نصار 754.

سادسا : أن يتمثل هذا المعجم المنهج الوصفي المحض في تسجيل كل ما جاء في اللغة، من مفردات واستعمالات ودلالات، وهو آخر ما ارتضته صناعة المعاجم، وفق الدراسات اللسانية الحديثة، والا يجنح الى التعبير او الفرض في الاستخدام، يعزز ذلك ما ذكرناه في موضع سابق، وما جاء في موسوعة كولير (Collier's Encyclopedia) ما ترجمته: «لقد كان دور ـ وظيفة ـ المعجمي تثبيت اللغة (تعبيرها)، ليعطي المعنى الصحيح، والتهجئة الصحيحة، ونبرة جميع الكلمات في الاستخدام المقبول، وليقر هذه الكلمات كما ينبغي ان يكون ضروريا، هذا كان دور المعجمي سابقا، وهو الامر او النصح باستعمال مضبوط (مناسب) للغة، ورفض او تحريم تلك التراكيب التي يعتقد ـ لسبب او لآخر ـ أنها غير مضبوطة.

اما الآن، فدور المعجمي يقتصر على ان يسجل اللغة كما يجدها، اذ ان تغيراتها المستمرة خصيصة ـ ميزة ـ لكل عضو او كائن حي . . . فعليه ان يسجل كل كلمة تستعملها الجماعة»[43].

سابعا : إضافة الى إدراك ان من وظيفة المعجم التاريخي ان يبين تطور الكلمة وما طرأ عليها عبر العصور ورسم الكلمات وتهجئتها، ومراحل تطورها وتغيرها، وانشاء قوائم الكلمات، وتقسيم الدلالات وترتيبها، وتحديد الوظيفة الصرفية للكلمات، واعطاء معلومات نحوية تركيبية عن الكلمات الثابتة المبنية، والعوامل المختلفة، وتأصيل الكلمات استنادا الى آخر ما وصلت اليه البحوث اللسانية الحديثة، التاريخية والمقارنة[44]، ومستويات الاستعمال بسياقاتها، ومحيطها ـ بيئتها ـ الاجتماعية والطبقية.

---

(43) Collier's Encyclopedia, V 14, (Lexicography), P. 533. -

(44) Encyclopaedia Britannica, V. 5, P. 719, 720. - وسنعرض هذه العناصر تفصيلا في القسم اللاحق من هذا البحث.

وقد ذكر د. أحمد مختار عمر بعضا من هذه الوظائف في كتابه «البحث اللغوي عند العرب»[45].

كما اوردت موسوعة كولير (Collier's Encyclopedia) مجموعة من هذه الوظائف تحت عنوان «وظائف المعجم» جاء فيه: «ان الوظيفة الاساسية للمعجم ان يعرف معاني الكلمات، ويرتب هذه التعريفات والمعاني، ويورد السياقات، وان يُعنى بمرادفات الكلمة، ومدى الترادف بين كل كلمتين او اكثر، وان يسجل التغيرات او الاضافات في المعنى. وتوضح المعاجم مستوى الاستعمال للكلمة.

ويتضمن المعجم ايضا ذخيرة ضخمة من المعلومات اللغوية، فهو مصدر عام موثوق للتهجي الصحيح، ويعطي التهجي المفضل والمحدد حينما يكون غير واحد مقبولا، ويزودنا بنطق الكلمة، ونوعها من الكلام، وأصلها، ومصدرها، والتطور الذي طرأ عليها، ومرادفاتها ومضاداتها. وتزودنا المعاجم الكبيرة بمصطلحات فنية وعلمية، واول استعمال مسجل للكلمات، والاستعمالات التالية له، وتعد الاقتباسات التاريخية في المعجم التاريخي (O E D) مثلا، تعد درسا محسوسا فاتنا - ساحرا - في تغيرات معاني الكلمات. ويجب ان تكون التعريفات واضحة مفهومة، لا غموض فيها، والا تعتمد المرادفات. وينبغي ان تبقى المعاجم عصرية، تعايش التغيرات والتطورات السريعة في الحياة وتوازيها، فيجب ان تضمن الطبعات اللاحقة المنقحة والملاحق الكلمات المبتكرة، والمعاني المستحدثة، فالتمام او الكمال مهم للغاية»[46].

ولعل من الوفاء بغرض البحث ان نعرض ابرز وظائف معجم أوكسفورد التاريخي للغة الانجليزية (O E D) كما جاءت في مقدمته، الذي تقول فيه موسوعة (Collier): «وهو الاعظم والاشهر والاحسن

---

(45) د. عمر 117 - 118.

(46) (بتصرف) Collier's Encyclopedia, V.8, P. 193. -

بين المعاجم التاريخية العالمية ـ الجديرة بالعلماء ـ وكانت الاهداف الاساسية لمشروعه أن يشمل كل كلمة في اللغة الانجليزية منذ عام 1000م تقريبا، ويسجل في نظام تأريخي جميع استعمالات الكلمة، ومعانيها، ويوضح تطوراتها، باقتباسات (شواهد) من جميع مراحل الكتابة الانجليزية»[47].

ولدى النظر في تصدير معجم أوكسفورد للغة الانجليزية (O E D) ومقدمته التاريخية، يستطيع الباحث ان يتبين وظيفة هذا المعجم التاريخي الضخم، التي اقترحت، وأنيط به تحقيقها، وهي في مجملها لا تختلف عما قررته المصادر والمراجع التي احال عليها البحث ووقف عليها، اذ ان بعض تلكم المراجع، كانت ارهاصات اهتدى بها القائمون على نشر ذلك المعجم، وبعضها استمدت اقتراحاتها وأسسها من هدي ما تمّ في ذلك المعجم واحتواه من قضايا أساسية في ميدان المعجمة التاريخية.

ولعل أبرز جوانب وظيفة معجم أوكسفورد (O E D) كما وردت في التصدير والمقدمة التاريخية[48] يمكن اجمالها في ما يلي :

1 ـ إعداد قوائم كاملة مرتبة ألفبائيا، شاملة لمفردات اللغة الانجليزية، من بداية عصر التدوين حتى اليوم.

2 ـ إيراد كل الحقائق الوثيقة الصلة بصيغ الكلمات، والمعاني التاريخية، والنطق، والتهجي، والتأصيل، وتسجيلها.

3 ـ أن يحتوي كل مفردات اللغة الادبية، ولغة المحادثة، حية كانت، او مهجورة مماتة، او مصطلحات فنية، وكمية كبيرة من مفردات الاستعمال العامي واللهجي.

---

(47) نفسه/ص 196، وانظر معجم اوكسفورد التاريخي : المقدمة التاريخية (ص 8). والتصدير ص 5.

(48) The Oxford Dictionary, preface, P.V, and the Historical Introduction, P. VII.

4 ـ قام أساسه على الاقتباسات والشواهد، اذ بلغ مجموعها خمسة ملايين اقتباس، من الأدب الانجليزي من كل الفترات التاريخية، منذ سنة 1250م، اختار القائمون على العمل 1.800.000 اقتباس واضح منها، وقد شكل هذا الصنيع ثورة في فن صناعة المعاجم.
5 ـ يقدم المعجم فائدة لقواعد اللغة الانجليزية لا تقدر، لانه مكن المختصين من الوقوف على صيغ مفردات لغتهم وتطورها، ومستويات استخدامها وتراكيبها، وتطور ذلك كله اي ان النحو الانجليزي سيكون مدينا لهذا المعجم منذ لحظة تصنيفه، ومستقبلا.
6 ـ ضم كل معلومة لغوية تاريخية حول كلمات اللغة الانجليزية، ومعانيها واستعمالاتها، اذا لم تبق نقطة لغوية تاريخية صحيحة لم يوضحها المعجم، بعد خضوعها لمراجعات المختصين.
7 ـ خلال عامي 1858م و1859م، اعلنت الجمعية اللغوية القائمة على مشروع المعجم خطة العمل، وطبع «اقتراح لطبع معجم جديد للانجليزية» باشراف الجمعية اللغوية (Philological Society) بمبادىء أساسية للعمل، أهمها مبدآن:
أ ـ ان أول متطلب لأي معجم، أنه يجب ان يشمل كل كلمة حدثت في آداب اللغة المكتوبة، التي يعترف المعجم انه يوضحها.
ب ـ يعتمد المبدأ التأريخي بشكل منسق مطرد ومنتظم في معالجة الكلمات واستعمالها الفردي والشخصي.

وفي موضع لاحق[49] من المقدمة التاريخية، نستطيع تبين بعض العناصر الاخرى في وظيفة هذا المعجم، خلال عرض اقتراح وضع معجم اساسي موجز للمعجم الكبير، ومنها – اضافة الى ما ذكر سابقا – : اشارات نقدية، الجذور، السوابق واللواحق، الالفاظ المتجانسة في الشكل (الرسم)، الاقتباسات – مختصرة – مع اسم الكاتب والكتاب

---

(49) نفسه، P. x

(المرجع) وتاريخ طبعه، ورقم الصحيفة والسطر لكل اقتباس ومعالجة العبارات الاصطلاحية (Idioms).

وقد أكدت المقدمة أهمية الشواهد ـ الاقتباسات ـ في تحديد معنى كل كلمة وتطورها وتطوره، وفي تتبع التطور التاريخي لكل منها[50].

وقد كان غرض المعجم ان يتعامل مع جميع الكلمات العامة في لغة الحديث والأدب، وجميع الكلمات التي تقاربها في الخصائص، حتى شملت حدوده ميدان العلوم والفلسفة، وكلماتها التي تعبر الادب، وكذلك فقد كان غرضه ان يضم جميع الكلمات الانجليزية الشكل والصيغة، التي استخدمت في المصطلحات العلمية والتقنية، ما عدا تلك المصطلحات التي يكون شرحها غير مفهوم الا للمتخصصين، وهذه الكلمات ليست انجليزية الصيغة، ولا تدخل في الاستعمال العام[51].

ولعل في إيراد وظائف معجم أوكسفورد التاريخي هذه، فائدة وتأكيدا لما قدمه البحث من وظائف مقترحة مناسبة للمعجم التاريخي العربي المنشود، واستدراكا لما قد يكون فات البحث ذكره، وايضاحا لأي غموض قد يشتبه في تلك الوظائف المقترحة.

المحتوى :

تأسيسا على ما ذكرناه في موضع سابق، من أن المفهوم والوظيفة كليهما يحددان محتوى المعجم ومادته، وان بين هذه العناصر الثلاثة تأثرا وتأثيرا متبادلين، فان محتوى المعجم المنشود ينبغي ان يفي بما سبق ذكره في قسمي المفهوم والوظيفة.

ولضمان تنفيذ تلكم الوظائف، لابد ان يتضمن محتوى المعجم

---

(50) نفسه، P. XIV

(51) نفسه، P. XXVIII

المأمول المعالجة المناسبة على مستوى الألفاظ والمعاني، والشواهد (الاقتباسات) معروضة على أساس تاريخي، مراعيا الترتيب الملائم لطبيعة لغتنا وخصائصها، واليسر والسهولة في تناول المعجم واستخدامه، على مستوى ترتيب المداخل، والترتيب الداخلي لمشتقات كل مدخل، محققا الفائدة التربوية في التعلم، والفائدة المعرفية للناشئين والمتعلمين والترجمة[52].

وقد تضمن مشروع فيشر للمعجم التاريخي العربي منهجه في معالجة الألفاظ ومعانيها وشروحها وشواهدها، ورأى أن تعرض حسب وجهات النظر السبع التالية[53]:

1 ـ الناحية التاريخية: يرى ـ ورأيه صائب ـ ان لكل كلمة تطورها التاريخي الخاص، فيجب ان تقيد المواضع التي يتبين منها انها تعطي اوضح صورة من التطور التاريخي للكلمة ومعانيها، على حسب الترتيب التاريخي بين اقدم الشواهد وأحدثها.

2 ـ الناحية الاشتقاقية: تتناول بحث اصول الكلمات ونسبها وتوليدها، ويرتبط بهذه الناحية علم ضبط الهجاء، وترد الكلمات المعربة الى اصولها على قدر الإمكان.

3 ـ الناحية التصريفية: وتتناول تغير صيغ الكلمة المختلفة، كتصريف الافعال والاسماء، وان ينبه على جنس الكلمة من حيث التذكير والتأنيث، اذ كثيرا ما يغير بذلك معنى الكلمة، ويختلف استعمالها باختلاف الزمان والمكان، ووجود غير صيغة في تصريف الاسم او الفعل، وعدم وجود بعض الصيغ الممكنة وفق القياس المتوقع.

---

(52) أ. الخطيب/من قضايا المعجمية المعاصرة 629، ود. الحمزاوي/الاستيعاب في المعجم العربي الاوروبي، المصدر نفسه 371.

(53) مشروع فيشر للمعجم التاريخي العربي/عن د. نصار 778 ـ 780 ود. درويش 141 ـ 143.

4 ـ الناحية التعبيرية : وتتضمن تحقيق معنى الكلمة او معانيها، واعتبار ان المعنى الاول هو الذي يؤخذ من اشتقاق الكلمة، والاهتمام بترتيب المعاني المتعددة، بتقديم المعنى العام على الخاص، والحسي على العقلي والحقيقي على المجازي والشائع على المحدود، ومعاني الادوات النحوية بحسب استعمالاتها، ومراعاة علم المجاز وعلم الترادف، ومراعاة استعمال الكلمة اصطلاحيا في تحديد المعاني المختلفة.

5 ـ الناحية النحوية : وتتناول القضايا التركيبية النحوية او الاعرابية لبعض الكلمات والادوات، منها موضع ورود الكلمة في السياق ان كان لها موضع محدد، مثل: فقط، وانما، وأيضا، ومراعاة الاضمار والحذف، وتعدي الافعال ولزومها، واعراب بعض الكلمات، وبيان متى واين ظهر ذلك التركيب لأول مرة وآخرها.

6 ـ الناحية البيانية : تتناول علاقات الكلمة في التراكيب ووضعها، لعامل من عوامل البلاغة والبيان، كالاتباع والمزاوجة، والمشاكلة، والمبالغة، وازدواج عبارتين متضادتين للتعبير عن معنى واحد مبالغ فيه، والتراكيب التي جرت مجرى الامثال.

7 ـ الناحية الاسلوبية : وتحدد المحيط اللغوي الذي استعملت فيه الكلمة، وتتمثل في بيان مدى سعة استعمال الكلمة، كأن تستعمل استعمالا عاما، كاستعمالها في لغة القرآن والحديث الشريف، او اسلوب النثر، او الشعر، او الاسلوب التاريخي، او الفنون، او العلوم او غيرها، او استعمالها استعمالا خاصا، كالاسلوب الشخصي المحض، كان يميل مؤلف او شخص ما الى استعمال كلمة معينة، او تركيب معين بالذات وكانه من لوازمه، وربما لا ياتي عند غيره الا نادرا.

هذا إيجاز لتصور فيشر لمحتوى المعجم التاريخي بشكل عام، وفيه يركز على اهمية المستوى التاريخي في المعالجة، وتتبع التطور الزمني للكلمة او معناها او استخدامها.

واستكمالا لمعالم صورة المحتوى المنشود للمعجم المأمول، يرى البحث ان يعرض القضايا المقترحة على مستوى المحتوى، مفيدا مما

جاء في موسوعة كولير، والموسوعة البريطانية، وبعض الملاحظ في الدراسات اللغوية المعجمية الحديثة، واخيرا بعض الفوائد من تجربة معجم اوكسفورد التاريخي، التي عرضها في مقدمته وايضاحاته العامة في جزئه الاول على صعيد المحتوى.

فقد جاء في معجم أوكسفورد تحت عنوان «ايضاحات عامة»[54]، ان مجموع مفردات اللغة ـ معجم اللغة الانجليزية (The Vocabulary) فيها كتلة مركزية كبيرة من عدة آلاف من الكلمات أصيلة لا يشك فيها، وهي ما اطلق عليه الكلمات العامة (Common Words) بعضها من مستوى أدبي فصيح، وبعضها عامي، والاغلبية العظمى الباقية من هذه الكلمات العامة ادبي عامي في آن واحد، وترتبط دائرة الكلمات العامة المركزية من كل جانب بكلمات اخرى مختلفة، منها كلمات لهجات خاصة، او كلمات لغة خاصة منحرفة، او كلمات علمية، أو مصطلحات فنية، او كلمات اجنبية، وقد تدخل هذه الكلمات او بعضها الى جسم اللغة ـ كتلة الكلمات العامة ـ وهذه الانواع من الكلمات ليست محددة ومميزة ككلمات الكتلة العامة.

ويرى المعجم نفسه ان على المعجمي ان يضمن معجمه كل الكلمات العامة (Common Words) التي انتشرت في لغة الادب والحديث، وكذا الكلمات العلمية، والتقنية والعامية، واللهجية، والاجنبية، التي تكون قد ادخلت في الاستعمال العام، ودخلت في كتلة الكلمات العامة ومع ذلك، فعليه ان يعلم ان خطه هذا لن يرضي ناقديه، لان حقل الكلمات العامة يتسع بالنسبة لكل شخص باتجاه جهة اهتمام قراءاته، او بحوثه، او عمله، او اقامته المحلية او الاجنبية الخارجية، لان لكل واحد قاموسه الخاص، ويضيق باتجاه الجهة التي لا علاقة عملية له بها، فليست انجليزية شخص واحد هي كل الانجليزية.

---

(54) OED, (general Explanation), P. XXVII –

فلابد من ان يقتنع المعجمي بتقديم اكبر قسم من مفردات كل واحد، وهذا القسم الذي يقدمه المعجمي سيكون ـ بالضرورة ـ اوسع بكثير من مفردات شخص واحد بعينه.

اضافة الى ان الكلمات العامة ـ بجميع خطوطها المتباعدة والمختلفة، كالكلمات العلمية، والفنية، والعامية، واللهجية، والاجنبية التي تكمن في عدد غير محدود من الاسماء الخاصة الدقيقة او الدالة، وتقع خارج حقل المعجمة، تحتاج الى تقييم مفهوم بشكل ما، ليتحدد الموقف منها بشكل يقبل الحل الوسط، ويجب ان يأخذه المعجمي على عاتقه، ويتخذ قرارا بشأنه.

وهذه عقبة تواجه المعجمي عند بدء تصنيف كلمات اللغة.وما قيل هنا في اللغة الانجليزية، قد ينطبق على العربية، فالقدر الاكبر من كلمات لغة التأليف والانتاج الادبي عربي اصيل، ولكن يبقى قسم منه اعجميًّا معرّبا ، وهذا لا مشكلة في التعامل معه، فحكمه حكم العربي الاصيل، وقسم منه قد يكون اجنبيا دخيلا، او مولدا او عاميا، ولابد من قرار بشأنه، ويميل البحث الى معالجته ومعاملته كالعربي الاصيل، مادام دخل في الاستعمال العام، مع ضرورة الرمز لكل نوع للدلالة على اصله ومستواه.

واتّخذ قرار بالنسبة لقبول مفردات اللغة الانجليزية وتسجيلها في المعجم التاريخي (O E D) وهو انهم بدأوا بتسجيل الكلمات منذ بدايات ظهور اللغة المكتوبة عندهم، واصطلحوا عليها انها تبدأ نحو سنة 1150م، مع استبعاد اي كلمة ظهرت قبل ذلك، ويشك أنها ليست انجليزية نقية وأصيلة[55].

وبالنسبة للغة العربية، راى البحث ـ في موضع سابق ـ ان نفسح المجال لكل كلمة عربية اصيلة منذ عهد النقوش، مادامت تلك

---

(55) نفسه: P. XXVIII

الكلمة عربية اصيلة صرفا ، لا يشوبها شائبة من اللغات الاخرى، وليست لهجة محلية، مرورا بكل المؤلفات المطبوعة والمخطوطة حتى الآن .

وقد صنف معجم أوكسفورد (O E D) كلمات اللغة وعباراتها (Phrases) لغرض معالجتها وتضمينها المعجم أصنافا ثلاثة :

1 ـ الكلمات الرئيسية في اللغة (Main Words) وهي الكلمات المفردة، وتشكل جسم اللغة ومعجمها، ومعظم الثّروة اللغوية، وسنعرض أسلوب معالجتها بعد قليل .

2 ـ الكلمات الثانوية ـ التابعة (Subordinate Words) وهي الكلمات ذات الصيغ الغريبة، والمتحولة، والمخطوءة المحرفة التي وردت في المعاجم، والصيغ والتصرفات المتنوعة الشاذة من الكلمات الرئيسية، والمهجورة، وقد عالجها المعجم، وحدد شخصيتها، واعطى تاريخها بايجاز، واحيل بعضها على الكلمات الرئيسية التي تنتمي اليها، مع كلمة موضحة مرادفة، إذا كانت الكلمة المشروحة من المهجور[56] .

3 ـ الكلمات المركبة ـ المجموعات ـ (Combinations)[57] .

وهذه قد تكون مركبة بوصلة (ـ) بين جزأى التركيب، وربما لا يكون بين الجزأين وصلة، ووجود الوصلة او عدم وجودها قضية، فوجودها او عدمه قد يكون له دخل في المعنى وتحديده، فقد تلمح هذه الوصلة الى وحدة المعنى، او لا تلمح، وهي مشكلة ايضا على مستوى الشكل، كما هي على مستوى المعنى. علما بأن وجود الوصلة هذه نحويّ أساسا للربط بين الجزأين.

وتبرز مشكلة اخرى حول المركبات، هي : الى اي حد تعد هذه المركبات ـ المجموعات ـ مادة تهم المعجمي؟ والى أيّ حدّ تعد قضية نحوية تركيبية؟

---

(56) نفسه : P. XXVIII, P. XXXIII

(57) نفسه : P. XXVIII, P. XXXIII

ولابد للمعجمي من مواجهتها وحسم الأمر.
وقد قسمها المعجم إلى ثلاثة أقسام لغرض المعالجة:
أ ـ التراكيب التي احتفظت كل كلمة فيها بمعناها الكامل الاساسي، وتقع الصلة بين اجزائها تحت واحد أو أكثر من المقولات النحوية.
ب ـ التراكيب التي تعطي معاني خاصة، ولكن مازالت يقدر عليها بأن تشرح بإيجاز بكلمات قليلة، بربطها بشبيهاتها.
ج ـ التراكيب التي اكتسبت كلماتها تخصصا في المعنى من مكانها في التركيب الكلي، اي اصبح لكل منها معنى جديد بعد التركيب. او التي تستخدم بمعان مختلفة، او لها تاريخ طويل، وهي بهذه الخصوصية تحتاج الى معالجة بتوسع اكثر، وتحال كل كلمة منها على مكانها حسب الترتيب في المعجم، اذ عولجت هناك بكل الاعتبارات، كأنها كلمة رئيسية.

وعولجت العبارات (Phrases) تحت كلماتها القيادية الاساسية، كما عولجت الاسماء الخاصة ـ المتميزة ـ مثل Adam's Needle بوضعها تحت اسمها العام الشامل[58].

وبالنسبة لتصنيف كلمات اللغة العربية وفق التصنيفات السابقة في معجم أوكسفورد (O E D) يمكن الافادة منها على صعيد المحتوى بمعالجة بعض الكلمات الموضوعة، او المشكوك في اصالتها، او المحرفة، التي دخلت مع ذلك الى الاستعمال العام. كما يمكن الافادة من هذه التصنيفات في معالجة الامثال، والعبارات التي جرت مجراها، كقولنا: كعب أخيل، والصيف ضيعت اللبن، ومواعيد عرقوب، ولا ناقة لي ـ في الامر ـ ولا جمل، واياك ان يضرب لسانك عنقك، وقضى نحبه، وبذل جهده، وغيرها.

أما الكلمات الرئيسية المفردة (Main Words)، التي تشكل النسبة

---

(58) نفسه: P. XXXIV

الساحقة من معجم اللغة، فيرى البحث ـ بعد الاستنارة بما جاء في المراجع الاجنبية والعربية، ومعجم أوكسفورد بشكل خاص ـ ان معالجتها في المحتوى يمكن ان تكون على صعد ثلاثة، وهي : الألفاظ، الشرح والمعاني، الشواهد والاقتباسات التوضيحية.

أولا : الالفاظ (المفردات) :

المعجم في أصل وضعه ديوان لألفاظ اللغة، فهي الأساس فيه، لذا تستأثر ـ بمختلف جوانبها ـ باهتمام واسع، إذ يوضح المعجم كل ما يحتاج اليه الفرد في معرفة اي جانب من تلك الجوانب. وجوانب اللفظ التي يخدمها المعجم هي[59].

1 ـ النطق[60]: ينبغي للمعجم ان يُعنى ببيان نطق الكلمة، واختلافاته، واللغات او اللهجات الواردة عن العرب فيه، وتطور اختلافات النطق ان وجدت وتأريخها، مثل: كبُر وكبِر، ويحسَب ويحسِب، بما في ذلك تركّب اللغات او تداخلها ايضا، وهذا ذو صلة بأبنيه الكلمات الصرفية في لغتنا العربية.

2 ـ التهجي ورسم الكلمة[61] : ونعني به اثبات كل رسم عرف للكلمة

---

(59) اضافة الى تسجيل كل مفردات اللغة بكل انواعها ومستوياتها، ما دامت دخلت في الاستعمال العام على مستوى اللغة الادبية ولغة التأليف، كما اقترحنا في موضع سابق، حتى الكلمات المعيبة أو البذيئة ان وردت، فحقها أن تدخل المعجم، وحذفها ـ كما فعل معجم اوكسفورد ـ أمر لامنطقي، حدث بناء على مواقف اجتماعية معينة، بينما ذكرها في مواضعها الصحيحة من المعجم قضية علمية، ويؤدي الى تطهير النفاق الاجتماعي. انظر: Encyclopaedia Brit. V.5, P. 722

(60) معجم اوكسفورد التاريخي .OED, XXIX, XXXIV –

و .Encyclopaedia Britannica, V.5, 719 –

و .Collier's Encyclopedia, V.8, 193 –

ود. عمر 118، ود.الطيب 508

(61) معجم اوكسفورد التاريخي .OED, XXX –

و .Encyc. Brit. V.5. P.719 –

و .Collier's Ency. V.8, P.193 –

ود. عمر 118.

منـذ بدء استخدامها حتى الآن، وان ننص على التهجي المفضل او الصحيح حسب قواعد الاملاء الحديثة، إن كان للكلمة غير رسم في بعض الحالات، مثل: مائة ومئة، شئون وشؤون، رؤوف ورءوف، موسيقى وموسيقا، الخطى والخطا، الضحى والضحا، وغيرها كثير. على ان يقوم كل ذلك على اساس التتبع التاريخي وحسب ظهور كل رسم زمنيا، مدعّما بالشواهد والاقتباسات التي تشير الى عصر كل رسم.

3 ـ النص على حالة الكلمة ومستواها[62]: بان نرمز لها برمز يوضح هل هي مهجورة مماتة، او حيّة دارجة، او فصيحة اصيلة، او معربة، او دخيلة، او مولدة، او عامية دخلت في الاستعمال العام المكتوب او الادبي.

4 ـ النص على مستوى استخدامها ونوعه[63]: أهي علمية، أو فنية، او جغرافية، او ادبية، او اصطلاحية... الى غير ذلك ان كانت مقصورة على استخدام خاص لا تتعداه.

5 ـ تأصيلها[64]: موضحا المصدر الحقيقي للكلمة ان كان ذلك ممكن التحقق منه، ولا يجوز ان نعتمد الحدس او الظن او التخمين، بل نعتمد آخر ما وصلت اليه الدراسات اللسانية وفقه اللغة في هذا المجال. كما يتناول المعجم في هذا الجانب شكلها التاريخي اللاحق بعد

---

(62) معجم اوكسفورد التاريخي .OED. XXX –
• – Collier's Encyclopedia, V.8 P.193
و د. نصار 767، 777، ود. الطيب 504.

(63) معجم اوكسفورد التاريخي .OED, XXX –
و .Encyc. Brit. V.5, P. 721 –

(64) معجم اوكسفورد التاريخي .OED, XXX –
و .Encyc. Brit, V.5 P. 720 –
و .Collier's Encyclopedia, V.8, P. 193 –
و .New Age Ency. , V.6, P10 –
ود. نصار (عن مشروع فيشر 778)، و764، 776.

تعريبها، اي ما طرأ عليها من تغيير على مستوى الاصوات او البنية، وما تعرضت له بعد دخولها العربية من تغيير لاحق ايضا، والمشتقات منها، ان حدث مثل ذلك، مثل: تلفزة وتلفاز، وبرنامج متلفز... الخ. مع اضافة حقائق متنوعة تتصل بتاريخها، وعمرها، وهجرها، واحيائها وتحديثها، وتغيير نطقها وبنيتها، واختلاطها بكلمة اخرى مثلا.

6 ـ تصريف الكلمة وتحديد نوعها من اقسام الكلام، وجمعها أو جموعها، ومصادرها والاهتمام بالسماعي والشاذ من كل ذلك بشكل خاص[65]، واشتقاقها او جمودها، وغير ذلك.

7 ـ تحديد وظيفتها النحوية ـ التركيبية: ونعني بيان اعرابها ان كانت مبنية، او تلزم حالة اعرابية واحدة، وبيان موقعها في الجملة، ان كانت تلزم موقعا محدّدا دائما، وعملها وتأثيرها في الكلمات بعدها في الجملة، ان كانت من العوامل. واللزوم والتعدي في الافعال، وتعديها بحرف او بنفسها، والملازمة للاضافة او القطع عنها في بعض الاسماء والظروف.

كل هذه المعالجات ـ على صعيد الكلمة ـ يجب ان يحتويها المعجم ويغطيها، وفق اسلوب التتبع التاريخي مستندا الى الشواهد والاقتباسات التوضيحية. ولابد من القول ان البحث يميل الى قبول كل الالفاظ التي وجدت واستخدمت فعلا، حتى لو كانت منحولة مصنوعة، او محرفة، ان استخدمت على تحريفها وحالها، ووردت على تلك الصورة المحرفة في نصوص مكتوبة، وكذلك الالفاظ العامية، وكل ما جاء في المستوى المكتوب.

---

(65) معجم اوكسفورد .OED, XXX –
ود. نصار (عن فيشر 778)، وباقي المراجع السابقة.

(66) معجم اوكسفورد .OED, XXIX –
ود. نصار (عن مشروع فيشر 779). و. Encyc. Britannica, V.5, P.720 –

ثانيا : المعاني

تشمـل هذه القضية جلاء الشرح ووضوحه وعدم الخلط فيه، اضـافـة الى تسجيل معاني الكلمات كلها، مرتبة ترتيبا منطقيا تاريخيا حسب ظهورها استنادا الى الاقتباسات والشواهد المكتوبة المتوافرة.

فيجـدر بالمعجم ان تكـون شروحه سليمة خالية من الاخطاء العلمية، او تناقض آراء العلماء السابقين واختلافاتهم حول معنى مادة معينة[67].

كما ينبغي ان تكون الشروح واضحة جلية، خالية من الابهام وسوء التفسير، كما جاء في المعجمات القديمة ـ مثلا ـ «الحمض: نبات معروف»، او عن حيوان غريب معين: حيوان معروف، او عن نبات: نبات صحراوي، أو دويبة في الارض... وما أشبه ذلك، وهذا يمثل الابهام، وقصور العرض، وهو عيب من عيوب المعجمات، لابد من تجاوزه[68].

ويقول د. أنيس في هذه القضية: «وفي الحق ان كثيرا (جدّا) من الالفـاظ في المعـاجم قد اهمل شرحها اهمالا شنيعا، فجاءت دلالتها غامضة او مبتورة، وبعدت عن الدقة التي هي من اهم صفات المعجم الجيد...»[69].

وقـد قرر فيشران المعجـمات القـديمـة قد اضطربت في شرح مدلولات الالفاظ، واتصفت بعدم الدقة في هذا الشرح، كما اختلف اصحاب تلك المعاجم في مدلولات كثير من الالفاظ، مما ادّى الى سوء الفهم لكثير من النصوص[70].

---

(67) الشدياق / 3، د. الخطيب 74، 75، 98، د. عمر 191، د. درويش 159، د. يعقوب 185، د. الطيب 511، أ.الخطيب (من قضايا المعجمية المعاصرة) 606 وما بعدها.

(68) د. نصار 758 ـ 759، د. عمر 117، 192، د. يعقوب 185، د. عبد الرحمان 94، وغيرها.

(69) د. أنيس/دلالة الألفاظ 249 ـ 250.

(70) نفسه 249.

وحـــول هذه الـقضية، لابـــد من ان تكـــون شروح المعجم وايضاحاته خالية من الغموض او الابهام او اللبس او الخطأ، اذ انّ وظيفتـه ـ أساسا ـ هي الجلاء والوضوح، فالمعجم هو الكتاب الذي أزيلت العجمة فيه، وذهب الخفاء منه[71].

وحريّ ان نتمسك بالتناظر والمماثلة في الشرح، فحينما نشرح اسم يوم من ايام الاسبوع او اسم شهر من شهور السنة مثلا، ان نشرح بقية الاسماء المماثلة.

وعلينا ان نستعين بالصور والرسومات المساعدة المعبرة كلما كان ذلـك ضروريا مقبـولا، وان تكـون لغـة الشرح سهلة، وان نستعين بالشواهد والاقتباسات لتوضيح المعنى المقصود، والعناية بشرح المعنى المعجمي بطريقة منطقية، ولعل الطريقة المثالية هي استخدام طريقة تعريف اللغة باللغة، ولكن هذه الطريقة ليست متاحة دائما للاستخدام العام، فيمكن إنشاء ألفاظ خاصة مناسبة للتعريفات، ولابد ان تدور هذه الالفاظ حول مصطلحات غير معروفة[72].

ولابد من العناية بالمترادفات في شرح معاني الكلمات، لما لها من فائدة تهم الباحث والقارىء والكاتب، على ان تعطى امثلة توضح الى اي مدى ترادف الكلمـة مرادفتها، وفي أيّ معنى تلمح الى شيء ما مختلف. . . على ان تكـون الكلمـة الشـارحة المرادفة اوضح، واكثر شيوعا واستخداما من الكلمة المشروحة[73].

وقد علّل وبستر (Webster) العناية بذكر المترادفات: «بأنه يريد ان يبين الفروق بين المترادفات في الاستعمال، حتى يحسن الكاتب وضع كلماته واستعمالها»[74].

---

(71) د. فاخر 6.

(72) Encyc . Brit., V.5, P. 720 -

(73) Collier's Encyc., V.8, P. 193 -

(74) عن د. نصار 775.

كما علل ثورندايك (Thorndike) في قاموسه هذه الاهمية أيضـا : «بأن بعض الكتاب او المتكلمين مضطرون الى الاكثار من استعمال لفظ معين، فيصبح مملولا، ويجمل ان يستبدل به غيره»[75].

أمـا عن المعـاني : فلابـد من ان تسجـل المعـاجم المعنى في الاستعمال الجاري، مستندة الى الاقتباسات والشواهد، كما تسجل كل المعاني التي عرفت لكلمة معينة، وان ترتبها ترتيبا مناسبا.

وفي هذا المجـال جاء في موسـوعة كولير (Collier) : «ان معظم المعجميين يوافقون على ان المعاجم لا تقرر المعنى الحقيقي للكلمات ولكنها تسجل الاستعمال الجاري فكلمات جديدة تبتكر وكلمات قديمة تكتسب دلالات جديدة، فكـما في معجم 1970م العـامي، جاء تعـريف (معنى) «heavy» مهم او خطير. لذلـك، فان المهم لوظيفة المعجم ان يسجل التغيرات او الاضافات في المعنى»[76].

وقد المح د. أنيس الى هذه القضية بقوله: «. . . وتقتنع كل لغة بذلك الفهم التقريبي للدلالات، ويقنع معها اللغوي عادة، بما يشيع بين الناس من دلالات قاصرة، فيصنع معجمه ويفسر ألفاظه على قدر فهم جمهور الناس لها»[77].

ويؤكد هذا المعنى في موضع آخر ويوضحه، بقوله: «ومع قدر من هذا التسـامح والتنازل، يستطيع اللغوي ان يحدد الدلالات في معجمه، وان يقول ان لفظ كذا مدلوله في اللغة العربية مثلا هو كذا، دون التعرض لقوة هذه الدلالة او ضعفها، ودون الاشارة الى وضوحها او ابهامها، لان مرجع كل هذا الى الافراد وتجاربهم المختلفة»[78].

وفي هذا المجـال، ينبغي للمعجم العربي التاريخي المنشود ان

---

(75) نفسه.

(76) Collier's Encyc., V.8, P, 193. -

(77) د. أنيس/دلالة الألفاظ (ط 3) ـ ص 103.

(78) نفسه 105.

يتتبع المعاني المختلفة للكلمة زمنيا، وان يرصدها معتمدا على الشواهد والاقتباسات المكتوبة، وان يسجل كل تغير أو إضافة أو نقص في المعنى بين عصر و آخر، أو استخدام وآخر، وان يعرضها مرتبة وفق طريقة منطقية مقبولة.

ويميل كثير من الباحثين الى ان تكون المعاني الحقيقية اولا، وتتبعها المعاني المجازية، ويراعى ايضا ان يدون المعنى الشائع العام قبل المعنى الخاص، لأن الشائع هو الأكثر استخداما، ويعني جمهور الناس أكثر من الآخر.

وأن تدوّن المعاني الحسية القريبة قبل العقلية المجردة[79].

وجاء في مقدمة أوكسفورد التاريخي (OED) ان النظام الذي تطورت وفقه هذه المعاني، هو اهم الحقائق في تأريخ الكلمة، ولكن كشفه وابداءه يتطلبان أشق الواجبات في المعجم الذي يهدف الى اعطاء هذا التاريخ. فلو كانت التدوينات التاريخية كاملة - اي لو امتلكنا امثلة مكتوبة لجميع الاستعمالات لكل كلمة منذ بداية وجودها - لأمكن لهذه المعاني كشف تطور معقول او منطقي، فالسجل التاريخي ليس كافيا ليقدم هذا، لكنه كاف ليمكننا من تخمين النظام الحقيقي[80].

ويجب التنبه الى معاني الكلمات المعربة او الدخيلة، وتطور هذه المعاني في لغتها الاصلية، وتطورها في العربية بعد تعريبها او دخولها، اذ قد يسجل اختلاف بين معانيها في الاستخدامين واللغتين - الاصلية والعربية -. وجاء في الموسوعة البريطانية ان مهمة المعجمي صعبة في تحديد دلالات المعاني المختلفة، وكيفية ترتيبها، فثم منهج التطور التاريخي في تتبع تطور المعاني المختلفة للكلمة، ويتطلب تتبعا لتطور المفاهيم عبر العصور، وهي مهمة صعبة.

---

(79) موسوعة كولير 8/193، فيشر (عن د. نصار - 779)، د. يعقوب 185، 186، د. الطيب 511، أ. الخطيب 625.

(80) OED, P.XXXI. -

وهناك منهج يقوم على الطريقة الاحصائية للدلالات، اذ تسجل المعاني الاكثر شيوعا واستخداما أولا.

وثم منهج ثالث، هو منهج التطور المنطقي للمعاني اذ غالبا ما يكون للمفردة معنى حقيقي، تطورت عنه المعاني المجازية الاخرى، وقد اتبع محررو معجم أوكسفورد هذا المنهج [81]، وهو مناسب ومفيد في تتبع تطور المعاني والمفاهيم.

وينبغي للمعجمي ان يتنبه الى ضوابط استخدام الكلمات في معجمه (Usage Labels)، اذ إن هناك تنوعا في استعمال اللغة في ابعادها المختلفة المتعددة: كالبعد الزمني، والجغرافي، او الثقافي، او الاجتماعي... وغيرها ولا يمكن - وفق هذه الابعاد - اعطاء حكم صحيح تماما في دلالات اللغة وان أولئك الذين يعمدون الى الحسم في قراراتهم لا يدركون كيف تعمل اللغة[82].

وهنا تبرز أهمية السياقات والشواهد والاقتباسات في توضيح دلالة المعنى، فيجب ان نفسح المجال لهذه السياقات لنفهم معنى الكلمة المراد من الامثلة التوضيحية المصاحبة.

وثم قضية اخيرة في باب الشرح والمعنى حول المعاني المجازية للكلمة، وقد اثارها د. عمر في نقده شرح الزمخشري في «أساس البلاغة»، اذ قال: «إنه ثبت المعاني الحقيقية والاخرى المجازية، مع ان المجاز والحقيقة في حركة دائبة، ويتبادلان مراكزهما»[83].

فماذا قصد الدكتور بتبادل المراكز؟ فهل يكون المعنى الآن مجازيا، ثم ينتقل بعد مدة ليصبح حقيقيا؟ او: هل يكون مجازيا لدى فئة او طبقة، ويكون حقيقيا في الوقت نفسه لدى فئة او طبقة اخرى.

أقول: لعل التسلسل التاريخي في تتبع المعاني وتدوينها من

---

(81) Encycpaedia Britannica, V.5, P.720. -

(82) نفسه 721.

(83) د. عمر/145.

نصوصها وسياقاتها يحل هذه الأشكالية.

وجاء في الموسوعة البريطانية ما قد يكون قريبا مما تقدم وهو: «أن المعجمي يصنف الاقتباسات في مجموعات بناء على ما بينها من اوجه شبه او اختلاف، ومن الممكن ان يسقط من الاعتبار الامثلة التي تعبر عن معان انتقالية - غير مستقرة - كالمعاني المجازية، فهي تشكل تعقيدات للعلاقات القائمة بين المفردات ومعانيها»(84).

ولابد من الافادة في هذا المجال بالدراسات اللسانية الحديثة التي توصل اليها في علم المعنى، ووجهات النظر في المعنى المعجمي والمعنى السياقي وغيرها لمفردات اللغة.

ثالثا : الاقتباسات والشواهد

قد يكون هذا الجانب من محتوى المعجم المنشود اخطر الجوانب فهي روح العمل، اذ انها تبين صورة الكلمة وصيغتها التي كانت شائعة، وما طرأ عليها من تغير خلال القرون. كما تظهر عمر الكلمة بشكل عام، وعمر معانيها المختلفة بشكل خاص، والكلمات والمعاني المهجورة المماتة، ومتى هجرت - على وجه التقريب - ومتى تم احياؤها، او اكسابها معنى مختلفا، ان حدث ذلك.

وينبغي ان ترتب الاقتباسات ترتيبا زمنيا، يتفق وترتيب المعاني للكلمة او العبارة الواحدة، وان يحفظ رسم الكلمة - صورتها - كما وردت في كل اقتباس، لانها تمثل جانبا من ثقافة العصر ومعرفته.

ويجب الا ينسى ان هذه الاقتباسات ليست مجرد امثلة توضيحية، بل توضح اصل الكلمة واول معانيها، واختلافهما التدريجي الزمني.

وللمحافظة على حجم معقول للمعجم ضمن حدود عملية، يجب الاقتصار في الاقتباسات على اقل قدر مختار وممثل للغاية من المادة

---

(84) - Encyc. Brit. V.5, P. 720.

المجموعة، وان تكون هذه الاقتباسات موجزة قدر الامكان، ويمكن احالة القارىء لمعرفة السياق الكامل وفهمه على الكتاب او العمل الذي اقتبسنا منه، لذا فمن الضروري الاشارة الى اسم الكاتب والكتاب والطبعة وتاريخ النشر، ورقم الصفحة والسطر او البيت، في نهاية كل اقتباس بدقة متناهية.

وعلينا ان نحرص على الاقتباس من الطبعات الاولى والاقدم لكل كتاب، لانها قد تحفظ لنا صورة الكلمة كما جاءت عن صاحبها[85].

ولابد ان تتسع مراجع المعجم التي يقتبس منها، لتمثل كل مراحل وجود اللغة المكتوبة ومستوياتها المختلفة، منذ بدء التدوين في لغة النقوش المحققة الموثقة حتى الآن.

وتؤكد جميع الدراسات الحديثة أهمية السياق والاقتباسات في توضيح معنى الكلمة، فقد ذكر كريستال «أن اللغة تستمد معناها الى حد كبير من خلال استعمالها في مواقف الحياة الواقعية، اذ ان اللغة ليس لها وجود مستقل عن الذين يستعملونها، ومواضع تلك الاستعمالات، فنحن نقرأ المعاني المستقرة في الجمل والكلمات بالنظر الى كيفية استعمالها. وان مجموعة متعاقبة من الاصوات تظل بلا معنى حتى نرى كيف يستعملها الناس، ومدى صلتها ببعض جوانب تجربتنا في الحياة»[86].

وتأكيدا لخطورة الاقتباسات ـ الشواهد التوضيحية ـ في المعجمة، فقد خصصت لها الموسوعة البريطانية عنوانا مستقلا، وذكرت انه لا يجوز للمعجمي ان يكتفي بالنقل عن المعاجم الاكثر قدما، ويجدر ان تمثل الاقتباسات اقدم اقتباس واحدثه حول كلمة معينة او معنى معيّن،

(85) انظر في ذلك كلّه معجم أوكسفورد التاريخي/الايضاحات العامة في المقدمة ص XXXII

(86) كريستال/التعريف بعلم اللغة ـ ترجمة د. خليل ـ ص 145 ـ 146.

ليتضح من خلالها موت بعض الكلمات او استمرارها في الاستعمال، ومن الخطأ الاقتصار في الاقتباسات على كبار الكتاب، اذ غالبا ما تكون استعمالات الكتاب العاديين او الانسان العادي ادل على حقيقة معنى الكلمة.

ويمكن الافادة من هذه الاقتباسات في دراسات لغوية واجتماعية وتاريخية وتربوية مختلفة، فهي لها اغراض تفوق توضيح معنى الكلمة، وهي تشكل الادلة الاساسية التي تمكن من الوصول الى النتائج الصحيحة(87).

ويجب ان يختلف الغرض من استخدام الشواهد والاقتباسات عنه في المعاجم القديمة. فغرض القدماء كان التعبير والحكم بالصحة او الخطأ اما غرضنا هنا فجلاء المعنى ووصفه، ووصف صورة الكلمة وصيغتها واستخدامها، ولا يهمنا التعيير، بل الوصف هو هدفنا من هذه الشواهد، واستشفاف بعض المعلومات الاضافية.

وعلينا ان نحرص على الشواهد الدقيقة الصحيحة الموثقة، والاقتصار على محل الشاهد والضروري من التركيب الذي يفصح عن معناه، وعدم تكرير ذكره، او ذكر ما قبله وما بعده من الابيات، لئلا يؤدي هذا الى تضخم غير مطلوب في المعجم(88).

وقد أكدت موسوعة كولير هذه الخطورة للاقتباسات والشواهد، فخصصت عنوانا مستقلا ايضا، اطلقت عليه «ملف الاستشهاد ـ الشواهد (الاقتباسات)»(89)، جاء فيه: «ان دم الحياة لأي مشروع معجمي موثوق وعميق هو ملف شواهده، الذي يساعد المعجميين في تقرير درجة سيرة اي مصطلح ومعناه وتهجئته، وبخاصة المصطلحات الجديدة، او المعاني الجديدة التي ألحقت بالمصطلحات المستحدثة.

---

(87) – Encyc. Brit. V.5, P. 721.

(88) د. الطيب 513.

(89) – Collier's Encyc. V. 14, P. 534. (Lexicography).

. . . ويجمع هذا الملف فريق من القراء المدربين، الذين يتابعون الصحف والمجلات والدوريات العلمية بانتظام، والكتب القديمة من كل التخصصات، والفهارس والمواد المطبوعة. . . ومثل هذه الشواهد تساعد المعجمي في تقرير حالة الاستعمال، بتنوّع المقام (البيئة) الذي وجدت فيه».

كما تنبه الى أهمية الشواهد ـ الاقتباسات ـ في العمل المعجمي كل الدارسين والباحثين، عربا كانوا او أجانب، وقرروا ان المعجمة السليمة في جوانبها المختلفة في اي معجم شامل كبير لابد ان تقوم على الشواهد[90].

والمعجمة الحديثة تقوم على جمع اكبر عدد من الشواهد من كل المستويات المدونة، وكلنا يعلم ان معجم أوكسفورد (OED) جُمِعَ له ما يقرب من خمسة ملايين اقتباس، وضمن فعليا ما يقرب من مليونين.

ولعل ما أورده الاستاذ احمد شفيق الخطيب في بحثه «من قضايا المعجمة المعاصرة» ان فيشر جمع (575) مثلا على استخدام لفظة (كل)، و(578) مثلا بعده لفظ (كان)، و(17700) احالة على الاخطل وحده، وان مشروع المعجم الذي يعده المركز القومي الفرنسي (نانسي) قد جمع له في عشر سنين اكثر من (250) مليون شاهد[91]، لعل هذا يؤكد لنا ان المعالجة الحديثة تقوم على الشواهد ـ الاقتباسات ـ لما لها من شأن على مستوى الكلمة بكل جوانبها، والشرح، والمعاني والدلالات.

وأخيرا، لابد من ترتيب محتويات المعجم التاريخي العربي ترتيبا مقبولا، ونرى ان هذا الترتيب على مستويين:

---

(90) فيشر (عن د. نصار 778، وعن د. درويش 138 وما بعدها، وعن د. عمر 200)، ود. نصار 765، 777، د. يعقوب 181، 186، د. الطيب 512 – 513، أ. الخطيب 618 وما بعدها.

(91) أ. الخطيب (في المجمعية العربية المعاصرة) 621.

أ ـ مستوى ترتيب المواد والمداخل (الترتيب الخارجي): يحسن ان ترتب مواد المعجم ألفبائيا بعد تجريد الكلمة وردها الى اصولها لنحفظ تجميع مفـردات الاسرة اللغـوية الواحدة، بوضع مشتقات الجذر كلها تحته ولنتمكن من لمح العـلاقة القائمة بين المفردات الشقيقة ذات الاصل الواحد، على مستوى الصيغة ـ الصورة ـ وعلى مستوى المعنى.

ب ـ ترتيب المشتقات تحت المادة الواحدة (الترتيب الداخلي):

لعل الترتيب الذي أشار اليه فيشر في مشروعه مناسب، بأن يبدأ في المادة بايراد الفعل المجرد، ثم المزيد بحرف، وحرفين، وثلاثة، ثم وضّح ترتيب هذه الافعال حسب حركات عينها وصيغها، ثم ذكر ترتيب الاسماء، بأن تقع بعد الأفعال، مشتقة كانت او جامدة، ونرتبها ايضا، حسب النظام الذي اتبعناه في الافعال، فنذكر المجرد أوّلا، ويتبعه المزيد...[92].

ويجب أن يعني بالترتيب على مستوييه لما له من فائدة وأهمية، في حفظ وقت الباحث الذي يعود الى المعجم، وفي ضبط عملية الرصد والتسجيل، فلا نضيع شيئا من المادة اللغوية، ويكشف عن العلاقة بين مشتقات المادة الواحدة.

بعـد عرض ابرز القضايا على مستوى مفهوم المعجم التاريخي العربي المنشود، ووظيفته، ومحتواه، لابد من التنبه لبعض المسائل ذات العلاقة والتنبيه عليها، ومن ابرزها.

ـ ان في نفوس افراد المجتمع موقفا اصيلا راسخا يميل الى المحافظة على لغتهم وخـدمتها، اذ توجد نظرة أفلاطونية لدى الناس، ترى ان ثمّ شكلا قديما مثاليا للغة ابتعد عنه الافراد، فهم يعتقدون ان المعاجم ستُقرّبهم من تلك اللغة المثالية القديمة الكامنة، وان هناك لدى الأفراد رغبة قوية ان يكون الفرد منهم على يقين، وانه يبحث عن مرشد بين

---

(92) مشروع فيشر (عن د. درويش) 143.

الاشكال اللغوية المحتملة، ولكل هذا الاعتبارات، يرحب الناس بتلك القوى المسيطرة للمعاجم[93]. وهذا يؤكد مكانة المعجم في نفوس الناس، مما يشجع على صناعة المعاجم وبذل الجهود فيها.

- وضع خطة واضحة سهلة - قدر الامكان - يسير العمل بموجبها، على ان يكون منهج هذا العمل وصفيا، يسجل كل ما جرى في الاستعمال العام، وضرورة التزام الخطة بدقة متناهية في كل مراحل العمل، لئلا نقع في ما وقع فيه غيرنا من المعجميين القدماء والمحدثين[94]، على مستوى جمع المادة وتصنيفها وشرحها وترتيبها وإخرجها.

كما أن إعطاء خطوات العمل والتنفيذ اهتماما شديدا وحرصا بالغا امر حيوي للغاية، فالتنظير سهل ميسور، ونحن - معا - قادرون عليه، اما خطورة الزلل او النقص او الخلط فعلى صعيد التنفيذ والعمل.

- العناية بالاخراج وما يتصل به من نواح فنية وعملية[95]، كالطباعة، وحجم الحرف المستخدم وشكله، في المداخل، ومشتقاتها، ورسمها، والمعاني، والشواهد. وعلامات الترقيم الملائمة الهادية، والرموز والأرقام والاصطلاحات والمختصرات ودقتها. ونوع الورق وحجمه (قطعه)، وعدد الاعمدة في كل صحيفة وتنسيقها، وتنظيم الفقرات وبدايات السطور، ودقة الاحالات، وقضية الرسوم والصور التوضيحية ودقتها - كلما كانت ضرورية - بعد مناقشة القضية من اصلها، والقناعة بمناسبتها لهذا المعجم. ولنتذكر في هذا الصدد ان صناعة المعاجم (Lexicography) علم وفن في وقت واحد.

---

(93) - Encyclopaedia Britannica, V.5, P. 721.

(94) د. نصار 750 - 751، د. الخطيب 65 - 73، د. درويش 150، د. عمر 190، د. القاسمي/ترتيب مداخل المعجم (اللسان العربي) ص 14، د. يعقوب 180.

(95) انظر على سبيل المثال: د. نصار 749 - 750، د. الطيب 519، د. يعقوب 184، 186، 187.

- ضرورة ان يكون المعجم دائما على مستوى المعاصرة، حتى يبقى عصريا، ملائما لعصره وتطوره، منذ تصنيفه، ومستقبلا. وقد أشارت الى خطورة هذه القضية موسوعة كولير (Collier's Encyclopedia)[96]، ويمكن تحقيق ذلك بإصدار ملحق للتنقيح والزيادة والاستدراك كل عشر سنين مثلا، تتولى ذلك لجنة مختصة، ويتم ذلك باستدراك كل لفظة تستحدث، او معنى يستجد، أو تطور على أي مستوى في محتويات المعجم. ولنا أسوة حسنة في تحديث الموسوعات، وكما فعل الانجليز بمعجم أوكسفورد الذي صدر له حتى الآن أربعة ملاحق تقع في (4531) صحيفة.

- عدم الخلط بين وظيفة المعجم ووظيفة الموسوعة في المراحل التنفيذية، اذ إن بينهما تداخلا طفيفا، وبخاصة ان كان المعجم كبيرا طموحا شاملا، وقد فرّقت الموسوعة البريطانية ود. نصار بينهما، فالمعجم لشرح الكلمات، والموسوعة لوصف الاشياء. ولكون الكلمات تشير الى أشياء، او تكتشف فائدتها من الاشارة الى الاشياء، يصبح من الصعب تصنيف معجم دون اهتمام بالاشياء، لكن يجدر التنبه - هنا - الى ان المعجم لا يصف من الاشياء الا ما لابد منه، إبرازا لدلالة اللفظ واستعمالاته، كذلك فان مفردات النوعين مختلفة، فالمعجم يحتوي اصناف الكلام جميعها، من اسماء وأفعال وحروف، ولا يعنى الا بما ينتمي الى اللغة المؤلف لها. اما الموسوعات فتعنى بالاسماء الخاصة وحدها، اي اسماء الاشياء والاعمال، دون ان تتقيد بلغة معينة. ويتصور البحث ان هكذا معجما شاملا هو موسوعة لغوية، يقدم كل شيء عن الكلمة واللغة، بينما تقدم الموسوعة معلومات عن الاشياء والاسماء والاحداث.

---

(96) Collier's Encyclopedia, V.8, P. 193. -

(97) Encyclopaedia Britannica, V.5, P. 713. -

ود. نصار 770.

- وثم مسألةتناولها كثير من الباحثين، وهي ظاهرة التضخم في المعاجم، وينبغي القول انه يجب ألا تؤرقنا هذه الظاهرة، مادام المعجم لم يخرج عن وظيفته وغرضه، واللغة الواسعة الثرية سيكون معجمها الشامل التاريخي بالضرورة ضخما واسعا، ويتوقع البحث لهذا المعجم ان يزيد على خمسة وعشرين ألفا أو ثلاثين ألفا من الصفحات في طبعته الاولى، ان أردناه وافيا شاملا، «فالتمام او الكمال مهم للغاية، والصنف الأكثر كمالا من المعجمات هو المطول غيرالمختصر»[98]، ولكن من الضروري ان يبقى الاقتصاد في الحجم والضخامة نصب اعيننا دائما.

- أن يكون العمل جماعيا تعاونيا نشطا في الوقت نفسه، حرصا على الوقت الذي سيستغرقه المشروع، وان يبقى الحماس والنشاط وحفز الهمم مستمرا، لئلا نتوقف او نتعطل، لا سمح الله.

ومما يجدر ذكره، اننا مهما خططنا وتحوطنا بالدرس والمناقشة والاستذكار، فلابد من ان تبرز مشكلات وعقبات خلال العمل لم نتوقعها من قبل، فيجب ان نتوقع هذا ونتقبله، وان نكون على استعداد لمواجهته برحابة صدر وصبر، وبلا ضجر او ضيق لان هذا عمل ضخم واسع، والمشاركون كثيرون ومختلفون، وستكون هذه المشكلات متنوعة، على مستوى جمع المادة وحصرها، وتصنيف الكلمات، والمعاني، والشواهد - الاقتباسات - وغيرها. وهنا يبرز دور المعجمي المحنك الناجح والخبير، في التصدي لها بسرعة خاطر وبديهة، ووضع الحلول الناجعة السّليمة.

وفي الختام، فأنا وأنتم، كلنا ندرك اننا مقدمون على عمل كبير عملاق جبار، ولكنكم كبار، وهممكم عالية، والعمل الكبير لا يقدم عليه او يقوى عليه الاّ كبار، والواجب الضخم يسهل ويهون امام الهمم العالية.

وأنتم جديرون بهذا المشروع، ومعكم اخوانكم، وهم ألوف من

---

(98) - Collier's Encyclopedia, V.8, P. 193.

المختصين والمعنيين، اضافة الى ألوف كثيرة، وربما الملايين، من المثقفين والمهتمين في أمتكم، فأنتم أحفاد الخليل وابن منظور والزبيدي، والعمل سيكون مجدا للجميع.

وان كان مشروع معجم أوكسفورد الجبار، قد بدأ - أساسا - بمبادرة من شخص واحد، هو (F.J. Furnivall) فكلكم وكلنا فيرنيفال، ولدينا غيرة وحرص على لغتنا أكثر من غيرته على لغته، ولغتنا - لغة رسالة السماء وشريعتها - اجدر ان يكون لها، وفي خدمتها، اعظم معجم عرفته البشرية، يتجاوز معجم أوكسفورد وأمثاله، حتى نعيد مجدنا السالف في هذا المجال.

وأرى هذا الأمر متطلبا وواجبا قوميا وحضاريا، لا يحتمل التسويف والتأجيل، فالسنون تمر وتمضي، ومهما طال عمر هذا المشروع العملاق، فالسنون ليست مهمة في عمر الأمم والشعوب.

فالحاجة ملحة، والظروف مواتية، والقدرات البشرية والمادية يمكن توفيرها بسهولة، ولن تكون عائقا ان شاء الله. ورحلة الألف ميل تبدأ بخطوة.

فهل نطمع ان تكون جمعيتكم - جمعيتنا كلنا - «جمعية المعجمة العربية بتونس» العظيمة، هذه الجمعية الفتية بعمرها، الركينة المكينة بكم، هل نطمع ان يكون لها الشرف في تحمل مسؤولية القيام بهذا العمل العظيم والبدء بتنفيذه، كما كان لها شرف المبادرة بالدعوة اليه، وبذلك تدخل التاريخ، كما دخلته غيرها، فتوكلوا على الله سبحانه، ولنعلق الجرس.

د. علي توفيق الحمد
كلية الآداب / جامعة اليرموك / الأردن
وكلية التربية / جامعة الملك سعود
فرع أبها - السعودية
(غرة ربيع الثاني 1409 هـ)
(10 من نوفمبر 1988 م)

دراسة تقنية مقارنة لمعاجم
الصحاح ولسان العرب وتاج العروس

بحث : الدكتور علي حلمي موسى
رئيس قسم الفيزياء بكلية العلوم
جامعة عين شمس

مقدمــة :

سبق ان تمت دراسات تقنية احصائية لجذور اللغة العربية المدونة في معـاجم الصحاح[1] ولسان العرب[2] وتاج العروس[3]. واحتوت تلك الـدراسات على جدوال احصائية عديدة تتضمن اعداد الجذور والعـلاقـات بين الحروف التي تتركب منها الجذور ونسبة شيوع تلك الحروف ودرجة تتابعها وغير ذلك من المعلومات الاحصائية. وقد أمكن

---

(1) ـ دراسة احصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكومبيوتر ـ الدكتور علي حلمي موسى – مطبوعات جامعة الكويت رقم 33؛ 1973.

(2) ـ احصائية جذور معجم لسان العرب باستخدام الكومبيوتر ـ الدكتور علي حلمي موسى ـ مطبوعات جامعة الكويت رقم 19 لسنة 1972.

3 ـ دراسة احصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكومبيوتر ـ الدكتور علي حلمي موسى ـ والدكتور عبد الصبور شاهين ـ مطبوعات جامعة الكويت رقم 32 لسنة 1973.

الحصول على هذه المعلومات الهامة بأستخدام الحاسوب.

وفي هذا المقـال تتم مقـارنـة بيانات جذور تلك المعاجم وعلى الاخص الجذور الثلاثية.

التعريف بالمعاجم:

1) **معجم الصحاح**: وضعه اسماعيل بن حماد الجوهرى باسم «تاج اللغة وصحاح العربية» وعرف بعد ذلك بالصحاح. والمؤلف من بلاد الترك وقد سعى الى الحجاز حتى يقابل عرب البادية ويأخذ عنهم اللغـة ثم عاد الى خراسان وفي مدينة نيسابور صنف كتاب الصحاح وتوفى عام (370 هـ).

2) **معجم لسان العرب**: وضعه ابو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم بن منظور الافريقي المصري الانصاري الخزرجي. ولد في المحرم سنة 630 هـ وتوفى سنة 711 هـ وألف معجم لسان العرب سنة 681 هـ. واعتمد في جمع مواد اللغة على عدد من المعاجم التي سبقته مثل الصحاح وتهذيب اللغة والمحكم وغيرها.

وقـد وضـع ابن منظور مقدمة لموسوعته اللغوية أشار فيها الى خصـائص الحروف من حيث كثرة شيوعها فيكون بذلك أول معجم يشير الى أهمية الاحصاء اللغوي وقد قسم الحروف الى ثلاثة أقسام من حيث درجة شيوعها.

3) **معجم تاج العروس**: وضعه السيد محمد مرتضى الزبيدي الذي توفي عام 1205 هـ وكان يهدف الى شرح القاموس المحيط الذي وضعه مجد الدين الفيروزبادي والذي توفي سنة 817 هـ ولكنه استطرد الى جمع مواد اللغة من أمهات الكتب مثل معاجم اللغة وكتب الطبقات والقراءات والنوادر والاشعار وغيرها حيث بلغ عددها 116 مصدرا.

الترتيب التاريخي للمعاجم:

مما سبق نلاحظ ان معجم الصحاح يسبق لسان العرب تاريخيا

بحوالي ثلاثمائة سنة والاخير يسبق معجم تاج العروس بحوالي خمسائة سنة كما ان معجم تاج العروس يسبق عصرنا الحاضر بحوالي مائتي سنة، وبالتالي يظهر لنا ان التسلسل التاريخي للمعاجم الثلاثة يغطي المساحة الزمنية منذ هجرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حتى وقتنا الحالي على مراحل توضح تطور الفكر اللغوي وكثافة المواد اللغوية.

وقد يبدو هذا واضحا جليا من مقارنة اعداد الجذور المدونة في المعاجم الثلاثة طبقا للاحصاء الذي تم على الحاسوب.

جـــدول رقـم (1)
اعداد الجذور المدونه في المعاجم

المعجم	سنة التأليف	الجذور الثلاثية	الجذور الرباعية	الجذور الخماسية	المجموع
الصحاح	حوالي 360 هـ	4814	766	38	5618
لسان العرب	681 هـ	6538	2548	187	9273
تاج العروس	حوالي 1200 هـ	7597	4081	300	11978

مقارنة بيانات اعداد الجذور:

يتضح من بيانات الجدول رقم (1) أن اعداد جذور معجم تاج العروس تزيد كثيرا على أعداد جذور لسان العرب والتي بدورها تزيد على أعداد جذور الصحاح، مما يوحي بأن جذور الصحاح مدونة بأكملها في معجم لسان العرب مع اضافة عدد آخر من الجذور، وكذا جذور لسان العرب مدونة بأكملها في معجم تاج العروس مع اضافة عدد من الجذور التي لم يدركها ابن منظور.

وعلى الرغم من ذلك فقد ظهر أن هذه الملاحظة غير حقيقيّة اذ توجد جذور مدونه في معجم الصحاح ولكنها غير مدونة في لسان العرب

وأخرى مدونة في الصحاح وغير مدونة في تاج العروس، كما أن هناك جذورا مدونة في لسان العرب وغير مدونة في معجم تاج العروس.

واذا قصرنا هذه الدراسة على الجذور الثلاثية لاهميتها في الاستعمالات اليومية للغة العربية فإننا نلاحظ مايلي:

أولا: الجذور الثلاثية التي وردت في معجم لسان العرب (681 هـ) ولم ترد في معجم تاج العروس (حوالي 1200 هـ) وعددها 43 وبيانها كالآتي:

أدط - بدج - تأب - تسح - تسغ - تغغ - ثغغ - ثقق - جعه - حعل - حهل - ختب - ددر - دغغ - دكض - ذحر - ذحق - ذدز - رصخ - رهأ - زعع - سيم - شأب - شلز - صعع - ضغس - ضيخ - ظبب - قهع - كسق - ليح - مبد - مذذ - نظك - نغغ - نلل - نهص - هخخ - وثث - وفص - ونش - يرف - يعع.

ثانيا: الجذور الثلاثية التي وردت في معجم الصحاح (حوالي 360 هـ) ولم ترد في معجم لسان العرب (681 هـ) عددها 23:

بخد - دهج - زكل - سغغ - صخم - صوأ - صوخ - ضبل - فآ - فعع - قنر - كعز - ككب - كهه - ليه - مغغ - ميم - نهه - نيف - نيم - هرل - ورغ - ووه.

ثالثا: الجذور الثلاثية التي وردت في معجم الصحاح ولم ترد في معجم تاج العروس عددها 18:

بخد - تأب - تغغ - ثغغ - دغغ - زعع - زكل - سغغ - شأب - صوأ - ضبل - فعع - ككب - مغغ - نغغ - نهه - نيف - ورغ.

رابعا: الجذور الثلاثية التي وردت في معجمي الصحاح ولسان العرب ولم ترد في معجم تاج العروس عددها سبعة:

تأب - تغغ - ثغغ - دغغ - زعع - شأب - نغغ.

خامسا: الجذور الثلاثية التي وردت في معجم الصحاح ولم ترد في معجمي لسان العرب وتاج العروس عددها 11:

بخد - زكل - سغغ - صوأ - ضبل - فعع - ككب - مغغ - نهه - نيف - ورغ .

احصائيات الحروف في الجذور الثلاثية :

تتبـاين الحروف العربية في طرق اشتراكها في تكوين الجذور، فبعضها يشارك في عدد كبير من الجذور والبعض الآخر يشارك في قلة من الجذور. ويمثل الجدول رقم (2) الترتيب التنازلي لحروف الجذور الثلاثية كما وردت في المعاجم الثلاثة.

جـــدول رقـــم (2)

الترتيب التنازلي للنسب المئوية لاشتراك الحروف العربية في الجـــذور الثـلائيـــة

معجم الصحاح		معجم لسان العرب		معجم تاج العروس	
الحرف	النسبة المئوية	الحرف	النسبة المئوية	الحرف	النسبة المئوية
ر	٪6.95	ر	٪7.83	ر	٪5.90
م	٪5.80	ل	٪6.20	و	٪5.89
ن	٪5.66	ن	٪6.14	ن	٪5.73
ل	٪5.57	ب	٪5.94	م	٪5.25
ب	٪5.41	م	٪5.76	ل	٪5.21
ع	٪4.71	ع	٪5.12	ب	٪5.07
ف	٪4.42	ق	٪4.66	د	٪4.13
د	٪4.15	د	٪4.51	ف	٪4.12
ق	٪4.13	ف	٪4.18	ع	٪4.08
س	٪3.97	س	٪4.08	ي	٪4.01
ح	٪3.86	ج	٪3.79	ق	٪3.84

تابع جدول رقم (2)
الترتيب التنازلي للنسب المئوية لاشتراك الحروف العربية في الجذور الثلاثية

معجم الصحاح		معجم لسان العرب		معجم تاج العروس	
الحرف	النسبة المئوية	الحرف	النسبة المئوية	الحرف	النسبة المئوية
ج	%3.52	ح	%3.60	س	%3.68
ء	%3.20	هـ	%3.38	ج	%3.66
هـ	%3.12	ش	%3.02	ش	%3.52
ك	%3.05	ك	%2.94	ح	%3.47
ش	%3.03	ط	%2.91	ك	%3.35
ز	%2.75	و	%2.80	ء	%3.32
خ	%2.68	خ	%2.76	هـ	%3.19
ط	%2.55	ز	%2.70	ط	%2.96
ص	%2.39	ء	%2.44	ز	%2.94
ت	%2.38	ت	%2.36	خ	%2.83
ث	%1.96	ص	%2.19	ت	%2.83
غ	%1.95	ث	%1.96	ص	%2.37
ض	%1.74	غ	%1.86	غ	%2.22
ذ	%1.37	أ	%1.73	ث	%2.09
ظ	%0.66	ى	%1.56	ذ	%1.78
و-ى	%9.04	ض	%1.54	ض	%1.76
		ذ	%1.43	ظ	%0.82
		ظ	%0.62		

ونستخلص من هذا الجدول بعض الملاحظات :

1 ـ حرف الراء هو أقوى الحروف الداخلية في تركيب الجذور الثلاثية في المعاجم الثلاثة.

2 ـ الحرفان (و، ي) يتم احصاؤهما في المعاجم الثلاثة بطرق مختلفة:

(أ) معجم الصحاح: لا يفرق بينهما ويردان في الجذور الثلاثية سواء داخل الجذر أو في نهايته بنسبة 04 . 9٪.

(ب) معجم لسان العرب: في داخل الجذر ترد الواو بنسبة 80 . 2٪ وترد الياء بنسبة 56 . 1٪ بينهما ترد نهاية الجذر (الالف) بنسبة 73 . 1٪.

(ج) معجم تاج العروس: يرد حرف الواو سواء داخل الجذر أو في نهايته بنسبة عالية (89 . 5٪) كما ان حرف الياء يرد في المواقع المختلفة للجذر بنسبة 01 . 4٪.

3 ـ الحروف «ر، ل، م، ن، ب» هي أكثر الحروف شيوعا في تركيب الجذور الثلاثية.

والنسب المئوية لاشتراكها في الجذور الثلاثية هي 4 . 29٪ في معجم الصحاح، 9 . 31٪ في معجم لسان العرب، 2 . 27٪ في معجم تاج العروس.

تتابعات الحروف في الجذور الثلاثية:

ومن الدراسات المهمة في نسيج الجذور العربية تتابع الحروف في الجذور التي تتباين بشكل واضح بحيث نجد بعض التتابعات ترد بكثرة في الجذور مثل تتابع حرفي الراء والباء وأخرى ترد بقلة وثالثة لا ترد مطلقا مثل حرفي القاف والجيم أو حرفي العين والحاء.

التتابعات الممنوعة:

يوضح الجدول رقم (3) التتابعات الممنوعة في الجذور الثلاثية والتي يبلغ عددها 132 في معجم الصحاح وينقص الى 85 في معجم لسان العرب ثم يقل حتى يصل الى 72 في معجم تاج العروس.

وتشترك المعاجم الثلاثة في عدم ورود 66 تتابعا في جذورها الثلاثية .

جـــدول رقـــم (3)
التتابعات الممنوعة في الجذور الثلاثية

الحرف	الحـــرف التـــالـــي		
	تاج العروس (72)	لسان العرب (85)	الصحاح (132)
أ	أ	أ-ع	أ-ع-غ
ب	ــــــ	ف	ف
ت	ظ	ص-ظ	ث-ذ-ص-ض-ط-ظ
ث	ذ-ز-س-ص-ض-ظ	ذ-ز-س-ش-ص-ض-ظ	ح-ذ-ز-س-ش-ص ض-ظ
ج	ــــــ	ــــــ	ت-ض-ط-غ-ق-ك
ح	خ-ع-غ-هـ	خ-غ	أ-خ-ع-غ-هـ
د	ت	ت-ض	ت-ذ-ز-ص-ض ط-ظ
ذ	ت-ث-د-ز-ص ض-ظ	ت-ث-ز-س-ش ص-ض-ظ-غ	ت-ث-د-ز-س ش-ص-ض-ظ-غ
ر	ــــــ	ــــــ	ــــــ
ز	ث-س-ش-ص-ض-ظ	ث-ذ-س-ش-ص ض-ظ	ث-ذ-س-ش-ص ض-ظ
س	ث-ز-ش-ص-ض	ث-ز-ش-ص-ض-ظ	ث-ز-ش-ص-ض-ظ
ش	ض	ض	ض
ص	ث-س-ش-ض-ظ	ث-ز-س-ش-ض-ظ	ث-ج-ذ-ز-س ش-ض-ط-ظ

تابع : جـــدول رقــم (3)
التتابعات الممنوعة في الجذور الثلاثية

الحرف	الحـــرف التـــالــــي		
	تاج العروس (72)	لسان العرب (85)	الصحاح (132)
ض	ش - ص	ذ - س - ش - ص	ت - ذ - س - ش - ص ظ - ق
ط	ص - ض - ظ	ذ - ص - ض - ظ	ت - ذ - ز - ص - ض ظ - ك
ظ	ت - ث - خ - د - ذ ز - س - ص - ض - غ ق - ك	ت - ث - خ - د - ذ ز - س - ش - ص - ض غ - ق	ت - ث - ج - ح - خ - د ذ - ز - س - ش - ص ض - ط - غ - ق - ك
ع	أ - ح - خ - غ	أ - ح - خ - غ	أ - ح - خ - غ
غ	أ - ح - خ - ع	أ - ح - خ - ع - ك	أ - ج - ح - خ - ظ ع - ك
ف	ــــ	ب	ب
ق	ج - ك	ج - ك	ج - غ - ك
ك	ق	ط - ق	ج - خ - ط - غ - ق
ل	ــــ	ــــ	ش
م	ب	ــــ	ب - ف
ن	ــــ	ــــ	ل
هـ	ح - خ	ح	ح - خ - غ
و	ــــ	ــــ	ــــ
ي	ــــ	ــــ	ذ

وتظهر هذه المقارنة ان هناك تتابعات لا ترد في جذور معجم تاج العروس ولكنها ترد في جذور معجم لسان العرب وهي : ح ع ـ ح هـ ـ ذ د ـ ط ك ـ م ب ـ هـ خ .

التتابعات القويـة :

يوضح الجدول رقم (4) النسب المئوية للتتابعات الاقوى في الجـذور الثـلاثية في المعاجم الثلاثة بصفة عامة وعددها عشرون تتابعا . ونلاحظ من هذا الجدول تزايد النسب المئوية للتتابعات في معجم الصحاح عنها في لسان العرب عنها في تاج العروس وذلك بسبب قلة عدد الجذور الثلاثية في معجم الصحاح عنها في لسان العرب عنها في تاج العروس .

كما نلاحظ ان هنـاك أحـد عشر حرفا فقط تكوّن حروف الثنائيات العشرين وترتيبها التنازلي على حسب مرات ورودها هو كالاتي :

ر (9) ـ ل (6) ـ م (6) ـ ب (5) ـ و (4) ـ ف (3) ـ ق (2) ـ ن (2) ـ ج (1) ـ ع (1) ـ هـ (1) .

جـــدول رقــم (4)
النسب المئوية للتتابعات القوية
في الجذور الثلاثية في المعاجم الثلاثة

التتابع	معجم الصحاح	معجم لسان العرب	معجم تاج العروس
ر ب	٪0.44	٪0.37	٪0.30
ب ر	٪0.43	٪0.34	٪0.32
ف ر	٪0.45	٪0.34	٪0.30
و ر	٪0.41	٪0.34	٪0.32
م ر	٪0.41	٪0.33	٪0.30
ن ب	٪0.38	٪0.34	٪0.30
م ل	٪0.37	٪0.33	٪0.31
ر م	٪0.38	٪0.32	٪0.30
و ق	٪0.36	٪0.33	٪0.28
ج ر	٪0.36	٪0.31	٪0.30
ل م	٪0.34	٪0.32	٪0.29
ب ل	٪0.37	٪0.31	٪0.28
ن ف	٪0.37	٪0.30	٪0.28
و ل	٪0.34	٪0.31	٪0.29
هـ م	٪0.36	٪0.30	٪0.27
ر ف	٪0.34	٪0.31	٪0.27
ع ل	٪0.32	٪0.31	٪0.27
ر ق	٪0.33	٪0.28	٪0.27
و م	٪0.24	٪0.32	٪0.29
ل ب	٪0.31	٪0.27	٪0.28

الخلاصة

أظهر البحث ان حرف الراء هو اقوى الحروف العربية اشتراكا في الجذور الثلاثية كما أوضح ان واضع المعجم لا يشترط تقيده بما جاء في المعاجم السابقة عليه. وبالاضافة الى ذلك فقد أظهر البحث تتابعات الحروف الممنوعة والمسموح بها في المعاجم الثلاثة وكذلك التتابعات كثيرة الورود.

علي حلمي موسى

المعجم العربي التاريخي
(مفهومه ـ وظيفته ـ محتواه)

بحث : د. عبد المنعم عبد الله محمد

أولا : مفهومه

وقعت مادة (ع ج م) في كلام العرب ـ كما أشار ابن جنى ـ للابهام والاخفاء، وضدّ البيان والافصاح غير أن الواقع العلمي للمصطلح ـ معجم ـ يقرر خلاف ذلك، فقد استخدم منذ بداية نشأته لكشف الغموض وإزالة الخفاء، ولا تناقض بين الامرين، إذ إن مادة (ع ج م) تختلف في البنية والنسيج اللغوي عن مادة (أ ع ج م) تلك التي صيغ منها المصطلح، حيث يقرر الصرفيون ان همزة (أفعل) تفيد السلب ـ أحيانا ـ كما تفيد الاثبات.

ومن ثم قيل : أعجمت الكتاب، أي : أزلت عجمته. . . والاعجام : هو تنقيط الحروف للتمييز بين متشابهها في الشكل نحو (ب ت ث. . .).

وعلى هذا النحو كان تفسير الآية القرآنية التي وردت في سورة طه (15) «إنّ الساعة آتية أكاد أخفيها» أي : أزيل خفاءها.

وصيغة معجم من الوجهة الصرفية «تلتقي مع تحديد الصرفيين لسمت اسم المفعول، والمصدر الميمي، واسم المكان».

امـا مصـطلح (المعجم) في عرف اللغويّين المحـدثـين فيعني «الديوان الذي يجمع بين دفتيه مفردات اللغة مرتبة وفق نظام معين، ومقرونة بضبطها وشرحها والاستشهاد عليها».

ولكن هل تلك بغية أو غاية المعجم العربي التاريخي؟

إن المعجم التاريخي يبحث عن مزية اخرى، ويتوق الى مزيد فضل، ويبدو ذلك واضحا من مسماه، فليس مجرد معجم، ومن ثم لا ينـطبق هذا المفهـوم انطباقا تاما، فما السمات المشار اليها الا ملامح المعجم اللغوي، وما نحن بصدد تحديد مفهومه دائرته أوسع، وساحته أشمل، وأفقه أرحب، فهو يعنى بالتطور التاريخي.

وفي ضوء ذلـك تبدو ملامح الحلقة المفقودة تلك التي تدور في فلك التتبع لمدلول الكلمة عبر التاريخ، بمعنى انه يعرض للفظ فيبين اصل معناه ثم يتدرج به عبر العصور مراعيا ما يعتريه من تطور لفظي، وتعدّد دلالي، وتنوع سياقي مؤيدا حركته تلك بالموفور من الشواهد على اختلاف انماطها وبيئاتها وعصورها غير معتد بقيود زمانية او مكانية معينة مستقيا مادتـه من ميدان فصحى العصر المؤرخ لدلالـة الكلمـة على ساحته، متوخيا في كل ذلك السلامة اللغوية وسمت العربية الاصيل.

ومن هذا المنطلق فان مفهوم المعجم العربي التاريخي ينبغي ان يعتمـد على دعـامتـين: إحـداهمـا ـ البحث عن اصـل معنى اللفظ والاخرى ـ مواكبة المعنى عبر العصور ويمكن في ضوء ذلك تعريف المعجم العربي التاريخي بانه «ديوان يجمع مفردات اللغة مرتبة وفق نظام معين مضبوطة ومشروحة مع مراعاة التطور الدلالي للفظ بدءا بالمعنى الحسي وتدرجا معه عبر التاريخ في ضوء الشواهد المتنوعة مع الاشارة الى مظهر التطور قدر الامكان».

ومن هنـا يدور مفهـوم هذا المعجم حول مسايرة المادة ومواكبة معناها على امتداد التاريخ ليضيف شيئا ما الى كم المعاجم الموفور بين جنبات المكتبة اللغوية العربية.

وظيفته :

تدور مادة (و ظ ف) في معاجم العربية حول إصابة الشيء وتقديره والالتزام به فيقال: وظف البعير. . . أصاب وظيفة. . . ووظف الشيء على نفسه: ألزمها إياه. . . ووظفه: عين له في كل يوم وظيفة، ووظف له الرزق: قدره. . . والوظيفة: ما يقدر من عمل او طعام او رزق او غير ذلك في زمن معين، . . . والعهد والشرط. . . ومن معانيها المولدة المنصب والخدمة المعينة.

وعلى هذا فالمقصود من وظيفة المعجم ما سيقدر له من دور، وما سيؤديه من، خدمة في المكتبة المعجمية.

ويعد من أوجب الواجبات تحديد وظيفة هذا المعجم حتى نلمح تميّزه عن اترابه، وما سيضفيه على المعجمية العربية، فينأى به عن التكرار.

وتحديد الوظيفة لمعجم ما ليس ا مرا جديدا، فقد التزم به جلّ المعجميين القدماء منذ القرن الثاني الهجري الى يومنا هذا، فالخليل بن أحمد - مثلا - وظّف معجمه في حصر الفاظ اللغة واستقصائها بطريقة تتسم بالشمول، اذ يقول في مقدمه ديوانه «بدأنا في مؤلفنا هذا بالعين، ونضم اليه ما بعده حتى نستوعب كلام العرب الواضح والغريب» العين تحقيق درويش1 / 67 .

اما ابن دريد فقد اختط لمعجمه وظيفة اخرى بدت واضحة في قوله: وإنما أعرناه هذا الاسم لأنا اخترنا له الجمهور من كلام العرب، وأرجأنا الوحشي والمستنكر «ومن ثم أطلق على معجمه الجمهرة، الجمهرة1 / 4 .

كما كان من جملة اهداف الازهري في معجمه التهذيب تنقية اللغة، ومن ثم وظف ديوانه لهذا الغرض اذ يقول في أواخر مقدمته 1 / 40 «ولم اودع كتابي هذا من كلام العرب الا ما صح لي سماعا منهم، او رواية عن ثقة، او حكاية عن خط ذي معرفة ثاقبة، اقترنت اليها معرفتي، اللهم الا حروفا وجدتها لابن دريد وابن المظفر في كتابيهما

فبينت شكي فيها، وارتيابي بها، وسترها في مواقعها من الكتاب ووقوفي فيها» وهكذا عني كل المعجميين على ساحة التصنيف المعجمي بتحديد اهـداف ومهـام ووظائف معاجمهم «بل إن جلّ المثالب والهنات التي وجّهت الى معـاجمنا القديمة كانت وليدة التناقض بين وظيفة المعجم ومنهجه، وأثر ذلك على تحقيق غاياته».

ومن ثم فإن التعرف على وظيفة ومهام معجمنا العربي التاريخي قبل الشروع في إعداده امر من الاهمية بمكان.

ولعـل من نافلة القول الاشارة الى ان وظيفة المعجم تنبثق من هدفه المبتغى له، وتنطلق من الغرض الذي يرمي اليه.

فماذا عن هدف المعجم التاريخي حتى يتسنى لنا تحديد وظيفته؟ لا ريب في ان إطلاق مصطلح «التاريخي» على معجمنا المنشود يصرح بما ينبغي ان يكون عليه من وظيفة، وما يضطلع به من أعباء، فليس الامر مجرد معجم لغوي فالمكتبة اللغوية زاخرة بالمعاجم، ولكنه معجم تاريخي.

إذن ماذا يعني مصطلح التاريخ؟

حدد المعجم الـوسيط مصـطلح التـاريخ بقوله «جملة الاحوال والاحـداث التي يمر بها كائن ما، ويصدق على الفرد والمجتمع، كما يصدق على الظواهر الطبيعية والانسانية... والتأريخ هو تسجيل هذه الاحوال».

ومن ثم فإن لهذا المعجم عنـاية خاصـة بالتأريخ للألفاظ عبر مسيرتها اللغوية على امتداد العصور، ولا ريب انها وظيفة مفقودة بين ثنايا تراثنا المعجمي، فقد انحصرت طبيعة معاجمنا اللغوية، في جمع الالفـاظ وفق شروط معينة، وترتيبها حسب نظام معين، وشرحها في ضوء تنوع سياقاتها، وضبطها... الخ.

أما هذه الوظيفة فقد أضفت على منهج المعجم مسحة من السعة والـرحـابـة، اذ يجمـع بين المناحي السابقة من جمع الألفاظ وترتيبها وضبطها وشرحها معتمدا في معالجته اللغوية على محورين: أحدهما ـ

تأصيلي، والآخر - تطوري، اما التأصيلي فيبدو واضحا في معالجة اللفظ بين ثنايا المعجم التاريخي، حيث البحث في اصل اللفظ لتبيان هويته او كنهه، عربي أم غير عربي... وهكذا ثم يأتي دور المحور الثاني التطوري حيث البحث عن اصل معنى اللفظ مع تتبع مراحل تطوره عبر العصور.

إن المعجم التاريخي في ضوء هذه الوظيفة ينبغي ان يجمع بين طبيعة نمطين من أنماط المعجم العربي الحديث، التأصيلية والتطورية، كما انه لن يحصر نفسه في بيئة بعينها او بين اسوار زمن يعينه، بل سيتتبع معنى الكلمة عبر تاريخها بعد تأصيلها، ليحقق وظيفة قدّرت له، وصار ملتزما بإنجازها، ولا ضير في ذلك إذ أن مقتضيات اسسه تحتم هذا المسلك. وقد ألّف المجمعيون في القاهرة معاجمهم المتنوعة وفق هذا الاساس مشيرين الى ذلك في مقدماتها، فالمعجم الكبير- مثلا - يهدف الى تدوين الثروة اللغوية دون التقيد بعصور الاحتجاج مع العناية بابراز التطور التاريخي عبر العصور اذ أريد له ان يكون ديوانا عاما للغة جامعا شواردها وغريبها، مبينا أطوار كلماتها، وما طرأ على بعضها من توسّع في الاشتقاق، أو تغير في المعنى في عصور اللغة المختلفة.

بل إن المعجم الوسيط تغنى في مقدمته بكسر الحدود الزمانية والمكانية في ضوء هدف أراد تحقيقه يكمن في «إثبات ما وضع المولدون والمحدثون في الاقطار العربية من الكلمات والمصطلحات والتراكيب» ومن ثم «فتح باب الوضع للمحدثين شأنهم في ذلك شأن القدماء سواء بسواء، وعمم القياس فيما لم يقس من قبل واقر كثيرا من الالفاظ المولدة والمعرّبة الحديثة، وشدد في هجر الحوشي والغريب» (مقدمة الوسيط).

ومن هذا المنطلق فإني ارى ان وظيفة هذا المعجم ينبغي ألّا تكون معيارية، او تعليمية، فلهذه وتلك معاجمها الموفورة، اذ تهدف المعاجم المعيارية الى تبيان الكلمة الصحيحة مرشدة الى كتابتها ونطقها ودلالتها، كما تقدم التعليمية المادة اللغوية التي تتناسب مع المستوى

الثقافي لمستخدميها، مع كمّ موفور من المصطلحات العلمية والالفاظ الحضارية التي تواكب ظروف العصر ومقتضياته.

غير ان طبيعة هذا المعجم ـ كما يبدو لي ـ تتطلب المزيد من الثقافة، وتهفو الى السعة في المادة والمعالجة، اما عن المادة فقد تضم بين جنباتها شيئا من نمطية الالفاظ المتروكة والنادرة والغريبة تلك التي يتجنبها المعجم الحديث، اذ قد يستفاد بها في الوقوف على التطور المادي او المعنوي للفظ، اما المعالجة فسيغلب عليها الطابع الدلالي والتنوع السياقي في ضوء التتبع الامتدادي عبر عصور العربية، ولا غرو في ذلك فطبيعة هذا المعجم ووظيفته تقضيان بذلك حيث يقوم بتسجيل حياة كل كلمة من كلمات اللغة من اقدم نص جاءت به متتبعا تطور دلالتها على مر التاريخ، وهو بذلك سيكون وثيق الصلة بالدراسات اللغوية الحديثة، بل ثمرة من ثمار دراسة المستوى الدلالي للغة في ضوء مباحث وقضايا علم اللغة التاريخي ومن ثم تبدو جدته، وتتضح للعيان لمسته الابتكارية بين المعاجم العربية، وجدير بالذكر ان معاجمنا القديمة لم تهمل الملمح الدلالي التطوري اهمالا تاما، بل شغل به بعض اللغويين غير انه لم يتجاوز حدودا معينة ارتبطت بالبيئة والزمن، كما انه لم يكن هدفا رئيسيا في حد ذاته حاولت مناهجهم تحقيقه بقدر ما كان يأتي عرضا، ومن يتأمل تراثنا المعجمي يقف على شذرات هنا وهناك عالجت كثيرا من قضايا الدلالة، بل سيصادف معاجم خاصة دارت حول بعض الظواهر الدلالية كالفروق، والمشترك، والمترادف، والمتضاد.

ولا يخفى ما ضمنه تراثنا المعجمي ـ ايضا ـ من تسجيل لمعاني الغريب في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وايضا مجازات القرآن، بالاضافة الى المعاجم الخاصة بالمصطلحات العلمية العربية، غير ان هذه الانماط من المعاجم الدلالية لم تعمد الى جمع ألفاظ اللغة عموما، وإنما الى مجموعة محدودة منها.

وفي ساحة المعاجم المجنسة ـ ايضا ـ لا يمكن التغاضي عن محاولة ابن فارس الدلالية في معجمه المقاييس من ربط المعاني الجزئية

للمادة بمعنى عام يجمعها، وكذلك محاولة الزمخشري في معجمه (أساس البلاغة) من التفرقة بين المعاني الحقيقية والمجازية.

ومن ثم لا نكون مغالين اذا قلنا ان المنحى الدلالي لعب دورا في التصنيف المعجمي قديما، وانه لم يكن بمبعد عن التنظير والتطبيق، بيد انه لم يحتل مكانه المرموق بين فروع الدرس اللغوي، ومن هنا لم يعرف المعجم التاريخي طريقه الى النور ليحتل موقعه الشاغر في المكتبة المعجمية.

ومع بزوغ فجر النهضة المعجمية، وعناية اللغويين المحدثين بالدراسات الدلالية، تعالت الصيحات بإخراج المعجم التاريخي، سدّا لهذا النقص في تراثنا المعجمي.

وقد عني المجمع اللغوي القاهري بذلك، بل جعل من جملة اهدافه ان يقوم بعمل معجم تاريخي للغة العربية، وان ينشر ابحاثا دقيقة في تاريخ بعض الكلمات، وتغير مدلولاتها، كما كان للمستشرق الالماني - فيشر - محاولة جادة في هذا الميدان بدأها بالفعل، غير انه لم يكتب لها الاكتمال.

وقد ألمح كثير من الباحثين والدّارسين الى رغبتهم الاكيدة في ظهور هذا اللون المعجمي المثمر، ورسموا في إشاراتهم صورة لأطره العامة، وها هو ذا العلايلي يشير الى طبيعة هذا المعجم وما ينبغي ان يكون عليه من اتصال بالاساس اللغوي، وتصاعد طبيعي حضاري حيوي مع اللغة يستهدف الكشف عن تطورها الفيلولوجي محققا دلالتها القديمة، واصلا بينها وبين ما يحمل الذهن الحديث من طوابع ومفاهيم ليفرغ أخيرا الى فتح باب الاشتقاق على مصراعيه، وتطبيقه بأوسع أشكاله.

وفي ضوء ما سبق يمكننا ان نجلّي وظيفة هذا المعجم في انه يعرض لألفاظ اللغة مبينا اصل معناها مشيرا الى تطورها عبر العصور على هدى تنوع دلالتها وتعدد سياقاتها مع الاستئناس بالشاهد في إطار اللغة النموذجية الادبية المشتركة المتسمة بالسلامة اللغوية دون اعتداد

بالفروق زمانية كانت او بيئية وعلى هذا يمكن الاشارة الى طبيعة هذه الوظيفة فيما ينبغي ان تعتمد عليه من اسس يمكن اجمالها في الامور الآتية :

أولا : ليست وظيفة هذا المعجم هي جمع الالفاظ بقدر ما هي عرض وتحليل للفظ ووضع سجل تاريخي له .

ثانيا : ليست وظيفة هذا المعجم هي النقل من المعاجم السابقة بقدر ما هي تدرج باللفظ عبر التاريخ في ضوء تراثنا اللغوي والاسلامي بصفة عامة .

ثالثا : ليست وظيفة هذا المعجم تخطى او تجاوز حدود المستوى الفصيح في جمع الالفاظ وعرضها الى المستوى العامي الا بقدر ترويض العامي ورده الى دائرة الفصحى .

رابعا : ليست وظيفة هذا المعجم مقصورة على تاصيل ومعالجة المادة المتدفقة من بين أسوار عصور الاحتجاج، بل ممتدة لتواكب اللغة عبر الازمان، معتمدة على محور واحد هو السلامة اللغوية، وعدم الخروج على النهج العربي الاصيل .

هذا عن وظيفة المعجم العربي التاريخي فماذا عن محتواه؟

محتواه :

وردت مادة (ح و ى) في معاجم العربية دالة على الاستيلاء والتملك، اذ يقال : حوى الشيء يحوى حواية : استولى عليه وملكه . . . واحتوى الشيء وعليه : حواه فماذا عن محتويات المعجم العربي التاريخي؟

إن الحديث عما ينبغي ان يكون عليه هذا المعجم او عما يحتويه متعدد المناحي متشعب الجهات تعدد مقوماته وتشعب اهدافه ومبتغاه .

ولا غرو في ذلك، فالآمال معقودة على ما سيقدمه هذا الصرح بين يدي العربية من ثمار دانية القطاف، وما سيضيفه الى تراثنا المعجمي

من زاد موفور. وغير خاف ان هذا المعجم التاريخي مسبوق بمعاجم لغوية متعددة الاغراض متنوعة الانماط، فركن التصنيف المعجمي بين ثنايا مكتبتنا اللغوية غني في شكله ومضمونه، وقد كان له اثره البين في إثـراء الـدراسـات اللغوية والمعجمية والصرفية والدلالية والاشتقاقية والتـاريخية على حد سواء. وقـد لعب التصنيف حول هذا الـتراث المعجمي دورا بارزا في إنهاض فن المعجمة الحديث، اذ يحاول المعنيون باخراج معاجم جديدة ان يتخلصوا من الهنات او المثالب التي اخذت على القدامى من المعجميين مما كان له اثره الواضح في النهضة المعجمية بين ربـوع العصر الحديث، تلك النهضة التي كان من ابرز دعائمها إعـادة الـنظر في المعـاجم السـابقـة نقـدا لمنـاهجها، ودراسة لسماتها وخصائصها، او رغبة في اعادة تبويبها وتنظيم مداخلها بما يتواءم مع التيسير.

ومن هذا المـنطلق سيكـون لي وقفة عجلى مع القديم في ضوء محتواه لاخلص الى الصورة المثلى ـ فيما أرى ـ لمحتويات المعجم العربي التـاريخي بيت القصيد، ولا عجب في ذلـك فتلكم شريعة القدامى والمحدثين، بل هي سنة من سنن جمعيتكم الموقرة كما ورد في افتتاحية عـدد مجلتها الاول، وليس ادل على صدق هذا من لقائنا هذا المبارك الميمون.

إن المعجمية العربية في إهابها القديم لبرهان ساطع على عشق العـرب للغتهم وغـيرتهم عليهـا ايمانـا منهم بانها ليست كغـيرها من اللغات، فهي موصولة بكتاب خالد، ومنوطة بحفظ الله لها في قوله ـ جلت قدرته ـ «إنا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون» (الحجر آية 9).

واذا كانت هناك بعض الهنات فهناك ايضا كلمة حق يجب ان تقال، تلك التي تقرر ان علماء العربية هم اهم من الف المعاجم قبل العصر الحـديث على الاطـلاق، وان اي نظرة يسيرة الى هذا التراث الضخم تشهد بجهدهم الموفور خاصة حين «نقيم العمل المعجمي في سياق ظروفه التاريخية حيث اعتمدوا على جهودهم الشخصية دون أيّ

استعانة بما يتوفر لدينا الآن من وسائل العلم والتكنولوجيا المعاصرة، بل ان واحدا منهم كابن سيده، وكان كفيف البصر يقدم بين يدي المكتبة المعجمية قاموسين لا غناء لنا عن واحد منهما» وهما: (المحكم والمخصص).

ومما تجدر الاشارة اليه شعورهم بمسؤوليتهم تجاه جيلهم والاجيال التالية، الامر الذي كانت تنطق به اهدافهم في مقدمات اعمالهم سواء كانت معجمية ام غيرها، وتلكم هي الروح الاصلية التي جعلت هذا التراث حيّا الى اليوم. ولا عيب ان تكون هناك بعض المثالب فهم رواد، وللريادة مزاياها وتبعاتها غير انه يجب على المحدثين تلمسها ـ لا التشنيع بها ـ وصولا بالمسيرة المعجمية الى بر الأمان.

لقد حصر المعنيون بالدراسة المعجمية مثالب القدامى في دائرة التصنيف المعجمي، في ملامح متنوعة، غير انه يمكن معالجتها في ضوء مكونات العمل المعجمي، مادته، وترتيبه ومعالجته للفظ شرحا وضبطا وفق تنوع سياقاته وتعدد دلالاته بالاضافة الى تحديد وظيفته الصرفية، والتطواف باصله ونوعه واشتقاقه . . . الخ.

لقد انبثقت مثالب المعجمية العربية القديمة من مجاوزتها لحدود الاسس العامة للتصنيف المعجمي، او خروجها عن وظيفته وهدفه المنشود له.

ويمكن رصد تلك المثالب ليتجنبها معجمنا التاريخي في مادته وترتيبه ومعالجته اللغوية.

ففي اطار المادة دارت جل الانتقادات حول معاجمنا القديمة في ميدان ثروتها اللغوية على محور تجميد هذه الثروة وعدم تتبعها دلاليا عبر العصور، «مما أدى الى ضياع كثير من معالم الحياة والتطور، وبخاصة الالفاظ والمعاني التي ابتكرها العباسيون في مظاهر الحضارة» ناهيك عن عدم تتبعها للتطور الدلالي على امتداد تاريخ اللفظ، وذلك بالوقوف عند عصور الاحتجاج، وفي هذا ما يتناقض مع طبيعة اللغة والمجتمع، اذ تمثل اللغة ظله، ومرآته الصادقة، وما يسمى بعصور الاحتجاج هذا

ضيّق واسعا، حينما حصر مادة المعجم في زمان بعينه، ومكان بذاته، بل حدد مصادر معينة تنقل عنها اللغة في ضوء قبائل يعتد بها، واخرى لا يعتد بها. . . وهكذا ناهيك عن عدم الفصل بين المستويين الفصيح واللهجي لاتسام كليهما بالسلامة اللغوية، ومن ثم افتقدوا متابعة التطور اللهجي من جانب، وملاحظة معالم الفصيح من جانب آخر.

ولا يخفى ما قامت به بعض المعاجم من جمع نمطية معينة من الالفاظ كالجمهور الشائع عند ابن دريد، والصحيح عند الجوهري، وفي ذلك مضيعة لغيره، واخلال بطبيعة المعجم، بالاضافة الى عدم الاعتداد بالمعرب والمولد ولعل ما اتسمت به المادة المجموعة بين دفتي المعجم القديم من تكرار ونقل واستطراد وحشو كان سببا في التضخم الذي عيب على تلك المعاجم، ويمكن لهذه المناحي كلها ان تتدرج تحت مأخذ عام يجمع شتاتها وهو عدم وجود نظام عام تستوفي على اساسه كل ابعاد المادة الواحدة.

ولا ريب ان هذا المأخذ العام ينسحب ايضا على كيفية ترتيبهم وتنسيقهم للمادة بين دفتي المعجم، وللترتيب شأوه في فن المعجمة، اذ يمثل منهج الترتيب قطب الرحى في عطاء المعجم وجدواه، ولا عجب في ذلك، فشيوع المعجم وانتشاره بين يدي طالبيه موقوف على تيسير ترتيبه، بل اذا ادركنا الغاية المبتغاة من تصنيف المعجم وقفنا على اثر ركيزة الترتيب لثروته اللفظية، فما المعجم الا وسيلة ايضاح وكشف للغموض، ومن ثم ينبغي ان تكون سبله مذللة، ومداخله معبّدة، حتى يتسنى لطالبيه تحقيق مآربهم ومن هذا المنطلق وجهت الى بعض النظم المعجمية مآخذ متنوعة في ميدان ترتيبها، سواء على اطرها العامة ومداخلها، ام على التنسيق الداخلي لموادها ومشتقاتها، فقد أخذ على منهج الخليل الصعوبة الكامنة في مسلكه التقليبي الصوتي الكمي الذي ابتكره، وسار على دربه كثير من المعجميين، اذ يصعب على جل الدارسين التعلق بملامحه لما يلزمه من دراسة صرفية وصوتية قد يكون طالب المعجم بمبعد عن خصائصها وسماتها.

كما أخذ على النظام الدريدي الخلط والاضطراب فيما انتهجه من تفتيت وتوزيع للابنية، وكذلك لم يسلم المنهج الترتيبي وفق القافية من غمز دار حول تشتيت نظر الباحث بين لام الكلمة وفائها، ناهيك عن خلط بين الواوي واليائي، اما المآخذ التي انصبت على التنسيق الداخلي للمادة فقد اعتمدت على ركيزتين: إحداهما ـ الخلط، والاخرى ـ الاضطراب، ومن ملامح الاولى الخلط في الابنية تبعا للخطأ في التحديد الكمي لكل بناء، وكذلك تحديد نوعية حرف العلة كما ألمحنا، مضافا الى ذلك الخلط في القوالب الصرفية بين الاسماء والافعال، والمجرد والمزيد، والثلاثي والرباعي وكذلك المشتقات، اذ لم يلتزموا طريقة ثابتة في ايراد المشتقات وايضا الخلط بين المعنى الحقيقي والمجازي، والحسي والعقلي.

ومن أمارات الخلط والاضطراب ـ أيضا ـ المزج بين نمطي التعبير دون فصل بين الفصيح واللهجي ولا ريب ان منشأ هذا وذاك اي: الخلط والاضطراب كان وليد عدم الالتزام بما ورد في مقدمات معاجمهم من مناهج لانفسهم، ولم يتقيدوا بمعالمها في بعض الاحيان.

وقد كان لهذه المثالب المنوطة بالمادة والترتيب اثر فيما اخذ عليهم في إطار المعالجة اللغوية، لما بين اركان العمل المعجمي من أواصر وتكامل للوصول الى المراد من بيان اصل اللفظ ومعناه وشرحه وفق ما ورد من سياقاته... الخ، وعلى الرغم مما قدمه المعجميون من جهد في هذه الساحة لم يخل الامر من هنات لعل اهمها اهمال متابعة التطور الدلالي التاريخي للكلمة، وهو امر يعاني منه تراثنا المعجمي على الرغم من كثرته وتنوع مناحيه.

ومن قبيل ذلك ـ ايضا ـ تقصيرهم في شرح بعض الالفاظ كتفسير المادة بما هو اكثر غموضا منها، او بقولهم ـ إبان تعريف الغامض ـ معروف، او شرحهم للكلمة بما يرادفها، او يغايرها... وهكذا.

ولا ريب ان من الخلل في المعالجة اللغوية ـ ايضا ـ عدم التفريق في دلالة الكلمة بين قبيلة واخرى، وكذلك عدم الاعتداد بالشواهد مما

يؤثر على النضج المعجمي ، كأن يذكر مصنف المعجم الكلمة التي تعد موطن الشاهد فقط او جزءا منه او يترك الشاهد للايجاز مما يكون سببا في الالغاز والغرض من المعجم لا يخرج عن الافصاح والابانة .

ومما شاب المعالجة اللغوية في بعض معاجمنا القديمة التقصير في ميدان التنوع الدلالي للكلمة بالاضافة الى التصويب اللغوي الذي هو غرض من اغراض المعجم العربي .

تلكم اهم مثـالب المعجمية العـربية القديمة نضعها ـ دائما ـ نصب اعيننا لتجنبها عند ولادة معجم جديد «ولاثارة حمية العاملين على اعادة طبع المعاجم القديمة ليتجنبوا الاخطاء والاوهام ومختلف العيوب تطلعا الى يوم يبدو فيه المعجم العربي خاليا من عيوب الجمع ، واوهام العلم واخطاء التأليف والنشر» .

ولا يخفى ان تلك المآخذ ما هي الا هنات هيّنات لا تقلل من صرح تراثنا المعجمي الشامخ ، ولكنها الرغبة ـ دائما ـ في الوصول الى درجة اقرب الى الكمال . ومن ثم ينبغي للمعجم العربي التاريخي الذي هو ميدان مؤتمرنا ان يتخلص من كل هذه الشوائب ليبدو ناضجا واعيا نضج التقنية الحديثة ، ووعي العقلية العربية المحتكة بثقافات العصر ، والمدركة لهنات معاجمنا القديمة .

وسأعرض بين يدي مؤتمركم الموقر صورة نظرية لملامح معجمنا المأمول في ضوء الأمور الآتية :

1 ـ مقدمته وهدفه

2 ـ مادته اللغوية ومصادرها

3 ـ منهجية ترتيبه وملامحها

4 ـ معالجته اللغوية وأطرها

5 ـ فهارسه وملحقاته

الملامح العامة لمحتويات المعجم العربي التاريخي

1 - مقدمته :

درج المجمعيون على افتتاحية معاجمهم بمقدمات يبينون بين ثناياها دواعي تأليفهم لها، والهدف المنشود من وراء التصنيف، وتبيان المناهج العامة والاسس الخاصة التي اعتمد عليها العمل الى غير ذلك مما يرونه واجب الذكر في المقدمة تيسيرا لاستخدام المعجم، وتحقيقا لما يصبو إليه من رواج وشيوع بين المثقفين والمتخصصين على حد سواء.

ولا عجب اذا قلنا : إن هذه سنة حسنة، وخلة حميدة، ينبغي الاقتداء بها في انشاء اي معجم جديد.

ومقدمة المعجم العربي التاريخي - كما أرى - ينبغي ان ينص على هدفه وملامح منهجه، وأطره العامة، وسماته الخاصة، وما تعارف عليه القائمون بتنفيذه من رموز وإشارات في المعالجة اللغوية ترتيبا وضبطا وشرحا، مع التمثيل لما يقررونه من بين ثناياه بغية توضيح مستغلقه، وكشف طرائقه وطبيعة مداخله، ومناحي تقنيته وصولا بطالبيه الى الغاية المرجوة له بين تراثنا المعجمي.

وقد لا يكون في هذا جدة او ابتكار، غير انه تقليد مفيد في ميدانه اما الجديد الذي ادعو الى اضافته في مقدمة هذا المعجم فأن يعقد في بدايته باب يضم بين دفتيه «دراسة وصفية عن الدلالة وتطورها تنظيرا وتطبيقا» من دائرة مادته.

ويمكن التركيز في هذه الدراسة على عجالة سريعة عن نشأة علم الدلالة عند العرب، وتبيان العلاقة بين اللفظ والمدلول، وعرض قواعد التّغيّرات التي تعترى المعنى، مع الاشارة الى اسباب التغير وصوره، مع تبيان العوامل التي تتدخل في حياة الالفاظ أو موتها، ولاسيما التاريخية منها.

ولا ريب ان الغرض من هذه البداءة في صدر المعجم التّعرف على طبيعـة معـالجته للمادة، وهدفه الرئيسي، وخصائصه حتى يأنس طالبه بما ورد بين ثناياه، ويقف على بعض شذرات علم الدلالة فيتمكن من استيعاب تقريراته من إشارات حول هذا المعنى او ذاك بصدد سبب التنـوع او التغـير الـدلالي من ضرورة ملحة، او تطور اجتماعي، او ثقافي، او ظروف بيئية او عاطفية، او انحراف لغوي . . . الخ . مع مراعاة التطبيق العملي ـ كما ألمحنا ـ في ضوء التمثيل بنماذج من مادته، وصفوة القول ان مقدمة هذا المعجم ينبغي ان لا تكون تقليدية في كل ملامحها، بل ينبغي ان تضم هذه الدراسة التأصيلية الدلالية لعلاقتها الـوثيقة بفحوى المعجم ومضمونه، بالاضافة الى تحديد دقيق لهدفه، وأطره العامة، وأسسه الخاصة في الجمع والوضع.

والمقصود بالجمع محتواه، اما الوضع فهو تنسيق المادة، وترتيبها بالاضافة الى ضبطها، وكيفية معالجتها لغويا الى غير ذلك من مناحي التقنية المعجمية.

كما ينبغي ان يشار في مقدمته ـ ايضا ـ الى طبيعة مادته، او ثروته اللغـوية من حيث المستـوى، والبيئـة، والـزمن، وموقفه من الانماط المتنـوعـة للفظ العربي، ونظرته الى المولد والمعرب والدخيل، وكذلك رؤيته للقياس والسماع، ومنظوره للصواب اللغوي، ودوائر الاستشهاد.

ولا غرو في ذلك فلا بدّ لهذا المعجم من موقف ما من كل هذه المناحي المتنوعة، ومن تمام الفائدة ان يفصح عن ذلك في مقدمته ازاء كل هذه الامور حتى لا يحيد عن خطته قيد أنملة، ومن ثم يخرج الى النور عملاقا خاليا من عيوب وقع فيها الآخرون.

2 ـ مادته اللغوية

المـادة ـ في عرف اللغـويين ـ كل ما يكـون مددا لغيره، ومادة الشيء: اصوله وعناصره التي منها يتكون حسية كانت او معنوية . . . ومواد اللغة: ألفاظها.

فماذا عن الثـروة اللفـظية التي ينبغي ان يعـرض لها معجمنـا المأمول؟ ان لهذا المعجم ـ كما هو واضح ـ وظيفة خاصة وطبيعة محددة، تلك التي تنحصر في ابـراز الملمـح التـطوري التاريخي لحياة الالفاظ ونموها وتنوع دلالتها عبر العصور، وعلى امتداد البيئات العربية.

وعلى هدى ذلك فإني أطرح بين يدي المؤتمر هذا التساؤل: هل يقتصر هذا المعجم في مادته على نمط معين من الألفاظ؟ ام ان ذلك يتعارض مع طبيعته؟ يبدو لي ان المادة اللفظية للمعجم العربي التاريخي ينبغي ان تكـون شاملة، حتى لا نقع فيما وقع فيه بعض المعجميين السـابقين من اقتصار معاجمهم على لون بعينه من الالفاظ كان وراء ضياع جزء من ثروتنا اللغوية، لو اتيح له ان يكون موضع استعمال لحل كثيرا من مشكلات القضايا الدلالية، ولساعدنا على تتبع مراحل التطور للفظ عبر مسيرته اللغوية.

ولا ريب ان إهمال بعض الالفاظ وعدم تدوينها بين ثنايا المعجم كفيل بموتها والقضاء عليها، وقد أشار الى ذلك الفيروزباري معقبا على صحاح الجوهري، وغامزا اياه في مقدمته للقاموس قائلا: «ولما رأيت اقبال الناس على صحاح الجوهري، وهو جدير بذلك، غير انه فاته نصف اللغة او اكثر اما باهمال المادة، او بترك المعاني الغريبة النادرة، اردت ان يظهر للناظر بادىء بدء فضل كتابي هذا عليه، فكتبت بالحمرة المادة المهملة لديه».

بيد ان هذا الشمول والحصر للالفاظ قد يؤدي الى تضخم هذا المعجم وسعته، الامر الذي فرت منه بعض المعاجم السابقة، ومن ثم ينبغي على هذا المعجم ان يعتمـد على منهجية معينـة في الاسقـاط والـزيادة، وذلـك باسقـاط ما لا ينتمي الى وظيفته التاريخية من سرد

للاعلام على اختلاف انماطها، واستطراد في باب التراجم، واحتفاء بما هو من قبيل الحشوالذي يمكن الاستغناء عنه من تعلق بالامور الطبية والنباتات، وكذلك الدخيل الذي لا علاقة له بالمداخل العربية، اما الزيادة فينبغي ان تبدو واضحة في تنوع السياقات المختلفة للفظ على امتداد العصور لتبيان ما اعترى اللفظ من تطور وتغير عبر التاريخ اي انها زيادة لتحقيق غاية المعجم وهدفه.

تلك المنهجية في الاسقاط والزيادة ستكبح جماح التضخم الذي لن يكون معيبا اذا ما حقق هدفا هو بيت القصيد من تصنيف هذا المعجم.

ومن ثم فلا معنى لما تذرع به بعض الباحثين من حيثيات للتخلي عن كثير من الانماط اللفظية تحت دعوى انه متروك او مهمل، او حوشي، او غريب، او نادر، او ما شاكل ذلك من مسميات اطلقت دون روية لتحكم على كمّ موفور من ثروتنا اللّفظية بالاندثار.

أقول: ان طبيعة هذا المعجم العربي التاريخي تقتضي التعامل مع هذه النمطية من تلكم الالفاظ للافادة بها في تتبع المراحل التطورية، والملامح التاريخية للالفاظ بين دفتيه.

ولا عجب في هذا، فما احوجنا الى هذه الالفاظ في ميدان دراسة العربية دراسة تاريخية تطورية، او دراسة مقارنة، وليس المعجم التاريخي الا خطوة رائدة على هذا الدرب.

قد يقال: ان هذه الالفاظ لا تناسب جمهرة المحتاجين الى المعجم اليوم، والجواب عن ذلك يكمن في ان المكتبة العربية زاخرة بما يناسب هؤلاء وأولئك من معاجم الالفاظ، والمعجم المطروح على بساط البحث معجم متخصص، ومن الضرورة بمكان ان يحوي هذه النمطية من الالفاظ، فعليها المعتمد في فهم ووعي اطوار اللغة ومسيرة حياتها، وقد يكون التخلص منها مطلوبا في معاجم اخرى غير هذا المعجم، ولا ضير حينئذ في ذلك، اذ لم يعد مقبولا ان تكون واحدة مفردات المعجم الذي يعد للطبيب والمهندس والزارع... الخ.

ومن هذا المنطلق تنوعت المعاجم حسب اغراضها واهدافها من قديمـة تعنى باللغـة وضبـطها وتـأصيلها للمشتغلين بعلوم اللغـة والشريعة، وحديثة متنوعة تنوع الثقافات وتعدد المستويات، تناسب الفئة التي وضعت خصيصا لها، بالاضافة الى المعاجم العامة التي تتفق مع ثقافة الجمهور الشائع، ومستواه اللغوي، ومتطلباته، واصبح من الضروري ـ في عصرنا ـ أن تحوي مكتبة كل مثقف معجمين، أحدهما، تخصصي، والآخر عام.

وتـأسيسـا على ما سبق انبثقت رؤيتي لمادة المعجم العـربي التاريخي، وما ينبغي ان تتّسم به من شمول وحصر في العرض للألفاظ، اذ يعد هذا المعجم ـ دون مبالغة ـ بمثابة الكنز اللغوي الفريد الذي يعنى بتسجيل ثروتنا اللغوية مشفوعة بملامح تطورها، ومعالم تنوعها الـدلالي عبر التاريخ، وجدير بالذكر ان هذه المادة اللغوية لن تكون مقصورة على بيئة معينة اوزمن معين، لتعارض هذا وذاك مع هدف هذا المعجم ووظيفتـه، وليكن لنـا في مسلك المعجميين بالقـاهـرة القدوة الحسنـة، اذ جمعـوا في معـاجمهم بين الفـاظ الجاهليين والفاظ القرن العشرين، والا فكيف تبدو امارات التطور، وعلامات التنوع الدلالي الذي اصاب المادة على امتداد تاريخها الطويل.

وغـير خاف ان المستـوى اللغوي للمادة المجموعة هو المستوى الفصيح، ولا اعتداد بالعامية لا من قريب او بعيد الا بالقدر الذي يخدم الدلالة ويرد العامي الى دائرة الفصحى ،لتلاقي ذلك ـ ايضا ـ مع طبيعة معجمنا وهدفه، مع الاشارة الى انه ينبغي ان يحتفي باللفظ المولد احتفاء بالغا، اذ ان عليه قوام الملامح التطورية والتغيرات الدلالية، والدراسات التاريخية، وفي ضوء ذلك سلك مجمع اللغة العربية بالقاهرة مسلكه في «فتح باب الوضع للمحدثين بالوسائل المعروفة من اشتقاق وتجوز وارتجال واطلق القياس ليشمل ما قيس من قبل، وما لم يقس، كما حرر السماع من قيود الزمان والمكان، واعتد بالالفاظ المولدة».

ومن ثم فان معجمنا العربي التاريخي سيعرض للالفاظ اللغوية

على امتداد العصور دون تفرق بين عصر وآخر، او بيئة واخرى، متوخيا السلامة اللغوية، مع اضافة المولد والمحدث والمعرب، معتدا بالنادر، والغريب والمهمل، قدر افادته في توضيح التطور الماديّ او المعنوي للفظ، اي: المسيرة الحياتية لالفاظ اللغة عبر التاريخ.

أما عن مصادر هذه المادة فتراثنا المعجمي سيلعب دورا بارزا في توفيرها، اذ حوى جل ألفاظ اللغة، ولا يخفى على الاذهان ان معجمنا ليس ولوعا بالحصر قدر شغفه بالمرحلة التي تلي هذا الحصر، اذ يكمن هدفه فيما بعد الجمع من المعالجة التطورية التاريخية لمادته، تلك الحلقة المفقودة في ميدان تراثنا المعجمي.

ولعل التقنية الحديثة تمكن القائمين على اخراج هذا المعجم من الحصول على المادة من بين امهات المعاجم القديمة في ضوء استخدام الحاسب الآلي لرصد الجذور اللغوية وتنظيمها، وفق نظام دلالي معين.

ولا ريب ان المعاجم القديمة لن تكون المصدر الاوحد لهذا العمل، بل ان امهات تراثنا العربي والاسلامي من دواوين الشعراء، والموسوعات الادبية ومصنفات التفسير والفقه والشريعة، ومؤلفات السير والتاريخ، الى غير ذلك من المؤلفات المتنوعة على امتداد تاريخ العربية العريق، فمصادر هذا المعجم متعددة المناحي دون ريب، ومتنوعة العصور، امتداد تاريخ الكلمة، وتتبع حياتها، اذ لا ضابط ولا قيد سوى تحري السلامة اللغوية، وعدم الجنوح الى العامي الا بقدر تأصيله - كما المحنا - ورده الى ساحة الفصيح.

وعلى هذا فدواوين شعرائنا المحدثين، ومؤلفات ادبائنا المعاصرين يمكن الاستئناس بأساليبها، وألفاظها في ميدان إبراز مناحي التطور الدلالي للمادّة المجموعة بين دفّتي معجمنا المنشود.

3 ـ **منهجية ترتيبه :**

تعددت طرائق الترتيب وتنوعت معالمها بين ثنايا تراثنا المعجمي ، الامر الذي يشهد باهمية هذه الركيزة في ميدان الصناعة المعجمية من جانب ويومىء الى مظهر من مظاهر تطور الفكر المعجمي عبر العصور من جانب آخر.

ومما يؤكد هذه الحقيقة ان النظم او المناهج المعجمية الموروثة نسبت الى معالم الترتيب التي قامت عليها، ومن ذلك قولهم : نظام التقليبات الصوتية ، او مدرسة القافية ، او منهج الأبجدية العادية .

وهكذا لعب ترتيب المادة اللغوية بين دفتي المعجم دورا رائدا في تثبيت اركان فن المعجمة، واعتباره عملا رائدا يشار اليه ناهيك عن اثرها في تطويره، وتذليل جامحه .

ويكفي لاثبات اهمية هذا المحور انه لا يطلق مصطلح «معجم» على اي ديوان من دواوين اللغة الا اذا كان مرتبا .

وقد اتخذ الترتيب بين ثنايا المعجمية العربية القديمة طرائق متعددة، فتارة وفق الالفاظ، وآونة حسب المعاني، ومرة وفق الابنية واخرى حسب النصوص . . . الخ .

ومن يتأمل ملامح الترتيب اللفظي ـ بخاصة ـ يدرك تعددها فنظام الخليل اعتمد على جمع الكلمة ومقلوباتها في آن واحد، مع وضعها تحت ابعد حروفها مخرجا موزعة باعتبار الكمّ الى ابنية، ثنائي وثلاثي ، ورباعي ، وخماسي . . .

ومن ثم فالديوان مقسم الى كتب، وكل كتاب يحمل اسم ابعد حروف مادته مخرجا، وترتيب الكتب تباعا لم يخرج عن الترتيب الصوتي ايضا للحروف وكل كتاب بدوره مقسم الى أبواب باعتبار الكم .

ولا ريب ان الصعوبة كامنة في هذا النمط من الترتيب، ولذا جنح ابن دريد بالمسيرة المعجمية الى التيسير، فطبق منهج الخليل في التقليبات والابنية مع التوسع في عددها ، واستعاض عن النظام الصوتي بما يسمى بالنظام الألفبائيّ ، أي : وضع الكلمة ومقلوباتها تحت أسبق

حروفها ترتيبا ألفبائيّا (أ ب ت ث ج) . . .

وقد صاحب هذا المنهج نظام آخر يعد أسلس وأيسر، وهو القافية، اذ اعتمد اصحابه على الحرفين الاخير والاول من أصول الكلمة، أي : اللام والفاء معتبرين الاخير بابا، والاول فصلا.

وواصلت المسيرة المعجمية تطورها فنحا اهلوها منحى آخر يكاد يخلو من اي صعوبة، وهو نظام الألفباء العادية، حيث يعتمدون في ترتيب المادة اللغوية على الحروف الاصلية الاول والثاني، اي : فاء الكلمة وعينها.

ومما تجدر الاشارة اليه ان هذه الانماط الترتيبية جميعها اعتمدت في معالجة المادة ترتيبا على حروفها الاصلية دون الزائدة، بدءا من نظام الخليل والى يومنا هذا.

بيد ان هناك نمطا معجميا آخر عالج الكلمة ترتيبا وفق منطوقها معتدا بالحروف الزائدة معللا مسلكه بالرغبة في التيسير على غير المتخصصين اذ ان الاعتماد على اصول الكلمة مجلبة للصعوبة في الوقوف عليها لما يحتاجه من دراسة صرفية، وتعلق باهداب الاشتقاق، والاعلال والابدال.

أقول : ان الامر لا يخرج عن دائرة المبالغة التي لا تقوى امام الرغبة في الالمام بمنهج المعجم المبتغى، والممارسة خير معين، ناهيك عن ان لكل علم قواعده ولكل فن خصائصه، بالاضافة الى ان ذلك طبيعة تراثنا العربي، حيث تتكامل علومه فيما بينها، واذا كان لكل علم قوانينه، وتلكم طبيعة تراثنا فما بالنا نهمل قوانين الصنعة المعجمية جانحين بها الى ما يجعلنا اشبه بالفوضى على أصول الكلمة دون زوائدها يمكن واضعي المعجم من جمع مشتقات المادة وما تفرع منها تحت اصول واحدة، وما كان هذا ليحدث لو رتبت وفق المنطوق.

إن ترتيب المادة اللغوية بين دفتي المعجمية العربية القديمة وفق الاصول امر يتفق مع طبيعة العربية، وينبغي الاحتذاء به فيما يجد من معاجم فلغتنا اشتقاقية ترد فيها كل مجموعة من الكلمات الى اصل واحد

ترتبط به لفظا ومعنى، كما يترابط بعضها ببعض كذلك، وتذكر جميعا مع اصلهـا، ولا ريب ان الاعتـماد على المنطوق يفتت هذه الوحدة، ويؤدي الى الاسهاب والتكرار، والاضطراب ترتيبا وتبويبا، لما لمحنا اليه من وفرة المشتقات في لغتنا، وتنوع مصادرها وجموعها ايضا، وليس في ذلك من فائدة سوى تجنب امر من اليسر تحصيله وتمييزه لان الذين لا يميزون بين الاصول والزوائد اجمالا لا يحتاجون الى مراجعة المعاجم بقدر ما يحتاجون الى التعلق بحظ قليل من المعارف الصرفية.

وفي ضوء ذلـك فاني ارى ان أسلس بل اسلم طرائق الترتيب لمعجمنا المأمول هو النظام الألفبائي بعد الاعتماد على اصول الكلمة، ولا مفر لذلك من الامور الاتية:

أولها : جمع مشتقات المادة الواحدة في معقل واحد، وهذا ادعى الى ملاحظة التطور الدلالي، ووضوحه في جل مشتقاتها، وهو هدف اصيل لتأليف هذا المعجم.

وثانيها : عدم التضخم المعجمي الذي اصاب بعض معاجمنا، والمعجم التاريخي سيحوى ثروة لفظية هائلة مما سيؤدي الى التكرار مع استحضار الاصل لكل منطوق.

وثالثها ـ تيسير الامر على الباحث ومطالعته كمّا هائلا من مشتقات المادة ووقوفه على تنوع الدلالات بتنوع السياق وفي ذلك صقل لموهبته وتنمية لوعيه اللغوي، وتحقيق لهدف المعجم.

هذا عن ترتيب مداخله الرئيسية، اما عن تنسيق مشتقاته وموادّه فإني اقترح تطبيق منهج المعجم الوسيط الذي يكمن فيما يلي:

تقديم الافعال على الاسماء، والمجرد على المزيد من الافعال، والمعنى الحسي على المعنى العقـلي، والحقيقي على المجازي، والفعل اللازم على المتعَدّي.

كما أرى تطبيق منهج الوسيط أيـضا في ترتيب الافعال على النحو التالي: الثلاثي المجرّد:

(1) فعَل يفعُل، كنَصَرَ ينصُرُ

(2) فعَل يفعِل، كضرب يضرِب
(3) فعَل يفعَل، كفَتح يفَتح
(4) فعِل يفعَل، كعلِم يعلَم
(5) فعُل يفعُل، كشرف يشرف
(6) فعِل يفعِل، كحسِب يحسِب

* الثلاثي المزيد بحرف
(1) أفعَل، كأكرم
(2) فاعل، كقاتل
(3) فعّل ككرّم

* الثلاثي المزيد بحرفين
(1) افتعل كانتصر (2) انفعل، كانكسر (3) تفاعل، كتشاور (4) تفعّل كتعلم (5) افّعلّ، كاحمر

* الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف
(1) استفعل، كاستغفر (2) افعوعل كاعشوشب (3) افعوّل، كاجلوّذ

* الرباعي المجرّد : فعلل، دحرج، الرباعي المزيد بحرف : تفعلل، كتدحرج.

وعلى هدى هذا سيحوى المعجم العربي التاريخي الدقة في الترتيب والتبويب، وينأى عن الخلط والاضطراب وهذا ما يأمله الحريصون على العربية.

4 ـ معالجته اللغوية

للمعالجة اللغوية دور يكمن في تحقيق المعجم لهدفه، اذ تدور في فلك اختصاصه مجلية خصائصه وسماته وفق مأربه وغايته المنشودة في ضوء منهج يسعى الى تحقيق ذلك، ويبدو أنّ المعالجة اللغوية لمادة معجمنا التاريخي لن تكون تقليدية، اي لن تعتمد على النقل من تراثنا المعجمي السابق اعتمادا كليا، اذ ينتهي هذا الدور بمغادرة الكلمة أسوار عصور الاحتجاج، وهنا نلمح الجدة والابتكار في المعالجة اذ يطوف القائمون على هذا المعجم بالكلمة عبر العصور مستخرجين دلالتها من بطون المصادر الادبية واللغوية والفقهية ملاحظين تطورها، ومتتبعين تنوع دلالتها في ضوء السياقات المختلفة والمقامات المتعددة وصولا بها الى عصرنا الحديث مع الاشارة الى الوظيفة اللغوية للكلمة في ضوء بيان نوعها.

ومما تجدر الاشارة اليه انه ينبغي ان يتقدم المدخل كم موفور من المعلومات اللسانية المتعلقة به صوتيا ونحويا ودلاليا، وهو امر ليس بعيدا عن طبيعة هذا المعجم على وجه الخصوص.

يجري بعد ذلك عرض كل مادة وفق ترتيب معين على حدة مع التركيز على كل لفظة مدونة وصلتنا، او منطوقة بيننا، ويتابع خبرها وحالها منذ اقدم عهدنا بها الى الآن، او الى وقت انقراضها من الاستعمال، ويبين اصلها الذي انحدرت منه، وجذرها في السامية، وتفرعاته في العربية، وتحول الاحوال بها، والبيئات الطبيعية التي عاشت فيها، والاوضاع الاجتماعية التي عاصرتها وما احدثه كل ذلك في الكلمة من تغيير، ويرصد تطوراتها لفظا ومعنى والعوامل المؤدية اليها، اي انه باجمال، يعد لكل كلمة ترجمة وافية وسجلا واعيا كانه يترجم لاحد الاعلام البارزين.

وعلى ذلك فأخصّ خصوصيات معالجته تدور حول رصد التطورات الدلالية عبر العصور، مع العناية بالدلالات الاجتماعية والذاتية شريطة شيوعها بين المتكلمين باللغة، وبخاصة ما اتسم

بالسلامة اللغوية ، واقره جمع موفور ممن يعتد بلغتهم، مع ملاحظة ذلك في ضوء التنوعات السياقية ربيبة تلك العصور مع الفصل بين المستويين اللهجي والفصيح .

ولا يخفى ما ينبغي ان تتسم به المعالجة اللغوية لهذا المعجم من مساس خفيف لبعض القضايا الصرفية والنحوية، ومن ثم حصر فيشر في مقدمة معجمه التاريخي مناحي معالجته في سبعة أمور، التاريخية والاشتقاقية، والتصريفية، والتعبيرية، والنحوية والبيانية والاسلوبية ومن أمارات نضج المعالجة اللغوية بين دفتي هذا المعجم ان تكون التعريفات دقيقة ومحددة، وان ينحو بالمصطلح العلمي نحو التحديد والتوحيد معا، وان يكون التعريف بها من الوجهتين اللغوية والتاريخية، بمعنى ان يكون الملمح التاريخي الذي يوضح العلاقة بين الكلمة اللغوية والمصطلح العلمي المتوج بحروفها واضحا .

ولعل من نافلة القول التنبيه على ان التعريف بالمرادف، او اللفظ العامي او المغايرة او بها يحتاج الى تعريف لا وجه للتعلق به هنا، وكذلك معالجة الاعلام، والاماكن وما اشبه ذلك مما هو بعيد عن الملمح التاريخي المعتنى به بين جنبات هذا الديوان، اما الالفاظ المولدة والمعربة، وكذلك الفاظ الحضارة فهي بحاجة الى عناية خاصة، اذ في ضوء معالجتها تبدو التاريخيّة المنشودة،والملامح الدلالية المفقودة بين ثنايا التراث المعجمي، شريطة ان لا يقتصر في التعريف بها على المنحى اللغوي الضيق، حتى لا يعتري المعجم الغموض الذي يأباه، فالموسوعية مطلب رائد لطبيعة المعجم التاريخي مع الاعتماد على المحور التطوري ببعديه الافقي والطولي.

ومن كمال المعالجة ودقتها العناية البالغة بالضبط السوي الواضح للمادة ومشتقاتها، وغني عن البيان ان اختلاف الضبط البنيوي لنسيج الكلمة اللغوي يؤثر في دلالتها ومعناها ويخرج بها عن الاطار الذي رصدت فيه خروجا غيرطبيعي، والمعجم يعني بالتنوع الدلالي المشروع، ومن هنا وجبت العناية بملامح الضبط واستخدام كل طرائقه، ووسائله

تحقيقا للدقة المبتغاة، واستفادة من ذخائر تراثنا المعجمي واللغوي في هذا الميدان.

ومن هذا المنطلق لا تجدِي الاستعانة في الضبط السوي بالشكل ورموزه فقط بل يستعان على كمال الدقة في هذه الساحة بالوزن الصرفي، او المقيس او المثال الشهير، وادق وسائل الضبط تكمن في النص على ملامحه بالعبارة كأن يشير القائمون على اتمام هذا العمل العظيم الى حركة الحرف، واعجامه، او اهماله، ومن ثم نادَى بعض الباحثين بتعميمه، ولا سيما في ميدان التصنيف المعجمي مشيرا الى وضع بعض القواعد التي تجعله بمنأى عن الطول مع مراعاة ان يضبط ما يحتاج الى ضبطه من حروف الكلمة فحسب.

وجدير بالذكر ان العناية بالشاهد امر له اهميته وجدواه في معجمنا، اذ يمثل قطب الرحى في اثبات التنوع الدلالي، من جانب، ويعمل على تنمية الوعي اللغوي، وصقل الموهبة الادبية لطالب المعجم من جانب آخر.

وليكن الاطار الذي يحدد هذه الملامح كلها منضويا تحت مبدأ الايجاز غير المخل ولذا فهناك اشكالية صعبة ينبغي معالجتها بدقة وخبرة، تكمن في الاستقصاء مع مراعاة الايجاز، والبسط مع التركيز، وهذا امر تفيأه من قبل الفيروزبادي في قاموسه المحيط، كما حققه في عصرنا اصحاب المعجم الوسيط، ومن دواعي ذلك الرغبة في عدم تضخم المعجم، ومن وسائل تحقيقه الاستعانة ببعض الرموز والاشارات شريطة ان تكون من الوضوح بمكان وان يشار الى مفهوماتها ومقاصدها في مقدمة المعجم.

في ضوء ما سبق تبدو الملامح العامة لمنهج المعالجة اللغوية للمعجم العربي التاريخي، ولا ريب في ان تلك الملامح مزيج من المنهجين الوصفي والتاريخي اذ يعنى الاول بوصف اللغة، وفحص ظواهرها من جميع جوانبها الصوتية والتركيبية والدلالية في فترة معينة، بينما يواصل الشق الثاني استكمال الهدف، اذ يتابع تلك الدراسات

للوقوف على التطور، او التغير اللغوي لها عبر القرون، منذ نشأتها الى تاريخ دراستها، ومن ثم لا يمكن لاحدهما ان يستغني عن الآخر في عملنا هذا. فالاول يعالج مادة المعجم معالجة افقية، بينما يعالجها الثاني معالجة طولية، وليس ادل على تكامل الشقين من تقرير لبعض الباحثين يشير فيه الى ان «الدراسة اللغوية التاريخية لا يتأتى قيامها على وجهها العلمي الصحيح دون الدراسة الوصفية للمراحل المختلفة التي مر بها تاريخ اللغة موضوع الدرس» (علم اللغة د. السعران 263). ومما يؤكد ضرورة الجمع بين النمطين ارتباط الوصفي - غالبا - باللغة الحية او الحالية وارتباط الثاني - التاريخي - باللغة الوثائقية المكتوبة وطبيعة المعجم التاريخي هي الجمع بين القديم والحديث، ولذا يعد من الصعب - على حد تعبير ماريوباي - الفصل بين النوعين في مجال التطبيق العملي.

5 - تقنيته وطبيعة القائمين به

لكل عمل تقنية معينة، وطبيعة خاصة، واذا ما اردنا صورة لما تكون عليه صناعة هذا المعجم فان ظلال هذه الصورة يجب ان تحقق دقته المبتغاة تبويبا، وترتيبا وشرحا، وتفسيرا، وتتبعا للتطور، وتفصيلا لتاريخ الكلمة في ضوء لغة سهلة ميسورة، ولا غرو في ذلك، فما هو الا اداة بحث، ووسيلة ايضاح، ومنهل علم، وسجل امين لحياة المادة اللغوية، ومن ثم لابد ان يكون سهل المأخذ، قريب المنال.

وفي ميدان طباعته واخراجه ينبغي ان تتخذ أحْدَث الوسائل لتنسيقه وتقديمه، ومنها على سبيل المثال:

- جودة الطباعة والتغليف ومراعاة الذوق العام في الحجم ونوعية الورق
- الاستعانة بالصور الايضاحية عند الضرورة
- كتابة المادة بالحبر الثقيل الملون مع كل مشتقاتها
- ضبط الكلمة بالشكل المخالف للون الكتابة مع النص - ايضا - بلسان القلم

ـ رصد المصطلحات في نهاية المادة، وبخط أصغر من المتن العام للمعجم

ـ وضع فهارس فنية متنوعة لاعلامه ومصطلحاته ومادته اللغوية في نهايته.

اما عن طبيعة القائمين عليه فان هذا العمل العملاق يحتاج الى قوة وعزيمة وحب بل عشق لهذه اللغة، ومن ثم فالقائمون على اخراجه ينبغي ان يكونوا من اولى هذه الصفات، وان تتضافر جهودهم لاخراجه شريطة تنوع الثقافات والتخصصات.

ولاريب ان هذا المشروع العملاق يحتاج الى كمّ موفور من العلماء العاملين الجادين المخلصين، ومن الحقائق التي لا يمكن تجاهلها ما اقره بعض الباحثين المحدثين من ان معاجم اللغات الحية ـ اجتازت اليوم ـ مرحلة الفنون واصبحت صناعة، تحشد للعمل فيها طوائف عدة من العلماء الاعلام ومن رجال الفن الجهابذة، كل واحد منهم يعمل في نطاق اختصاص معلوم... هذا والله المستعان.

د. عبد المنعم عبد الله محمد
الاستاذ المساعد بجامعة البحرين

من مواد المعجم التاريخي:
الجمع في طائفة من الكلم القديم

بحث: د. ابراهيم السامرائي

كثر الحديث عن «المعجم التاريخي» وربما وصل العرب هذا المصطلح الجديد مما عرف في الدراسات المعجمية الحديثة، ان هذه الدراسات مهما اكتسبت من «التغريب» لا يمكن ان تستغني عن الاصول اللغوية، ذلك ان الجديد اللغوي لابد ان يحتفظ بشيء من علاقة عضوية بالاصول القديمة.

ولنا ان نسأل أنفسنا : ألنا من تراثنا «معجم تاريخي؟» وهل لنا ان نعد مثلا «لسان العرب» ضربا من هذا المعجم؟

والجواب عن السؤالين هو اننا لا نملك هذا المعجم، وليس «لسان العرب» ولا غيره من المطولات هو هذا الذي نتساءل عنه.

ان «المعجم التاريخي» يجب ان يكون قائما على العناية بالاصول، ثم الفروع عن هذه الاصول، وهذا يعني انه يسرد المسيرة التاريخية منذ نشأتها بل ولادتها الى نهايتها، ولا اريد بـ«النهاية» الموت والفناء وان يكن هذا من الامور الحاصلة في جمهرة من الالفاظ التي عفا عليها الزمن، او قل قد انتفت الحاجة اليها.

ان لكل كلمة من الكلمات في العربية، كما هي الحال في كل لغة

«سيرة» وهذه السيرة تخضع لظروف عدة، وتكون حاجة من حاجات المعربين.

ومن هنا كانت الكلمة محكومة بحاجات ما تني تزداد يوما بعد يوم على ان هذا الجديد من الحاجات لا يخلق من اللفظ شيئا من عدم، بل ان المعربين يكونون مسوقين الى البحث عما لديهم من اللفظ فيعملون فيه النظر حتى يكون لهم الجديد في الابنية التي عرفوها في العربية.

ولنا ان نقول ان المعجم التاريخي في ضبطه لافراد هذه اللغة لا يكـون محكـوما بل ساعيا الى البحث عن الصواب والخطأ، ذلك ان «الصوابية» في كثير من الالفاظ لا تخضع للاعتبار، ان النظر الى التطور «الصحيح» يبعدنا عن الخوض في الخطأ.

اننا حين نبحث في سيرة اللفظة فنراها تكتسي لبوسا خاصا في كل عصر اتســاعا ومجازا وتشبيها، ونحن نقبل هذا اللبوس، بل قل اننا محكوم علينا ان نقبله، نكون في ذلك غير محصورين في دائرة الضيق ونتجاوز بذلك الحدود الى ابعد من عصر الاحتجاج.

مازالت العربية القديمة موضع درس، وان الكثير من نوادرها يسترعي النظر، وقد بدأ لي ان طائفة من الكلم المجموع تقتضينا ان نعود اليها غير مكتفين بالذي شاع من ابنيتها.

ان مصـادر العـربية القـديمة ولا سيما مطولات المعجمات قد توقفت في طائفة فسردت فيها اقوالا لا تخلو من التضارب، وان الدارس ليقف فيها على حشد من الآراء والتأويلات، وكان لي ان وقفت وقفة طويلة على طائفة من هذه المواد أبدؤها بمسيرة تاريخية لاشير في خاتمة المطاف الى ما آلت اليه، وسأرتب هذه بحسب اوائلها دون النظر الى اصولها الاشتقاقية، ودونك ـ صاحبي الدارس المعني ـ هذه المواد:

1 ـ سِجال :

ان هذه الكلمـة قديمـة، ولكنهـا بقيت في العربية المعاصرة، والمعربون في ايامنا درجوا على استعمالها مصدرا كأن أقرأ في «صحيفة

الشرق الاوسط»[1] في مناظرة في الثقافة والادب، لماذا اختفى «السجال» من حياتنا الثقافية؟

والذي يخلص من هذا ان السجال بمعنى الجدال والمناظرة، وهذا هو الجاري لدى الكتاب في مقالاتهم وابحاثهم، ومن هذا ما يقول آخر: اشتدّ «السجال» بين الاطراف كافة، وهذا شيء فاش كثير.

أقول : و«السجال» بهذا الاستعمال وهذه الدلالة شيء جديد مستوحًى من معنى السجال في الاصل.

«السجال» : جمع سَجْل بمعنى الدلو الممتلئة ماءً، ولا يكون سجل الا وهو ممتلىء ماءً قال لبيد :

يُحيلُون السجال على السجال[2].

وفي حديث أبي سفيان : ان هِرَقْل سأله عن الحرب بينه وبين النبي ـ صلّى الله عليه وسلم ـ فقال له: الحرب « سجّال » معناه: إنّا نُدَالُ عليه، ويُدَال علينا اخرى[3].

أقول : وقوله : «الحرب سجال» على التشبيه، اي هي كالسجال يتناوب فيها المستقيان من البئر، وهي كما في الاصل جمع «سَجْلٌ» وليس فيها شيء مما درج عليه المعاصرون الذين حولوا الكلمة في استعمالهم الى «مصدر» وكانه في استعمالهم مصدر لـ«ساجل» مثل: سابق ومصدره «سباق» و«مسابقة».

أقول أيضا : ان الاقدمين ذهبوا في دلالة «السجال» وهي جمع الى معنى المبادلة والمعاقبة فاخذوا من السَّجْل وهو الاسم المساجلة ولم يحولوا السجال الى مصدر نحو: السباق والمسابقة، والصراع والمصارعة، وغيرهما كثير جدا.

واريد ان أقول ان مصدر «فاعل» هو المفاعلة والفعال وهذا لا

---

(1) الشرق الاوسط في 26/4/1989.

(2) لسان العرب (سجل)

(3) المصدر السابق.

يعني ان كل فعل على هذا ياتي منه هاتان الصيغتان فكثيرا ما اكتفى في العربية باحدهما وهجر الاخر على قياسيته. الا ترى انك تقول: «المباراة» من الفعل «بَارَى» ولا تقول بِرَاء ولم يجر به الاستعمال. وتقول: مضاحكة ولا تقول ضِحَاك وتقول ملاَعبة ولا تقول لِعَاب وتقول مكاثرة ومكابرة ولا تقول كِثَار ولا كبار.

ومن هنا كان على المعاصرين ان يكتفوا بـ«مساجلة» لان السجال بقيت في العربية جمعا، ولم ترد مصدرا وان كانت قياسية كالمساجلة.

واستعمل الزملكاني صاحب «البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن»[4] في كلامه على الاحرف في فواتح السور كلمة التساجل ولم يرد هذا المصدر في كتب اللغة، ولكن المؤلف جعله من قبيل التبادل والتناوب ونحوهما، وكان موفقا فيه، قال:

«انها كالمهيّجة لمن يسمعها، والموقظة للهمم الراقدة من البلغاء لطلب التساجل في الاعلام»...

أقول: فكيف نقول في «سجال» في استعمال المعاصرين الذين حولوها مصدرا؟

الجواب عن ذلك: ليس من ضير في هذا، وقد استوحى المعاصرون هذه الدلالة من المعنى في الاصل وانها شيءُ مثل المساجلة بل قل نظير المساجلة في القياس، وليس لي ان اهرع الى القول بـ«الخطأ».

أقول: إن المعاصرين حين درجوا على استعمالهم هذا، لم يشعروا انهم تجاوزوا الاصل، ولعل كثيرين منهم لم يعرفوا دلالة «السجال» في استعمال العرب الاقدمين، ولكنهم يستعملون الكلمة حين يبدؤها احدهم فتشيع، أفلي ان اقول: ان الكلمة قد «تُرْزَأ» بشيوعها؟ على ان في العربية شيئا من هذا التحول كما سنرى

---

(4) من منشورات ديوان رئاسة الاوقاف في بغداد، سنة 1974 وانظر ص 57.

2 - شتّى

استعملت «شتى» في قوله تعالى: ان سعيكم لشتّى[5]، والمعنى: مختلف متعدد والكلمة خبر والخبر يفيد الوصف، وكأنّ «شتى» نعت أو صفة في المعنى في حين وردت للمبتدأ اسم ذات في قوله تعالى «وقلوبهم شتى»[6].

والخبر «شتّى» في الآية تومىء الى انها، شتى جمع شتيت، كما سنرى في المثل العربي القديم، الذي يشير الى دلالتها على الجمع «شتى يَؤُوبُ الحَلَبة»[7].

وكلمة «شتى» في الاصل جمع شتيت مثل جريح وجرحى ومريض ومرضى.

وقد فطن الى هذا الدكتور مصطفى جواد[8]، وأشار الى انها في الاستعمال قد ابتعدت عن بناء الجمع وتحولت الى ما يشبه النعت او الصفة.

اقول: والذي ذكرته انا من استشهاد بالآية الكريمة لدليل كاف يؤيّد راي الدكتور مصطفى جواد في تحول هذه الكلمة الى معنى الصفة او النعت كما ان استشهادي بالمثل القديم يدل على اصالة الجمع فيها.

3 - غُـزّى

جاءت هذه الكلمة في قوله تعالى: «أو كانوا غُزًّى»[9]، في المصحف الكريم الذي بين ايدينا، وقرِئت «غُزَاة» بضم الغين وفتحها كما قُرِئتْ «غِزيّ» بكسر الغين وتشديد الياء، وكلها بمعنى الجمع،

---

(5) 4 سورة الليل.

(6) 14 سورة الحشر.

(7) مَثَل يُضْرب في اختلاف الناس وتفرقهم في الاخلاق. انظر: مجمع الامثال 1/358 (ط. دار الفكر) - بيروت.

«شتى» بمعنى متفرقين، وهي في موضع الحال، اي يؤوب الحلبة متفرقين.

(8) محاضرات الدكتور مصطفى جواد لطلبة دار المعلمين العالية ببغداد سنة 1943 م.

(9) 156 سورة آل عمران.

والمفرد «غازٍ»، [10] وكذلك (غزِي) مثل (نَدِي) و(نَجي) وهما جمع (ناد وناج). والذي دل عليه الاستقراء ان بناء «فُعَّل» من أبنية الجمع يكون جمعا لـ«فاعلٍ» صحيح اللام لا معتلها نحو: ساجد وراكع، وجمعهما «سُجَّدٌ» و«رُكَّعٌ» ومن هنا كان «غُزَّى» في لغة التنزيل العزيز من الجمع القليل.

ومجيء غُزَّى في الآية يقدم فائدة تاريخية نخلص منها الى ان اللغويين حين عرضوا لأصول اللغة لم يفيدوا الفائدة القصوى من لغة التنزيل.

4 - فوْضَى

وهذه كلمة اخرى وُفِّقَ الى معرفتها الدكتور مصطفى جواد ـ رحمه الله ـ حين لمح الجمع في دلالتها وقال: هي «فَضًى» في الاصل ثم عرض

(10) لم يرد فاعل على «فُعَّل» في الناقص الا هذا الجمع، والكثير فيه بناء «فُعَلَة» نحو: حَامٍ وجمعه «حُماة» وداعٍ و جمعهُ «دعاة»، وهذا كثير فاش. غير أن في العربية نوادرَ تبتعد عن الكثير المسموع، ومن هذا ورد «جُمَّلْ» بمعنى الحِبال الغليظة جمع «جُمَل».

ولنا ان نستشهد بقوله تعالى: «حتى يلج الجمل في سمّ الخياط». 40، سورة الاعراف وقد جاء في «الجُمل» في هذه الاية كلام كثير، فقد قرأ ابن عباس «الجُمَّل» بمعنى الحبال المجموعة.

وروي عن أبي طالب أنه قال: رواه الفراء، قال: ونحن نظن أنه أراد التخفيف.

قال أبو طالب: وهذا لان الاسماء انما تأتي على «فَعَل» مخفف والجماعة تجيء على «فعل» مثل صُوَّمٍ وقُوَّمَ. قال ابو الهيثم: قرأ ابو عمرو والحسن، وهي قراءة ابن مسعود «حتى يلج الجُمَل» مثل «النُغر».

وحكي عن ابن عباس: «الجُمَّل» بالتثقيل والتخفيف، فأما «الجُمَل» بالتخفيف فهو الحبل الغليظ وكذلك «الجُمَّل» مشدد. قال ابن جني: هو «الجُمَل» على مثال «نُغَر» والجُمْل على مثال «قُفْل»، والجُمُل على مثال «طُنُب»، و«الجَمَل» على مثال «مَثَل».

قال ابن بري: وعليه فُسر قوله تعالى: حتى يَلج الجَمَل في سمِّ الخياط، فأما «الجُمْل» فجمع «جَمل» كاسْد جمع «أسد» ولنرجع الى «غزّى» فنجد الازهري يقول: «الغُزَّى على بناء الرُكّع و«السُجَّد» واستشهد بالاية وجاء في جمع «غازٍ» «الغُزَّاء» بالمد مثل فاسق وفسّاق (انظر لسان العرب (غزو).

ومن المفيد أن أشير الى ما ورد في إنجيل متى مما يتصل بـ«الجُمَل»، وقد ذهب الشراح الى ان المراد هو الحيوان المعروف ثم عرض نفر من الشراح فصححوا شرحهم وذهبوا الى ان المراد بـ «الجَمَل» هو الحبل الغليظ.

لها الابـدال بعد فك الادغام فصارت «فوضى» وقال: أن المفرد منها فضيض مثل شتيت التي جمعت شتى وقد سبق الكلام عليه.

أقول: لم يكن شيء من هذا لدى اللغويين الاقدمين كما نستفيده من المعجمات ذلك انهم ذكروا: فَوْضَى وفَيْضَى و«فيضوضا» ولم يلمحوا ان اصلها فَضًى على نحو ما ذهب اليه الدكتور مصطفى جواد.

أقول: أن فوضى قد حولت في استعمالهم الى نوع من المصدر، وكـانها صارت تفيد ما يفيده «الاضـطراب» وعـدم النـظام وهـذا في استعمال الاقدمين ايضا، غير اننا نجد في شعر الافوه الازدي قوله:

لَا يَصْـلُحُ النَّـاسُ فَوْضَـى لَا سَرَاةَ لَهُـمْ
وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهَّـالُـهُـم سَادُوا[11]

وكلمة فوضى تفيد الوصف ومعناها مختلطون ومن هنا يصح لي ان المح صواب ما ذهب اليه الدكتور مصطفى جواد[12].

5 ـ مشاكل

أقول: هي كلمة شاعت في العربية المعاصرة جمعا لـ«مشكلة» وهي في الاستعمال القديم جمع سالم مؤنث «مشكلات».

وقد كثر استعمال مشكلة في العربية المعاصرة، وكذلك جمعها، لقـد اختـار المـترجـون النقلة في المشرق العربي كلمة مشكلة مؤنثة للكلمـة الانقليزية Problem فشـاعت وكتب لها السـيرورة، ولو أنهم اختاروا كلمة اخرى بمعناها نحو معضلة مثلا لشاعت ايضا، في حين

---

(11) انظر لسان العرب «فوضى» وجاء فيه بما يُشْعِر الصفة وليست جمعا قول الشاعر:

طَعَامُهُمْ فَوْضَى فَضا رحالهم ولا يحسبُونَ السوء إلاّ تَنَادِيَا

وهم فوضى أي مختلطون لا أمير لهم يجميهم.

ويقال ايضا، فَيْضَى، وفَيْضِيضَا، وفَوْضوضا، ويمدّ جيعه.

(12) أقول: رجعت الى مادة «فضض» لاتبين معناها في الاصل واعرف الصلة بينه وبين ما آلت اليه بعد الابدال. لقد عرفت ان «الفَضّ» هو الكسر، وان الدلالات للكلمة كلها لا تبعد عن الكسر حقيقة ومجازا، و«الفَضِيض» هو المكسور. واذا كانت «فوضى» تعني «المختلطين» فكأنهم أجزاء متفرقة اختلطت على غير نظام.

وجـد المـترجمون النقلة في المغرب العربي ان هذه الكلمة في الفرنسية مذكرة فاختاروا لها «المشكل».

ولن تجد التونسي الا قائلا المشكل في هذا الامر هو كذا وكذا كما لن تجد المشارقة الأ قائلين «المشكلة الكبرى» ثم اعود الى جمعها فأقول ان «مشكلة» هي بناء اسم الفاعل من الرباعي نحو «معضلة» وجمعها معضلات ولا نقول معاضل كما نقول مشاكل ولكننا نقف على قوله تعالى: «وحرمنا عليه المراضع»[13].

واسم الفـاعل هذا لا يأتي منه «مَفَاعِل» في الجمع الا نوادر قليلة و«المراضع» جمع «مُرْضِعَة» لا «مُرْضَعْ» ومن هنا يكون لنا ان نحكم بصحة مشاكل ولي ان اقول في هذا الجمع ما قيل في جمع مصيبـة فقد جمعت على مصائب وهو الكثير ولكنه على غير قياس وجمعت على «مَصَاوِب» واسم الفاعل لا يجمع على مفاعل الا انهم توهموا ان المفرد مصيبة على وزن فعيلة لا «مُفعلة»[14].

وكأن هذا الذي عبروا عنه بـ«التوهم»[15] صوغ هذا الخروج عن القياس.

---

(13) 12 سورة القصص.

(14) انظر لسان العرب مادة (صوب). ثم ان الجمع «مصائب» بالهمز، فضلا عن خروجه عن القياس كما قالوا، فيه خروج آخر عن القاعدة الصرفية التي تقضي بعدم قلب الواو والياء همزة عند الجمع كما نقول في جمع «مشيخة» «مشايخ» بالياء، وفي جمع مصيدة «مصـايد»، ولكن المعاصرين استبدلوا بالياء همزة ظنا منهم انه هو الفصيح فقالوا: «مشائخ» و«مصائد». وعلى هذا خطّأ البصريون «معائش» في قراءة نافع المدني، وذهب أهل القراءات الى انها قراءة موثقة صحيحة، والقراءة العالية حجة، ونافع من اهل الثقة في هذا الفن.

(15) جاء في العربية «المسيل» أي السيلان، وهذا يعني أن الاصل هو مادة «س ي ل» غير ان جمع «مسيل» جاء على «أمسلة» و«مُسُل» و«مُسْلان» و«مَسَائل»، وكله توهم أصالة «الميم» في «مسيل» اي انه على بناء «فعيل».
والذي الاحظه ان الجمع الاخير «مسائل» بالهمزة، والقاعدة الصرفية تقضي ان يكون بالياء «مسايل» لاصالة الياء في «س ي ل». وكأن الاستعمال قد خرج على القاعدة الصرفية، أو أن أصحـاب المعجمات واللغويين قد اغفلوا القاعدة الصرفية، نظير ما =

6 ـ مصائـــــــر

أقول : في تاريخ هذه الكلمة المجموعة انها جمعت وشاعت في هذه الصيغة في العربية المعاصرة ذلك انها وردت مفردة عدة مرات في لغة التنزيل[16] وان ورودها مفردة في لغة التنزيل يشير الى ان الكلمة. وهي مفردة، تؤدي ما يراد منها،فليس ثمة حاجة الى ان تجمع.

وقد نسأل : لم كان هذا الجمع؟ والجواب عن هذا ان العربية المعاصرة جمعت الكلمة تأثرا باللغات الغربية التي ترد فيها هذه الكلمة مجمـوعـة، كأن يقـال فيها «مصائر الامم» او «مصائر» الشعوب التي ما زالت تحت نير الاستعمار ومثل هذا.

= جاءت في «مصائب»، ونظير الشائع الكثير على التوهم أو الخطأ في «مصائد» و«مشائخ».

ومثل هذا جمع «مكان» على «أمكنة» بتوهم اصالة الميم من «مكان» وكأنها وزان «متاع» وجمعها «أمتعه». ولابد ان يكون أصل «مكان» من مادة ك و ن. انّ مادّة «ك ن ن» كما في «كِنّ» و«كِنَان» كلّها تدل على الظرفيّة المكانيّة، وكذلك «و ك ن». أقول : ولكثرة استعمال «مكان»، واقترانه بـ «زمان» جعلت الميم اصلا على التوهم فَجمع هذا الجمع. وأصله «الكـون» أو «الكينـونـة». وكأن هذا المصدر الاخر يومىء الى أن «الكون» الاجوف جاء من الثلاثي المضاعف «ك ن ن»، كما أن «الغيبة» و«الغياب» من «الغبّ» ويستـدل على هذا من «الغيْبُـوبة». وقد نلمح المضاعف يتحول الى الناقص كما في «غضّ» الذي تحول الى «أغضى»، ومثله بوجه خاص تحول «مطّ» الى «مطى» مع بقاء التشديد و«مطل» الفتح في الطاء من «مط» كما ورد في قوله تعالى : «ثم ذهب الى أهله يتمطّى» «(33 سورة القيامة). والاستقراء الكثير في الافعال يدل على نظائر هذا الاخير ومنه : «ذَرَّ الذي يتحول الى ذَرَّى».

وأعود الى «كون» و«ك ن ن» فأجد أن الدلالة واحدة تجمع بين الاثنين، فكلاهما يشير الى «الوجود». ولعل من هذا أيضا «الضُّرُّ» و«الضَرَرُ» من المضاعف و«الضَيْر» من باب الاجوف. وأنا أجتهد فأقول: انّ المضاعف هو الاصل، ذلك انه الخطوة الاولى في تحول الثنائي «ضر» الى ثلاثي وهو ضرر، والاستقراء يشير الى كثير من هذا.

(16) وردت كلمة «مصير» في لغة التنزيل 28 مرة أجتزىء منها بما أثبته : قوله تعالى «وبئس المصـير» 126 البقـرة، وقوله تعالى: «والى الله المصير» 42 سورة النور، وقوله تعالى «وساءت مصيرا» 97 سورة النساء. وقوله تعالى: «قل تمتعوا فإنّ مصيركم الى النار» 30 سورة ابراهيم. أقول: «ان المصير في هذه الايات يعني النهاية والعاقبة، وهو هنا مصدر ميمي بمعنى الصيرورة أو الصير. وقد يكون في هذه الدلالة الاصلية أساس لكلمة «المصائر» في اللغة المعاصرة، هذه الكلمة التي تجاوزت في جمعها معنى النهاية أو العاقبة الى شيء آخر يتصل بما سيؤول اليه الامر من أحداث.

والكلمة الانقليزية Destiny والكلمة الفرنسية Destin او الكلمة الاخرى Sort يأتي كله مجموعا في هاتين اللغتين:

ولما كنا ننقل عن هاتين اللغتين اضطرارا وحاجة فلابد ان ننتهي الى هذا الذي حصل من جمع هذه الكلمات، أقول أيضا: ان المعربين في عصرنا يجهلون دقائق العربية وهم يحسبون مصائر بالهمز فصيحة، ولو قال احدهم «مصاير» لحسبوا انّه متأثّر بالاعراب الدارج العاميّ ولم يعلموا ان «مصاير» بالياء هي الفصيحة وان الياء فيها لا تبدل همزة وهي نظير مصايد ومشايخ وليس لنا ان نهمز هذه الالفاظ لان الياء فيها اصل.

ان الياء في مصـاير ليست كالياء في حديقة التي تبدل همزة في الجمع فنقول: حدائق لانها زائدة وليست اصلية والفعل «حدق».

ثم ان المعاصرين قد جمعوا «مصير» على «مصائر» جمع توهم، فكأن الميم اصل في الكلمة، وهي بذلك وزان «فعيل» كما قيل في «سرير» «سرائر» وهو غير «سُرُرٌ» و«أسرّة».

وقد مرّشيءٌ من هذا في تعليقنا على «مصيبة» و «مصائب». ومصير اسم مفعول لا يمكن ان يجمع على مصاير لولا فذلكة التوهم.

7 ـ مصاعب

«المصاعب» جمع «مُصْعَبْ»، وهو الفحل الذي يودع من الركوب والعمل للفحلة.

قال أبو ذؤيب:

كأنّ مصـاعيب زُبَّ الـرؤو   س في دَارِ صَرْمٍ تَلاَقَى مُرِيحا

قالوا أراد «مصاعب» فزاد الياء لتأتي له «فعولن».

أقول: وجدت هذا دليلا على ان حذف الياء هو الفصيح وليس العكس.

وقد فات الدكتور مصطفى جواد هذا في ذهابه الى ان جمع معجم هو معاجيم كانه حملها على المسانيد جمع مُسْنَد والمراسيل جمع مرسل من مصطلحات الحديث الشريف.

بين الاصالة والتوهم

ذكرت ان «المسيل» هو السيلان ومن هنا كانت الميم زائدة، ولما جمع المسيل على «أمسلة» و«مُسُـل» و«مُسْلان» و«مسائل»، علم انهم توهموا أصالة الميم، وهي زائدة في الحقيقة.

والامـر يتجـاوز هذا ذلـك ان اللغويين أفردوا لها مادة في المعجم القديم، وكأنها أصل، وزاد فيها المعربون وذهبوا كل مذهب فكان منها «المَسَل» لمسيل الماء ايضا وكان منها«المَسْل»باسكان السين للقطر. ومن عجب أن جملة هذا في مادة «مَسَلَ» ولم يكن له اشارة في مادة «سَيَل» ومن هذا ايضا أن «مدينة»قد جمعت على مدائن، ولم يلتفت الى أصالة الياء بل حسبت مثـل ياء «فعيلة» زائـدة فجمعت على ذلك فكانت «مـدائن». وقد جعلها اللغويون أصلا في المعجم القديم «مَ دَ نَ». والحقيقـة التاريخية تشير الى أنها «د ي ن»، غير أن مادّة «د ي ن» في المعجم القديم قد خلت مما يشير الى «المدينة».إن المدينة تشير في صوغها الى أنّها من «الدين» اي الحساب ومن هنا انصرفت الى معاني التمدن والتحضر. أن «يوم الدين» في الادب الاسلامي هو يوم الحساب ويوم الحكم.

وهذا المعنى هو نفسه في الاصول السامية، فبيت الدين هو هذا المعنى في اللغة الآرامية، ومن هنا سميت كنيسة «بيت الدين»، وهي من حواضر لبنان. وبيت الدين [illegible] في اللغة العبرانية تعني بيت الحكم اي المحكمة.

فمن حقنا ان نضع الاصلين في المعجم التاريخي، ويشار في مادة «د ي ن» الى مادة «م د ن». وقد فطن الازهريّ الى شيء من هذا في جموع «مسيل» التي تقدمت فقال: وهذه الجموع على توهم ثبوت الميم أصلية مثل مكان وأمكنة، قال ساعدة بن جؤية: يصف النحل.

منها جوارس للسراة وتحتوي[17] كَرَبَات أَمْسِلَةٍ إذا تَتَصَوَّبُ

ولكن الازهري حين أتى بالشاهد أراد أن يثبت معنى «أمسلة» فيه فقال: و«الأمسلة» جمع «المسيل»، وهو الجريد الرطب، وجمعه «المُسُل».

وقال: «سمعت أعرابيا من بني سعد نشأ بالاحساء، يقول لجريدِ النخل الرطب: «المُسُل»، والواحد «مسيل»»[18]

ومن هذا أيضا قولهم «ماء معين» اي صاف عذب نمير، وقد حسب «المعين» قال تعالى: «يطاف عليهم بكأس من معين» 45 سورة الصافات. وقوله تعالى: «قل أفرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء من معين» 40 سورة الملك.

وقد ورد «المعين» في مادة «عين» في المعجم القديم، وورده هنا يشير الى أصله وهو «عين الماء». كما ورد في مادة «مَعن»، ومن دلالات «المَعْن» الاستقاء[19]. الا أنّ «معن» دلت على مواد كثيرة ابتعدت عن الماء والاستقاء فصارت مادة قائمة وحدها، لا صلة لها بـ «عين». ومن ذلك «المعان» بمعنى المكان أو المنزل، و«الماعون» بمعنى الطاعة والزكاةوأسقاط البيت.

ومن هذا أيضا «المكان» الذي جمع على أمكنة، وقد سبق الكلام عليه.

ولكني أضيف هنا الى أنّ شهرة «المكان» وسيرورة استعماله جعلا منه أصلا. أقول: «أصلا» لانهم أخذوا منه الفعل «م ك نِ» الدال على القدرة، و«التمكن» الثبوت في المكان والاستقرار فيه ثم اتسِعَ فيه الى

---

(17) تحتوي اي تأكل

(18) لسان العرب («مسل») أقول: لم يرد شيء من هذا في مادة «سَيَل».

(19) قيل فيه: ماء معين أي معيون ووزنه «مفعول» وحسبت الميم أصلا فقيل: وزنه «فعيل».

القـدرة مطلقـا. و«المكين»: هو القادر المتمكن ذو المكان[20] وكأنهم حسبوه على «فعيل» ولم يُلمِحُوا الى أنه من «ك و ن».

خاتمة

وبعـد فهذا موجز مفيد عرضت فيه لجملة من ألفاظ الجمع، وشققت فيها الكلام على الاصول وما عرض لها في تاريخها في الاستعمال من ضروب من الاتساع حتى انتهت الى ما انتهت اليه. وكأني أدرك ان المعرب القديم تجاوز فيما دعي بـ «التوهم» مسألة الصواب والخطأ.

ومن عجب انه صوّب مسائل ضاق بها المعاصرون فذهبوا فيها الى الخطإ. ويحسن بي في هذا الصـدد أن أفيد من سماحـة لغـة الـذكر وشجاعتها فأورد منها: الاول: وهو مفيد كل الفائدة من الناحية اللغوية التاريخية، قال تعالى: «إن السموات والارض كانتا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا...» (30 سورة الانبياء). فعـوملت «السموات» و«الارض» مثنّى فقال: «كـانتا» ثم «ففتقناهما». فلينظر أصحابنا الذين لا علم لهم شجاعة العربية في هذا الكلم البليغ: الا ترى كيف استقام وضع الجمع مع المفرد ثم الاخبار عن هذه التركيبة بما يشعر أنهما مثنى.

والثاني: مجيء مُفْعِلة مجموعة على «مَفَاعِل» كما في قوله تعالى: «وحرمنا عليه المراضع من قبل»[21]. أقول: و«المراضع» في سياق الآية تشـير بوضـوح الى أنها جمع «مرضعة» وهي أدل من ان تكون جمع

---

(20) قال تعالى: «انك اليوم لدينا مكين أمين» 54 سورة يوسف
«فجعلناه في قرار مكين» 21 سورة المرسلات.
«ثم جعلناه نطفة في قرار مكين» 13 سورة المؤمنون.

(21) سورة القصص

«مُرضع» ،وإن كان هذا لا يمتنع .ومن هنا فهو من الجمع العزيز الذي نستدل به على قوة جمع « مصائب» التي تقدم الكلام عليها. الثالث: وهو قوله تعالى: «فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين»[22] .

وفي هذه الاية اجتمعت التثنية والجمع، فالمتحدث عنه مثنًّى، والضمير الذي عاد عليه ضمير تثنية وهو ألف الاثنين في «قالتا»، ولكن المحمول عليها من الوصف الذي جاء حالا من الضمير في «أتينا» كانا جمعا مذكرا سالما وكأن السماء والارض حين نسب اليهما ما هو خاص بالآدميين، وهو القول، صوّغ ذلك أن يجيء لهما ما جاء في الآية في قوله تعالى: «أتينا طائعين»، وأن تعامل في النحو معاملة العاقل فتتحدث بلسان العاقل كما ورد في الآية الكريمة.

أقول: لو كان لي أن أتوسع قليلا لتجاوز مني هذا الموجز الصفحات الكثيرة، وفي الذي أوردته بعض ما أرمي اليه.

وهذه طائفة اخرى من الجموع مما جاء في العربية على «أَفَاعيل» و«فَعَالِيل» و«تَفَاعيل»، وقد يجيء على «فَعَالِلْ» وأبنية أخرى.

وقد بدا لي أن اعرض لهذه الطائفة من الجموع لخصوصية فيها، ذلك أنّ الجموع قد اهتدى اليها المعرّبون قبل أن يكون في كلامهم ولغتهم مفرداتها. إنهم بنوا الجموع على مصادر موادها كما ترى وسأدرج هذه الطائفة من الجموع على حسب حروف المعجم، ودونك ما وصل اليه استقرائي.

1 ـ أبابيل

«أبابيل» وهي الجماعة في تفرقة ولم ترد هذه في العربية سوى في قوله تعالى: «وأرسل عليهم طيرا أبابيل»[23] .

---

(22) 11 سورة فصلت

(23) 3 سورة الفيل

قال القدامى من علماء اللغة وأصحاب «غريب» القرآن: إنها جمع لا واحد له بمنزلة «عباديد» و«شماطيط» و«شعاليل».

غير أن نفـرا من أهل اللغة أعملوا النظر فأخرجوا لهذا الجمع مفـردا، وكأنهم تخيّلوه وهو بحسب تصورهم: «إِبِّيل» و«إِبَّوْل» وقالوا أيضا «إِبَّالَة»، ولم يرد أيّ من هذه المفردات في نصوص العربية[24].

2 ـ أسـاطيـر

«الاساطير» معناها ما سطره الاولون، وواحد الاساطير أسطورة مثل أحدوثة وجمعها أحاديث أقول: وردت «الاساطير» في آيات عدة بقـولـه تعـالى: «أساطير الاولين» والكلمة جمع، ولم يسبقها المفرد في الاستعـمال بدلالة ما قيل في المفرد، فقد ورد في كتب اللغة: واحدة الاساطير إسطار وإسطارة وأُسْطِير وأُسْطيرَة وأُسْطُور وأسطورة.

وقال قوم: أساطير جمع أَسْطَار، وأسطار جمع سَطْر فكأن «أساطير» على رأي هؤلاء جمع الجمع.

وقال ابو عبيدة: «سطر ويجمع على أَسْطُر ثم جمع على أساطير».

أقول ايضا: وهي لا تخرج في الدلالة عما يسطر من كتابات وهي في قوله

(24) قلت: ان المفرد لهذا الجمع غير معروف في العربية بحسب الاستقراء، ولم يرد كذلك هذا الجمع الا في الاية الكريمة التي ذكرناها. وعلى هذا يصح لي أن أجتهد فأذهب الى سبق بناء الجمع وارتجاله في العربية.

ومثل هذا أبنية مجموعة أخرى. وقد يكون لي ان أثبت ان العوام في الالسن الدارجة قد كان لهم شيء من هذا فالعراقيون ولدوا جمعا هو «تفاليس» لمجموعة من «الافلاس» التي تتهيأ لأحـدهم في «جيبـه» أو محفظة نقوده فيقولون مثلا: «لم يبق عندي سوى «تفـاليس» وهي «الافـلاس» من النحاس. وليس من شك أن المفرد غير موجود في درجهم ولكنهم تصوروا الجمع وأفادوه من كلمة «فلس». وليس لنا أن نقول: ان المفرد «تفليس» بحسب القياس، ذلك أن هذا غير موجود فيما يدرجون فيه من كلامهم. ومن هذا ايضا استعمال عامة العراقيين جمعا آخر هو «تناتيف»، ويريدون منه الدقيق من قطع الاشياء المتفرقة التي يضمها المتكلم بعضها الى بعض مع تفرقتها. أو كان أحدهم يأتي بأجزاء صغيرة تتصل بهذا الشيء أو ذاك وليس لهذه «التناتيف» مفرد هو مثلا «تنتوف» أو «تنتوفة» أو «تنتيفة» بحسب القياس.

وسأذيل هذه الطائفة من الجمع بما ولّده العراقيون من العامة من هذا ولم يكن له مفرد

تعالى تحتمل النبز أي أن كتابات الاولين لا تعني شيئا ذا قيمة.
وقد وردت في الجمع وهو المراد المقصود ولم يستعمل المفرد لهذا المعنى في النبـز، ومن أجل ذلك أعمل اللغويون نظرهم فوضعوه في عدة أبنية ذلك أنهم نظروا في الأشباه والنظائر فكان من ذلك أبنية عدة في المفرد وأما ما يذهب اليه المعاصرون من فهم للأسطورة فلم يكن في نصوصنا الأدبية التاريخية شيء يومىء الى شبه يسير بما يعرف عن «الأساطير» لـدى الاغريق والرّومـان وشعوب الشرق القـديم. و«الأسـاطير» في فهم المعـاصرين واستعمـالهم جمع مرتجل لاواحـد لـه ولكنهم قـالوا: «أسطورة» وحملوها ما لها في اللغات الاجنبية «Fable» أو «Mythe».
وحقيقة الاسطورة في العربية أنها تدل على غير ما تدل عليه في اللغات الاجنبية: إنها مجموعة أسطر أو كتابة شيء مسطور. وهي مأخوذة من الجمع «أساطير» قياسا على نظائرها الاضاحيك والألاعيب والأهاجي جمع أضحوكة وألعوبة وأهجية.

3 ـ أشـائـب

و«الأشائب» هي الاخلاط، وهُرِعَ أهل «المعرب» الى القول إنها فارسية وان أصلها أشوب
أقول: وأصحاب المعجمات جعلوها أصلا وهو«أَشَبَ» و«أَشِبَ الشيء» أي خلطه و«الأُشابة» من الناس الاخلاط قال النابغة:

وثقت له بالنصر إذ قيل قد غزت كتائب من غَسّانَ غير أَشَائِبِ

أقول أيضـا: ومن حق صاحب المعجم التاريخي أن ينظر في الأصول المتشابهة ويصل العلاقات بينها، إذ لا بد لكل منها أن يتصل بصاحبه وأن هذه نسيج واحد يتصل سداه بلُحْمته.
إن مادة «أشب» لابد أن تكون مع مادة «شوب» شيئا واحدا، فالشوْبُ هو الخلط. وكل ما جاء في «الشوب» من دلالات كالعسل وغيره مثلا كان معنى «الخلط» حاضرا فيه.
و«الشـائبـة» وجمعهـا «شـوائب» هي الاقذار والأدناس تومىء

بوضوح الى «الخلط». ومن هنا كان بين المهموز «أشب» والاجوف «شوب» علاقة الشيء الى نفسه. أو قل: إن «شوب» هو الاصل قد ذُهِبَ به الى المهموز ومن هذا الكثير في العربية ومنه «شور» ومنه «أشار» نجده واضحا في «أشِرَ».

ومن المفيد ان يشير صاحب المعجم التاريخي، وحقه ذلك، الى مادة «شيب». إن دلالة «الشيب» معروفة في العربية، وهو ابيضاض شعر الانسان، ومنه الاشيب للرجل، ولا يقال للمرأة «شيباء».

والأساس هو اختلاط البياض بالسواد، وَخُصَّ بشعر الانسان. وكأن فكرة الخلط حين اكتسبت هذه «الخصوصية» اتسعت في العربية فأفادت من الواو والياء، فانصرف «شاب يشوب» الى مطلق الخلط، وانصرف «شاب يشيب» الى الخلط الخاص بين اللونين في الشعر وهما البياض والسواد. وهذا معروف في العربية وله نظائر، ألا ترى أنّ «البَوْن» هو المسافة وأنّ «البين» هو البعد والفراق، وليس هذا وذاك بعيدا عن كلمة «بين» الظرف المكاني ثم الزماني. ومثل هذا «الطَّيْر» ودلالته معروفة، و«الطور» ودلالته على التقلب منصرفا الى مصدر أُمِيت فعله هو «طار يطور».

4 ـ أظافير

و«الأظافير» جماعة الأظفار.
وقالوا: الظُّفْر وجمعه أظفار وأُظْفور[25] وأظافير.

---

(25) أقول: اذا كان «الأظفور» بضم الهمزة يدل على الجمع مع أنه قد يدل على «الظُّفْر» فهو في هذا لا يدخل في باب اسم الجمع، وهذا قليل.
ومن المفيد أن أشير الى ان بناء «أفعول» بفتح الهمزة من أسماء الجمع وهو كثير في اليمن، قال الاستاذ القاضي اسماعيل بن علي الاكوع في مبحث له مفيد نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مجلد 61 ج 2) في «الأفعول» وما جاء على وزنه من اسماء الأعلام والقبائل والبلدان في اليمن:
«وكان لسان اليمن الحسن بن احمد الهمداني المتوفى في حدود منتصف المئة الرابعة للهجرة هو أول من تنبّه الى هذا الامر فقد ورد في كتابه «الاكليل» ما لفظه: وكثير من =

وهو الأظفور، وعلى هذا قولهم أظافير، لا على أنه جمع أظفار الذي هو جمع ظُفْر.

أقول: والذي درج عليه المعربون في أيامنا أنهم يقولون في جمع ظُفْر «أظافر»، فلم يرد في كلامهم ولا في كتابتهم «أظفر» ولا «أظافير». وقدً تكون «أظافير»، وهو جمع «ظُفْر» او «أُظْفُور» على قول جماعة، غير داخلة فيما انا فيه، ذلك انها جمع مفرده معروف، وكنت قدمت أن طائفة الجموع التي تكلمت عليها هي تلك التي اهتدى إليها المعربون في ممارستهم اللغوية ولم يفكروا في المفرد لها ولم يرد في استعمالهم. ولكن اللغويين فكروا فيه فذكروه في صيغ عدّة كما رأينا في «أبابيل» و«أساطير».

قبائل حمير تأتي على «الافعول» (الاكليل) 2/449 وقال في مكان آخر من هذا الكتاب: «وانما هذا اسم كأنه جُمَّاعٌ قبيلته (الاكليل 1/124). وقد سار القاضي اسماعيل بن علي الاكوع على هذا النهج فاستوفى في مبحثه الذي اشرنا اليه ما جاء على «أفْعُول» من اسماء الاعلام والقبائل والبلدان. وأشار الى أن هذا الوزن موجود في الحبشة، وقال: «واغلب ظني انه انتقل اليها من المؤثرات الثقافية في اليمن. وأشار الى ما ذكره: «ديتلف نيلسن» في كتابه «التاريخ العربي القديم» ص 31.

وأشار الى قول الدكتور عبد المجيد عابدين في كتابه «بين الحبشة والعرب» ص 103، 304 الذي ذهب فيه الى ان هذا الوزن حبشي ثم عرفه أهل اليمن.

قال القاضي الاكوع: «ولو أن الدكتور عابدين اطلع على كتاب «الاكليل» و«صفة جزيرة العرب» للهمداني لغير رأيه ثمّ قال: وقد تبين أن ما جاء من هذه الصيغة مفتوح الهمزة مثل قولهم: في الاحباش «الأَحْبُوش» (كتاب الاشتقاق لابن دريد 193) وفي العبيد جمع عبد «الأعْبُود» فهو صيغة جمع، وما جاء مضموم الهمزة مثل الأُصْبوع والأُظْفُور لغة في الأُصْبُع والظُّفْر، والأُسْروع واحد الاساريع وهو الأغصان الرطبة التي تخرج من شجر العنب، والاسنوم عضات ترعاها الابل فهو في الاغلب صيغة مفرد مثل الأُمْلوح والأُمْلود وغيره. ثم مضى القاضي الاكوع يذكر ما ورد على افعول بفتح الهمزة من أسماء الجمع مرتبة على حروف المعجم وكله كلمات يمنية في القبائل والبلدان جاءت على بناء الجمع.

أقول: والذي ورد في العربية من بناء الجمع هذا ثلاثة الفاظ ذكرها اهل اللغة وهي: «أُمْعُوز» للقطيع من الظباء، «أُحْبُوش» لجيل الحبش، و«أُرْكوب» للجماعة من الركاب، وهي بضمّ الهمزة ولم يذكروا معها «أُسْطور» «وأُظْفُور».

وسيقال إذن، لم ذكرت «الأظافير» وهي مخالفة لما اشترطت وذهبت اليه ؟

وأنا أرد على هذا القائل محترزا بما ذهب اليه أحد الدّارسين المجتهدين من المسلمين الهنود وهو المولوي السيد كرامَت حسين الكنتوري في كتابه «فقه اللسان» الذي اشتمل على نوادر الالفاظ وما عرض لها في أبنيتها من الإبدال وزيد فيها حتى تحولت من الثلاثي الى الرباعي . وفي هذا الكتاب جاء ان «حذافير» أصلها «أظافير» وسيأتي هذا في حذافير.

والكتاب قد طبع وهو بخط اليد على طريقة «طبع الحجر» في مجلدين في الهند .

5 ـ أظانين

و«الأظانين» على غير قياس، وهي جمع «ظن» مثل «الظنون» وهي من النوادر، وهذه قد يلجأ إليها الشاعر عند الضرورة والحاجة، أنشد ابن الأعرابي :

لأُصْبَحَنْ ظَالِمًا حَرْبًا رَباعية   فاقْعُدْ لها ودَعَنْ عنك «الأَظَانِينَا»

وليس لنا أن نعمل فيها النظر والقياس فنذهب الى انها جمع «أظنونة» أو نقول: إنها جمع الجمع .

6 ـ بيوتات

و«البيوتات» جمع الجمع، ذلك أن «بيت» يجمع على «بيوت» وأبيات ثم «بيوتات» على جمع الجمع . إن جمع الجمع مادة لغوية لا تعني ما يراد منها في اللفظ اي الجمع الكثير، بل إنها مادة لإفادة الخاص لا العام ان «البيوتات» ذهبت الى عدة قليلة من «البيوت» المشهورة والاسر نحو قولهم : «بيوتات قريش» .

ومثل هذا قالوا : «رجالات» للجمع القليل من الزعماء والرؤوس كقولهم «رجالات العرب». إن جمع الجمع في مصطلحه هذا أفاد

الخصوصية المتمثلة في القلة.

وقد استفيد من «جمع الجمع» في الشؤون الفنية فتحول الى مصطلحات فنية كما في مصطلح الصيرفة والمصارف في عصرنا ومنها:

«الدفوعات» لمجموع ما يدفع في المصارف والبنوك.

و«القبوضات» لمجموع ما تقبضه المصارف والبنوك من حرفائها.

و«الحسومات» لمجموع ما يُحْسَمُ من الفوائد المصرفية.

ومن مصطلحات الصوفية «الفيوضات» و«الإشراقات» و«التجلّيات» وغيرها.

7 ـ تعـاشيـب

و«التعـاشيب»: ضروب من النبت، لا واحـد له. والعشب: النبـذ المتفرق. أقول: هذا مما جرى في لغة الاقدمين، ولم يكن بهم حاجة إلى كلمة منه تكون مفردا.

8 ـ تفـاريـق

و«التفاريق» في قول ابن الاعرابي: انّ العصا تُكْسَر فيتخذ منها ساجور، فاذا كُسِرَ الساجوراتخذَت منه الأوتاد فاذا كسر الوتداتخذَت منه التوادي تُصَرُّ به الأخلاف. كل هذا من أجزاء العصا يطلق عليه «تفاريق العصا» وهو يعني ان «التفاريق» مفيدة لصاحبها جاء في الرجز:

أَشْهَدُ بالمَرْوَةَ يومًا والصَّفَا   أَنَّك خَيْرٌ من «تفاريق العصَا»

والرجز لغنّية الأعرابيّة، وقيل لا مرأة قالته في ولدها، وكان سديد العَرامة مع ضَعْفِ أَسْرٍ ودِقّة. أقول: ولم نجد في نصوصهم ولا في المعجمات مفردا للتفاريق وأنك لو قلت «تفريق» بحسب القياس لم تفد منه الفوائد التي كانت للجمع «تفاريق» في سلوك الاقدمين كما يشير أدبهم.

9 ـ تــلابيـــب

و«التـلابيب» بصيغة الجمع في لغة المعاصرين، وأنت تقرأ في أدبهم: «وأمسك بتلابيبه»، ولو أنك سألت من يقول هذا لأفادك أن المراد بـ «التلابيب» هو أطراف الثوب.

وهـذا هو دأب المعـاصرين أنهم كثـيرا ما يستعملون الكلمـة فيعطونها شيئا من معناها أو ما يقرب منه فيحدث في دلالتها ما يمكن أن أدعوه «تطوّر الى الخطأ».

أقول إن الكلمة في الأدب القديم مفرد لا جمع، ودونك ما جاء من ذلك: قالوا: وتَلَبُّبُ المرأة بمِنطقتها هو أن تضع أحد طرفيها على منكبهـا الايسر وتخـرج وسـطهـا من تحت يدهـا اليمنى، فتغطي به صدرها، وترد الطرف الآخر على منكبها الايسر.

وقالوا ايضا: و«التلبيب» من الانسان هو ما في موضع اللَّبَبُ من ثيابه، وتلبّب الرجل، تحزم وتشمّر و«اللَّبَبُ» كاللَّبَّة وهو وسط الصدر والمَنْحَر. و«لَبَّبَ الرجلَ» جعل ثيابه في عنقه وصدره في الخصومة ثم قَبَضَهُ وَجَرَّهُ، وأخذ بتلبيبه كذلك.

أقول: بعد هذا التوسع نصل الى ما جاء في التهذيب للازهري قال: يقال: أخذ فلان بتلبيب فلان. وفي الحديث: فأخذت بتلبيبه وَجَرَرْتُه.

ومن هنا يتبين أنّ الكلمة استعمل مفردها ولم ير المعربون القدماء حاجة في الجمع لانه لا يدخل في خصوصية الدلالة كما ورد في الشرح. ولكن المعاصرين لم يفهموا خصوصية الدلالة وصرفوا الكلمة «مجموعة» الى المعنى الذي بسطناه فجمعوا ما لم يُعْرَف له جمع لانتفاء الحاجة اليه.

10 ـ جــراثيــم

و«الجـرثومة» أصل كل شيء، وقيل: ما اجتمع من التراب في أصـول الشجر. واستعملت على التوسع فقالوا: فلان طابت أرومته وعزّت جرثومته.

ولم تكن بهم حاجة الى جمعه على جراثيم وإنْ كان هو القياس .
وقال المولوي السيد كرامت حسين الكنتوري الهندي في كتابه الذي أشرنا اليه وهو «فقه اللسان» : «جراثيم» أصلها «سراشيم» جمع «سرش» ، وهو عبراني بمعنى الأصل ، وقريب منه «ضرس» في العربية ، جمعوا «سرش» على قاعدة العبرانية ، ثم أخذه العرب بابدال السين جيما والشين ثاء وجمع على الطريقة العبرية «الياء والميم» ، وحُسِب جمعا للجرثومة ، ولكونها على صيغة منتهى الجموع وضعوا لها مفردا .
انتهى كلام السيد المولوي .
أقول : والذي في السريانية والآرامية هو «شرش» للجذر من النبات والشجر ، ومازالت العامية الشامية تعرف هذه الكلمة وكأن أهل الشام أدخلوها في عربيتهم الدّارجة فجمعوها على «شروش» نظير «جذر وجذور» . وقد عرفتها الفصيحة المعاصرة في سورية ولبنان .
أقول أيضا : وقد صَرَّفَ المعاصرون الجراثيم الى مصطلح علمي يفيد الأحياء الصغيرة والطفيلية التي تولّد الأمراض والآفات ، وكأنها تعني ما يعنيه لفظ «مكروب» .

11 ـ حذافير

و«حذافير» الشيء : أعاليه ونواحيه .
قالوا : فاذا نحن بالحي قد جاؤوا «بحذافيرهم» أي جميعهم .
أقول : وقالوا : المفرد «حذفور» أو «حذفار» .
وقولهم : إن المفرد إمّا هذا وإمّا الآخر يومىء الى أنّهم ولدوا هذا المفرد وليس له وجود في كلامهم ، ولم نقف فيما بين ايدينا من نصوص على «الحذفور» أو «الحذفار» ، فهو شيء مما ولدوه من الجمع الذي فشا استعماله في كلامهم وأدبهم .
أقول ايضا : إن الحذافير تعني في استعمال المعاصرين الاشياء الصغيرة والدقيقة التي تدخل مع الاجزاء الكبيرة في شيء واحد .
وكنت قد أشرت في «أظافير» الى رأي المولوي الكنتوري الذي

ذهب فيه الى أنّ «حذافير» أصلها «أظافير» بعد إبدال الحاء من الهمزة.
أقول أيضا: وقد يرد «حذاريف» على القلب في كلام الناس وهي ليست من الكلم الفصيح وستأتي مع جمهرة من الكلم العامي الدارج.

12 ـ حــزاقيــل

و«الحزاقيل»: خشارة الناس، لا واحد لها

13 ـ خــراطيــن

و«الخراطين» كما في لسان العرب (خرطن): ديدان طوال تكون في طين الانهار.
قال الازهري: لا أحسبها عربية محضة، وربما كان أصل الكلمة انهم رأوا ذلك الدود يدب في البقاع الرطبة، ووجدوا من خير مميزاته انه يخرأ الطين، فكأنهم قالوا: دود خرأ الطين، ثم بكثرة الاستعمال صار دود «خراطين» وبعد كونه كلاما واقعا صفة لموصوف حُذف الموصوف وأقيم مقامه الوصف. ولمشابهة وزنه صيغة منتهى الجموع. حسبوه لفظا واحدا جمعا. ولغرابة نشأة الكلمة، ولعدم الحاجة الى ذكر واحد معين من تلك الديدان ان ما وضعوا له مفردا.

أقول: وهذا يدخل في طائفة الجموع التي ارتجلت دون أن يكون لها مفرد.
قال المولوي السيد كرامت حسين الكنتوري في «فقه اللسان»: «خراطيم» مأخوذ من «خراطين» لمشابهة خراطيم الفيلة المتحركة بـ «الخراطين» وحسبوه جمعا لوجود الوزن. ولشدة الضرورة الى استعماله مفردا وهو (خُرطوم) ثم لكون الخرطوم أنفا مقدما للفيل أطلقوه على السيّد الشريف المقدّم على القوم، وعلى الخمر السريعة الاسكار، وأول ما يجري من العنب قبل ان يداس.
أقول: ومنه صاروا الى الفعل «اخرنطم» وما اكتسب من دلالة تومئ الى خرطوم الفيل.

14 ـ خـــلابيـــس

و«خلابيس» : الابل تَرْوَى فتذهب ذهابا شديدا فتُعنّي راعيها، يقال : أكفيكَ الإبل وخلابيسها.
وقالوا : «الخلابيس» بمعنى الكذب، والواحد «خِلبيس»، وقيل : لا واحد لها. أقول : ويتجه الظن الى افتعال «خِلبيس».

15 ـ خنـــاطيـــل

و«الخنـاطيل» صفـة لـ «إبل»، قالوا إبل خناطيل أي متفرقة، وكأنهم ولدوا منه «خُنْطُولة» مفردا ولكنها من صنع القياس على النظائر.
أقول : لقد قالوا في أحاديث انها جمع أُحدوثة ولكننا نجد الشائع الكثير أنّها جمع حديث، ومنه «الحديث الشريف» الذي جمع على احاديث. وكأن الاحدوثة على صلتها بالجمع بقيت معزولة في استعمالها الخاص وهي من غير شك صُنِعَت قياسا على نظائرها.
أقـول : لم نقف على خنطولة في أدب الإبل، ولكن الخناطيل معروفة لدلالتها على صفة في الابل هي التفرق.

16 ـ سمـــاديـــر

و«السمادير» هو الشيء الذي يتراءى للانسان من الشراب عند السكر وهو ضعف البصر، ومنه «اسْمَدَرَّ بصره» أي ضعف.
قال أدي شير في «الألفاظ الفارسية المعربة»[26] : انه تعريب «شمادير».
أقول : ولما كانت الكلمة على صيغة الجمع حسبوها جمعا وهي في الأصل مفرد، وقد روعي اللفظ فيها وسنجد شيء من هذا.

---

(26) الالفاظ الفارسية المعربة ط. الجامعة الامريكية ببيروت سنة 1908م.

17 ـ شعارير:[27]

انظر «شعاليل»

18 ـ شعاليل

و«الشعاليل» في قولهم: ذهب القوم «شعاليل» مثل شعارير».
وقالوا: لا واحد لها[28].
أقول: وقد جاء «شُعْلُول» للفرقة من الناس، ولم يشيروا إلى أنه مفرد شعاليل.

19 ـ شماطيط

و«الشماطيط» في قولهم: جاءت الخيل «شماطيط» و«شماليل» اي متفرقة، وقالوا: لا واحد لها مثل أبابيل وعبابيد. وقيل: شِمْطَاط وشمطوط، وهذا من الكلم المصنوع وما أكثره.

20 ـ ضغابيس

و«الضغابيس» للقثّاء الصغار وقيل: أصول الثمام.
أقول: وليس «الضُّغْبوس» مفردا لها، ذلك أن هذا ينصرف الى الاغصان التي تشبه«العُرْجون».وقالوا: الضغبوس هو الضعيف.

21 ـ طحارير طخارير:

وكأنهما على الإبدال وهما بمعنى لقطع السحاب المتفرقة. وقالوا واحدها طحرورة
أقول: لم أقف على هذا الواحد فيما يتصل بالسحاب والمطر.

---

(27) قالوا فيها ايضا: انها جمع «شعرور» وهذه نبْز لكلمة شاعر.
(28) انظر ابابيل

22 ـ عبـابيـد

و«العبابيد» هي الآكام، وهي الاشياء المتفرقة والبعيدة[29] وقالوا لا واحد لها.

23 ـ فـراديـس

من الكلم الـذي جاءنـا على صيغـة الجمع «فعاليل» وهو من «المعـرب» الـدخيل، والأصل براديس «من الالفاظ» الفارسية، وقد حسبه العرب جمعا على التوهم، فأعملوا فيه نظرهم فصنعوا المفرد فقالوا «فردوس».

24 ـ قـلاقـل

و«القـلاقـل» جمع لما يُتَوَهَّم مفـرده وهو «قَلْقَلة» وليس هو في الاستعمال وقد ورد في البيت المعروف لابي الطيب:

وَقَلِقْتُ بالهَمِّ الذي قَلْقَلَ الحشَا   قَلاَقِلَ هَمٍّ كُلُّهُنَّ قَلاَقِلُ

والبيت من سقطات الشاعر كما في كتب البلاغة.

25 ـ وجـاء في التكملة 1/ 81 أن أهـل اليمن يسمـون الـطبـل «الجَبَاجِبُ» ولا مفرد له.

---

(29) انظر ابابيل

خـــاتمـــة

هذا ما بدا لي أن أثبته مما وقفت عليه، وهو أيضا مما يجتزأ به وغيره معـروف في العـربية وسألحق هذا الموجز بما يجري مجراه في لغة عامة العراقيين مما أرتجل من جمع ليس له مفرد[30].

إبراهيم السامرّائي
جامعة صنعاء

---

(30) وسأدرج في هذا الهامش ما هو معروف في عامية اهل العراق مّما يرتجل جمعا وليس له مفرد ودونك هذه المجموعة:

1 ـ حتـاريف: للفضـلات الصغـيرة من الخبـز وغـيره وهي تومىء الى «الحروف»، و«حروف» الخبز معروفة.

2 ـ حذاريف: النطق الدارج للحذافير.

3 ـ حرافيش: كلمة للنّبز، يقال «الحرافيش» بمعنى الاشقياء.

4 ـ خباصيص: كلمة تعني الاضطراب والفوضى.

5 ـ خرابيش: للكتابة الرديئة والخط الرديء

6 ـ دعاثير: للاشياء المهملة من متاع البيت ونحوه.

7 ـ دحاريج: للاشياء على هيئة كرات صغيرة

8 ـ شخابيط: للخطوط أو الكلمات غير ذات معنى

9 ـ شناشيل: للغرفة المطلة على الشارع واجهتها أبواب من الخشب، والكلمة فارسية.

10 ـ صلابيخ: للحصى الكبار واحدها صلبوخ

11 ـ طخاميخ: للقطع الغليظة الكبيرة من الخشب أو الحجر أو نحو ذلك.

12 ـ لهاميد: للقطع الكبيرة من اللحم ونحوه.

فأتني ان أذكر «جلافيط» لفضلات اللحم ولعل في هذه المادة كلمات أخرى تُستَدْرَكُ على هذا الموجز.

قضية الفصاحة
في القاموس العربي التاريخي

د . عبد العلي الودغيري
كلية الآداب ـ الرباط

(1)

البحث في قضية «الفصاحة» في القاموس[1] العربي التاريخي،

---

(1) ـ استعملت في هذا البحث ـ كما في ابحاث سابقة ـ مصطلحي: (قاموس) و(معجم) بمعنيين مختلفين، شعورا مني بضرورة التّمييز بين مفهومين اصبح الفصل بينهما في الدراسات المعجمية المعاصرة أمرا واضحا تماما.
والمفهوم الاول يراد به كل كتاب أو تأليف له هدف تربوي وثقافي، ويجمع بين دفتيه قائمة تطول أو تقصر من الوحدات المعجمية (المداخل) التي تحقق وجودها بالفعل في لسان من الالسنة، ويخضعها لترتيب وشرح معينين. وهذا المفهوم هو الذي يناسب ان نطلق عليه مصطلح (قاموس) في مقابل اللفظ الاجنبي (Dictionnaire)
وأما المفهوم الثاني فيعني ما هو أشمل وأعمق، وهو المجموع المفترض (أي الموجود بالقوة لا بالفعل) واللامحدود من الوحدات المجمعية التي تمتلكها جماعة لغوية معينة بكامل افرادها، أو يمكن ان تمتلكها احتمالا، بفعل القدرة التوليدية الهائلة للغة. وهذا ما يناسب ان نطلق عليه لفظ (معجم) في مقابل معنى من المعاني الاصطلاحية الحديثة لكلمة (Lexique) الاعجمية. وعلى هذا يمكن ان نقول في التمييز بين المفهومين والاصطلاحين ما قاله (لوي غيلبير) وهو أن القاموس ليس سوى «عملية تصغير للمعجم الموزع على أدمغة كل افراد الجماعة، وفي العدد الكبير من الجمل التي تتوالد بفعل ابداعية =

هو في الواقع بحث في صميم مدونة هذا القاموس ومادته اللغوية، وفي كيفية تحديد مصادر هذه المادة ومنابع جمعها واستقائها، ورسم إطارها الزماني والمكاني، وحجمها ومستويات استخدامها.

ومعرفة طبيعة المادة اللغوية لهذا القاموس مسألة أساسية جدا وضرورية جدا، ولكنها متوقفة على معرفة المنهج الذي سوف يتبع في تأليفه، والتصور الذي يضعه له أصحابه بحسب الأهداف والغايات المتوخاة منه. وبصفة محددة ودقيقة، لابد لمعرفة طبيعة المادة اللغوية التي سيحتويها هذا القاموس أن نعلم أولا: هل من اهدافه أن يكون شاملا يؤرخ لسائر الألفاظ العربية، وكل استعمالاتها ومستويات استخدامها،

= النّظام اللغوي». وبعبارة أخرى ان الفرق بين (القاموس) و(المعجم) كالفرق بين الانجاز والقدرة (أو الكفاءة) في اللسانيات التوليدية. ثم ان البحث في القاموس بحث يغلب عليه الطابع التطبيقي والعملي لانه يندرج عادة تحت علم (صناعة القواميس) (La Lexicographie) بينما يغلب الطابع النظري على البحث في (المعجم)، لانه يندرج تحت فرع آخر من الدراسات المعجمية وهو فرع (علم المفردات) أو (المعجمية) (La Lexicologie)، وقد أصبح اليوم من صلب اهتمام الفرضية المُعْجَمانيَّة (L'hypothèse Lexicaliste).

(انظر حول ما سبق: المعجم. ج. مارسيليزي. تعريب عبد العلي الودغيري. ـ (La créativité lexicale. par: L. Guilbert: 46

وتجدر الاشارة في الاخير الى ان الدكتور ابراهيم السامرائي في بحث له منشور بمجلة «البحوث والدراسات العربية» بعنوان: (مع المعجمات اللغوية القديمة ومسألة التصحيح اللغوي) يعيب على صفوة اللغويين والباحثين في العربية استعمالهم لكلمة (قاموس) بمعنى الكتاب الذي يشتمل على قائمة الالفاظ المرتبة والمشروحة، ويقول ان الصواب هو استعمال (معجم) لان (القاموس) في اللغة هو وسط البحر، وهم عَلَم على كتاب الفيروزابادي ولا يجوز اطلاقه على اي كتاب لغوي. وكأن الاستاذ السامرائي لا يعلم أن هذا الاستعمال الذي أنكره قد أقره المجمع العلمي بالقاهرة وأثبته في (المعجم الوسيط)، كما أثبتته قواميس أخرى منها (المعجم العربي الاساسي) و(المنجد في اللغة والادب والعلوم) وغيرها. وقد تطورت كلمة (قاموس) في دلالتها على مراحل ثلاث، فاستعملت أوّلا بمعنى وسط البحر أو معظمه، ثم اصبحت علما على كتاب الفيروزابادي، واصبحت تعني اخيرا كل كتاب لغوي يحتوي على طائفة من الكلمات المرتبة والمشروحة.

ومن أجل كل ما سبق، أقترح تسمية الكتاب الذي يراد تأليفه من أجل التأريخ لالفاظ اللغة العربية بـ(القاموس العربي التاريخي) وليس (المعجم العربي التاريخي).

بغض النظر عن كونها فصيحة (اي من اللغة المشتركة) أو غير فصيحة (أي من العاميات واللهجات)، أم سيكون الهدف هو الاقتصار على مستوى العربية الفصحى (المشتركة) دون غيرها من اللهجات والعاميات والاستعمالات المحلية التي لم يشترك فيها كل العرب؟

وأن نعلم ثانيا: هل سيؤرخ للعربية في كل أطوار حياتها: قديمها وحديثها، أم سيقتصر على القديم وحده كما فعل (أ. فيشر) في قاموسه؟

ولنفترض الآن أن الاختيار وقع على حصر الهدف المتوخّى في كتابة تاريخ العربية الفصحى (أو المشتركة) دون اللهجات والعاميات لاسباب يمكن إجمالها في:

1 ـ أن العربية الفصحى (أي المشتركة) هي اللغة التي كانت وما تزال وستظل تقوم بدور التواصل والتفاهم الكاملين بين سائر أبناء العروبة والاسلام، وهي الى ذلك عنصر توحيد ديني وثقافي وقومي. وأما اللهجات والاستعمالات المحلية فلم تستطع ولا تستطيع في يوم من الايام ان تقوم بهذا الدور، بل هي عامل تجزئة وتفرقة أكثر منها عامل توحيد، وعامل انقطاع وتباعد اكثر منها عامل تقارب وتفاهم وتواصل.

2 ـ قلة المعلومات التي تصلح لوصف اللهجات العربية في عصورها الماضية وكتابة تاريخها بشكل علمي. فالعرب اشتغلوا بالتأليف في الفصحى، ووجهوا عنايتهم للاهتمام بها والمحافظة عليها، وأهملوا اللهجات لاسباب كثيرة، ولم يتحدثوا عنها الا عرضا وفي شكل استطرادات خلال كتاباتهم الفصيحة. والنّزر القليل من المعلومات التي نتوفر عليها، من الصعب جمعه في زمن يسير، لانه موزع على طائفة كبيرة جدا من المظان، دفين بين طياتها، وليس كل هذه المظان مطبوعا ولا ميسورا لطالبه[2].

(2) من أنواع المصادر والمظان التي تساعد على التأريخ للهجات العربية القديمة والمتأخرة نذكر:

ـ كتب القراءات القرآنية.

3 ـ تعدد هذه اللهجات في القديم والحديث، وسرعة تكاثرها وتوالدها. فداخل الجزيرة العربية المحدودة المساحة كانت هناك لهجات تعددت بتعدد القبائل. ولما جاء الاسلام وخرج العرب من الجزيرة وانتشروا في سائر انحاء المعمورة، انتقل معهم هذا التعدد وازداد مع توالي القرون تفاحشا وتفاقما، وأصبحنا نجد داخل الاقليم الواحد من أقاليم البلاد العربية وأقطارها عددا كبيرا من اللهجات التي تحتاج كل واحدة منها الى تاريخ خاص.

فإذا مال بنا التفكير اليوم الى وضع قاموس يجمع في وقت واحد بين التأريخ للفصحى والتأريخ للهجات والعاميات، وجب استحضار كل هذه الصعوبات والعراقيل التي يمكن ان تثبط العزائم، وقد تصرف

= ـ كتب لحن العامة والتصويب اللغوي وتصحيح العامي.
ـ القواميس العربية الشاملة وخاصة (لسان العرب) و(شمس العلوم).
ـ قواميس المفردات الطبية والنباتية كمفردات ابن البيطار، وكتاب (ضياء النبراس في حل مفردات الانطاكي بلغة اهل فاس) للعلمي.
ـ كتب الرحلات ومذكرات الاسفار.
ـ كتب الجغرافيا ووصف الاقاليم ككتاب أحسن التقاسيم.
ـ كتب التواريخ وأحسن مثال عليها كتاب (عجائب الآثار للجبرتي).
ـ كتب الطبيخ ووصف الأطعمة ككتاب: فضالة الخوان في طيبات الطعام لابن رزين التجيبي الاندلسي.
ـ كتب الفلاحة، ككتاب الفلاحة لابي الخير الاندلسي.
ـ الحكايات والقصص الشعبية كألف ليلة وليلة.
ـ كتب ومجاميع الشعر الشعبي والازجال كديوان ابن قزمان وملعبة الكفيف الزرهوني.
ـ كتب ومجاميع الامثال الشعبية، كأمثال الزجالي.
ـ كتب النوازل والاحكام الفقهية (مثل: المعيار للونشريسي).
ـ الوثائق الدبلوماسية والرسائل والعقود المختلفة المستعملة في توثيق المعاملات (بيع ـ شراء ـ زواج ـ شركة... الخ).
ـ المستدركات التي وضعها مستشرقون على القواميس العربية القديمة، كتكملة دوزي.
ـ بعض القواميس الثنائية اللغة كقاموس بدرودي الكالا في وصف لهجة أهل غرناطة.
ـ وأما اللهجات المعاصرة فقد وضعت في وصفها دراسات وقواميس كثيرة، ولكنها مع ذلك لم تستطع الاحاطة بسائر اللهجات ولا تعد كافية لوضع التأريخ المطلوب.

النظر عن المشروع ـ الذي نجتمع من أجله ـ نهائيا او تؤجله الى أجل غير مسمى.

على أنه بالامكان ان نفصل بين الامرين، فنضع مشروعين اثنين: أحدهما لتأريخ العربية الفصيحة (أي المشتركة) وثانيهما لتأريخ اللهجات والعاميات، وتكون الاسبقية في هذه المرحلة الاولى لانجاز المشروع الاول، وأما الثاني فيؤجل الى حين استكمال المعلومات والتوفر على الوسائل والوثائق الكافية، هذا مع العلم أن اللّهجات والعاميات في حد ذاتها يمكن ان تكون لها تواريخ متعددة لا تاريخ واحد. فكل لهجة على حدة تستحق ان تكون موضوع تاريخ خاص ومستقل ـ كما سبق ـ كما أنه بالامكان ان تخصص اللهجات القديمة وحدها بتاريخ، وكذلك وعلى غرارها اللهجات الحديثة.

ثم إن التفكير في الاقتصار ـ ولو مرحليا ـ على التأريخ للعربية الفصيحة المشتركة، لا يعني التفكير في الاستغناء عن دراسة اللهجات والرجوع الى النصوص والوثائق الخاصة بها، بل على العكس من ذلك سوف تقدم لنا دراسة اللهجات بالطريقة العلمية المطلوبة والموضوعية فائدة في التأريخ للالفاظ الفصيحة لا يمكن تجاهلها او الاستهانة بها، ولا سيما اذا عرفنا حقيقة أساسية وهي أن أغلب الالفاظ والاستعمالات الفصيحة كانت، قبل أن تفصح وتصبح لغة مشتركة، عبارة عن لهجة محلية أو استعمال خاص، ومعنى ذلك ان الذي يريد أن يؤرخ لألفاظ العربية الفصيحة سيكون مضطرا الى إرجاع أغلبها الى أصولها اللهجية واستعمالاتها الخاصة. ثم ان هناك ألفاظا عربية كثيرة عرفت خلال تاريخ تطورها حركة من المد والجزر، فانتقلت من الاستعمال المحلي واللهجي الى الاستعمال الفصيح المشترك، ثم ما لبثت ان عادت بها دورة الحياة الى نقطة البداية وهي الاستعمال اللهجي، وربما أدت بها الى الانكماش والتقلص شيئا فشيئا حتى وصلت الى نقطة الموت والاهمال التام. فيكون المؤرخ اللغوي مضطرا في مثل هذه الحالة إلى تتبع مراحل الكلمة الثلاث: النشأة، فالتوسع، فالتقلص، اي مضطرا

بالاضـافة الى البحث عن اللهجة العربية القديمة التي انطلقت منها الكلمة قبل ان تفصّح ، لأن يتتبع حركة تطورها حتى يعرف اللهجة الحديثة التي استقرت فيها في مرحلة التقلص والانكماش ، أو حتى يعثر على المقبرة التي دفنت فيها الكلمة بصفة نهائية ، وهذا كله يعني شيئا واحـدا وهـو أن دراسة الوثائق والنصوص الخاصة باللهجات العربية مفيدة جدا في التأريخ للفصحى .

(2)

فاذا أصبح هذا الافتراض الآن مقبولا ، وهو أن الهدف قد تحدد في الاقتصار على التأريخ للفصحى ، وجب بعد ذلك أن نعلم ما هو المفهوم الذي نريد أن نعطيه لكلمة (فصحى) ونحن نضع تصورنا لهذا القاموس؟ وتحديد هذا المفهوم ضروري لانه يتوقف عليه تحديد نوع المادة اللغوية التي سوف يشتمل عليها قاموسنا التاريخي .

وفي نظرة إجمـالية مختصرة يتبـين للدارس ان هنـاك مفهـومـين للفصحى لابد من اتخاذ موقف واضح إزاءهما ومعرفة أيهما يلزم الأخذ به والاعتماد عليه . وأولهما قديم والثاني حديث .

أما المفهوم القديم ، فنقصد به مفهوم (الفصحى) أو (الفصاحة) عنـد المعجميين والقـاموسيين وحدهم ، لا عند سواهم من اصحاب البلاغة والنحو الذين هم بدورهم قد استخدموا هذا المصطلح ، ولكن بمعايير قد تختلف كثيرا أو قليلا عن معايير وشروط المعجميين والقاموسيين .

فاذا كان البلاغيون مثلا لا يعتبرون من الكلام فصيحا إلا ما تحققت فيه عنـاصر فنية وجمـالية معينة ، فأصبح بذلك يمثل مستوى استخداميا عاليا ينحصر وجوده ـ أو يكاد ـ في استعمالات كبار الشعراء والادباء والكتاب ، فإن المعجميين ومؤلفي القواميس على الخصوص لم يتقيدوا بهذا الشرط ، إذ الفصحى عندهم لا تعدو ان تكون هي اللغة التي استعملها أصحابها الاصليون (أي العرب الأقحاح) الذين لم يتأثر

لسانهم بعجمة ولم ينحرف عن اصله بسبب الاختلاط بلغات اجنبية، سواء كانت أدبية ثقافية رفيعة المستوى كلغة الشعر والخطب، أم كانت عادية محكية دارجة على الشفاه في التخاطب اليومي كلغة الأعراب التي أخذت عنهم مباشرة. ومن أجل التأكد من صحة انتهاء اللفظ أو الاستعمال الى العروبة الحق، وسلامتها من الانحراف والهجنة اشترطوا شروطا سنعود اليها بعد قليل.

فللبلاغة إذن الحق في الاعتراض على كلمة (مستشزرات) الواردة في قول امرىء القيس:

*** غدائره مستشزرات الى العُلا ***

بسبب ثقلها على الاذن وعدم الانسجام في تأليفها الصوتي، وأما القاموسيون فلا يعترضون، لان عندهم ان كل كلمة في شعر امرىء القيس وغيره من شعراء الجاهلية فصيحة ولو كانت ثقيلة على الأسماع.

وللبلاغيين ألا يعتبروا عيسى بن عمر النحوي فصيحا حين قال: «ما لكم تكأكأتم عليّ» لانه استعمل كلمة غريبة حوشية يحتاج الى التنقير عنها في كتب اللغة[3]. ولكن صانعي القواميس القدامى لم ينظروا الى الحوشي تلك النظرة المريبة، فقواميسنا القديمة ملأى بالغريب وبالحوشي.

وبالمقابل، فإن أصحاب الصناعة القاموسية القدامى، قد حصروا إطار الفصاحة في حدود زمانية ومكانية معينة كما سنرى، ولم يتقيد بذلك البلاغيون، لانهم أجازوا الاستشهاد بنصوص متأخرة عن عصور الاحتجاج حين توفرت فيها العناصر الفنية والأسلوبية التي يتطلبونها.

وللنحاة كذلك مقاييس في الفصاحة، لم يكن صانعو القواميس العربية ليحترموها جميعها، من ذلك مثلا، شرط الاطراد في القياس. فإذا كان النحوي لا يستطيع ان يبني قواعده على الحالات الشاذة، فإن

---

(3) المزهر: 1/ 186.

الاصل في القاموس - كما يقول بحق بعض اللسانيين المعاصرين[4] - ان يكون ذيلا للنحو وملحقا به، لانه من المفروض أن يشتمل على كل الشواذ التي لا تنتظمها قاعدة [5]. وقديما اعترض ابن دستوريه على الذين اعتبروا الاطراد في القياس معيارا من معايير الفصاحة في الالفاظ فقال: «وقد تلهج العرب الفصحاء بالكلمة الشاذة عن القياس، البعيدة عن الصواب، حتى يتكلموا بغيرها، ويدعوا المنقاس المطرد المختار»[6]. وكذلك كان موقف ابن الطيب الفاسي الشركي (او الشرقي) الذي هاجم ثعلبا وسواه ممن اعتبروا الشذوذ مخلا بالفصاحة وقال: «والشذوذ لا ينافي الكثرة كما لا ينافي الفصاحة»[7]، وقال أيضا: «قد يكون الشاذ افصح من المقيس واكثر استعمالا في الكلام كما يعلم بالوقوف على متون التصريف وأصول اللغة»[8].

لقد كان مفهوم الفصاحة عند المعجميين والقاموسيين إذن يقوم أساسا على ثلاثة معايير أو شروط[9] هي:

---

(4) انظر Simone De lasalle et Marie – Noél... Le Lexique entre la lexicologie et l'hypothèse lexicaliste – in: langue française N°80. p:29.

(5) والمثال على ذلك ان التأنيث في العربية الفصحى وفي لغات أخرى كثيرة لا تضبطه قاعدة مطردة، لذلك تظل خارج القواعد كلمات كثيرة لا يمكن معرفة تأنيثها وتذكيرها الا بالرجوع لقواميس اللغة، وهذا ما جعل كتاب ابن الانباري في (المذكر والمؤنث) يتحول من كتاب لقواعد التذكير والتأنيث الى قاموس يشتمل على قائمة طويلة جدا من الالفاظ التي لا يعرف جنسها الا بالسماع، فكان هذا القاموس الصغير من الالفاظ بمثابة ذيل على قواعد النحو.

(6) تصحيح الفصيح: 1/109 وما بعدها.

(7) انظر: قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي: ص: 77.

(8) نفسه.

(9) لم نذكر ضمن هذه الشروط (شرط كثرة الاستعمال)، لانه تبين لنا ان صانعي القواميس والمعجميين القدامى بصفة عامة لم يتقيدوا به في كثير من الاحوال. بدليل ما سبق قوله وهو أن قواميسنا القديمة ملأى بالغريب والنادر والحوشي، وبدليل أيضا ان عملية تنميط (normalisation) الفصحى التي تمت عن طريق التأليف القاموسي لم تقتصر على اللغة الادبية المشتركة وهي التي نظم بها الشعر الجاهلي ونزل بها القرآن، وانما امتدت لتشمل كل لفظ استعمله أعرابي من اعراب القبائل المعدودة في مواطن الفصاحة حتى ولو لم يكن ذلك اللفظ مستعملا عند قبائل أخرى، وهذا أحد اسباب وجود ظاهرة كثرة الترادف =

1 ـ شرط المكان : وهو الذي تقرر بمقتضاه أن تكون العربية المراد الحكم لها بالفصاحة خالية من كل شوائب العجمة والتحريف، بعيدة عن كل عوامل التأثر بالدخيل، ولذلك تم اتخاذ كل الاحتياطات المشددة في اختيار بيئة هذه الفصحى وتقليص حدودها الجغرافية في أطلس لغوي لا تتسع مساحته لغير القبائل العربية الواقعة في وسط الجزيرة دون بقية أطرافها التي كانت على صلة بأمم أخرى أجنبية، وفي بواديها دون حواضرها ومدنها التي كانت تعجّ أيضا بحركة الوافدين عليها من خارج الجزيرة أو من أطرافها بقصد التجارة او غير ذلك[10].

= والتضاد والاشتراك والصيغ المتعددة للجموع والمصادر. . . الخ. فعملية التنميط هي التي رفعت كثيرا من الالفاظ والاستعمالات من مستوى الاستخدام المحلي واللهجي الى مستوى الفصحى اي اللغة المشتركة. ومثل هذا حدث ايضا لكل اللغات التي تم تنميطها عن طريق تحويل لهجة معينة الى لغة مشتركة وتعميم استعمالها على سائر انحاء البلاد، كاللغة الفرنسية واللغة التشيكية. . . الخ.

ثم ان تطبيق مبدإ كثرة الاستعمال كان يتطلب القيام باستقراء تام للغة الموصوفة وهو ما لم يتم بشكل دقيق في عصر الجمع والتدوين، لان كل لغوي كان يحكم بمقتضى علمه الخاص، ولذلك كثيرا ما كان يحدث أن يختلف اللغويون في الحكم على درجة شيوع لفظ من الالفاظ. أضف الى ماسبق أن تطبيق هذا المبدإ قد يتعارض أحيانا مع مبادىء ومقاييس أخرى كالقول بان ما ورد في القرآن أو في لغة الحجاز فصيح ولو لم يكثر استعماله. (انظر ص 59 وما بعدها من كتابنا: قضايا المعجم العربي). ولعله من أجل ذلك كله كان بعض القدامى لا يسلم بضرورة اعتبار (كثرة الاستعمال) ضمن معايير الفصاحة، ومنهم ابن درستويه الذي قال في الرد على ثعلب: «وليست الفصاحة في كثرة الاستعمال. . . وانما الفصيح ما افصح عن المعنى، واستقام لفظه لا ما كثر استعماله.» تصحيح الفصيح: 1/109 وما بعدها)، وتابعه ابن الطيب الشرقي الفاسي في (موطئة الفصيح) وايد كلامه بعدة شواهد. (انظر: قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي ـ القسم الاول).

(10) هناك نصوص حددت مواطن الفصاحة عند العرب أورد عددا منها صاحب المزهر في الجزء الاول وغيره، وأشهرها نص الفارابي. (انظر كتاب الحروف: 147 ـ والمزهر: 1/211 ـ 212) الذي يقصر الفصاحة على ست قبائل بعينها. واذا كانت هذه النصوص تختلف فيما بينها في بعض الجزئيات كتسمية وتعيين القبائل الفصيحة التي وقع الاخذ عنها وتحديد عددها وترتيبها من حيث درجة الفصاحة، كما أشار لذلك الدكتور رشاد الحمزاوي (العربية والحداثة: ص 16 ـ 17) فهي لا تختلف قط في كون الجزيرة =

وفي الحقيقة إن هذا الشرط لا يكاد ينطبق الا على اللغة المحكية التي جمعوها من أفواه مستعمليها مباشرة، وأما اللغة الادبية المكتوبة، ولغة الشعر بالخصوص، فلم يراعوا في شأنها هذا الشرط، لانهم استشهدوا بلغة شعراء عاشوا في كبريات الحواضر الجاهلية والاسلامية، وخالطوا أمما غير العرب، كالنابغة وامرىء القيس، وحسان، وعمر بن أبي ربيعة، وجرير، والفرزدق، والاخطل، وغيرهم . . .

2 ـ **شرط الزمان**: وهو الشرط الثاني أو الأقدمية، تم بمقتضاه تحديد إطار الفصاحة زمنيا في العصور الاولى للغة العربية، فأوقفوا من أجل ذلك الاحتجاج باللغة الادبية، وخاصة لغة الشعر، في حدود منتصف القرن الثاني الهجري، وباللغة الشفوية المنقولة عن أعراب البادية مباشرة في حدود القرن الثالث الى الرابع الهجري. وكل استعمال جاء خارج إطار الاقدمية هذا عدّ مولدا أو محدثا ولم يلتفت اليه الا في المجال البلاغي والأسلوبي.

3 ـ **شرط الصحة** : وهو الشرط الثالث، يقتضي بأن لا يحكم بالفصاحة للفظ أو استعمال الا إذا ثبتت نسبته الى عربي فصيح سواء بالمشافهة او الرواية الصحيحة. والعربي الفصيح ـ في هذا المجال ـ هو الذي نشأ في بيئة وزمن بعيدين عن العجمة والاختلاط كما حدد من قبل. وما شك في نسبته للعرب الاقحاح أصحاب اللغة الأصليين الذين ظلوا محتفظين بسليقتهم دون فساد أو تحريف، اطرح جانبا ولم يفصح. وقد وردت في القواميس القديمة ألفاظ كثيرة مقرونة بعبارات التحفظ والاحتياط ان لم نقل الطعن والتجريح، كمثل قولهم: (وفي لغة) و(في لغية) و(لم يثبت) و(لم يصح) و(لست منه على ثقة) و(فيه

= العربية هي مهد الفصاحة وموطنها، وان الرواة تحروا الاخذ عن القبائل البعيدة عن التأثر والاختلاط بالاجنبي ما أمكن لهم التحري، ولذلك اختاروا الرواية عن الاعراب الضاربين في البداوة القاطنين في بيئة اعتقدوا أنها مغلقة وهي وسط الجزيرة لا أطرافها المحاذية للامم.

نظر)... الخ. وكثيرا ما عابوا كتاب ابن دريد الذي سماه (الجمهرة) بسبب توسعه في السماع دون تثبت واحتياط، وطارت شهرة كتاب الجوهري الذي سماه (تاج اللغة وصحاح العربية) وفضّله كثير من الناس على غيره لتقيّده بشرط الصحة. وكان ابن الطيب الشرقي الفاسي يقول: «وليس المدار على كثرة الجمع بل على شرط الصحة الذي فاق به الصحاح جميع من تقدمه أو تأخر عنه...»[11].

والذي نريد ان نستنتجه من كل ما سبق، هو ان مفهوم الفصاحة هذا بشروطه المذكورة، قد استخدم عند القدماء بمثابة سيف ذي حدين:

أ ـ فقد استخدم بالنسبة للغة العربية القديمة معيارا للانتقاء والاصطفاء، وليس وسيلة من وسائل الاحاطة والشمول. فالاحتكام إليه هو الذي أدّى الى تحديد طبيعة المادة اللغوية التي جمعوها وألفوا منها القواميس، وحصرها في بيئة وزمان معينين، وما خرج عن ذلك ردّوه ولم يعتبروه داخلا في (لغة العرب)المحكوم لها بالوثوقية والتفصيح. وكانت النتيجة أن ظلت خارج القواميس المؤلفة قديما لغات سائر القبائل التي لم تشملها حدود وسط الجزيرة، كما خرجت من تلك الدائرة لغات كل الحواضر والمدن القديم منها والحديث.

ب ـ واستخدم من جهة اخرى، حاجزا منيعا وقف في وجه اللغة الحادثة التي طرأت بعد عصر التدوين والاحتجاج، وحال بين القواميس القديمة وبين متابعة التطور الذي عاشته العربية خلال عصور طويلة على أيدي الشعراء والكتاب والفلاسفة وأصناف العلماء على اختلاف تخصصاتهم. فأصبحت تلك القواميس تصد عن كل لفظ أو استعمال لم يخضع لشروط الفصاحة القديمة، بدعوى أنه مولد أو محدث أو أعجمي دخيل، أو مجازي، أو اصطلاحي. وبذلك لم تسمح

---

(11) انظر (قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي) ص: 129.

لنفسها بالتجاوب مع الحركة الثقافية والعلمية والطفرات الحضارية التي كان لها انعكاس واضح على اللغة خارج القواميس الشاملة. بل لقد أقفلت قواميسنا أبوابها ونفضت يدها من عملية الجمع والتدوين في مرحلة سابقة للعصور التي نضجت فيها ثمرات الحضارة العربية ووصلت قمة أمجادها. وتعمدت أن تبتعد عن مواطن هذا الازدهار وعواصمه الكبرى كالبصرة والكوفة والمدينة ودمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة والقيروان، مكتفية برصيدها القديم وبزادها الذي ورثته من الاعراب الاوائل لا تريد أن تنميه أو تضيف إليه.

إن المرء لا يقول هذا بغاية التنقيص من قيمة الاعمال الجليلة التي خلفها لنا أسلافنا القدامى في مجال الدرس المعجمي والتأليف القاموسي، ولا بقصد الطعن في مناهجهم التي اضطروا إليها اضطرارا بحكم الاهداف الدينية والثقافية والحضارية والقومية التي انطلقوا منها، ولكن نقوله من أجل تقرير واقع حاصل لا سبيل الى إنكاره، ولا فائدة في معاندته مادام الهدف عندنا هو البناء وليس الهدم، وهذا الواقع هو ان هناك قدرا هائلا لا يستهان به من الالفاظ والاستعمالات التي عرفتها اللغة العربية عبر تاريخها الطويل، ظل خارج القواميس الكبرى التي وصلت الينا، وان هذه القواميس القديمة قد توقفت حقبة طويلة عن ملاحقة ما يستجد في اللغة خلال العصور الاسلامية، وكأن العربية قد اكتمل نموها في عصر الجمع والتدوين واستقرت على حالها النهائي.

ولقد استمر هذا الحصار مضروبا على العربية المحدثة طوال ما يقرب من خمسة قرون على الأقل، اي منذ القرن الرابع الهجري الى بداية التاسع الذي ظهر فيه (القاموس المحيط) للفيروزبادي. ذلك أن صاحب (القاموس المحيط) قد حاول تخطي هذا الحاجز، وتجاوز ذلك المفهوم القديم للفصاحة، فأباح لنفسه إدخال عدد لا بأس به من الكلمات والاصطلاحات الجديدة. ولكن عمل الفيروزبادي هذا لم يستطع من جهة أولى ان يحيط بكل المستجدات والمحدثات من الالفاظ والاستعمالات التي أوجدتها العربية خلال القرون الخمسة السابقة.

والسبب واضح ،وهو أن عمله كان عملا فرديا وأنه لم يقم بعملية تدوين جديدة للغة على غرار عملية التدوين الكبرى التي قام بها الرواة واللغويون الرواد المؤسسون.

وملاحظتنا الثانية على عمل (القاموس المحيط) هي ان جرأته تلك، وثورته على المفهوم القديم للفصاحة قد جرتا عليه حملة نقدية شعواء ضارية من اللغويين العرب. وكان في مقدمتهم وعلى رأس حربتهم ابن الطيب الشرقي الفاسي الذي قسم ما جاء به صاحب (القاموس المحيط) من زيادات الى:

(1) اصطلاحات علمية، (2) ومجازات، (3) ودخيل، (4) ومولد، (5) وأسماء أعلام. واعتبر ان كل هذه الاصناف من الكلمات ليس من (لغة العرب) في شيء، لانها كلها خارجة عن مفهوم الفصاحة القديم. وهذه الحملة النقدية التي قوبل بها عمل المجد الفيروزبادي لم تشجع آخرين على الاقتداء به وتقليده في ثورته، ولذلك وجدنا الركود يعود من جديد الى صناعة القواميس العربية. وظل هذا الصمت سائدا مخيما مدة قرون أربعة أخرى، الى أن ظهر (تاج العروس) للزّبيدي في مطلع القرن الثالث عشر، فشرح كتاب الفيروزبادي وحاول خلال الشرح أن يضيف تلك الاستدراكات التي أتى بها شراح (القاموس المحيط) ونقاده ومحشوه، معتمدا بالدرجة الاولى على حاشية شيخه ابن الطيب الشرقي الفاسي.

وللحقيقة وللتاريخ، لابد ان نعترف بانه اذا كانت القواميس اللغوية العامة قد احجمت عن متابعة تطور العربية في سائر اعصارها وأمصارها، فإن قيام بعض القواميس المتخصصة (كمفردات الطب، والتصوّف، والفلسفة... الخ) قد حاول التخفيف من حدة المشكل. ولكن هذه القواميس المتخصصة كان عددها قليلا جدّا بالقياس الى اتساع المعارف وأنواع العلوم والفنون من جهة، ومن جهة أخرى، فإن هذا القدر القليل من القواميس المتخصصة قد اهتم بالالفاظ الاصطلاحية وحدها، وبقيت خارجه كل الالفاظ العامة ذات الدلالة

اللغوية المشتركة.

(3)

ذلك هو المفهوم القديم للفصاحة في الحقل المعجمي والقاموسي، وتلك هي بعض انعكاساته ونتائجه السلبية على لغتنا وقواميسنا القديمة. فما هو موقفنا منه الآن ونحن بصدد وضع تاريخ لالفاظ العربية؟ لا شك ان الجواب الواضح هو أن هذا المفهوم قد تجاوزه العصر، وأنه قد أصبح موضع نقاش ونقد منذ القرن التاسع عشر الميلادي. كما تجاوزته المجامع اللغوية العربية وكل القواميس التي ألفت طيلة المائة والخمسين سنة الماضية. وهناك على كل حال أسباب كثيرة تدعونا في هذا العصر لتجاوز هذ المفهوم وإحلال مفهوم جديد محله، وأهمها:

1 ـ أنه أصبح اليوم من المسلم به بين الدارسين للغة، أنه لكل عصر فصاحته الخاصة. وهذا معناه أن كل عصر له معجمه وألفاظه التي يعبر بها عن ثقافته، وعن الأدوات والمفاهيم الحضارية التي يستخدمها. ولا يمكن لرجل في هذا العصر ان يتفاهم بين مخاطبيه بالألفاظ الجاهلية او العباسية اذا هو قرر الاقتصار عليها وحدها.

2 ـ أن تاريخ العربية لم يتوقف عند القرن الثالث أو الرابع الهجري، والعرب لم ينقرضوا بعد ذلك العصر، بل ازداد ارتفاعا، وازدادت المساحة الجغرافية التي يحتلونها فوق الكرة الارضية.

3 ـ أن تشبث القدامى بذلك المفهوم الذي ذكرناه للفصاحة، كان ناتجا عن اعتقادهم بأن الاعتراف بالتطور اللغوي ـ وتطور العربية على الخصوص ـ معناه ترك المجال حرا أمام اللغة لكي تنحرف وتذهب بها المذاهب حتى تصبح لغات بدل لغة واحدة، ولذلك تنقطع الصلة بالتراث وتتحول الامة الواحدة الى أمم وشعوب مختلفة، ويحول هذا التطور في الاخير بين الناس وبين فهمهم للنص القرآني والنصوص

الدينية الاخرى. ولكن الدراسات الحديثة بينت ان كل هذه التخوفات مبالغ فيها، لان التطور الذي قد يؤدي الى الخطورة المذكورة هو الذي يحدث على مستوى اللهجات، اذ هو تطور عشوائي ولا يتحكم فيه شيء ـ كما سنرى ـ أما التطور الذي يحدث على مستوى الفصحى فهو بطيء جدّا وخاضع لقوانين وقواعد متفق عليها، فمادام العرب والمسلمون عامة متشبثين باستعمال الفصحى لغة مشتركة في التخاطب، ولغة للتعليم والثقافة والدين، ومادام الحرص موجودا على تعلم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وعلى تعليم قدر كبير من نصوص التراث الفصيح وتلقينها جيلا بعد جيل، فلا خوف بعد ذلك لما يحدث داخل الفصحى وتحت رعايتها وفي كنفها من تطور وتغير، لان ذلك ضرورة تمليها سنة التجاوب مع التطور الحضاري والثقافي، لأنه كلما جد مفهوم أو مسمى إلا واحتاج الناس للتعبير عنه بلفظ جديد أو دلالة محدثة.

أضف الى ذلك كله أن التطور الذي يحدث عادة على مستوى المعجم، لا يكون فيه خطر على بنية اللغة الاساسية التي قوامها النظام الصوتي والصرفي والنحوي. ولذلك وصفوا المعجم بأنه نظام مفتوح، وقالوا عن الانظمة الاخرى: الصوتية والصرفية والنحوية إنها أنظمة مغلقة. ولا أدل على ما نقول من هذا القدر الهائل الكبير جدا من الالفاظ الحديثة التي دخلت الاستعمال طيلة المائة والخمسين سنة الماضية، والتي كادت تجعل من نصف المعجم العربي القديم تقريبا مهملا ومماتا، ومع ذلك لم يقل أحد إن العربية أصبحت في خطر. فالخطر لا يأتي من إدخال ألفاظ ومصطلحات جديدة، وإخراج وطرح ألفاظ ومصطلحات موجودة، لانه من دون هذه العملية الدائبة المستمرة: عملية الدخول والخروج في ألفاظ المعجم، لا يمكن للغة أن تعيش وتضمن لنفسها الاستمرار. ونحن بالطبع نريد للغتنا العربية الحيوية والنشاط والاستمرار.

4 ـ وبالنسبة لنا نحن الذين نريد وضع تاريخ للغة العربية، لا

يمكن أن نحتفظ بهذا المفهوم القديم إلا إذا كنا نريد أن نقتصر على وضع تاريخ للغة العربية، أي عربية ما قبل القرن الثالث الهجري، أو كنا ـ بعبارة أخرى ـ نريد تكرار وإعادة إنتاج محاولة (فيشر) التي أعتقد أن المقصود هو تجاوزها وتخطيها، على أن مجمع القاهرة نفسه حين طبع الجزء الذي طبعه من عمل (فيشر) لم يفعل ذلك لان مشروع هذا الرجل العالم كان يعبر تمام التعبير عن تصور المجمع ورغبته، بل فعله بعدما رأى أن الغاية التي يسعى إليها، وهي التأريخ لسائر أطوار العربية، غاية ليس من السهل تحقيقها يومذاك، للحاجة الماسة الى الوثائق والنصوص والمعلومات الكافية.

لا أعتقد إذن إلا أن الهدف الذي ينبغي تحديده لمشروعنا هو نفس الهدف الذي سبق لمجمع اللغة العربية أن رسمه وهو كتابة تاريخ شامل للغتنا بتتبع حياتها من النشأة الاولى الى يوم الناس هذا، ولاسيما ان أخصب مراحل التطور التي عرفتها هذه اللغة بعد مرحلة الانقلاب الذي أحدثه مجيء الاسلام، هي تلك المراحل التي اعقبت القرن الثالث الهجري (اي العصر الذي توقف عنده مشروع فيشر) وشهدت ما نعلمه جميعا من الازدهار في العلوم والفنون والآداب، استطاعت لغتنا أن تستوعبه جميعه وتعبر عنه تعبيرا دقيقا وبمقدرة عالية.

ولا أعتقد أيضا إلا ان هدفنا هو كتابة تاريخ شامل ومفصل لحضارتنا وافكارنا ومفاهيمنا وتصوراتنا ومقولاتنا ومواقفنا ورؤانا للعالم انطلاقا من ألفاظ اللغة، على اعتبار أن الالفاظ هي التي تعكس بصدق تاريخ وحضارة وفكر وثقافة المجتمع الذي يتكلمها. ومعلوم ان حضارتنا ـ نحن العرب ـ لم يقف تطورها عند المرحلة الزمنية القصيرة التي توقفت عندها القواميس اللغوية القديمة. بل لقد شرقت هذه الحضارة وغرّبت بعد القرن الثالث الهجري وعمرت قرونا طويلة واستقرت في بيئات متنوعة الخصوبة والمناخ. واستفادت من ثقافات وتجارب لا حصر لها. وكل ذلك كان يعبر عنه بواسطة ألفاظ اللغة. فالذي يريد أن يتتبع تاريخ العرب وحضارتهم في سائر الاطوار، عليه

أن يستقرىء تاريخ ألفاظهم في جميع تلك الاطوار أيضا.

نحن إذن أمام ضرورة البحث عن مفهوم جديد للفصاحة يعترف بوجود فصاحة قديمة، وهي التي حدد الاسلاف إطارها الزماني والمكاني، بتلك الحدود التي ذكرناها سابقا، وفصاحة حديثة نشأت خارج تلك الحدود في زمن يمتد ما بين القرن الثالث وبداية الخامس عشر للهجرة، وفي بيئة شاسعة واسعة تمتد عبر جميع الاصقاع التي استقرت فيها اللغة العربية واستوطنتها بعد الاسلام من اقصى الخليج الى أقصى المحيط، وهي عربية الفكر والثقافة والادب والعلوم المختلفة، حُشيت بها بطون آلاف الكتب وملايين الأوراق التي ينوء بحملها تراثنا الزاخر الغزير.

ولقد مرت لغتنا العربية خلال حياتها الطويلة التي لا تكاد تشبهها في طولها لغة اخرى من اللغات الحية، بعدة طفرات واحداث تاريخية كبرى غيرت من ملامحها وتركت آثارا واضحة عليها، ولعل ابرز هذه المعالم هي الثورة الشاملة التي احدثها الاسلام، ثم الثورة الثقافية الكبرى التي أحدثها عصر الترجمة والازدهار العلمي ابتداء من عصر بني العباس، ثم اليقظة الحديثة التي بدأت بمنتصف القرن التاسع عشر الميلادي إثر الاصطدام بالغرب. وفي كل مرحلة من هذه المراحل الكبرى كانت العربية تبرز الينا بوجه جديد وملامح متغيرة في مفرداتها ودلالة الفاظها وتراكيبها واستعمالاتها، ولذلك فبالامكان ـ وهذا ما قال به دارسون من قبل ـ وضع تقسيمات مدرسية للتمييز بين المراحل الكبرى البارزة في تطور الفصحى عبر هذا التاريخ الطويل، كأن نقول: (1) فصحى العصر الجاهلي. (2) وفصحى العصر الاسلامي الاول. (3) وفصحى العصور العباسية. (4) وفصحى عصور الانحطاط. (5) وفصحى العصر الحديث.

(4)

لكن، إذا كانت الفصحى القديمة قد حددتها معايير القدماء

ورسمت اطارها المعروف لدينا، فما هي المعايير التي تتحدد بها الفصحى أو الفصحيات التي حدثت بعد عصر الاحتجاج والتدوين؟ ذلك انه ليس من المعقول ان كل لفظ أو استعمال تم العثور عليه بعد عصر التدوين الاول يعتبر فصيحا، حتى ولو ورد على ألسنة العامة أو الأعاجم، أو انفرد باستعماله شخص واحد دون سواه، أو جاء مخالفا لابنية العرب وأقيستها في كلامها؟

والجواب على هذا هو ان العربية بعد عصور التدوين، قد تطورت في اتجاهين مختلفين معروفين:

1 ـ **اتجاه اللهجات** والاستعمالات العامية، وهو ما يمكن أن نسميه اصطلاحا بالاتجاه العفوي، وفيه عاشت العربية حياتها على ألسنة الناس من مختلف الفئات والطبقات حرة طليقة لا يردها عن تطورها العشوائي راد، ولا يكبح جماحها شيء، وهذا التطور الذي شهدته العربية في هذا المستوى كان سريعا ويصطبغ بصبغة البيئة التي عاش فيها، وهو الذي أدى الى ظهور لهجات عربية جديدة محلية وإقليمية لا حدود لعددها ولا نهاية، حلت محل اللهجات العربية القديمة. وهذا الاتجاه الذي تطورت فيه العربية مما صورت بعض مظاهره كتب (لحن العامة) وكتب التصويب اللغوي، لا يهمنا الآن أمره إذا ما تم حصر الهدف خلال هذه المرحلة في التأريخ للفصحى.

2 ـ **اتجاه الفصحى** : أو الاتجاه المقنّن، وهو الذي شهدت فيه العربية تطورها وتوسعها على أيدي الكتاب والشعراء والمفكرين والعلماء على اختلاف تخصصاتهم، واحتفظت لنا أعمالهم ومؤلفاتهم التي لا حصر لها بشواهده ووثائقه التي تساعد على التأريخ له. وخاصية التطور الذي عرفه هذا الاتجاه هي انه محدود وبطيء نسبيا إذا ما قيس بالتطور الذي تم على مستوى العاميات واللهجات. ولكنه من جانب آخر يمتاز بكونه لا يصطبغ بالصبغة الاقليمية والمحلية في الغالب، وإنما له طابع اللغة المشتركة بين سائر أقطار العروبة. وما كانت له صبغة محلية فهو

قليل من جهة وسرعان ما ينتشر عبر الكتب والمؤلفات فتزول عنه هذه الصفة من جهة ثانية، ذلك ان التوليدات والاشتقاقات الجديدة التي تفرزها استعمالات الكتاب والشعراء والعلماء والمثقفين عادة ما تُرَاعَى فيها قواعد العربية الفصحى (المشتركة) ما أمكن، ولا يضطر لتجاوزها أو اختراقها الا نادرا وفي نطاق جد محدود. فهو تطور إذن يتم داخل القواعد والاقيسة القديمة وفي ظلها وتحت رعايتها ومباركتها.

وأعتقد أننا لو أردنا الآن تحديد ملامح وطبيعة الفصحى في مفهومنا الحديث، لقلنا بادىء ذي بدء: إن الفصاحة التي نقصد اليها ونتحدث عنها ليست مستوى بلاغيا متميزا يتبارى الناس من أجل اكتسابه او تقليده، ولكنها هي خاصية اللغة التي تحترم حدا أدنى من القواعد الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية المتفق عليها بين علماء العربية، وتصلح لتكون أداة للتفاهم الجماعي والتواصل المشترك بين سائر المتكلمين بها أينما كانوا ومتى وجدوا، ووسيلة للتعليم والتثقيف، وأساسا لتوحيد الفكر وتحقيق الهوية. فاللغة التي تجتمع فيها هذه الخصائص نسميها «العربية الفصحى» او «العربية المشتركة» وذلك في مقابل اللهجات المحلية.

وهذا التعريف الذي أعطيناه للفصاحة والفصحى في مفهومنا الحديث سمح لنا بأن نعتبر فصيحا كل لفظ أو استعمال توفرت فيه الشروط الثلاثة التالية[12] وهي:

---

(12) جعل الدكتور الحمزاوي في كتابه: (العربية والحداثة: 131) من مقاييس الفصاحة: يسر التداول والمقصود به اختيار اللفظ السهل المختصر، والملاءمة ومعناها عدم تداخل «المصطلح المختار مع غيره من المصطلحات وأن يعبر في الحالات الفضلى عن ميدان واحد، فيكون لفظ واحد لمعنى واحد، وتكون تلك الملاءمة ضعيفة أو قوية على قدر تقلص أو تعدد الميادين التي يستعمل فيها». والحوافز: أي «كل ما يحفز المتكلم أو المستعمل على اختيار المصطلح.. . الذي يتولد منه مشتقات أكثر».
ونحن نعتقد ان مثل هذه المقاييس صالحة فقط عند ارادة وضع المصطلحات الحديثة، =

1) ان يرد في نص مكتوب، اي لابد من أن يكون بعض كبار الكتاب او الشعراء او العلماء قد استخدموه في مؤلفاتهم واعمالهم المكتوبة. لان الفصحى التي حدثت بعد عهد التدوين والجمع انما نشأت وتطورت ـ كما سبق القول ـ على أيدي هؤلاء الكتاب والشعراء والعلماء، أي نشأت وتطورت داخل النصوص المكتوبة، وليس على ألسنة العامة.

2) أن يكون قد شاع استعماله بين اكثر من كاتب او مؤلف، والا وجب عده من المفردات الخاصة بكاتب بعينه او مؤلف بذاته. وهذا لا ينبغي اعتباره من اللغة المشتركة حتى يتداوله اكثر من مستعمل واحد.

3) ان يكون جاريا ولو بوجه على قواعد العربية وأقيستها في أبنيتها وسننها في الاشتقاق والتوليد والتعريب. فما خالف وضعه وضع القواعد والصيغ والابنية المعترف بها مخالفة تامة لم يعتبر من الفصيح، (أي من اللغة المشتركة) اللهم الا إذا أقره واعترف به مجمع من المجامع اللغوية العربية، فاكتسب بذلك الاعتراف حق «المواطنة» وانضم الى عائلة أخواته.

(5)

والآن، وبعد ان فرغنا من تعيين احد اهداف القاموس العربي التاريخي، بان قلنا إنه يجب أن يقتصر ـ ولو مرحليا ـ على التأريخ للفصحى وحدها دون اللهجات والعاميات، ثم خطونا خطوة ثانية

= وخاصة عند ارادة اختيار أو تنميط صيغة معينة من بين صيغ والفاظ أخرى موجودة لمعنى واحد. كأن نختار بين (هاتف) و(مسرة) و(تلفون) و(إرزيز). . . أما في الحالة الاخرى وهي التي يكون فيها اللفظ موجودا ومستعملا بالفعل وليس له ألفاظ أخرى تزاحمه في معناه، فلا يكون هناك مجال لاستخدام هذه المقاييس، لاننا سنضطر للاعتراف بفصاحته حتى ولو خالفها، ولا نشترط فيه الا الشروط الثلاثة التي ذكرناها لانها تمثّل الحد الادنى الذي لا يمكن تجاوزه.

وحددنا هدفا آخر لهذا القاموس فقلنا: يجب ان يشمل التاريخ الذي نريد كتابته كل عصور الفصحى ومراحلها منذ الجاهلية الى اليوم، وأعطينا أفكارا واقتراحات حول ملامح الفصحى المتأخرة وبينا المقصود بها عندنا، علينا إذن ان نضيف خطوة ثالثة فنسأل: هل نريد لقاموسنا هذا ان يهتم بوضع تاريخ لكافة الفاظ واستعمالات الفصحى القديمة والمتأخرة، ولا يترك منها شاذا ولا مقيسا، ولا عاما ولا خاصا (اي سواء كان من اللغة العامة ام كان من اللغة الاصطلاحية الخاصة بعلم من العلوم أو فن من الفنون)، ولا حيا ولا ميتا (أي سواء كان اللفظ ما يزال جاريا في الاستعمال أم كان قد أهمل وعفّى عليه النسيان)... أم أن الاختيار سيقع على طريقة أخرى وهي الانتخابات من هذه الفصحى كلها قدرا معينا من الالفاظ والاستعمالات وترك الباقي ؟

وأعتقد أنه في الحالين معا لابد من توسيع مصادر هذا القاموس توسيعا يتجاوز حدود القواميس القديمة والحديثة ليشمل كل المادة اللغوية الموجودة في تراثنا المكتوب بالعربية في سائر الأعصار والأمصار مهما كانت طبيعته ومهما كان نوعه. أي لابد من القيام بعملية مسح وتفريغ شاملة لكل تراثنا المكتوب بالعربية ابتداء من أقدم نص وصل إلينا وهو النقوش القديمة، الى آخر نص نريد الوقوف عنده، ولا تقتصر على القواميس وكتب إللغة وحدها. فمن جهة لان هذه القواميس والكتب اللغوية قد أهملت عددا كبيرا من الالفاظ والدلالات ولم تدونها كما مر. ومن جهة ثانية لانه حتى هذه الالفاظ والدلالات التي دونت في القواميس لم تدون معها تواريخ استعمالها وتغيرها وتطورها. فافرض أنك عثرت على كلمة في كتاب (العين) وهو أقدم قاموس لغوي شامل وصل الينا، فظهور هذه الكلمة في القرن الثّاني الذي ألف فيه (العين) لا يعني بحال أنها وليدة ذلك العصر، فقد تكون في الغالب أقدم من ذلك بكثير، وقد يكون استعمالها ـ قبل ان تستقر على الصيغة والدلالة اللتين وجدت عليهما في كتاب الخليل ـ عرف مراحل عديدة من التطور والتقلب والنمو، وهذا ما يفرض الرجوع في التاريخ لتلك الكلمة الى

ما هو أقدم من (العين) من الوثائق والنصوص. ثم افرض أنك عثرت على كلمة اخرى في (القاموس المحيط) وهو كتاب ألف في بداية القرن التاسع الهجري، ولم تعثر عليها في قاموس قبله، فهذا لا يقطع بأن بداية استعمالها كانت في ذلك العصر وهو القرن التاسع، فربما استعملت قبله بأعصر وقرون لان قواميسنا لم تتابع التطور اللغوي مرحلة بعد مرحلة وسنة بعد سنة وقرنا بعد قرن. ولذلك فإن القواميس (القديم منها والحديث) لن تفيدنا إلا في وضع المعالم الكبرى لهذا التاريخ، أما حدوده الدقيقة أو القريبة من الدقة فلابد فيها من مسح التراث وتفريغ النصوص.

ولاشك أن إنجاز هذه العملية: عملية المسح والتفريغ لكل النصوص المكتوبة بالعربية حتى ولو اقتصرنا على المطبوع منها دون المخطوط، ليس من السهولة بمكان، ولا سيما أن تراثنا العربي المكتوب ربما كان هو أغنى تراث تملكه الانسانية واغزره في الوقت الحاضر. ولكن لا مناص منه على كل حال مهما تطلب من وقت وجهد ومال. ولقد كان المجمع اللغويّ القاهري قد تهيب المشروع فتركه الى حين يتم نشر وجمع وتحقيق كل تراثنا المكتوب[13]، ونحن لا نرى هذا الرأي، ولا نقول بضرورة هذا الانتظار، وما لا يدرك كله لا يترك جله كما يقال. إذ بالامكان الاقتصار في عملية الجرد والمسح على النصوص المطبوعة دون انتظار المخطوط أولا، وبالامكان ثانيا الاشتغال بالطبعات العادية للنصوص المنشورة دون انتظار تحقيقها مع إمكانية الرجوع الى أصولها المخطوطة عند الحاجة والضرورة. **وبالجملة** يمكن البدء بما يتوفر لدينا حاليا من النصوص، وهو أكثر من كثير، بدل التوقف وانتظار الذي يأتي وقد لا يأتي، لان النقص سوف يظل موجودا في جميع الاحوال. ولو كان المجمع القاهري قد بدأ العمل بدل التوقف والانتظار لكان قد قطع

(13) المعجم العربي: لحسين نصار: 2/733.

مراحل كبيرة في المشروع . على أن هذا الكتاب الذي يراد وضعه ، سوف يظل ـ شأنه في ذلك شأن سائر القواميس ـ قابلا بصفة دائمة ومستمرة لعمليات متلاحقة من التنقيحات والمراجعات والتصويبات ، وسيضاف إليه عبر السنين اللاحقة كل ما يتم الوصول اليه من جديد تكشف عنه عمليات المسح والمتابعة التي من المفروض أن تستمر على أيدي باحثين مختصين موزعين على أقطار العالم .

عبد العلي الودغيري

دور العاميّة والسّاميّات في المعجم العربي التاريخي

بحث: ا.د. فيديركو كورينطي

من البديهي أنّ تأليف معجم عربي تاريخي يعد مباشرة طماحة لن يتسنى إنجازها بدون تخطيط مصيب وتنفيذ محكم وتمويل غير ضنين. ولا يخفى على أحد أن إلقاء الضوء المطلوب على قصّة كل لفظ عربي، بما يقتضيه شأن الثقافة العربية وأهميتها العالمية من الدقة والاستيفاء في الشواهد والتأصيل، ليس أمرا هيّنا وذلك نظرا لطول تاريخ لغة الضاد وبعد اتساعها على ثلاث قارات، وهما خصلتان لم تشاركها إياهما فيما مضى من الزمان إلا أربع لغات عالمية أخرى، وهي اليونانية واللاتينية والسنسكـريتية والصينية الكـلاسيكية، فأما اللغات الأوربية الحديثة الرئيسية التي قد تمّ لبعضها إنشاء معجم تاريخي بعد لأي فإن جميعها أقصر عمرا من العربية وأحدث عهدا بإنتاج أدبي منتشر على أقاصي المعمورة.

وقد لخصنا بهذا الكلام مفهومنا عن المعجم التاريخي الذي يجب في نظرنا ان يجمع بين ذكر أصول ألفاظ اللغة وبين الادلاء بالشواهد المؤرخة لاستعمالها الأدبي والحواري اعتمادا على محتويات جميع المؤلفات

البـاقية إلى يومنـا هذا وعـلى كل ما جرى أولا يزال يجري على ألسنة النـاطقـين من كلام فصيح أو عامي وأصيل أو دخيل. وإن لم يكن المعجم العربي التاريخي الذي يقصد تأليفه على مثل هذا النمط فغني عن القول إنه سيكون معجما لبعض تاريخ العربية ولبعض العربية فقط ناقصا من حيث كلتا الصفتين، وأن منفعته مهما عظمت لن تخلو من ثلم خطيرة، لأن اللغة وحدة لا تتجزأ كيفما أرادت أوهامنا أو هي، كما يقول اللغويون البنيويون، منهج آلي متكوّن من مناهج متدرجة وعناصر متصلة لا يمس او لا يهمل بعضها دون بعض.

ونحن لا نجهل ان مثل هذا الاقتراح سيثير اعتراضات معقولة لدى المستمعين الكرام وعند المسؤولين عن تحقيق هذا المشروع، إذ قد يرى بعضهم العناية بالعامي والدخيل مقرونين بالفصيح الأصيل مجرد تضييع باطل للوقت والجهد والأموال بل واستهانة بكرامة الفصحى، وليس الأمر كذلك كما سيتضح فيما بعد. أو قد يحتج غيرهم بأن هذا المشروع على صفته المـذكـورة لن تفي بإنجازه أعمار عدّة أجيال من الباحثين مع ما يحتاج اليه من مساعدة غير منقطعة من طرف الأنظمة المنسّقة المموِلة له، بحيث ينبغي أن تجعل له منذ البداية حدود واقعية، عملا بالمثل العربي الذي يقول «امدد رجلك على قدر اللحاف».

والحقيقـة اننا بكل صراحة مقتنعون بصحة الاعتراض الثاني، مائلون مع أصحابه إلى تحديد نطاق هذا المعجم، على الأقل في مرحلة أولى، من حيث استيعـاب مراجعـه وتعيين عدد المشاركين في أعمال إنشـائه ووجوب تعهد الانظمة المنسقة بإنتاج تأليف ذي حجم متفق عليه مبدئيا في مواعيد مسماة، وذلك لاعتبارات عملية واضحة، منها أن نجاح مشروع متوسط النطاق في غضون أجل غير بعيد خير وأنفع في قضية مستعجل فيها كهذه من طول الانتظار للتأليف الشامل الكامل الموعود بدون أجل مسمّى، ولا نقول هذا إلا بصفتنا مؤلفين لقواميس اللغتين العربية والإسبانية التي أكسبتنا بعض الخبرة في هذا المضمار حتى اصبحنا فيه ممن يدري من أين تؤكل هذه الكتف.

أمـا الاعتراض الأول، أي عدم مناسبة إدراج الألفاظ العامية والدخيلة في معجم تاريخي للغة العربية لكونها غير منتمية اليها، فلا يسعنا بكل صراحة ايضا موافقة ذلك الرأي ولا نحسب إسقاط ذلك الـرصيد اللغـوي المهم عن مضمون هذا التصنيـف، ولو على سبيل الاختصـار الاضطراري في مرحلة أولى، إلا خللا كبيرا فيما يراد من استيفائه وعيبا شنيعا في مبادىء تصنيفه ومنهجه.

ولـماذا خروجنا الطارىء هذا هنا واليوم على المبدأ المطرد قبوله المعمول به حتى في قواميسنا نحن إلى الآن من أن معاجم العربية لا تحتوي على غير الفصيح أو على الأقل على غير الألفاظ المقيدة في الآثار المكتوبة ؟ إن للضرورة أحكاما قد فرضت علينا مثل ذلك التقصير، وإن كانت هذه المنـاسبـة غير صالحـة للتعـرض للفصـل بين حقوق الفصحى والعـامية، فإن الجـلي من جهـدنـا وحـرصنا على استعمال الفصحى في حديثنا هذا على الرغم من الرطانة والعجمة أننا من الذين لا يجدون لها بديلة فيما يخصّ أغراض الثقافة، إلا أن هذا التفضيل والإيمان بكفاءة الفصحى لمواجهة تحدّي الحاضر والمستقبل لا يضربان غشاوة على أبصارنا تعميها عن الحقائق الآتية :

1) لم يتوخّ اللغويون العرب القدماء، أي جامعو المعجم أو، كما قيل، اللغات من حامليها، طريقة انتقائية مطوّرة جدّا، على خلاف شأن النحـاة عند تمييزهـم للفصيح دون غيره، وهذا لسببين أولهما أنّ اكتشاف العشرات من القواعد الصرفية والنحوية المتجسّمة في متون اللغة الماثلة بين أيديهم كان أيسر بكثير من انتقاد درجة فصاحة الألوف من الألفاظ الموجودة فيها مع انعدام المعيار الفاصل، لما يثبت لدينا من أن إجمـاع كلام فصحـاء العـرب كان أتمّ على الاصـوات والصرف والنحو، مع وقوع خلافات تافهة فيها بينهم، منه على المعجم. وأما السبب الثاني في حيرة اللغويّين عند اختيار الفصيح من الألفاظ وتفرقته دون غيره او دون المحرّف من صيغه، وهو مترتّب على السبب الأول، فذلـك أنهم لنفس حيرتهم تلك ولرغبتهم الشديدة وتنافسهم في جمع

اللغـة لم يكتفـوا بها ألفوه من الألفاظ في متون القرآن الكريم والشعر المعتمد، وإنما تخطّوها إلى كل ما نطق به العرب المسمّون بالثقات أو الحجـج، وأنّى لنا أو لأولئك اللغويّين التأكد التام من تلك الثقة أو الحجة في كل حالة من الأحوال؟

ومعنى ذلك أننا عندما نراجع معاجمنا العربية المشهورة نجد فيها ألوفا من الألفاظ العادمة الشواهد المستخرجة من ألسنة الناس مباشرة بحيث لا فرق بينها وبين كثير من أخواتها المنبوزة بالعاميّة إلا أن بدويا أكثر أو أقلّ فصاحة فاه بالأولى عوضا من الثانية عند مصادفته لغويا، وليس من الانصـاف ولا يليق بمنهج علمي أن نهمل كل الاهمال ما أهمله البدوي صدفة ولا أن نقبل كل الاقبال على ما تكلّم به غير واع إلى أهميّة اختياره وغـير مسؤول عما علّقـه منهـا عليه اللغـوي المقيّد لكلامه، ولكن العلم الصحيح يقضي بأن نعتني على حدّ سواء بما نقل اذاك وبما لم ينقل إلا أنه ظل متداولا غير مسجّل على مرّ الزمان إلى أن حظي بعناية أحد اللغويين الدارسين للهجات في القرن التاسع عشر أو في القرن العشرين.

إن كلاّ من الألفاظ المسمّاة بالفصيحة ومن أخواتها المنسوبة الى العـامية لعدم ثبتها في المعاجم أو في الأدب هي ألفاظ عربية أو على الاقل معربة ما دام العرب أيّ العرب قد أجروها على ألسنهم، وهي جديرة بالدراسة المعجمية، إن نُرد أن تكون هذه الدراسة وافية علمية غير مغرضة، إذ ليست اللغة إلا كالأمة من حيث حقّ الانتساب اليها، فمن عساه أن يعد عربيا إن اتخذنا شرطا للعروبة النسب العربي القح كابرا عن كابر الى عدنان؟ ولعل في العاميات المحتقرة، كما سيتبين، كثيرا مما قد يساعدنا على إدراك أسرار الفصحى وعلاقتها بسائر اللغات السـامية بل ولنشـوئهـا كلغة مصطلح عليها لدى الشعراء والرواة في الجاهلية، وهي مبنية على أساس اللهجات المسماة بالعليا، وذلك الى جانب تولـد العربية التي دعيت نبطية في بادية الشام وسواد العراق، وهي أمّ العاميات الحديثة، وإن كانت لا تخلو من تأثّر هام بالفصحى

عقب صيرورتها لغة رسمية للحضارة الاسلامية.

2) ليس حكم الدخيل ببعيد من حكم العامي، مادام شائع الاستعمال مطرده لدى العرب غير منحصر في مصطلحات أصحاب بعض العلوم والفنون، لاسيما منه ما لم يَنْبُ على هذا اللسان، فربّ دخيل قد هضمته العربية حتى لم يكد يشك أحد بنيها في أصالته، كالقصر والسراط والبنيقة المقتبسة من اللاتينية castra وstrata وpaganica، أو كالفندق والبطاقة واللصّ المقتبسة من اليونانية Pandokeîon وPittakion وLêstês أو كالسراج والرونق والدبّوس المقتبسة من الفارسية المحدثة أو الفهلوية čitrāy وrōynēk وdobazu أو كالبرهان والمشكاة والمنبر المقتبسة من الحبشية barhan وmaškot وmänbär أو كالعشرات من المقتبسات الآرامية أو القبطية أو الهندية الأصل، فالأولى بنا أن نقول إن العربية، على خلاف ما وصفها به بعض الناس من الانعزال في صحارى الجزيرة وجبالها ومن الكراهية للتأثر بلغات وحضارات أخرى، كانت على عكس ذلك وبحكم الوضع الجغرافي ولاحتراف كثير من أهلها للتجارة عرضة للاتصال المستمر بأمم أخرى فقد اقتبست عند اللزوم نصيبا وافرا من معاجمها. وحسبنا مثلا ودليلا على ذلك أن عدد الألفاظ المصرية القديمة في العبرية على الرغم من إقامة أهلها بمصر أقل من المقتبسات المصرية في العربية الناتجة عن العلاقات التجارية بين ضفتي البحر الأحمر، ومنها السيف والصندوق والتابوت والطوب والبصل والفول والتمساح والبلشون الخ، وكذلك الموسى واسم النبي موسى، وهما لفظ واحد قد أطلق عليه لشدّة خلقه المشهورة في التنزيل، وكفى بهذا حجّة على أن الدخيل المعرب، حديثا كان أو قديما، لابدّ من اعتباره عند الدراسة المعجمية التاريخية، أولا لإثبات وجوده وظروف استعماله كسائر الألفاظ، وثانيا لارجاعه الى أصله الأول الخفي على الانسان، وإن كان مثقفا، أحيانا كثيرة.

فمن الواجب، بناء على هذا، أن تكون الدراسة المعجمية التاريخية مقارنة في آن واحد حتى تكون وافية، مهما كان نطاق التأليف

المقصود محدودا متوسطا كما ّلمحنا إليه سابقا. ولا يمكن المقارنة في اية لغة من اللغات، فضلا عن العربية التي هي أحوج الى ذلك لظروفها الخاصّة، على غير أساس اعتبار العامي والدخيل مع الفصيح والأصيل. نضرب مثلا لذلك ما يجب ان تورده مادة (عود) في مثل هذا المعجم، فلا يكفي من راجعها ان يجد تحتها كالمعتاد جميع الألفاظ المشتقّة عن هذا الأصل مع إضافة شواهدها التاريخية بأول وقوعها وبأدوار تطورها المدلولي ودون اية إشارة الى (عاد) اللهجية القديمة والحديثة بمعنى (بعد)، وهي اشتقاقها بإسباق الباء، أو بدون ذكر الشواهد من اللغات الساميّة المحتفظة بـ (عاد) هذه، فالغالب على الظن أن شيوعها في الحميرية هو السبب الذي أوهم المضريين أنها قحطانية حتى أخرجها النحاة عن الفصحى، وإن كان المعجم لا يفيد بمثل هذه المعلومات فإن تأصيل الكلمة بقي غامضا، وقد يستغلق معناها على القارىء في جملة مثل «عادها ما انفتحت»، وذلك على الرغم من اطلاعه على المرجع وتأريخه.

وإذا قبلنا مبدأ وجوب تضمن المعجم التاريخي لهذا النوع من المقارنة والتأصيل اللذين تكتمل بهما هوية اللفظة وقصتها، فماذا ياترى يكون منهج تأليف مثل هذا المعجم أو من أين يجلب مصنفوه جميع هذه المعلومات المطلوبة المنتشرة حاليا في مئات بل ألوف من المقالات والكتب من آثار المستشرقين أو في ألسنة العرب المعاصرين وهي غير مقيّدة كتابيا في الغالب ؟

لسنا نطلب لبن الطير. يا ليتنا استطعنا أن نعهد الى ألوف من الخبراء في الدراسات الميدانية بتسجيل اللهجات العربية الحديثة المهددة بالانقراض أو بالتغير السريع في بيئة لم تعد تحول دون اختلاطها بلهجات أخرى قبل ان تذهب اهم خصائصها وجزء كبير من معاجمها إلى غير عودة، ولكننا نعلم ان هذا حلم لن يتحقق ورغبة مستحيلة التلبية، وحتى لو كان هذا الامر بوسعنا لما جاز أن نرجىء تأليف المعجم التاريخي الى تتمّة تلك المهمّة، كما لا يجوز تسويفه إلى ما بعد استخراج

جميع الفوائد المكنونة في الساميّات وفي غيرها من اللغات المجاورة للعربية التي قد تمكّننا من حلّ ألغازها المعجمية، وانما في استطاعتنا أن نكتفي في المرحلة الأولى المومأ اليها المرّة بعد المرّة بحل وسط في هذا الميدان ايضا.

نعني بذلك أن ثمة عددا لا يتجاوز الخمسين من المؤلفات المعجمية الأساسية الجاهزة الخاصة باللهجات العربية من أمثال قاموس بارتيلمي للشام وقاموس ميرسيه للمغرب الخ، وكذلك في الساميّات والفارسية والقبطيّة التي يمكن الاعتماد عليها لأهل الدربة بالدراسات اللغوية المقارنة بدون جهد جهيد بحيث يتمّمون بذلك في فترة زمانية وجيزة نسبيا المعلومات اللغوية والتاريخية المعدّة لهذا التصنيف حتى يكتمل ويفي بالمقتضيات المنهجية على ما يرام.

إن خلاصة كلامنا أن مباشرة تصنيف معجم تاريخي للغة العربية عمل جبّار طالما افتقد إنجازه المثقفون العرب وغيرهم ممن يعتنون بها ويرونها تراثا ثمينا للإنسانية كلها، مرحبين ببشرى الشروع في تحقيق هذا المشروع الذي يستحقّ إعانة أعلى المؤسسات الثقافيّة العربية والعالمية. ولعل خير طريقة لإنجازه ليس التخطيط الرامي إلى استيفاء الموضوع بالمرة بإصدار كتاب نهائي بعد أجيال، ولكن المستحسن تقسيم المشروع إلى أشواط يكون أولها تحضير تأليف متوسط السعة قابل للنموّ والزيادة في طبعات متتالية على حسب الامكانيات المتوفرة والاحتياجات المحسوسة في كل حين، على انه يكون منذ البداية تأليفا يستهدف اتّباع منهج لغوي سليم حديث متعدد الأوجه معتمد على المقارنة والتأصيل لجميع الألفاظ التي استعملها العرب في أي مكان وزمان وتسجيله.

إن طالب العلم يستغفر له، فاستغفروا لنا واغتفروا لنا هفواتنا الكثيرة لغة ومعنى، إذ لم يحملنا على جسارتنا هذه سوى رغبتنا في المشاركة، ولو بنصيحة بسيطة، في هذا المقصد الحميد الذي دعينا من

أجله إلى حضـــور هذه النـدوة تحت رعـاية جمعية المعجمية العـربية المشكورة. ولكم منا السلام والامتنان.

فيديريكو كورينطي

منزلة اللهجة التونسية في المعجم التاريخي العربي «واحـة بلا ظـل» نموذجا

دراسة محمد العروسي المطوي ـ تـونـس

العربية والحياة

إن منزلة أيّة لغة تتمثل في المهمة التي تؤديها. وبقدر ما تكون تلك المهمة شاملة «لمرافق الحياة تكون تلك اللغة حيّة» في مستوى حياة المجموعة التي تتكلّم بها. وعلى نسبة ذلك ـ شمولا ومحتوى ـ تكون نسبة تلك اللغة في أداء وظيفتها في المجتمع.

ولهـذا لا أكون مغاليا أو مجانبا للواقع والصواب إذا قلت: إن اللغة العربية في جاهليتها هي أشدّ حيوية و«حياة» بالقياس إلى ما هي عليه اليوم، لأنها في عهدها الأول كانت لغة الحياة اليومية في مختلف مرافقها وشعبها مهما كانت بسيطة أو ساذجة.

ومن هنا يمكن القول: إن اللغة العربية عندما تحملت رسالة الاسـلام والحضـارة دخلت حياتها منعرجا جديدا. وكان عليها وعلى أهلها أن تكون ويكونوا في مستوى ذلك الانعراج الجديد. فماذا حصل بالفعل؟

الذي حصل هو أن العربية وجدت نفسها أمام مرافق جديدة ومسميات لأشياء لم تكن على صلة بتلك اللغة عليها أن تتعلّمها وتحاول أن تتكلم بها لا سليقة كما يتكلّمها العربي بل اكتسابا لا يخلو من شوائب العجمة، ومن إقحام صيغ وتراكيب لم تكن على نمط الأسلوب العربي المعتاد.

وتمّ الامتزاج مع مختلف الاجناس التي احتك بها العرب بما تم لهم من فتوحات في سبيل نشر الاسلام وتعاليمه الخالدة. وشيئا فشيئا بدأ الاحساس بما يهدد هذه اللغة من كسر لقواعدها ولحن في ألفاظها وإعرابها حتى جعل ذلك العربي الذي يصيح على بضاعته - في سوق البصرة - بلسان عربي فصيح دون أن يَلْقَى إقبالا يضاهي الاقبال على بضاعة منافسه الأعجمي - وهو يصيح على بضاعته بعربية ملحونة - حتى قال في حسرة: عجبا لهم يلحنون ويربحون.

وهو الشعور الذي جعل علماء اللغة الأولين يحرصون على جمعها خوفا عليها من التلاشي، وعلى ضبط قواعدها خوفا عليها من اللحن وحتى العجمة.

ولكن هل يكفي ذلك لصيانة اللغة العربية وجعلها لغة تتصاعد مع متطلبات مجتمعها الجديد، وتواكب ما جدّ فيه من أنماط مستحدثة جديدة في المعاش اليومي مادية كانت أو معنوية ؟

صحيح ان للقرآن الكريم الفضل الأساس للحفاظ على اللغة العربية باعتبارها لغة الدين الذي كانت القالب السليم لمبادئه وتعاليمه. ولكن هذا جانب آخر نكتفي به إذا اعتبرنا اللغة العربية لغة العبادة لا لغة الحياة.

ومن هنا تأتي مسؤولية ذوي الاختصاص في السياسة والمعرفة عندما انصرفوا عن رعاية حياة اللغة وصيانتها من الانعزال والانزواء. ذلك: «أن اللغة العربية منذ أن استقرت فقدت الكثير من المرونة

الضرورية لتطور اللغة لاسيما فيما يتصل بالحياة اليومية والمعاملات»[1].

وجهود العلماء الأولين في جمع اللغة وحفظ شواردها يعتبر مرحلة أساسية لما ينبغي أن يأتي بعدها وهو العناية «بناحية التطور في دلالة اللفظ» وما نجم من مستحدثات، وما طرأ على الألفاظ لا من جهة النطق فقط بل من جهة المدلول كذلك. وكانت جهود الساسة لا تهتم بتوفير الاطار الضروري من نشر المعرفة جماهيريا بما يحول دون الهوة التي أصبحت تفصل العربية الفصحى عن الحياة العامة حتى بالنسبة لمن هم عرب صليبة. «فنشأ عن ذلك شيء من الانفصال بين لغة الثقافة والأدب والفكر وبين لغة الأسواق والمعاملات اليومية وما إليها»[2].

وكان انتشار الأمية مما زاد في التباعد بين العربية والجماهير الشعبية حتى «أصبحت الفصحى دراسة بعد أن كانت أداة الحياة في كلّ ميادينها»[3] ويعني ذلك بصورة أوضح أن اللغة العربية أصبحت لغة نخبة في ميادين خاصة: الكتابة والخطابة.

وهي العلة التي مازلنا نعانيها الى اليوم رغم ما ندعيه من عناية وجهود وبذل وما نعقده من ندوات ومؤتمرات، وحتى ما نقدمه من أموال لجعل اللغة العربية إحدى اللغات العالمية بينما هي في شعوبها ومجتمعاتها ما تزال منعزلة عن الحياة، محاصرة بين لغة «حيّة» أجنبية ولهجات محلية. وذلك داء لا يخص قطرا دون قطر، ولا دولة واحدة من هذه الدّول المتكاثرة والتي - ربما - ستتكاثر إذا استمر التمزق والتشرذم في هذا الوطن «العربي الكبير»، وهو تشرذم لا في السياسة فقط بل حتى في جهودنا اللغوية في الجامعات والمجامع، وفي الندوات والمؤتمرات. وهي جهود لم تتوصل - حتى الآن - الى وضع معجم حديث يدل على

---

(1) محمد فريد أبو حديد / مجلة مجمع اللغة العربية ع 7 ص 205 (1953).

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه.

استيعاب هذه اللغة لحاجات هذا العصر الذي نعيشه، حتى «وسيط» مجمع القاهرة، والمعجم الأساسي للمعتثلوم[4] لم يسدّا الخلّة، ولم يقضيا الحاجة. ونبقى - مع ذلك - نتغنّى ونتبجح، وكلّنا أسرى لغات وثقافات اخرى تختلف صلتنا بها بين استمرار الاستلاب والسيطرة إلى الغزو المبطن والظاهر.

اللّهجات أو اللّغات العامّية:

كان من نتيجة ذلك الانفصام بين العربية الفصحى والجماهير الشعبية ان أصبحت لتلك الجماهير أدوات اتصال خاصة بحياتها تبعد كثيرا أو قليلا عن العربية الفصحى حتى اعتبرها البعض لغات قطرية[5] بقطع النظر عمّا يتهم به البعض من نزعة إقليمية انفصالية أو نزعة استعمارية تهدف الى أغراض خاصة[6].

وأصبحت اللهجات في العقود الأخيرة محل دراسات بعنوان الأدب الشعبي أو الدراسات اللغوية والاجتماعية، كما استغلّها الساسة في اجتلاب الجماهير الشعبية التي ما تزال الأمية سائدة فيها، أو حتى بالنسبة لعدد كبير من المتعلمين بلغات أجنبية متغلّبة.

وفي شعبة من شعب ذلك الاهتمام بالعاميات العربية محاولة لربط الصلة بين الفصحى وبين الكثير من الكلمات المعدودة من استعمالات العامة، وقد يعتبرها البعض بعيدة عن الفصحى ولا يحسن استعمالها وإدماجها في الفصيح المتعارف لاسيما في الابداع الادبي.

وقد كانت لي - وما تزال - اهتمامات بهذه القضية.

وكان اهتمامي بالفن القصصي من العوامل التي جعلتني التفت الى العامية التونسية، وما يمكن اقتراضه منها من ألفاظ أو تعابير،

---

(4) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

(5) جلال حنفي، معجم اللغة العامية البغدادية 1 : 10.

(6) ينظر مثلا مقدمة «قاموس اللهجة العامية السودانية» د. عون شريف قاسم.

واستعمالها في السرد القصصي باعتبار أنّ القصة هي أشدّ الفنون الأدبية التصاقا بواقع الحياة. وأن الفصحى في واقعها الحالي قد تجعلك في مجال العموميات ولا تدخل مجال التفصيل والتدقيق في الوصف كما قال المرحوم أحمد امين منذ نصف قرن أو أكثر.

هذا بالاضافة الى ان الكثير من الاستعمالات والتوظيفات التي نلقاها في كلمة فصيحة وكلمة دارجة لا تجد لها شرحا أو بيانا في معاجم اللغة. وهذا من شأنه إذا عمّ ان يطوع الفصحى ويطورها ويقربها من المعاملات اليومية والحياة العادية لو يقع الاهتمام به الاهتمام اللازم، لأنه يساعد كثيرا على تأريخ المعجم العربي.

في العامية التونسية:

تعتبر العامية التونسية[7] من أقرب اللهجات الى العربية الفصحى لاسيما في المناطق الريفية التي كانت أقل امتزاجا بالرطانة والدخيل، وأنها كثيرا ما ظلت معزولة عما يجعلها تفقد تلك الخاصية التي أشرنا اليها. وهي الى جانب ذلك لا تشوبها شائبة في النطق للحروف الهجائية كلّها.

ونجد الكثير من الاستعمالات يكشف عن مدى مهارة العامي التونسي في توليد المعنى الجديد أو اقتباسه لذلك الفصيح.

وسأكتفي في هذا المجال بذكر بعض الامثلة في «مختاري» لبعض الألفاظ التي يغلب على ظن الناس أنها موغلة في العامية، وأنّها من الدارج الوحشي، وانها لا صلة لها بالفصحى[8] ومعاجم اللغة:

1) خرمـــــد

المخرمد في كتب اللغة: المقيم المطرق الساكن ويطلق في العامية

---

(7) القصد العام في ذلك المناطق التي كانت تسمى افريقية في تاريخ المغرب العربي وهي تكاد تحصر ـ مع تونس الحالية ـ شرقي الجزائر وغربي ليبيا.

(8) ينظر العددان الأول والثاني من مجلة المعجمية.

التـونسية على الكسول وقليل الحركة. يقال: فلان يتخرمد. والصلة قويّة وواضحة بين الاستعمالين.

2) شنتــــــر

في معـاجم اللغـة شنـتر الشيء بعثره وفرّقه على الارض. وفي العامية التونسية يقال: الحشيش مْشَنْتر في الحوش. أو يقال: ضربه على رأسه وخلّاه مشنتر على الارض.

3) عجـــــرد

في كتب اللغـة: المعجـرد العـريان. وشجـر معجـرد عار من الأوراق. وفي العامية التونسية تطلق لفظه «عجرودة» على المحصول الزراعي القليل. ويقولون: العام صابه او عجرودة.

4) دقـــــر

من معـاني دقر في اللغة العربية: الامتلاء، يقال: دقر: امتلأ الـطعـام. وفي بعض المنـاطق يطلقون كلمة «الداقرة» على الصفحة الصغـيرة من الخشب عادة. وهـذا الاستعـمال من أسـاليب اللطف والتفاؤل في العامية التونسية، فمستعمل كلمة «الداقرة» يقصد التمني بأن تكـون دائـما ملآنـة مثلما يستعملون كلمـة «العـامر» في المقاهي والمطاعم للكؤوس والصحاف الفارغة تفاؤلا بأن تكون مملوءة.

5) بنّــــك

في العـربية الفصحى يقـال: بنـك الخـدم أي تحدثـوا بأسرار البيوت. واللفظة تستعمل كثيرا في الدارجة التونسية ولا تبعد عن معناها الاصـلي. فالتبنيك تعني الجلوس الـطويل والحـديث المتواصل. وفي القرى والارياف خاصة تكون كؤوس الشاي تدار على الجالسين وهم ينتقلون في حديثهم من موضـوع الى آخـر على قاعـدة «الحـديث ذو شجون» والتأويل بأن الاستعمال مشتق من «البنك» المقعد الطويل فيه بعد وتكلف.

6) المغيثـــة

وبما عثرت عليه في العامية التونسية لفظة «المغيثة» وهي عربية فصيحـة لكنهـا مهملة في معاجم اللغة. والمغيثة تعني المحجمة وهي الأناء الصغير الذي يمتصّ به دم الانسان من قذاله او منكبيه. وقد استعملتها العامية التونسية او احتفظت بها استيحاء مما جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد... قال عقيل «وحدثني غير واحد ان رسول الله - صلّى الله عليه وسلم - كان يسمّيها المغيثة. وقال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - الحجامة في الرأس هي المغيثة»[9]

«واحة بلا ظل نموذجا»

في هذا المجال يمكن ان نجعل رواية القصاص عمر بن سالم «واحـة بلا ظل» نمـوذجا لمحاولة التقريب بين الفصحى والعامية في الابـداع الادبي. وقـد عمـد هذا الكاتب الى صيغ ومدلولات عامية بتفصيحها ونقلها بنصها - في الغالب - من لهجتها العامية الى اللهجة الفصيحة، محاولا بذلك إيجاد تكامل بين الاستعمالين دون أن يتقدم بشرح لذلك او تعليق، ودون ان يبين كيفية استعماله لهذه الطريقة. وكانت اللهجة التي استقى منها هي لهجة سكان قرية بالجنوب التونسي وهي مسقط رأسه في نفس الوقت. وبعض الصيغ التي نقلها في قالب فصيح قد يعسر فهمها على من يجهل ذلك الاستعمال العامي خاصة ان ذلك من المدلولات التي لا تيسرها معاجم اللغة.

أمـا بخصـوص موقف الكـاتب من اللغـة الفصحى واللهجة العـامية فيمكن اسـترواحـه من الحـوار الـذي ورد على لسان بعض شخـوص الرواية عندما كانوا يتحاورون في طريقة التبليغ والاتصال بالجماهير الشعبية. وجاء في ذلك الحوار التالي:

---

(9) الطبقات الكبرى 1 : 2 ص 145.

ـ ليس من حقك أنت أن تحكم على قيمة هذه التّعاليق بالدارجة. بل اسأل عنها الذين لم يبلغوا مستواك من التعلم، فهي موجهة اليهم.
ـ حتى هؤلاء يفهمون الفصحى، ويحبون الاستماع اليها.
ـ قد يفهمون منها بعض الكلمات. أما المعاني فهي ليست دائما في متناولهم
ـ اذا أردتم ان يكون كل شيء في متناول الشعب فارفعوا من مستواه بالتعليم لا بمخاطبته بالعامية.

ان هذه اللهجة تزيده جهلا على جهل وتعلمه الكسل الذهني، وتفقر حصيلته اللغوية بينما تجبره الفصحى على بذل المجهود وعلى إثراء كلماته في الفهم والتعبير.

وينتهي الحوار بهذه الفقرة.

«... نحن عرب. ولا نجد صعوبة لا في النطق بلغة أجدادنا ولا في فهمها. بقي الاعراب. هذا يمكننا التساهل فيه»[10].

فهل هذا هو الحلّ الذي يهدف اليه صاحب الرواية؟ وهو الذي يمكن تحديده بأنه الوصول الى تقارب كبير بين الفصحى والدارجة بأن يتلاقى الاستعمالان في البنية والصيغة واللفظة. وأن يتباعدا في الاعراب وحركاته.

مهما يكن فاني ـ شخصيا ـ أعتقد أنه بعد تعميم التعليم في كل الوطن العربي وتطعيم الفصحى بمدلولات العصر والمعيشة والحياة فان حدّ التباعد يقلّ بلاشك حتى يتلاشى أو يكاد. ويزول التخوف الذي أبداه العلاّمة عبد الله العلائلي في قوله: «نحن اليوم في المجتمع العربي إزاء تراكم في الكمية لأشكال العاميات وهو يأذن حتما بتحوّل الكمية إلى كيفية، فإذا عرفنا من جديد كيف نهيء العربية تهيّئا يتفق وهذا التكيّف نكون قد اعنا التطور على عمله حقا في هذا الجنب. وبالتالي نصل ـخطه»[11].

(10) واحة بلا ظل ص 56 ـ 57.
(11) تقديم «الصحاح في اللغة والعلوم» ص: ج

تراث لحن العامة
مصدرا من مصادر المعجم التاريخي

بحث د . أحمد محمد قدّور
جامعة حلب - سورية

1 ـ تمهيد :

تطرح مسألة الاتصال باللسانيات الحديثة أمورا تتعلق بدرسنا اللغـوي ، حين يتصدى الدارسون المعاصرون لبحث أوجه الافادة منهـا ، أو مقـارنتهـا بالمجالات الدرسية التي وقفوا عليها في تراثنا اللغوي . فاللسانيات ـ كما هو معروف ـ تضم جميع ما يتعلق باللغة من مسائل علمية في الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية . وإنّ أول ما يلاحظه الدارس هو الاختلاف المرير في تطبيق المناهج الدرسية الحديثة على درسنا اللغوي الحديث، وما يتصل بذلك عادة من تقييم للمناهج العربية القديمة في ضوء ما استجدّ في هذا العصر من مناهج . وقد ظهر ذلك بصورة جليّة حين اتّخذ المنهج الوصفي منهجا أساسيا لدرس اللغة . فقد لوحظ في دراسات كثيرة أنّ تطبيقات هذا المنهج الأجنبية كانت تفرض على الدرس اللغويّ العربي قديمه وحديثه دون أن تؤخذ الامور ضمن إطارها الزمني ومعطياته الثقافية . ولقد آل هذا حقيقة الى الهجوم على مناهج العربية الفصحى وطرق

تدوينها، وعلى مواقف اللغويين الذين وضعوا قواعد وحدودا لجمع اللغة والاحتجاج لها[1].

فالعـربية الفصحى تتّهم لدى أولئـك بانهـا «معيارية» تهتم بالمستوى الصوابي ولا تعتدّ بالاستعمال، وهو ما أفضى باللغة الى الجمود والتخلّف عن الحياة وتطورها الدائم. ولسنا نريد في مفتتح هذا البحث الوجيز ان نستطرد لمناقشة تلك المسألة، بل نقصد الى التفريق بين الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية من جهة، والجانب الدلالي الذي يضم المعجم من جهة اخرى في ضوء ما عرف عن العربية الفصحى من معيارية. فالمعيارية في الجوانب الاولى كانت ولمّا تزل ذات نفع كبير في المحافظة على كيان العربية، وحمايتها من أخـطار التشتّت. إذ لو لم تكن المعيارية ههنـا متشـددة لكـان من الطبيعي في ضوء قوانين اللغة استقلال بعض اللهجات وانفصالها عن الفصحى التي قد تتحـول الى لغـة مقـدسة يقتصر استعمالها على الشعائر الدينية.

أمـا دلالـة المفـردات فقـد كان بالامكان إخراجها من نطاق المعيارية الصارمة دون ان ينطوي ذلك على كبير خطر على وحدة اللغة وأنظمتها. فالدلالة التي تتّصل بالمجتمع اتّصالا وثيقا لا يمكن ان تبقى محصورة في الانماط البدوية من العيش والفكر وغير ذلك من جوانب الحياة. والجوانب الصوتية والصرفية والنحوية هي في الحقيقة انظمة قياسية يفترض استقرارها بحسب قواعدها التي تتيح امكانات التوليد الداخلي. فالقواعد الأساسية في هذه الانظمة ـ مع النظر اليها على انهـا عامـة وليست شاملة ـ لا تقـدم كمّـا محدودا من الصيغ والاستعمالات كما توهّم بعض الدارسين، بل تقدم أساليب متنوعة يجري عليها الصوغ القياسي الذي يتضمن قدرات توليدية تتأبّى على

---

(1) انظر : دراستنا في المجلة العربية للعلوم الانسانية «من أثر اللسانيات في الدرس اللغوي العربي ومناهجه» العدد 27، المجلد 7 صيف 1987، ص 162

الحصر. والامر في جانب الدلالة مختلف عمّا سبق، لأنّ المفردات لا تستقر على حال لأنها تتبع الظروف. فالحياة تشجع على تغير الدلالة بصورة مطرّدة. ومن المعروف في قياس هذه المقارنة ان ما يفصل لغة عن اخرى ليس المفردات ـ إذ قد تشترك لغة وأخرى في كثير من المفردات ـ بل هو ما يتعلق بتلك الجوانب ولا سيّما نظام الجملة.

ومع أنّ اللغويين القدامى وقفوا من تغيّر الدلالة ذلك الموقف المتشدد، فإنّ الدارس يجد شواهد كثيرة على تغيّر الدلالة من عصر الى آخر، منها ما ورد في تضاعيف بحوثهم المعجمية والأدبية. ومنها ما اتّخذ شكلا قريبا من البحوث المنظمة والواضحة المقاصد، ولا سيما في المصطلح والألفاظ الاسلامية. إضافة الى جانب غنيّ هو التأليف في لحن العامة والتثقيف اللغويّ.

وينفرد المعجم بجانب مهم في هذا السياق من التقابل بين اللسانيات الحديثة، وعلوم العربية. فقد لوحظ أن الاطلاع على معاجم اللغات الاجنبية الحديثة ودراستها، دفع كثيرا من الدارسين الى مقارنات سريعة بين تلك المعاجم من جهة، ومعاجم العربية ـ وجلها قديم ـ من جهة أخرى. ومن هنا كانت بدايات التأليف المعجمي الحديث عندنا تحمل سمات من آثار ذلك الاتصال. وقد أثمر هذا مع الدوافع الذاتية نحو النهوض والتحديث حركة معجمية ونقدية يمكن ان يعدّ منتصف القرن التاسع عشر بداية لها.

لكن الدعوة الى التحديث وسدّ النقص كانت تبدأ في أكثر الأحيان بالتعرض الى عيوب المعاجم القديمة، وملاحظة عدم وفائها بحاجاتنا المعاصرة(2). وإن أهم ما يتّصل ببحثنا هنا هو اتّهام المعاجم العربية كافة بأنّها تقف عند حدود معينة من الزمان الذي

---

(2) انظر : نصار، د. حسين : المعجم العربي، مكتبة مصر، القاهرة، ط.2، 1968، 2/747ـ751

عرف بعصر الاحتجاج. وأنّها تقتصر على نقل جانب من لهجات العرب دون سواها، لأن منهج اللغويين القدامى كان انتقائيا. أما جهود التالين فقد اقتصرت عند هؤلاء على تنظيم تلك المادة وتبويبها طبقا لمناهج مختلفة.

ويلاحظ الدارس ان مسائل متعددة شغلت أذهان المعجميين. منها ما يتصل بترتيب الموادّ ومداخلها، ومنها ما يتّصل بالمادة نفسها من حيث مصادرها وشواهدها، ومنها ما يتصل بتطور المعاني وتدرجها، والبيئات وأثرها في انتشار الدلالة او تقليصها. ولا شك حقّا في أهمية هذه المسائل، وما دار حولها من مناقشات امتدّت عقودا متتالية من هذا القرن، إذ شغلت وما تزال تشغل الدارسين في مختلف نواحي الاختصاص. ومن المعروف أنّ بعض ما سبق ذكره من مسائل يتطلب تضافر الجهود واستشارة أهل الذكر من أولي العلم واللغة في المجامع اللغوية والمراكز العلمية.

أمّا ما يتّصل بالتطور الدلالي للمفردات ـ وهو مدار بحثنا ـ فقد سعت الى تحقيقه معظم المعاجم الحديثة على اختلاف مناهجها وتفاوت قدرات مصنّفيها. فالأمر ههنا يحتاج الى مراجعات واسعة ومفصّلة للتراث الثقافي في التاريخ والجغرافية والفلسفة والدين، إضافة الى استيفاء جوانب التراث اللغوي.

ومهما يكن من أمر فإننا نرى ان ما نحتاجه من معاجم ضمن اطار اللغة العربية الفصحى هو ثلاثة أنواع، هي مع مناهجها ومحتوياتها كما يلي:

أولا: المعجم الأساسي، وهو معجم يسجل الرصيد المشترك (Lexique Commun). ومنهجه معياري يتقرى الصحيح والقياسي والشائع، وكل ما هو متصل بالفصحى بسبب. ومراجعه الرئيسية هي مجامع اللغة ومراكز البحوث القومية لا القطرية.

ثانيا: المعجم الفني، وهو معجم يدوّن مصطلحات علم من العلوم او فرع من فروع المعرفة. ومنهجه وصفي يغلب عليه الاجتهاد

ومحاولة التقريب بين مصطلح وآخر ممّا هو متداول في أقطار العروبة.

ثالثا: المعجم التاريخي، وهو المعجم الذي يهتم بتاريخ المفردات بدءا من أقدم النصوص وحتى آخر ما وصلت اليه في هذا العصر. ومنهجه وصفيّ - تاريخي، لأنه معنيّ بتسجيل تاريخ الاستعمال ومكانه كما كان دون توجيه أو تقييم[3].

2 - نظرة في تراث لحن العامة:

يبدو أنّ تحديد الزمن الذي تم فيه نقل دلالة «لحن» الى معنى الخطأ في الكلام تكتنفه صعوبات جمّة، بسبب اختلاف الروايات ونقص الأدلة[4]. ومع ذلك فإنّ الدارس يجد في قصة أبي الأسود الدؤلي مع الامام علّي حين شكا له لحن ابنته، وما سمعه من الناس بداية للتنبه الى اللحن بوصفه ظاهرة متفشية في الناس. وعلى هذا يمكن ان نعدّ هذه البداية منطلقا لتحويل دلالة لحن الى معنى الخطأ في الكلام. ويلاحظ ان التصنيف في اللحن كان مبكّرا، اذ كان مرافقا لتدوين العربية على أيدي النحاة واللغويين. ومن المعروف أنّ أسباب التدوين، هو الخوف على العربية من ذلك اللحن الذي شاع في إقليم العراق قاعدة الخلافة شيوعا مروّعا. ومن هنا نجد أنّ معظم أهل اللغة كانت لهم رسائل وتصانيف في اللحن بدءا من الكسائي والفَرّاء والأصمعي وأبي عبيد القاسم بن سلاّم وغيرهم.

وإذا ما تجاوز المرء القرن الرابع، فإنه يقف على اتساع اللحن في فئات المجتمع من جهة، وامتداده الى معظم الامصار أيّا كان قربها من

---

(3) قارن حول هذا الاقتراح ما سبق اليه عبد الله العلايلي في: تهذيب المقدمة اللغوية للدكتور أسعد علي، دار السؤال، دمشق، ط. 3، 1985، ص 269-272، وانظر: نصّار، د. حسين، المعجم العربي 2/762

(4) انظر: فك، يوهان، العربية، ترجمة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بمصر، 1980، ص 243-255

قاعـدة الخـلافة، أو بعدها عنها من جهة أخرى. وبناء على ما سبق يلاحظ الدارس أنّ التصنيف في اللحن غدا جانبا من جوانب الدرس اللغوي على امتداد العصور وتعدد البيئات.

ولقد أتيحت لنا فرصة التعرف الى أهمّ ما بقي لنا من تراث لحن العـامـة في سياق دراسـة مستقلة[5]، خصّصت للجـوانب الـدلالية المستفادة من مجموعة من المصنفات التي بلغت ثمانية عشر مصنّفا بدأت بالقـرن الثاني عند الكسائي وانتهت عند الخفاجي في القرن الحادي عشر الهجري[6].

---

(5) كان هذا في الاطـروحـة التي تقـدمنـا بها الى كلية الآداب بجـامعـة دمشق لنيل درجة الدكتوراه، وهي بعنوان «التطور الدلالي في مصنفات اللحن حتى القرن العاشر الهجري»، وقد اجريت عليها تعديلات فغدت، بعد إعدادها للنشر، تحمل عنوانا آخر هو «مصنفات اللحن والتثقيف اللغوي حتى القرن الحادي عشر الهجري: دراسة تطبيقية في جوانبها الدلالية وهي تحت الطبع الآن في دمشق.

(6) المصنفات المعتمدة في دراستنا المذكورة آنفا هي بحسب الترتيب الزمني لسني وفاة أصحابها:

1 ـ ما تلحن فيه العوام للكسائي (ت 189 هـ)
2 ـ اصلاح المنطق لابن السكيت (ت 244 هـ)
3 ـ أدب الكاتب لابن قتيبة (ت 276 هـ)
4 ـ الفصيح لثعلب (ت 291 هـ)
5 ـ لحن العوام للزبيدي (ت 379 هـ)
6 ـ التلويح في شرح الفصيح للهروي (ت 433 هـ)
7 ـ تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي (ت 501 هـ)
8 ـ درّة الغوّاص في أوهام الخواص للحريري (ت 516 هـ)
9 ـ الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب لابن السيد (ت 521 هـ)
10 ـ شرح أدب الكاتب للجواليقي (ت 539 هـ)
11 ـ تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي.
12 ـ المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان لابن هشام اللخمي (ت 577 هـ)
13 ـ تقويم اللسان لابن الجوزي (ت 597 هـ)
14 ـ ذيل فصيح ثعلب للبغدادي (ت 629 هـ)
15 ـ الجمانة في إزالة الرطانة لابن الإمام (ت بعد 827 هـ)
16 ـ التنبيه على غلط الجاهل والنبيه لابن كمال باشا (ت 940 هـ) =

ويلاحظ أنّ هذه المجموعة تضمّ جلّ المصنفات التي وصلتنا من ذلك التراث الضخم. كما تفي - بما حوته من موادّ كثيرة - بالجوانب الدلالية على نحو لا يبتعد عن مناهج علم الدلالة الحديث، مع الاختلاف في وجهة النظر بين الدرس الدّلالي المعياري، والدرس الدلالي الوصفي.

وتتوزّع أمثلة اللحن على أنواع تضم ما يتّصل بالأصوات والصرف والنحو والدلالة والخطّ. ويلاحظ من خلال النظر في المصنّفات التي جرت عليها الدراسة أنّ أمثلة اللحن في النحو قليلة، بل نادرة، وأنّ أمثلة اللحن في الأصوات قليلة أيضا. أما أمثلة اللحن في الصرف فهي التي تمثل القسم الأكبر من الأمثلة. ويليها ما يتّصل بالدلالة من أمثلة ومسائل.

أمّا من جهة التصنيف فيلاحظ أنّ معظم المصنفات أوردت ما يتّصل باللحن في الدلالة تحت عنوان «مّما تضعه العامة في غير موضعه»، وهو النقل في مصطلحنا. كما أنّ كثيرا من المصنفات وزّعت موادها على أقسام ضمّت إضافة الى ما ذكر بابين هما: «ما جاء لشيئين أو أشياء فقصروه على واحد»، وهو التخصيص. و«ما جاء لواحد فأدخلوا معه غيره»، وهو التعميم. ولابدّ من الاشارة في هذا الصدد الى ان مؤلفا هو ابن مكي اجتمعت لديه جوانب التصنيف المنطقي لتغير الدلالة، أي النقل والتخصيص والتعميم، إضافة الى انه فرّق بين لحن العامة والخاصة، ونظر في مستوى الكلام على نحو دقيق فعلا.

والحقّ أنّ تلك المصطلحات التي ذكرناها، هي نفسها لدى علماء الدلالة المحدثين ضمن ما سمّوه بقوانين المعنى، أو سبل التغيّر الدلالي (Changements de sens). لكن ما ينغّص علينا هذا الكشف العلمي السبّاق لأجدادنا اللّغويّين هو النظرة المعيارية الصارمة التي شملت

= 17 - بحر العوّام فيما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي (ت 971 هـ)

18 - شرح درّة الغواص للخفاجي (ت 1069 هـ)

الدلالة فيما شملته من جوانب اللغة. فالأمثلة التي أوردها تحت تلك العناوين الاصطلاحية الدقيقة حكم عليها بالخطأ مقدّما، لأنّها من اللحن. ولا يستثني من ذلك إلّا حالات قليلة أو أمثلة محدودة.

ويقود هذا الى المرور بالمواقف الرئيسية من اللحن كما ظهرت في المصنفات المشار اليها آنفا. ويلاحظ أنّ هناك نزعة عامة غلب عليها التشدد في المقياس الصوابي واختيار الفصيح وحده، ولا سيما لدى المتقدمين كابن السكيت وابن قتيبة وثعلب والهرويّ والزبيديّ والحريريّ والجواليقي وابن الجوزي وابن الامام. ويمكن ان نعدّ الاصمعي (ت216هـ) رأسا لهذه النزعة. وهناك من بعد نزعتان، إحداهما لا تختلف عن الاولى الا في التوسع في قبول وجوه اللغة ان كانت من المسموع عن العرب نصّا. فهي في هذا لا تختلف عن سابقتها الا في درجة الاحتجاج بالمسموع. ويمثل ابن مكي وابن هشام اللخمي وابن الحنبلي هذه النزعة. وقد انتهى ابن هشام الى خلاصة هي انه لا تلحّن العامة الا بما لم يتكلم به عربي، أما ما استند الى سماع مهما كانت درجته، فلا يعدّ لحنا لأنّه ورد عن أهل اللغة واصحاب التصرف فيها. اما النزعة الثانية فيتقدم اصحابها خطوة ذات اهمية حين أضافوا الى التوسع في المقياس الصوابي الاعتداد بالمجاز وسبل التطور الاخرى في تصويب كثير مما جرى على ألسنة الناس. فابن السيد البطليوسي احد هؤلاء يعتد كثيرا بالمجاز لأنّ أكثر كلام العرب مجاز، ولذلك غمض كثير منه على من لم يتمهّر فيه[7]، ثم نجد عبارة صريحة لدى البغدادي يقول فيها بأنّ تخصيص العام ليس غلطا[8]، وأنّ ما جرى على القياس صحيح[9]. كذلك نرى الخفاجي، وهو من أصحاب هذه النزعة، كثير

---

(7) انظر: ابن السيد، الاقتضاب، المطبعة الأدبية، بيروت، 1901، ص 150

(8) انظر: البغدادي، ذيل الفصيح، مطبعة السعادة بمصر، ط.1، 1907 ص 103 - 104

(9) انظر: المصدر السابق، ص 108

الاعتداد بالمجاز والقياس والتأويل.

ولن نتوقف بعد ان توضّحت لنا مقاصد أولئك اللغويين، وعرفنا منطلقهم في المحافظة على العربية الفصحى عند بعض المحدثين الذين انصرفوا عن دراسة هذا التراث الكبير الى مجاراة بعض المستشرقين في الهجوم على اللغويين القدامى، واتهامهم بنقص الاستقراء وإهمالهم تدوين كلام الناس، أو لومهم على موقفهم من اللحن إذ عدّوه خطأ[10]. فمدار الأمر عندنا هو ما مدى الافادة من هذا التراث في رسم صورة مقبولة لتطور العربية الفصحى عبر الزمن، وفي مسألة التّنقية اللغوية الحديثة والوفاء بمتطلبات التعبير الجديدة.

3 ـ المعجم العربي وصلته بأمثلة اللحن:

كنا أشرنا الى بعض الآراء المحدثة التي اتهمت المعاجم العربية بالوقوف عند حدّ زمني لم تتجاوزه، ففقدت بذلك دورها في تسجيل ما طرأ على اللغة من تغير، كما هو مفترض في المعاجم التي تتابع الزمن ولا تقف عند حدّ معيّن. ولعل فيما نقدم الآن ردّا على تلك الآراء المتسرّعة. فلقد أظهرت لنا مجموعة كبرى من أمثلة اللحن التي حللناها في مواضع مختلفة من دراستنا، أن كل ما قيل حولها وارد بنصه في المعاجم[11]. ولا يقتصر هذا على المعاجم المتأخرة وحدها كاللسان والتاج، بل لقد ظهر منه شيء كثير في المعاجم التي ظهرت بدءا من القرن الرابع الذي شهد حركة تأليف معجمية كبيرة. والسبب في هذا أنّ أوائل مصنفات اللحن ظهرت في القرن الثاني كرسالة الكسائي، أي أنها كانت مواكبة لظهور أول معجم عربي هو «العين» للخليل المتوفى 175 هـ. فاشتمال المعاجم على تحليل امثلة من لحن العامة وارد مع أوائل المعاجم، كما انه مستمر

---

(10) انظر: رسالتنا، التطور الدلالي في مصنفات اللحن، ص 46

(11) انظر: المصدر السابق، ص 363 ـ 366

لحن العامة وارد مع أوائل المعاجم، كما انه مستمر الى أواخرها. فما جاء في المعاجم من أمثلة اللحن يكاد يفوق الحصر ولا سيما في المعاجم المتأخرة.

فإطلاق الكلام بأنّ المعاجم اغفلت التعرض للحن العامة، او لما طرأ على اللغة بعد عصر الاحتجاج زعم مبالغ فيه. ولا يعني هذا بحال من الأحوال ان المعاجم سجلت كل ما طرأ على اللغة من تغير في جميع مجالات الاستعمال، وفي المستويات العلمية والثقافية والحيوية النفعية كافة. لأنّ هذا ليس من مهمة المعاجم اللغوية وحدها، فهي على الرغم مّما حوته من أشتات مجتمعات من الأعلام والمصطلحات والأسماء وغيرها، لا تطالب بأن تقوم بتتبعة كلّ ذلك على سبيل الاستيعاب.

والمسألة من بعد ليست في تقصير المعاجم في تدوين ما استحدث من تطور، ففيها - كما رأينا - الكثير منه، بل في المواقف التي منعت اللغويين من ربط اللحن وغيره من مظاهر التغيّر بما استقرّ من الدلالات وضمّه إليها على انه حلقة جديدة في سلسلة التطور التاريخي للغة. ولقد قام تحليل معظم الأمثلة لدينا على الاجتهاد في سدّ ذلك النقص، فربطنا التغيّر الطارىء بما استقر في اللغة. ومع أنّ المنهج كان يتخلّله الاجتهاد والجنوح الى الافتراض فإن ما ظهر فعلا هو أنّ كلام العامة كما جاء في المصنفات ليس منبتّا الى درجة يظن فيها الانقطاع الذي لا ينبىء بأي صلة. فالعامة لم تأت بلغة جديدة، او ابتكارات من عدم. وإذا ما أخرجنا من حسباننا تلك الامثلة التي لم تكن الاّ بسبب الاختلاف حول درجات الفصيح، لأنها واردة غالبا في المعاجم ضمن ذلك النحو من النقاش والخلاف الذي لا تخلو منه مادة من موادّ المعجم تقريبا، فإنّنا نرى أنّ سائر الامثلة ترتبط بالدلالات المعجمية وتكملها ضمن التدرج الملاحظ في تطور الدلالة عبر الزمن، ووفق السنن التي جرى عليها كلام العرب. أما ما كان منها منقطعا، فهو إما من الذي قصّرت جهودنا وأدواتنا الدرسية عن كشف صلاته بالتدرج المعهود، أو مّما ظهر

فجـأة في ضرب من الارتجـال الـذي يعول على احتساب أيّ علاقة ظاهرة. ومن الملاحظ أن هذا قليل إذا ما قيس بالجمّ الغفير من الأمثلة الاخرى.

4 ـ السمات العامة لأمثلة اللحن:

أ ـ معطيات المكان:

يتصـل المكان بقضيّة التغيّر اللغوي، وانتشار اللغات، ونشوء اللهجـات وغـير ذلـك. وقد توسّع مجال النظر في صلة المكان باللغة مؤخرا، فنشأ فرع من اللسانيات يعنى بآثار البيئة والجغرافية في اللغة والثقـافـة والحضـارة ونحوها، وهو علم اللغة الجغرافي. فالأمور التي تتعلق بتنـوع اللغـات والانتشـار اللغـوي وتعـايش اللغات في بقعة واحدة، والفروق التي تلتمس بين اللغة المشتركة واللهجات المحلية، هي من اختصـاص هذا العلم. ولعلنـا نشير في الفقرات التالية الى جوانب من تلك الصلة بين المكان واللغة.

ومن المعـروف بداية أنّ العـربية الفصحى انتشرت مع خروج الفـاتحين من الجـزيرة العربية، وامتدّت حتى بلغت اقصى المغرب واواسط أوروبا وأقاصي آسيا وصحاري إفريقية. ولم يكن هذا الانتشار والامتداد في فراغ، بل لقد لاقت العربية أمامها لغات ولهجات متعدّدة دخلت وإيّاهـا في صراع مستمر. كما تعرضت العربية الفصحى بعد ذلك بقرون لشيء من الانعزال في البيئات الجغرافية بسبب السياسة والحـروب وغير ذلك من عوامل الانغلاق. لكن الملاحظ أنّ العربية الفصحى حين تعرّضت لكلا الأمرين: الانتشار والانعزال، سلمت من التشعّب الى لهجات او لغات مستقلة.

والحقّ أنّ هنـاك عوامـل قلّلت الى حدّ كبـير من تأثـر العربية الفصحى بالمكان والزمان. وهذه العوامل هي: القرآن الكريم والمنهج

المعياري والتراث الأدبي[12]. وقد عملت هذه العوامل على إبقاء عناصر الثبات والاشتراك جامعة بين الامصار الناطقة بالعربية، وان كانت بعيدة عن مراكز انتشارها، أو منعزلة عمّا سواها، في صورة عزّ نظيرها قياسا على غيرها.

ونجد مصداق ذلك في أمثلة اللحن التي درسنا، إذ شهدت معظم الامصار الناطقة بالعربية تأليفا في اللحن بدءا من العراق قاعدة الخلافة، ومرورا بالشام ومصر، وانتهاء بالاندلس وغيرها من أقطار المغرب. ففي العراق كانت البداية ثم تشعب التأليف منذ القرن الرابع الهجري، فظهر في الأندلس وصقلية وتونس لغويون عُنوا بموضوع اللحن. وظهر بعد ذلك بقرنين تقريبا في الشام ومصر لغويون آخرون ألّفوا في اللحن، ثم ظهرت بعد ذلك مصنفات في العراق وتركية وغيرهما.

ويبدو للوهلة الاولى كما ظن بعض الدارسين ان هذه المصنفات تحوي لهجات الامصار التي الفت فيها او نسبت اليها. لكن الحقيقة غير ذلك، لأن معظم المصنفين لم يقصدوا التعبير عن اي استقلال للخصائص اللغوية الجارية في بيئاتهم، كما لم يقدّموا ـ وهذا هو الأهم ـ مادة تصلح لاستخلاص شيء من ذلك وان لم يقصدوه. فهم ذكروا بعض ما يتصل بالمكان من أثر في بعض الاستعمالات، وقارنوا بين أمثلة من المشرق بأخرى من المغرب، لكنهم لم يتوسعوا في ذلك نظرا لاعتصامهم بالعربية الفصحى واعتدادهم بشواهدها القرآنية والشعرية، وقياسهم كل تغيّر على ما صحّ من لغة العرب الأوائل.

ولقد كانت تراودنا فكرة التقسيم الجغرافي حين بدأنا بضمّ المادة التي عملنا فيها في الدراسة التي أشرنا اليها مرارا، لكن المقارنة الاولية بين أمثلة هذا المصنف وذاك ـ وان تباعدا في البيئة أو الزمان ـ لم تكن

---

(12) انظر: عبد التواب، د. رمضان، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط. 1988، ص 179 ـ 180

تشجع على التصنيف المكاني الخالص، أي فصل أمثلة هذا الاقليم عن غيره، وتحليلها منعزلة عمّا سواها. ولو أن هذا تمّ لوقعنا في تكرار يكاد يشمل معظم الأمثلة لأنها مشتركة بين أمصار المغرب والمشرق. لكن هذا لا ينفي وجود أمثلة قليلة اختصّ بها هذا الاقليم أو غيره، وإن لم تسلم في زعمنا من أن تكون متصلة بلهجة من لهجات العرب القدامى في أغلب الاحيان.

ومّما يقلّل من الأثر المكاني أن بعض المصنفين كانوا ينقلون معظم الامثلة من المصنفين السابقين، لا من بيئاتهم، أو مّما وقفوا عليه لدى معاصريهم. كما أنّ بعض الشّراح وأصحاب الردود تناولوا مصنفات متعددة بالنقد والردّ، على الرغم من اختلاف البيئة. من ذلك مثلا «أدب الكاتب» لابن قتيبة، وشرحه «الاقتضاب» لابن السيد. والكتاب الاصلي ظهر في العراق، على حين أنّ صاحب الشرح أندلسي. ومنه أيضا «درّة الغواص» للحريري، وشرحها للخفاجي. فالدرة من لحن الخواص في العراق كما يستفاد من عنوانها، وبيئة مؤلفها، على حين أنّ شارحها الخفاجي مصريّ.

وليس هناك من بعد خلافات أساسية بين بيئة وأخرى من البيئات العربية. وعلى افتراض أن شيئا منه وجد حينا من الدهر، فقد تلاشى أمام تمسك الناس بالعربية الفصحى المشتركة. ويكفي المرء أن يشير هنا الى الآثار الايجابية للهجرات العربية التي انطلقت مع الفتح الاسلامي، واستمرت بعد ذلك ناشرة القبائل العربية في أمكنة جديدة غلب عليها اللسان العربي الذي اعتصم به اصحابه اعتصامهم بالدين. وعلى هذا يستطيع الدارس تفسير كثير من الخصائص المشتركة بين قطر وآخر بالنظر الى وجود صلات القربى والنسب على الرغم من بعد الديار. آية ذلك أن أمثلة كانت ترد في مصنفات الاندلسيين والمغاربة، فترد الى أصولها اليمنية القديمة، أو الى حيث شاعت في مكان معينّ لاحدى القبائل العربية.

ومن اجل ذلك كله نرى أنّ وصف هذا الكتاب مثلا بأنه كلام

عامة صقلية، او عامة بغداد، أو مصر، أو الشام، ونحو ذلك لا يشير الى انه كلام منعزل عن غيره أو أنه ينفرد بخصائص واسعة لا نجدها في غيره. بل هو غالبا جزء من كلّ، فيه من عوامل الاتصال ما يفوق كثيرا ما يكون من عناصر الانفصال.

ب ـ قواعد الاحتجاج :

لم تشهد قواعد الاحتجاج لأمثلة اللحن تغيّرا كبيرا يمكن ان يعدّ خروجا على ما تعارف عليه أهل اللغة من قواعد مطّردة. فالاحتجاج بالشعر، وبالقديم منه خاصة لما يزل يحتل مكان الصدارة. كما أنّ أقوال اللغـويين المتقدمين ما فتئت تدور على ألسنة المتناقشين من أصحاب المصنفات فتجيز قولا وتمنع آخر. أما ما يشير الى شيء من التحول عما عرف عن قواعد الاحتجاج، فقد جاء في المرتبة الثانية، اذ لم يكن يزيد على التوسع في الاستشهاد بالحديث والاثر، وقبول بعض آراء اللغويين المتأخرين وأقوالهم، والاستئناس بالشعر المولّد بعد عصر الاحتجاج. لكن هذا التحول الطارىء لم يشمل اغلبية المصنفات، بل اقتصر على بعضها، كما أنه لم يأت ضمن خطة واضحة لتعديل قواعد الاحتجاج المعهودة على أيّ نحو من الأنحاء[13].

والحق أن الاتجاه السائد في مناقشات الاحتجاج لصحة الأمثلة أو عدمها، لم يزل يدور حول ما نقل من اللغة نصا ضمن الحدود التي وضعـوها، مع الاختلاف الذي رأيناه بين مصنف وآخر حول تقدير مستوى الاحتجاج كالفصيح ونحوه، أو ما كان لهجة، أو شاذا، وغير ذلـك. ويبـدو هذا جليا في المناقشات التي حفلت بها كتب الشروح والردود، إذ لم تخرج عن سبيلين اثنين الا نادرا، وهما: إيراد شاهد لم يذكره المصنف السابق، أو صاحبُ الكتاب الذي يشرح او يردّ عليه. وبهذا الشاهد الذي هو مّما يعتدّ به يكون الردّ. أو تأويل الشواهد التي

---

(13) انظر: رسالتنا، التطور الدلالي، ص 357 ـ 363

أوردها المؤلف السابق لاثبات سوء فهمه لموضع الاستشهاد وخطأ تفسيره له .

فالمشكلة الرئيسية في هذا الصدد هي أنّ معظم المصنفين تقيدوا بما جاء عن العرب، وان اختلفوا فيه. أما ما لم يتكلم به عربي يحتج به فلم يقبل. وهذا نحو من التشدد الذي إن جاز في النحو ونظامه لم يجز في المفردات ودلالاتها. فإيقاف المعاني عند حدود صارمة لم يكن تؤيده الوقائع اللغوية المتداولة، إضافة الى انه في زعمنا موقف نظري ينسجم وما تواضع عليه اللغويون من رفض التغير أساسا وفي كل جانب. فتغير المعاني لم يعرف انه توقف عند حدّ بدءا من الألفاظ الاسلامية، ثم ما ولّدته الحضارة والعلوم المستحدثة في العصر العباسي وما تلاه، وهو جار في تضاعيف الكلام عصرا بعد عصر.

ومع أن الاتجاه السائد في المصنفات هو ما ذكرنا، فقد وجدنا بعض المصنفين يتوسّعون في تطبيق معايير اخرى حين الاحتجاج هي : 1 ـ أصل الدلالة، 2 ـ معنى الصيغة، 3 ـ المجاز، وبذلك تم اخراج عدد من الأمثلة من نطاق المسموع الى نطاق المقيس.

ج ـ المستوى اللغوي :

يقود الحديث عن المستوى اللغوي لأمثلة اللحن في الدلالة الى الوقوف عند من صدر منهم اللحن. فالعامة الذين يذكرون في تلك المصنفات هم كما تبين لنا جماعات من التجار والصناع والطلاب وبعض المتعلمين الذين لم يحصلوا الكثير من المعارف. أما الخاصّة الذين يرد ذكرهم في بعض المصنفات فهم علماء اللغة والادب وأهل الفقه والدين، والاطباء والفلاسفة والحكماء ومن في مستواهم. ولقد رأينا من يزعم أنّ العامة ليسوا هنا الدهماء وخشارة الناس، بل هم المثقفون الذين تتسرب اليهم أمثلة من لغة التخاطب اليومية فيَستعْملونها في أحاديثهم وفي كتاباتهم. وهذا زعم فيه خلط واضح بين مفهومي «العامة» و«لحن العامة». فالعامة هم كما رأينا فئات متوسطة من

المجتمع تمثل عامة المتعلمين. على حين أنّ «لحن العامة» مصطلح شامل يمكن ان ينطبق على معظم أمثلة اللحن[14]. فبداية اللحن كانت لدى العامة ثم تسرب منه شيء الى الخاصة. اما «لحن الخاصة» فهو مصطلح ينطبق على قليل من الأمثلة التي تفرد بها الخواص والتي يصعب فصلها عن أمثلة العامة الا اذا كانت الادلة متوافرة، كما هي الحال لدى ابن مكي الذي جمع أمثلة مما يشيع لدى فئات الخاصة تفصيلا. ولا يكفي دوما الاقتناع بما يذكره المصنف من فصل أمثلة الخاصة عن العامة، اذ تختلط الامور فيضيع المرء اذا تابع مصنفا كالحريري الذي جعل الخواص في عنوان كتابه «درة الغواص في أوهام الخواص»، لأن معظم أمثلته ليست للخاصة بل للعامة، وهذا ما جرى التدليل عليه في موضعه من الدراسة.

والعامة ليسوا الدهماء وخشارة الناس لأن المقصود هو العامة العليا أو الأولى. أما العامة السُّفلى فقد أعرض عنهم المصنفون لأن أخطاءهم مما لا يعزب عمّن تمسك بطرف من الفهم والعلم[15].

فالمستوى اللغوي لأمثلة اللحن كان من «المتوسط» الذي شاع لدى من تلقوا شيئا من التعليم، او كان لهم بالثقافة سبب، وهم يتحدثون العربية الفصحى او يتطاولون اليها متفاصحين، ولا شك في أنّ تخففا طرأ على الاعراب ونظام الجملة لدى هؤلاء وغيرهم، لكن هذا لا يؤثر في اتصال امثلة الدلالة بالعربية الفصحى. واستنادا الى ذلك

---

(14) انظر: مطر، د. عبد العزيز، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966 ص 40، وانظر: نصّار، المعجم العربي، 1/96

(15) انظر: الزبيدي، لحن العوام، تحقيق د. رمضان عبد التواب، مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1964، ص 7 ـ 8، والجواليقي، التكملة، تحقيق عز الدين التنوخي، المجمع العلمي العربي بدمشق، د.ت، ص 42، وابن الجوزي، تقويم اللسان، تحقيق د. عبد العزيز مطر، دار المعرفة بالقاهرة، ط 1، 1966، ص 74، ومقدمة د. مطر لتقويم اللسان، ص 41.

نجد أنّ المستوى الموصوف لا يساعد على تبين خصائص محلية متكاملة او مطردة .

ولقد ذهبنا في سبيل التأكد مّما ذهبنا اليه آنفا الى اجراء احصاء شامل لأمثلة التطور الدلالي بسبله المعروفة : التخصيص والتعميم والنقل، فتبين لنا ان المجال الذهني لم يحظ الا بتسعة امثلة من مجموع مائة وثلاثة امثلة درست في فقرة «النقل والمجاز» . على حين أنّ ما تبقى وهو الأكثر حازه المجال الحسيّ بأنواعه الطّبيعيّة والصناعية والأفعال والصفات الحسية . ويلاحظ من بين المحسوسات أنّ الأسماء الدالة على خلق الانسان وصفاته الحسية، والحيوان، والنبات، والارض، والطبيعة عامة تمثل النسبة الكبرى من الامثلة . ثم تتلوها الاسماء الدالة على مسمّيات صناعية، كالأدوات واللباس والاثاث والبناء ونحوها . وتأتي أخيرا أمثلة الافعال الدالة على حركات محسوسة .

ويؤيد ما جاء في التخصيص والتعميم من امثلة النتيجة التي استخلصناها آنفا . فالامثلة التي وردت هنا بلغت اربعة وتسعين مثالا ، نال أكثر من ثمانين مثالا منها المجال الحسي بأنواعه المختلفة . ولعل في هذا وذاك دليلا على ان الامثلة التي شاعت من اللحن تقع في درجة وسطى بين كلام اهل العلم والادب ومن في مسواتهم، ولا سيما حين يؤلفون او يتحدثون في شؤون علومهم من جهة، وكلام السوقة من الدهماء الذين ينطبق عليهم اسم «العامة السفلى» من جهة أخرى .

د ـ الجوانب الفنية :

يقصد بالجوانب الفنية هنا تصنيف أمثلة اللحن في الدلالة جميعا وفق قوانين تغيّر المعنى لكشف الاتجاهات التطورية في الدلالة . فالامثلة المسجلة من هذه الوجهة لا تخرج عن أن تكون ضمن واحد من هذه الاقسام :

1 ـ ما يتعلق بالفروق، والتقييد، والعلاقات الدلالية الاخرى كالاشتراك والتضاد .

2 ـ ما يتعلق بالعموم والخصوص
3 ـ ما يتعلق بالنقل ضمن مجال واحد، أو من مجال إلى آخر
4 ـ ما يرد الى سبيل من سبل المجاز بأنواعه
5 ـ ما يعد في الارتجال الذي لا يمكن ردّه الى واحد من الاقسام السابقة.

وتجدر الاشارة الى اننا خرّجنا كثيرا من الامثلة الصرفية قياسا على ما سبق من قوانين المعنى. كأن يكون هناك تخصيص لهذا الوزن او تعميم، او نقل من دلالة الفاعلية أو أن تكون هناك فروق بين صيغة وأخرى لا يعتدّ بها العامة ونحو ذلك. كذلك ألحقنا ما جرى على القياس من الاشتقاق على القواعد المعروفة بما سبق، لأنّ فيما يقاس على صيغة معروفة استكمالا لامكانات موجودة بالقوة، واستثمارا لها بإيجادها بالفعل.

ولقد ظهر لنا بوجه عام ان العامة لا ينظرون في الفروق، ويميلون الى الاقتصاد في بذل الجهد، ويتجهون غالبا الى التعميم، ولا يحرصون على الدقة في التعبير الا نادرا. كذلك يلاحظ ان الاشتقاق القياسي قليل لديهم، على حين ظهر بعض الدخيل في استعمالهم.

5 ـ خاتمة : توظيف المعطيات :

لقد كانت دراستنا ابتعاثا لجوانب من الدرس اللغوي القديم لابرازها في صورة جديدة استعنّا في رسم حدودها وتوضيحها بالمناهج اللغوية الحديثة التي لا يسع الدارس تجاهلها أيّا كان موقفه منها. وكان من وراء ذلك قصد الى تبيّن شيء من مسيرة اللغة عبر الزمن خدمة لقضية التطور. ولذلك اتجهنا الى امثلة اللحن سعيا الى الوقوف على المادة الصالحة لهذا الدرس.

ولابد من أن يلاحظ ان الدرس اللغوي التاريخي ما يزال عندنا جديدا، ولم يؤت النتائج المرجوة منه. ولذلك راينا ان ما يقدمه دارس واحد في هذا المعترك الصعب ليس الا لبنة في بناء متعدد الانحاء كثير

الارجاء يتطلب انجازه تضافر الجهود واجتماع الخبرات.

ومهما يكن من امر فاننا نخلص الى ان الافادة من تراث لحن العامة في مشروع المعجم التاريخي امر ضروري وممكن ايضا بالوسائل المتوافرة الآن. واذا كان المعجم التاريخي يحتاج الى معظم ما ورد في مصنفات لحن العامة لرسم التطور التاريخي للدلالات والصيغ، فان المعجم الاساسي لا يستغني عما ورد في تلك المصنفات من جديد يضاف الى رصيد اللغة المتداول بعد عرضه على الجهات التي اخذت على عاتقها مراقبة التغير اللغوي وحراسة الفصحى من الشطط في الابتداع.

ففي تراث لحن العامة استكمال لتسلسل المعاني في كثير من الدلالات والصيغ، مع إشارات قد تكون ذات فائدة في النظر الى بعض الاستعمالات الخاصة او المحدودة. فالجانب الزمني كما مرّ بنا واضح المعالم في معظم امثلة اللحن مما يساعد الباحثين المحدثين على السير قدما في هذه السبيل التي ظن كثيرون انها لم توطأ من قبل.

وتراث لحن العامة وفق ما رأينا من المصنفات المخصصة له، جانب أساسي ومقعّد من جوانب الدرس اللغوي، وهو لذلك اقرب منالا من غيره، إذا ما شاء الدارسون توظيفه في مشروعات المعجم العربي ودراسات التطور التاريخي. فاذا ما قورن بجوانب الثقافة الاخرى كالمصنفات التاريخية والجغرافية وكتب الرحلات ومصنفات الفقه والحديث وسائر كتب التراث الادبي والفكري، بدا ما فيه من قرب الى المعجم دراسة وتصنيفا. على حين ان معظم ما ذكرنا من جوانب التراث التي يرجى الافادة منها في مشروع المعجم التاريخي خصوصا ليس متيسّر المأخذ، نظرا لتشعبه وطبيعته التي نأت عن توضيح ملامح التغير قصدا على نحو ما رأينا في مصنفات لحن العامة.

ثم إننا نجد أن هذا التراث ـ مع ما ذكرنا من تحفظ حول تمثيله العامة ـ هو اوسع النواحي التي يمكن للدارس ان يجد فيها ملامح التغير القريبة من لهجات الخطاب اليومي وصور الاستعمال الحي الى

حد معلوم. على حين ان معظم الجوانب الثقافية الاخرى ضمت ما يتصل بالمصطلحات والمواضعات المتعلقة بالعلم والمعارف ذات الانتشار المحدود. ونودّ ههنا أن نشير الى ان معظم ما ورد في هذه الجوانب ليس الا من «المولّد» الذي ظل مرتبطا بالعربية الفصحى في معركة تحديثها العلمي. وقد امدّها هذا المولد دلالة و«صيغة» بطاقات غنية استطاعت بها ان تكون لغة العلم والفلسفة والمنطق والطب والفلك والجغرافية وغير ذلك من العلوم المستحدثة، إضافة الى استيعابها مصطلحات العلوم العربية وفنونها المحدثة. ويلاحظ ان المولد صادف قبولا لدى اللغويين وان كانوا متشددين، لانه كان يلبّي حاجة ماسة لدى الدّوائر العليا من الناس الذين كانوا على قدر كبير من العلم باللغة. ومن الممكن الافتراض ان المولد كان من «التطوير» الواعي الذي يصدر عادة عن تلك الدوائر، فيسارع الناس الى تقبله واستعماله، ولا سيما اذا ما أتيحت له فرص الشيوع.

ولأجل توظيف أمثلة لحن العامة في مصادر المعجم التاريخي نرى ان يجري احصاء شامل لكل ما يتعلق بالدلالة والصرف في جميع مصنّفات اللحن التي وصلتنا ثم يكون بعد ذلك ضم جوانب المتشابه والمكرور في تسلل زمني. ويُنظر بعدئذ، وفي سياق كل تغير في ثلاثة أمور هي:

1 ـ قربه أو بعده عن الفصحى المدونة في المعاجم
2 ـ درجة الشيوع ومدى الاستعمال زمانا ومكانا
3 ـ دائرة الاختصاص او الاشتراك

ولن يكون المقصود من هذا النظر الحكم على اي مثال بالخطأ او الصواب، بل توضيح التغير الطارىء ومداه ضمن تاريخ وصفيّ خالص لحياة المفردات ودلالاتها عبر تقاطع الزمان والمكان. وسوف يكون في هذا من دون شك نفع عميم يوظف في قضايا العربية الفصحى مصطلحا وتعريبا وفتحا لمجالات لم تكن تستثمر من قبل.

أحمد محمد قدّور

اللّفظ الأعجمي في معجم العربيّة التّاريخي ملاحظات حول قضيتي الجمع والوضع

بحث: إبراهيم بن مراد

من أشدّ مسائل اللغة العربيّة تعقيدا وغموضا مسألة «اللّفظ الأعجمي» المعروفة عند القدماء بمسألة «المعرّب والدخيل» وعند المحدثين بمسألة «الاقتراض». ولتعقيدها وغموضها أسباب كثيرة أهمّها ما اتصل منها بالمواقف المذهبيّة العقائديّة من اللغة، وما نتج عن ثقافة اللّغويين العرب، القدماء والمحدثين على السّواء. ذلك ان المسألة قد ارتبطت في اذهان كثيرة ـ منذ القرن الأوّل الهجريّ وإلى يوم الناس هذا ـ بما ثار من جدال حول ظاهرة العجمة في النصّ القرآني[1]، وتأثرت بما جدّ من خصومة بين العرب والشعوبيّة حول الظاهرة اللغويّة العربيّة

---

(1) ينظر حول المواقف المذهبيّة من قضية الاقتراض في القرآن الكريم: د. محمد رشاد الحمزاوي: «اللغة مرآة العقيدة، تخريج اجتماعي لغويّ من خلال نظرة مفسّري القرآن والفقهاء لمسألة الاستعارة اللغويّة» في كتاب العربية والحداثة، ط. 2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986 (231 ص) ص ص 139 ـ 156، ابراهيم بن مراد: المصطلح الاعجمي في كتب الطبّ والصيدلة العربيّة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1985 (جزآن)، 1/50 ـ 70.

عموما. ثم إن لثقافة لغويّينا أثرا آخر في هذه المسألة بارزا. فقد كان معظمهم يجهل اللغات الاعجمية جهلا يكاد يكون تامّا. وما يعلمونه منها كان منحصرا في الغالب في اللغة الفارسيّة بسبب تأثيرها المباشر وقربها من علماء اللغة في العراق، وقد كان عدد كبير منهم من الفرس. أمّا المحدثون فان العارفين باللغات الاعجميّة منهم يكادون لا يخرجون في معارفهم من دائرة اللغات الاورويبّة الحديثة، كالفرنسيّة والانقليزيّة. أمّا اللغات الساميّة، أخوات العربيّة، واللغة اليونانية واللغة اللاتينية واللغة التركية واللغة الاسبانية واللغة البربريّة - وقد اثرت كلّها في العربيّة على مرّ العصور الاسلاميّة - فإن المعرفة بها تكاد تعدّ من الترف والاسراف.

على ان لتعقيد مسألة اللفظ الاعجمي وغموضها في العربيّة سببا ثالثا لا يقلّ خطرا عن السببين السّابقين. ونعني به موقف علماء اللغة القدامى من الفصاحة والفصحاء. فقد حدّوهما مكانا وزمانا وقيّدوا البحث في المصادر اللغوية بما أسموه «عصر الاحتجاج» الذي لا يخرج عن القرن الثالث الهجري إلا قليلا. ولا يخرج مكانه عن جزيرة العرب وتخومها. بل إن العصر والمصر اللذين حُدَّ بهما الاحتجاج اللغوي وقيدت بهما الفصاحة لم يخلصا من الانتقاء أيضا. فان المصادر الفصيحة المستقرأة تكاد تنحصر في الشعر والنص القرآني والحديث النبوي، والنصوص اللغوية المعتمدة بدورها على المصادر المذكورة نفسها، وعلى ما دوّنه اللغويّون عن الاعراب. وقد أقصيت بسبب هذا المفهوم الضيق للفصاحة مصادر كثيرة تنتمي الى العصر نفسه فلم تستقرأ، وأقصيت لذلك ألفاظ كثيرة فلم تدوّن في المعْجم العربي، وقد كان كثير من تلك الالفاظ أعجميّا.

لقد كان للاسباب الثلاثة التي ذكرنا أثر بارز ملموس في المعجم العربي، في القديم والحديث. فان أهم سِمَة قد غلبت على معالجة مسألة اللفظ الاعجمي في المعْجم العربي هي الاضطراب، سواء في

مستوى جمع المادّة المعجميّة، أو في مستوى وضعها وتدوينها[2] وهاتان القضيتان هما اللتان تعنياننا في الحديث عن مسألة اللفظ الاعجمي في معجم العربية التاريخيّ.

1 ـ قضيّة الجمع:

لقد انطلق المعجميّون العرب القدامى في جمع مدوّناتهم اللغوية من مفهوم ضيّق للفصاحة قد حصرها في المكان والزمان وقصرها على جماعات بعينها من الناس هم الاعراب ـ وقد كانت المواقف من بعضهم محترزة ـ ومن تشبّه بهم وقفا آثارهم وتفرّع عنهم من الحضر. فكان الرصيد المعجمي العربي في معظمه ـ لذلك ـ معبرا عن مظاهر الحياة في البادية وأنماط العيش والتفكير فيها. وقد أخضعت الالفاظ الاعجمية لما أخضعت له بقيّة المستويات اللغويّة المدوّنة. فقد عُنيَ المعجميّون بتدوين المعرّب الأدبي الذي اصبح لا يعتد بعجمته لخضوعه لمقاييس كلام العرب ولسَيْرُورَته على ألْسنتهم ولورُوده في مصادر مشهود لها بالفصاحة. وقد أسقطت نتيجة هذا الاختيار ألفاظ ومصطلحات أعجميّة كثيرة جدّا قد دخَلت العربية في عصر الاحتجاج نفسه، فلم تدوّن ولم يعترف بها. واكثرها عددا تلك التي وردت في كتب المولدين من الأدباء، مثل عبد الله بن المقفّع وابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وفي كتب العلماء، مثل ابي يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي واسحاق بن عمران، وفي كتب المترجين الذين نقلوا آثارا اعجميّة الى العربيّة وألّفوا أيضا كتبا علميّة، ومن أهمهم حُنَيْن ابن إسحاق، وقد عاش هؤلاء الذين ذكرنا جميعا قبل سنة 280 هـ، فهم غير خارجين عمّا سمي بعصر الاحتجاج.

---

(2) ينظر في ذلك بحثنا «اللفظ الاعجمي في لسان العرب لابن منظور: منزلته ومنهج معالجته»، في كتابنا «دراسات في المعجم العربي»، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987 (399 ص)، ص ص 155 ـ 197، وبحثنا «مشاكل الترتيب المنهجيّة في المعجم العامّ العربي الحديث: تطبيق على المعجم الوسيط»، في مجلة المعجميّة، 3 (1987)، (ص ص 11 ـ 39)، ص ص 23 ـ 32.

وظاهرة الاسقاط هذه تطرح اشكاليّة الجمع في معجم العربيّة التـاريخيّ، وقضيّة الجمع فيه هي في الحقيقة قضيّة الجمع في المعجم العربي العامّ عامّة، لان المعجم التاريخي هو المعجم العامّ المثالي الذي يُؤَرَّخ فيه لولادة اللفظ وتطوّره الدلالي بحسب العصور. إلا أنّ تلك المثـالية لا تتحقق إلا اذا حطّمت القيود المـانعة لمفهوم الفصاحة من الاتسـاع والتطوّر، ونظر الى الفصاحة نفسها على أنها ظاهرة متطورة متغيّرة لا يختص بها عصر دون عصر ولا مصر دون مِصْر. وكلّ ما تولّد في لغة مّا من ألفاظ قد فرضت الحاجة استعمالها في وقت مّا من تاريخها وفي رقعـة مّا من الفضـاء الـذي تستعمل فيه، كان حريّا بالتدوين. والألفـاظ الاعجميّة المولـدة عبر العصـور الاسـلاميّة في الاصقـاع والامصار المعرّبة، ذات منزلة لا يستهان بها.

وهـذا المنحى إلى توسيع مفهـوم الفصـاحـة أثناء تدوين المادّة المعجمية ذو ارتباط بمصادر الاستقراء أيضا. والمصادر التي اعتمدها المعجميون العرب في جمع المدوّنة اللغوية ـ حتى نهاية القرن السّابع الهجـري مع ابن منـطور في لسان العرب ـ خمسة أساسية: أوّلها هو الشعر، وخاصّة الجاهلي والامويّ، وثانيها هو القرآن الكريم وما ألف في غريبه، وثالثها هو الحديث النبويّ وما ألّف في غريبه، ورابعها هو كلام الاعـراب الذي حرص علماء اللغة على تدوينه من أفواههم في مَظَانهم ببواديهم، وخامسها كتب اللغة والأدب المؤلّفة قبل نهاية القرن الـرابـع الهجـري، مثـل كتـاب النّبات لابي حنيفة الدينوري (ت. 282 هـ/895 م)، وكتاب الكامل للمبّرد (ت. 285 هـ/898 م)، وكتاب الفصيح لثعلب (ت. 291 هـ/904 م). وقد أضيف الى تلك المصـادر الخمسـة بعد القرن السّابع مصدر سادس هو كتب الأطباء والحكماء، وقد كان الفضل في هذا الخروج عن المصادر القديمة المتعارفة لمجد الدين الفيروز ابادي في معجمه «القاموس المحيط». فقد اعتمد الفـيروزا بادي (ت. 817 هـ/1414م) في قامـوسه مؤلّفات الطب والفلسفة ودوّن منها مصطلحات كثيرة، فكان ذلك خروجا ذا شأن على

مفهـوم الفصـاحـة الذي كان سائدا. الاّ ان نزعة الفيروزا بادي الى الاختصـار وتقيّده بالايجـاز في معجمـه قد جعـلا إفادته من المصدر السّـادس محدودا. ولـذلـك فان المصادر الخمسة الاولى قد ظلت في الحقيقة المصادر السائدة في أذهان الناس وفي اعمال المعجميّين عامة، بل ان المصادر الثلاثة الاولى ـ وهي الشعر والقرآن والحديث ـ قد ظلت الاغلب، ومازلنا نرى لها اليوم شأنا كبيرا، وخاصة في الشواهد.

ولا شكَ ان تلك المصادر الستة تضيق اليوم على معجم العربية التاريخي، ولابد من اضافة كل ما عداها من المصادر، على اختلاف اصنـافها وانواعها وضروبها حتى يكون الاستقراء شاملا ويكون تتبع تطور الالفاظ الدلالي عبر تاريخها دقيقا، وتلك المصادر المعتمدة جميعا هي نفسهـا بالطبع مصادر استقراء الالفاظ الاعجمية، على ان لهذا الصنف من الالفاظ مصادر اخرى خاصة به، واهمها نوعان:

أولهما تمثله المعاجم اللغوية العامة التي عُنيَ مُؤلّفوها بظاهرة اللفظ الاعـجمي بحسب طاقتهم ومـا انتهت اليه مَعَـارفهم، وأهم تلك المعـاجم كتـاب العـين للخليل بن احمد، وجمهرة اللغة لابن دريد، و لسان العرب لابن منظور و القاموس المحيط للفيروزا بادي، وتاج العـروس للزبيدي، ومحيط المحيط لبطرس البستاني، والمستدرك على المعاجم العربية لدينهارت دوزي، والمنجد للويس المعلوف في طبعاته المختلفة، والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وثاني النوعين تمثله الكتب المؤلفة في ظاهرة اللفظ الاعجمي في اللغـة العربية، وهذا النوع بدوره ضَرْبان: أولهما تمثله الكتب المؤلفة باللغة العربية، وأهمها تسعة هي «المعرب من الكلام الاعجمي» لابي منصور الجواليقي (ت. 540 هـ/1145م)[3]، و«حاشية على كتاب

(3) المعرّب من الكلام الاعجمي لأبي منصور موهوب الجواليقي، (ت. 540 هـ/1145 م)، تحقيق احمد محمّد شاكر، ط. 2، القاهرة، 1969 (303 ص).

المعرب» لأبي محمّد عبد الله ابن برّي (ت. 582 هـ/1187م) [4]، و«المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب» لجلال الدين السيوطي (ت. 911 هـ/1505 م) [5]، و«شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل» لشهاب الدين الخفاجي (ت. 1069 هـ/1658 م) [6] و«كتاب الألفاظ الفارسية المعربة» لادي شير الكلداني [7]، و«تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربيّة» لطوبيا العنيسي [8] و«الالفاظ السريانية في المعاجم العربية» لمار اغناطيوس أفرام الاول يرصوم [9] و«المفصل في الالفاظ الفارسية المعربة» لصلاح الدين المنجّد [10]، و«المصطلح الاعجمي في كتب الطبّ والصيدلة العربية» لصاحب هذا البحث [11].

والضرب الثاني من هذه الكتب تمثله الكتب المؤلفة بلغات اعجمية، وأهمّها اربعة: اثنان منها باللغة الالمانية، وهما كتاب «الالفاظ الآرامية في اللغة العربية» لسيغموند فرنكل [12]، وكتاب «الالفاظ

---

(4) حاشية على كتاب «المعرّب» [للجواليقي]، لابي محمّد عبد الله ابن برّي (ت. 582 هـ/1187 م)، تحقيق ابراهيم السّامرّائي، بيروت، 1985 (180 ص).

(5) المهذب فيما وقع في القرآن من المعرّب، لجلال الدين السيوطي (ت. 911 هـ/1505 م)، تحقيق عبد الله الجبوري، مجلة المورد، 1 و2 (1971)، ص ص 97 ـ 126.

(6) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل لشهاب الدين احمد الخفاجي (ت. 1069 هـ/1658 م) القاهرة، 1282 هـ/1865 م (245 ص).

(7) كتاب الالفاظ الفارسيّة المعرّبة، للمطران أدي شير الكلداني، بيروت، 1908 (194 ص).

(8) تفسير الالفاظ الدخيلة في اللغة العربيّة، مع ذكر أصلها بحروفه، ط. 2، دار العرب، القاهرة، 1964 ـ 1965 (78 ص).

(9) الألفاظ السريانية في المعاجم العربيّة، في مجلة مجمع اللغة العربيّة بدمشق، في المجلدات 23 (1948)، و24 (1949)، و25 (1950) و26 (1951).

(10) المفصّل في الألفاظ الفارسيّة المعرّبة في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث النبويّ والشعر الاموي، بيروت، 1978 (287 ص).

(11) المصطلح الأعجمي في كتب الطبّ والصيدلية العربيّة لابراهيم بن مراد، وقد سبق ذكره في التعليق (1).

(12) Die Aramäischen Fremdwörter im Arabischen, von Siegmund FRAENKEL, Leiden - E.J. Brill, 1886 (327 p.).

الفارسية في العربية الفصحى» لعبد الستار صديقي [13]، وثالثها باللغة الاسبانية وهو كتاب «الالفاظ الاسبانية واللاتينية في لغة المستعربين» لفرنشسكو سيمونيت [14]، ورابعها باللغة الانقليزية وهو «الالفاظ الاعجمية في القرآن (الكريم)» لأرثور جفري [15].

تلك إذن ثلاثة عشر كتابا قد عنيت جميعا باصول الالفاظ الاعجمية في اللغة العربية، ومعظم هذه الكتب كما يلاحظ في اختصاصات بعينها، كالاختصاص بألفاظ لغة ما، كالفارسية والسُّرْيانيّة واللاتينية، والاختصاص بألفاظ كتاب او كتب بعينها، كألفاظ القرآن الكريم ومصطلحات كتب الطب والصيدلة، وليس من تلك الكتب الا ثلاثة هي كتب عامة بحقّ، وهي كتاب «المعرّب» للجواليقي وكتاب «شفاء الغليل» للخفاجي وكتاب «تفسير الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية» لطوبيا العنيسي، والكتابان الاول والثاني مهمان بدون شك لكن مادتهما المنقوصة والمنهجية الساذجة المتبعة في تأليفهما تجعلان من جدواهما اليوم ضعيفة، وليس بعيدا عنهما في الحقيقة كتاب العنيسي، فإن مجمل الالفاظ المدونة فيه لا يتجاوز الألف، ومن ذلك الألف ألفاظ كثيرة عامية حديثة، والعدد الذي دونه المؤلف ضئيل جدّا اذا نظرنا الى ما يوجد في كتب التراث عامة من الفاظ أعجمية.

وما يستنتج مما سبق هو ان العربية ليس لها معجمها الاصولي الاقتراضيّ الذي يجمع شتات ما دَاخَلَها من ألفاظ اعجمية منذ قديم عصورها، ويعرف بتلك الالفاظ تعريفا منهجيّا دقيقا. وانعدام المدوّنة

---

(13) Studien über die Persischen Fremdwörter im Klassischen Arabischen. Göttingen, 1919 (VII + 118 p).

(14) Glosario de voces ibericas y latinas usadas entre los Mozarabes, Madrid, 1888 (CCXXXVI + 628 p).

(15) The Foreign vocabulary of the Qur ʿān, by Arthur GEFFERY, Baroda, 1938 (XIV + 311 p).

الموحدة الشاملة في الالفاظ الاعجمية المقترضة يطرح في مستوى الجمع في المعجم التاريخي بعض القضايا، واهمها اثنتان:

أولاهما هي التيقن من عجمة اللفظ، فان الفاظا كثيرة قد استعملت في اللغة العربية تثير شكوكا حول عجمتها، وهي ثلاثة أصناف:

أولها هو صنف الالفاظ التي دونتها المعاجم ولم تصرح بعجمتها او صرحت بانها عربية فاسقطت عنها العجمة، وهذا الصنف كثير العدد في العربية ونذكر منه فيما يلي مثالين: الاول هو كلمة «دَقَلٌ» وهو التمر، وأرْدأ انواع التمر وما ليس له منه اسم خاص، واحدته دَقَلَةٌ [16]. وقد انتقلت هذه الكلمة الى العربية التونسية لكن لتدل على اجود أنواع التمر، والكلمة ليست عربية بل هي من اليونانية Daktulos وقد حذف من الكلمة اليونانية مقطع التاء المضمونة، وهذا الحَذْف ظاهرة مطردة في تعريب الالفاظ الاعجمية، ومعنى الكلمة اليونانية هو الاصبع، وكل ما كان على هيئة الاصبع أوطولها، والتمر نفسه. والمثال الثاني هو كلمة «ملوخيا»، وهي تُطْلَق على نبات الخبّاز، وهذه الكلمة مما أهْملتْه المعاجم اللغوية العامة وذكرها مؤلفو معاجم الادوية المفردة، ولها ذكر في كتاب «شفاء الغليل» للخفاجي، وقد حاول الخفاجي التأريخ لظهورها فقال إنّ هذه الكلمة «لم تكن معروفة قديما، وحدثت بعد سنة ثلاثمائة وستّين من الهجرة، وسببها ان المعزّ [لدين الله الفاطمي] باني القاهرة لما دخل مِصْر لم يوافقه هواؤها وأصابه يبس في مزاجه، فدبّر له الاطباء قانونا من العلاج منه هذا الغذاء فوجد له نفعا عظيما في التبريد والترطيب، وعُوفي من مرَضِه فتبرك بها وأكثر هو واتباعه من أكلها وسموها الملوكية، فعرفتها العامة وقالت ملوخيا»[17].

---

(16) ابن منظور الافريقي (ت. 711 هـ/1511 م): لسان العرب، اعداد وتصنيف يوسف الخياط، دار لسان العرب، بيروت، (د.ت.)، (3 أجزاء)، 1/998 (دقل).

(17) الخفاجي: شفاء الغليل، ص ص 222 ـ 233

والخفاجي قد وهم هنا لأن كلمتيْ «الملوكية» و«الملوخيا» قديمتان كانتا مستعملتين منذ القرن الثالث الهجريّ. فقد جاء في ترجمة «مقالات» ديوسقريديس العربية: «ملوخيا: وهو الذي يسميه أهل الشام الملوكية» [18]. وهذه الترجمة موضوعة في النصف الاول من القرن الثالث، ثم إننا نجدهما مذكورتين معا في كتاب الاعتماد في الادوية المفردة لأبي جعفر احمد بن الجزار، فقد قال عند الحديث عن «الخطمي»: «ومنه صنف يقال له الملوخيا وهي الملوكية» [19]. والاعتماد مؤلف قبل 334 هـ/945 م، أي قبل خلافة المنصور الفاطمي، والد المعز، على إفريقية. والكلمة بعد هذا من اليونانية Molokhê [20].

والصنف الثاني هو صنف الألفاظ الاعجمية السامية، ذلك أن الفاظا كثيرة قد دخلت العربية من اللغات السامية، كما أن ألفاظا عربية كثيرة قد دخلت اللغات السامية من العربية، ولاشكّ أنّ دراسة حركة التقارض وانتقال الالفاظ بين لغات تنتمي الى عائلة واحدة مثل اللغات السّاميّة، موغلة في القدم، دراسة على قدر كبير من الصعوبة الموقعة في المزالق الكثيرة، والامر بالطبع ليس صعبا اذا خصّ ألفاظا ذات ابنية مستعصية على أقيسة كلام العرب، مثل كلمة «قَلْسِيدَ نَارْدِين» ـ وهي سريانية معناها «عود السنبل» [21] او كلمة «فاشِرَاشِين» ـ وهي سريانية أيضا ومعناها «الكرمة السّوداء» [22]. فهاتان كلمتان ظَاهِرَتا العجمة. أمّا اذا كانت الكلمة المرجحة عجمتها ذات أصل ظاهر في العربية،

---

(18) المقالات الخمس لبدانيوس ديوسقريديس العين زربي (القرن الاوّل الميلادي)، تحقيق قيصر دبلار والياس تراس، تطوان، 1957 (626 + 180 ص)، ص 192.

(19) كتاب الاعتماد في الادوية المفردة لابي جعفر احمد بن الجزار القيرواني (ت. 369 هـ/980 م)، مخطوطة مكتبة الجزائر الوطنية رقم 1746 (من 113 ظ ـ الى 216 و)، ص 169 وجه.

(20) ينظر: المصطلح الاعجمي في كتب الطبّ والصيدلة العربية، 1/46 ـ 47.

(21) المصدر نفسه، 2/628 (رقم 1515).

(22) المصدر نفسه، 2/564 ـ 565 (رقما 1341 ـ 1342).

خاضعة لابنية العربية وأقْيسَتِها ، فان البت في انتمائها الى لغة سَاميّة ما وليس الى العربية يصبح في احيان كثيرة صعبا.

والصنف الثالث من الالفاظ التي تثير شكوكا حول عجمتها هي الالفاظ التي استعملت في العربية ولم تدوّن في المَعَاجم البتة ، فهي في مظانّها غفـل تنتـظر نفض الغبار عنها، والرصيد الاعجمي من هذه الالفاظ لا يستهان به، وتدوينها في المعجم التاريخي يقتضي البحث في أصولها، وامر التيقن من عجمتها هيّن هي ايضا اذا كانت مستعصية على أبنية العربية وأقيستها، أمّا اذا كانت مشتقات او مقيسة على بناء بعينه فان الترجيح يصبح صعبا، ولنا من هذا الصنف مثالان، اولهما هو فعل «تملخن» .واول نص عثرنا عليه فيه لابن الجزار القيرواني ، ويبْدُو انـه من كتـابـه «أخبـار الـدولة» الذي ألفه في ظهور دولة العبيديين بإفريقية ، وقد نقل عنه سليمان بن حُسّان بن جلجل هذا النص، في ترجمـة اسحـاق بن عمـران الـذي مات مصلوبـا بالقـيروان سنـة 279هـ/892 م ، ونص قوله «وكان مما قال [اسحاق بن عمران] لزيادة الله في تلك الليلة [التي صلب فيها]: يا ملخوني! والله انك لَتُدْعَى سيد العرب وما انت لها بسيّد. ولقد سقَيْتُك منذ دهر دواء ليفعلن في عقلك. وكان زيادة الله مجنونا، فتملخن ،ومات» .[23]وفعل تملخن هنا فعل رباعي مزيد بحرف هو التاء ، وليس هو بمشتق من جذر عربي بل إن اشتقـاقـه من اسم أعْجَميّ هو المـالَنْخـوليَا، وهـو يونـاني أصله Melankholia ومعناه الاصلي «المِرّة السوداء» ، ثم أطلق على مرض بعينه هو المسمى بالوَسْوَاس وبالسوداء ايضا. ولاسحاق بن عمران فيه كتاب جيّد هو كتاب «الماليخوليا» .

والمثال الثاني هو كلمة قَيْفَلَة ، التي تكتب فيقلة ايضا بفاء فقافٍ. وكلتـاهمـا على وزن «فَيْعَلَة» مثل غَيطلة وهي البقرة الوحْشِيّة، ومثل

---

(23) طبقات الاطباء والحكماء لابي داود سليمان بن حسان بن جلجل(ت . بعد 384 هـ/994 م)، تحقيق فؤاد سيّد، القاهرة، 1955 (138 ص)، ص 86 .

«هيْقَعَة» ومعناها وَقْعُ الشيء اليابس على مثله . وأقْدَم نص عثرنا فيه على هذه الكلمة هو كتاب الاعتماد في الادوية المفردة لابي جعفر احمد بن الجزّار، وقد ألفه قبل سنة 334هـ/ 945 م ، وقد وردت عنده في صورة «فيقلة» بالفاء في الاول، ومن امثلة استعماله لها قوله عن النبات المسمى «اسطوخودوس» : «وفي رؤوس قضبانه فيقلة كجمة السَّعْتَر» [24]. وقد استعملها ابن الجزار في صيغة الجمع ايضا وهي فياقل». والكلمة كما بينا في بحثٍ لنا سابق [25] من اليونانية Képhalê ومعناها الاصلي هو الرأس. وقد استعملها المؤلفون العرب في الادوية المفردة للتدليل على ما يسمّيه علماء النبات العرب اليوم في الزهرة بالرؤيس، ترجمة لمصطلح Capitule الفرنسي .

تلك إذن هي أصناف الألفاظ التي تثير شكوكا حول عجمتها . واما القضية الثانية التي تطرح في مستوى جمع المادّةالمُفْتَرضة في المعجم العربيّ التاريخيّ فهي التيقّن من اللغة المُفْرَضَة أو اللغة الأصل التي انتقل منها اللفظ الى العربية ، فان في العربية ألفاظا كثيرة قد أقرّت عجمتها لكن انتماءها الى لغة بعينها قد بقي محل خلاف ، وهذه الالفاظ الاعجمية صنفان :

أوّلهما هو صنف الألفاظ المختلف في نسبتها، وهي التي ينسبها كل شقّ الى غير ما ينسبها اليه الشق الآخر، وعدد هذه الألفاظ في العربية كثير، ومن أمثلة هذا الصنف كلمة «الكتّان» وهو في الاصل اسم جنس من النباتات معظمها عشبي زراعي ، منها نوع شائع يزرع للحصول على أليافه واستعمالها في النسيج ، وقد تطور معنى الكلمة فاطلق «الكتان» على النسيج نفسه ، وقد اختلف في أصل الكلمة .

---

(24) ابن الجزار: كتاب الاعتماد، ص 129 ظ .

(25) ينظر حول الفيقلة والقيفلة بحثنا «الفيقلة والقيفلة ، كلمتان اهملتهما المعاجم» في كتابنا دراسات في المعجم العربي ، ص ص 217 - 226.

فابن دريد في الجمهرة [26] وابن فارس في مجمل اللغة [27] وابن منظور في اللسان [28] قد اتفقوا جميعا على ان الكلمة عربية وان الكتان سمي كتانا لانه يُخيَّسُ ويلقى بعضه على بعض حتى يَكْتَنَّ اي يتلصق ويتلزّج. أمّا الجواليقي في كتاب المعرب فقد اعتبر الكلمة فارسية [29].
واما فرنكل في كتاب الالفاظ الارامية في اللغة العربية [30] فقد جعل الكتّان من الارامية Ketono. وقد ذهب مذهبه مار اغناطيوس برصوم في «الألفاظ السريانية في المعاجم العربية» [31]، وقد ارتأى الراي نفسه رفائيل نخله اليسوعي في كتابه «غرائب اللغة العربية» [32]. على أن دوزي في المستدرك على المعاجم العربيّة [33] قد أرجع الكلمة الى أصل يوناني هو «Khitôn» ومعناه الاصلي «اللباس عامة، ويخص به قميص من صوف يلبسه الرجل، وغلالة طويلة من الكتان تلبسها المرأة». وقد تابعنا بدورنا دوزي في هذا المذهب في كتابنا «المصطلح الاعجمي» [34].

والصنف الثاني من الالفاظ المختلف في لغتها ذو صلة بالاول، وتمثله ألفاظ أعجمية قد انتقلت الى العربية انتقالاً غير مباشر، اي عن طريق لغة وسيطة كانت مجرد مَعْبَرٍ بين العربية واللغة المقرضة الاصلية. وهذا الصنف كثير العدد ايضاً، ومن أمثلته كلمة «أفيون» فقد أقرّت

---

(26) كتاب جمهرة اللغة لابي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت. 321 هـ/933م)، تحقيق رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1987 ـ 1988 (3 اجزاء)، 1/409.

(27) مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت. 395 هـ/1004م)، تحقيق هادي حسن حمودي، منشورات معهد المخطوطات العربيّة، الكويت، 1985 (4 اجزاء وجزء للفهارس)، 4/214.

(28) ابن منظور: اللسان، 3/222.

(29) الجواليقي: المعرّب، ص 345.

(30) Fraenkel : Aramäischen Fremdwörter im Arabischen, p.42.

(31) غرائب اللغة العربيّة لرفائيل نخله اليسوعي، ط. 2، بيروت، 1960 (328 ص)، ص 203.

(33) Dozy (Reinhart) : Supplément aux Dictionnaires Arabes, 3ème éd. Paris - Leyde, 1967 (3 vol.), 2/444

(34) ابن مراد: المصطلح الاعجمي 25/660 (ف 1594).

مراجع كثيرة [35] انها من اليونانية «Opion» وأن اليونانية قد أقرضت الفارسية ايضا فقيل فيها «أپيون»، الا أنّ أدّي شير الكلْداني في الالفاظ الفارسية المعربة [36] قد جعل «أفيون» من الفارسية مباشرة، والفارسية عنده من اليونانية، والافيون المعربة في نظره يونانية قد انتقلت الى العربية من الفارسية. والحسم في هذه المسألة في الحقيقة صعب لان من الكلمات المنتقلة من لغة الى اخرى ما يمرّ بمراحل يصعب تحديدها، ويحط بمحطات قبل وصوله يعسر تبين معالمها، فيضطرب الامر على المعْجميّ ويقع في أخطاء منهجية كثيرة.

2 ـ قضية الوضع :

ويعنينا من الوضع ترتيب اللفظ الاعجمي في المعجم التاريخي وتعريفه، والترتيب والتعريف ما زالا مَثَارًا لمشاكل منهجية كثيرة في المعجم العربي عامة، ونبدأ بالنظر في مشاكل الترتيب.

ومسألة ترتيب اللفظ الاعجمي ـ عامة ـ ذات صلة بمسألة اخرى هي إمكان اشتقاقه او عَدَمُه، وقد حسم القدماء هذا الامر اذ فرقوا بين الاعجمي والعربي من الالفاظ تفريقا ظاهرا، وقد قال جلال الدين السيوطي في ذلك «ومحال ان يشتق العجميّ من العربي او العربي منه لان اللغات لا تشتق الواحدة منها من الاخرى مواضعة كانت في الاصل او إلهاما، وانما يشتقّ في اللغة الواحدة بعضها من بعض لان الاشتقاق نتاج وتوليد (. . .) ومن اشتق الاعجمي المعرب من العربي كان كمن ادّعى ان الطير من الحوت» [37].

الا ان المعجميين القدامى ـ منذ الخليل بن احمد في كتاب العين ـ لم يتقيدوا بهذا المبدإ فاخضعوا الاعجمي للعربي وربطوا بينهما بصلات

---

(35) المصدر نفسه 25/101 ـ 102 (ف 228).

(36) أدي شير: الألفاظ الفارسيّة، ص 11.

(37) المزهر في علوم اللغة وأنواعها الجلال الدين السيوطي تحقيق محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، ط. 2، القاهرة، (د. ت.) (جزآن)، 2/287.

اشتقاقية، وكان من المفروض ان تعتبر حروف اللفظ الاعجمي اصولا كلّها فلا يُجَرَّدَ مما يُتَوَهَّمُ انها حروف زوائد فيه، وقد ادّى هذا الخلط الى مظهرين من الاضطراب:

أولهما هو وضع الاعجمي تحت جذور عربية، ومن امثلته في لسان العرب مثلا إثبات «استبرق» ـ وهي فارسية ـ تحت «برق» [38]، ووضع «ابليس» ـ وهي يونانية ـ تحت «بلس» [39]. ومن أمثلة هذا المظهر في المعجم الوسيط وضع «الفلغمون» ـ وهي يونانية ـ تحت «فلغ» [40] و«اللوزينج» ـ وهي فارسية ـ تحت «لوز» [41] و«البنكنوت» ـ وهي انقليزية ـ تحت «بنك» [42].

وثانيهما هو اشتقاق جذور وهمية من الفاظ اعجمية قد وضعت تحتها، ومن أمثلة هذا المظهر في لسان العرب «بختج» الذي جعل جذرا للبختج [43] وهي فارسية، و«بذنج» الذي وضع جذرا للباذنجان [44] وهي فارسية ايضا، و«بهرمج» الذي وضع جذرا للبهرامج [45] وهي فارسية كذلك. ومن أمثلة هذا المظهر في المعْجَم الوسيط وضع «الجاثليق» بين «جثل» و«جثم» بتوهم «جثلق» أصْلاً له [46] ووضع «المنجليق» ـ باللام ـ بين «جلق» و«جلل» بتوهم «جلق» أصْلاً له [47].

---

(38) ابن منظور: اللسان، 1/199

(39) المصدر نفسه، 1/256.

(40) المعجم الوسيط، وضع لجنة من مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة. ط. 3، القاهرة، 1985 (جزآن)، 2/726.

(41) المصدر نفسه، 2/879.

(42) المصدر نفسه، 1/74.

(43) ابن منظور: اللسان، 1/167.

(44) المصدر نفسه، 2/181.

(45) المصدر نفسه، 2/277.

(46) المعجم الوسيط، 1/111.

(47) المصدر نفسه، 1/136.

اما قضية التعريف فان امرها اكثر تعقيدا واضطرابا، وخاصة في تعريف الالفاظ الاعجمية، فان للفظ الاعجمي خصوصيات يدخل بها اللغة العربية، وتلك الخصوصيات تقتضي من المعجمي عند تعريفه في المعجم التاريخي الاهتمام بثمانية مظاهر:

أوّلها تحديد التاريخ الذي دخل فيه العربية.

وثانيها تحديد نوعه بالنظر الى درجة عجمته، والعُجمة في اللّفظ درجتان: أولاهما درجة ما اعْتُدَّ بعجمته، وهو اللفظ الدخيل الذي بقي محافظا على بعض او كثير من عناصر العجمة، فاستعصى بذلك على ابنية العربية وأقْيِسَتِها؛ وثانية الدرجتين هي درجة ما لا يعتد بعجمته وهو اللفظ المعرب الذي قيس على كلام العرب وأخضع لموازينها، فاللفظ الأعجمي اذن إما أن يكون دخيلا وإمّا أن يكون مُعَرَّبًا.

وثالث المظاهر هو ذكر اللغة التي ينتمي اليها.

ورابعها هو ذكر أصله الاعجمي.

وخامسها هو ذكر دلالته في لغته الاصلية وما طرأ عليها من تطور في اللغة العربية.

وسادسها المظهر الصوتي بذكر ما طرأ على أصوات اللفظ الاصلية من قلب او ابدال او استقرار.

وسابعها المظهر الصرفي كأنْ يُعْتَنَى بظاهرة النحت او التركيب فيه اذا كان مركبا من اكثر من جزء في لغته الاصلية، وكان لذلك صلة بدلالته الاصلية والطارئة عليه.

وثامنها المظْهر النحوي، كان يهتم بظاهرة الجموع.

على ان من هذه المظاهر الثمانية ما هو واجب مع كل لفظ، ومنها

ما هو اقل وجوبا، والمظاهر الواجبة هي الخمسة الاولى والاقل وجوبا هي الثلاثة الاواخر اذ ليس للفظ الاعجمي في كل الحالات اهمية في مستويات الاصوات والصرف والنحو، على ان المظهر الاول والمظهرين الرابع والخامس - اي التّأريخ والاصل الاعجمي والدلالة - شديدة الصعوبة على المعجميّ العربي وخاصة اذا كانت معارفه باللغات الاعجمية محدودة، وتلك الصعوبة كانت ولا تزال مثار المشاكل المنهجية في تعريف اللفظ الاعجمي في المعجم العربي عامة.

إبراهيم بن مراد

كلية الآداب - تونس

المعرّب والدّخيل في المعجم اللغوي التاريخي

بحث:
الدكتور / حلمي خليل
الأستاذ بجامعتي الإسكندرية والإمارات العربية المتحدة

تقديم وخلاصة

تسعى هذه الدراسة إلى مناقشة وبيان وضع الكلمات العربية والدّخيلة وكيفيّة معالجتها في المعجم اللغوي التاريخي للغة العربيّة.

وقد تناولت في القسم الاول من هذه الدراسة المعجم اللغوي التاريخي من حيث الأصول والمبادىء العلمية التي يقوم عليها هذا النوع من المعاجم، وكيفية معالجة المادة اللغوية فيه، كما توقفت عند طبيعة العلاقة بين المعجم التاريخي والمعجم الوصفي، وانتهيت الى أن العلاقة بين هذين النوعين من المعاجم علاقة نسبية وأن المعاجم التاريخية لا تخلو من الوصفية ولا تخلو المعاجم الوصفية من التاريخية. وختم هذا القسم من الدراسة بعرض المحاولة الوحيدة في تاريخ المعاجم العربية لوضع المعجم اللغوي التاريخي والأسباب التي حالت دون ظهوره.

أما القسم الثاني فقد خصص لدراسة مصطلحات المعرب والدخيل وما اتّصل بها من مصطلحات أخرى مثل المولّد والمحدث،

فدرست مفهوم كل مصطلح وحدوده عند علماء اللغة القدماء والمحدثين وحاولت وضع مفهوم محدد ودقيق لكل مصطلح راعيت فيه الجوانب اللغوية والتاريخية ومن ثم يمكن استخدام هذه المصطلحات في المعجم اللغوي التاريخي للاشارة الى نوع كل كلمة من هذه الكلمات دون لبس أو غموض.

وفي القسم الثالث والأخير عرضت الدراسة لمنهج معالجة الكلمات المعربة والدخيلة والمولدة والمحدثة في المعجم اللغوي التاريخي، من حيث اختيار مداخل هذا النوع من الكلمات ووضعها في اطار الترتيب العام لموادّ المعجم وكذا الشرح المعجمي لهذا النوع من الكلمات، وفرقت بشكل واضح بين ما هو معرب أو دخيل من اللغات السامية، وما هو معرب أو دخيل من العائلة الهندية الأوروبية أو غيرها من العائلات اللغوية غير السامية، كما فرقت بين المولد والمحدث على أساس تاريخي وأشارت الى الشواهد ودورها في تحديد الطريق الذي سلكته الكلمات المعربة بوجه خاص.

وفي نهاية هذا القسم بينت الدراسة الخطوات والعمليّات التي ينبغي أن تجري على كل كلمة من الكلمات المعربة والدخيلة والمولدة والمحدثة قبل وضعها في المعجم اللغوي التاريخي.

وأرجو أن أكون بهذا قد أسهمت بجهد ما في تحقيق حلم قديم مضى عليه أكثر من نصف قرن لوضع المعجم اللغوي التاريخي للغة العربية.

1 ـ المعجم اللغوي التاريخي

الحقيقة أننا قد نحمل الحركة المعجمية العربية القديمة أو حتى في مطلع عصر النهضة الحديثة اكثر مما تحتمل إذا القينا عليها التبعة في عدم وضع وتأليف المعجم اللغوي التاريخي للغة العربية حتى الآن، ذلك لأن فكرة هذا المعجم فضلا عن أصول بنائه وطبيعة المادة اللغوية فيه، لم تكن إلا محصلة للدراسات اللغوية التاريخية المقارنة التي بدأت

في أوربا مع نهاية القرن الثامن عشر وطوال القرن التاسع عشر ومازالت مستمرة حتى اليوم.

حقا لقد شهد التنوع في صناعة المعجم العربي القديم بوجود هذا الحس التاريخي في وضع بعض المعاجم وخاصة في مادتها اللغوية، كما التفت بعض علماء العربية القدماء مثل الخليل بن احمد (ت. 175 هـ) وابن حزم الاندلسيّ (ت. 456 هـ) وأبي حيان الاندلسي (ت. 754 هـ) فضلا عن بعض علماء اليهود الذين عاشوا في ظل الحضارة الاسلامية مثل سعديا الفيومي (ت. 350 هـ) ومروان بن جناح القرطبي (ت. 450 هـ)، التفتوا الى صلات القربى بين اللغة العربية وبعض اللغات السامية مثل: الكنعانية والعبرية والسريانية والحبشية، كما رصدوا بعض أوجه الشبه بين هذه اللغات والعربية، الا ان الالتفات الى بعض الحقائق اللغوية من التشابه في الأصوات او الكلمات أو التراكيب او حتى ظهور دراسات فردية كتلك التي قام فيها ابن حزم الاندلسيّ بالمقارنة بين اللغتين العربية والحبشية، لا يعني بالضرورة قيام دراسات لغوية تاريخية مقارنة على اصول وقواعد علمية، لأن هذه البدايات قد تكون وقفت عند حدود إثبات التشابه في جزئيات كثيرة ولكنها لم تتطور إلى قواعد وقوانين عامه توضح وتفسر الفروق بين اللغات الأقدم والأحدث، بحيث تفسر مسار التطور اللغوي وطريقه، كما لم تفض هذه المعرفة الى استنتاج طبيعة العلاقات اللغوية القديمة ثم المغرقة في القدم بين اللغات، أو الى تصنيف اللغات إلى عائلات أو مجموعات تتضح فيها بجلاء صلات القربى بينها.

وانما كانت تلك هي البدايات الأولى التي تطورت على أيدي مجموعة من العلماء واللغويين في أوروبا مع نهاية القرن الثامن عشر وطوال القرن التاسع عشر، حيث كانت الدراسات اللغوية التاريخية المقارنة هي شغلهم الشاغل حتى أجمع مؤرخو الفكر اللغوي على أن

القرن التاسع عشر هو قرن الدراسات اللغوية المقارنة.[1]

ونتيجة لهذه الدراسات التاريخية المقارنة للغات، أخذت صورة المعجم اللغوي التاريخي تتضح وتكتمل على أسس وأصول علمية، وثبتت هذه الأصول واستقرت بعد أن فرق دي سوسير (1858 - 1913 م) بين نوعين من الدراسة اللغوية، الدراسة اللغوية التاريخية (Diachronic) والدراسة الآنية (الوصفيّة) (Synchronic)[2].

وبناء على هذه التفرقة في الدراسة اللغوية، يفرق علماء المعاجم أيضا بين نوعين من المعاجم هما:

1 - المعاجم الآنية (الوصفيّة) : Synchronic dictionaries

2 ـ المعاجم التطوريّة (التاريخية) : Diachronic dictionaries

ولكن قبل أن نمضي في دراسة الفروق العلميّة بين هذين النوعين من المعاجم يجدر بنا أن نتوقف قليلا أمام مفهوم كل من الآنيّة (الوصفية) والتطوّرية (التاريخيّة) لكن نرصد الفروق والعلاقات بين هذين المصطلحين في الدراسة اللغوية بصورة عامّة والصناعة المعجمية بصورة خاصة[3].

الواقع أننا قد نتعامل أحيانا مع مفهوم الآنية أو الوصفيّة على أنه مرادف لمفهوم المعاصرة (Contemporary) وهذا غير صحيح، لأن أيّ مرحلة من مراحل اللغة سواء كانت قديمه أو حتى مغرقة في القدم أو حديثة أو معاصرة يمكن النظر اليها ودراستها دراسة آنية وصفيّة، فعمل

---

(1) راجع عبد الرحمان الحاج صالح، مدخل الى علم اللسان، مجلة اللسانيات، المجلد الثاني، العدد الاول 1972 ص 5 وما بعدها.

وانظر أيضا: Ivic, Malka, trends in linguistics, pp. 37-39.

Robins, R.H., A short history of linguistics p. 24.

(2) راجع دى سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة القرمادي والشاوش وعجينه، ص 126.

(3) راجع Zgusta, Manual of Lexicography, pp. 202-203

معجم للغة العربية في العصر الجاهلي او للغة السنسكريتيّة مثلا يدخل في إطار المعاجم الوصفية على الرغم من أنها معاجم تتعامل مع لغات أو مراحل لغوية لم تعد تستعمل اليوم.

كما أننا قد نتعامل مع مصطلح الوصفيّة والآنية على أنّ هذا المصطلح يدل على حالة من حالات اللغة او مرحلة من مراحلها في نقطه زمنية معيّنة وهو ما نتصوره دائما ازاء هذا المصطلح ولكننا من الناحية العملية والعلمية لا نستطيع القيام بذلك، لأنه من المستحيل مثلا دراسة لهيجة (idiolect) معيّنة دراسة علميّة دقيقة كما تظهر وتتحقق في يوم واحد مثلا، ومثل ذلك لا نستطيع ان ندرس لهجة محليّة (Local dialect) في إحدى القرى كما تظهر وتتحقق في أسبوع، كما أننا لا نستطيع ان ندرس لهجة اقليمية (regional dialect) في شهر وهكذا.

وبغض النظر عن الصعوبات الفنية والعملية، فان النصوص المكتوبة أو المرويّات الشفويّة التي سنعتمد عليها خلال فترة زمنيّة محدودة بيوم أو أسبوع أو حتى شهر أو شهرين قد تكون غنية نسبيا ببعض المفردات والتراكيب ولكنها قطعا لن تكون على درجة كافية من التنوع بحيث تظهر فيها جميع المفردات أو التراكيب التي تستخدم على هذا المستوى أو ذاك من مستويات اللغة، وهذا يعني بالضرورة أن التنوع في المفردات - اذا اردنا ان نضع معجما وصفيا مثلا - يحتاج الى فترة زمنية اطول نسبيا لكي نتأكد أن هذه المفردات تمثل فعلا المستوى اللغوي الذي ندرسه أو نضع له معجما، وهذا المعيار يصدق على اللغات الحية واللغات الميّتة او على المراحل الأقدم من لغة مازالت تستعمل حتى اليوم مثل اللغة العربية.

ومعنى هذا ان النصوص أو المرويّات التي يعتمد عليها عالم اللغة أو صانع المعجم ليست «آنية» بالمعنى الدقيق لهذا المصطلح وهذا يعني أيضا أنّ مفهوم الآنيّة (الوصفية) (Synchronic) هو مفهوم نسبيّ إلى حدّ كبير. وهو يؤدي بالضرورة الى التداخل بين ما هو وَصْفِيّ وما هو تاريخي وخاصة في العمل المعجمي.

يدل على ذلك أن المعاجم العربية القديمة تعد بصورة عامة معاجم وصفية لأنها طبقا لنظريّة الاحتجاج التي حكمها القدماء في مادة المعجم العربي قد التزمت بزمان معين ومكان محدّد ولكن الفترة الزمنية التي حددها القدماء بقرنين تقريبا في الحواضر وأربعة قرون في البوادي، تعد فترة زمنية طويلة وكذا المكان الذي حدّدوه بوسط الجزيرة العربية يعد بقعه جغرافية واسعة وهما معا يتيحان ألوانا من التنوع والتعدد في المستويات اللغوية مما يجعل هذه المعاجم أقرب الى المعاجم التاريخية من ناحية المادة اللغوية منها الى المعاجم الوصفية بالمعنى الدقيق للمصطلح وهو ما نلمسه في تعدد الصيغ وطرق النطق والاختلافات الدلالية والمعاني المتعددة للكلمة الواحدة.

وبناء على ذلك فان المعاجم الوصفية - رغم التزامها بزمان معين ومكان محدد ومستوى لغويّ خاصّ - تحمل في أحشائها بذور التاريخية بصورة أو باخرى. ولقد توفر الحسّ التاريخي عند علماء المعاجم القدماء سواء في تنوع المعاجم التي وضعوها أو في وضعهم معاجم خاصة تصور التطور الدلالي الذي أصاب الكثير من الكلمات العربية القديمة مع تطور الحياة العربية من الجاهلية الى الاسلام وما ترتب على ذلك من ظهور حضارة جديدة لم يكن للعرب عهد بها.

أما المعاجم التطورية (Diachronic) فهي معاجم ظهرت كما أشرت من قبل نتيجة للدراسات التاريخية المقارنة ولذلك تهتم أولا بتاريخ الكلمات أو الوحدات المعجمية (Lexical units) [4] سواء على

---

(4) يفضل كثيرمن علماء اللغة والمعاجم المعاصرين استخدام هذا المصطلح للدّلالة على ما يشير اليه علماء اللغة التقليديون بمصطلح «الكلمة» نظرا للخلاف بيْن علماء اللغة والمعاجم الآن حول مفهوم الكلمة وحدودها وخاصة في اللغة المنطوقة انظر: Kramsky, Jiri, The word as a linguistics unit, pp. 17-18 وانظر ايضا حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية ص 14 ـ 18.

مستوى البنية (Form) أو المعنى (Meaning) وذلك خلال فترات زمنية متتابعة.

ويفرق علماء المعاجم بين نوعين من المعاجم التطورية هما:

1 ـ المعاجم التاريخيّة. Historical dictionaries

2 ـ المعاجم التأصيليّة Etymological dictionaries

فأما المعاجم التاريخية فهي تهتم بالتغيرات التي تطرأ على بنية الوحدات المعجمية ومعناها في فترة أو فترات زمنية معينة، أي أن المعجم قد يكون تاريخيّا حتى ولو التزم بفترة زمنيّة واحدة معيّنة لأن هذه الفترة لن تكون شهرا أو شهرين أو حتى عاما أو عامين ولكن اذا قصد صانع المعجم أن يرصد التغيرات التي طرأت على الوحدات المعجمية من حيث المبنى والمعنى فهو معجم تاريخي رغم التزامه بفترة زمنية معينة، وبطبيعة الحال فان آلفترات الزمنية الطويلة او المراحل المتتابعة من حياة اللغة تعطي بعدا تاريخيا أعمق وأوسع في رصد مثل هذه التغيرات.

وأما المعاجم التأصيلية Etymological فهي معاجم تهتم أولا وقبل كل شيء بأصل (origin) الكلمات أو الوحدات المعجميّة، إذ من الشائع في كثير من اللغات وجود كلمات كثيرة لا نعرف لها أصلا اذا ما تتبعناها فيما بين أيدينا من نصوص هذه اللغة أو تلك، لأنها ربما تكون قد وجدت قبل مرحلة الكتابة. مثل هذه الكلمات تدخل في دائرة اهتمام المعاجم التأصيلية بالاضافة إلى تحديد أصول الكلمات الأكثر حداثة. وبصورة عامة فإن المعاجم التأصيلية قد تتعامل أحيانا مع ما قبل تاريخ الكلمات (pre history of the words) [5] ولكن تأصيل الكلمات المستعملة أو الاكثر حداثة يدخل أيضا في دائرة هذا النوع من المعاجم.

ومعنى هذا أن هناك نوعا من التداخل أيضا بين المعاجم التّاريخية والتأصيلية كما كان هناك درجة من التداخل بين المعاجم الوصفية والتاريخية على الاقل من الناحية النظرية.

---

(5) Zgusta, op. cit. p 200

أما من الناحية العملية فغالبا ما نجد أحد الجانبين التأصيلي أو التاريخي يغلب على الجانب الآخر، لأن اهتمام المعجم التأصيلي ينصرف أصلا الى بنية (form) الوحدات المعجميّة ويجعل المعنى (meaning) في مرتبة تالية. وأما المعاجم التاريخية فهي تهتم بالمبنى والمعنى معا ومع ذلك فهي غالبا ما تعطي للمعنى وتطوّره أهميّة خاصة.

فمثلا المدخل (Father) في «معجم سكيت» التأصيلي للغة الانجليزية (Skeat, English Etymological Dictionary) ترتب تحته الوحدات المعجميّة على النحو التالي:

– Father, a male parent

– Middle Eng. Fader

ومن الملاحظ أنّ هجاء الكلمة (Fader) يكاد يكون عاما في انجليزية العصور الوسطى في حين أن هجاء الكلمة نفسها (Father) قد ظهر في الكتاب المقدس عام 1551 م، وهو يرجع الى تأثير لهجي حيث تغيّر المقطع der إلى ther

– anglo-Saxon, Faeder.

– Dutch, vader.

– Danish and swed, Fader.

– Icelandic, Fadir.

– Gothonic, Fadar.

– German, Vater.

– Latin, Pater.

– Greek, Pater.

– Persian, Pidar.

– Sanskrit, Pitr.

– Indo-European, Pater.(6)

---

(6) Op. cit., 201.

من هذا نلاحظ أن كلمـــة «Father» أي «الأب» في الـلغــة الانجليزية، كما جاءت في هذا المعجم قد غلب عليها الجانب التأصيلي المقارن فيما يتصل بالبنية Form واختلافها في اللغات الهندية الأوروبية في حين أن المعنى اكتفي بذكره في أول المادة، رغم ان دلالة هذه الكلمة قد اعتورها التغير الدلالي من حيث دلالتها على الوالد الذكر كما شرحت في رأس المادة وفي الوقت نفسه قد تدل على «القس» في الكنيسة ومع ذلك فإن المعجم لم يعط اهتماما واضحا لهذا التطور الدلالي في حين حرص على ذكر صور البنية المختلفة وما طرأ على هجائها في اللغات الهندية الأوروبية.

أما في معجم H. Paul التاريخي للغة الألمانية فإننا نجد المدخل Kleid أي «الملابس» تجري تحته الوحدات المعجميّة على النّحو التالي:

– Kleid, ملابس

وتدل الشواهد على أن هذه الكملة استعملت منذ القرن الثاني عشر وهي تنتمي الى اللغــة الانجلوسكسونيّة Anglo-saxon وهي في اللغة الانجليزية Clothes ومن المحتمل أنها جاءت من الكلمه الالمانية «Kletle» ومعناها الأصلي يشير الى «الصوف»: stuff أو المادة: material كما في اللغة الانجليزية. ثم تطور هذا المدلول ليشير بصورة عامة إلى أي قطعة من الملابس مصنوعة من الصوف وهي الدلالة التي تستعمل بها حتى الآن في صيغه الجمع في اللغة الالمانية(7).

وبـالمقارنة بين هذين المدخلين: «Father» في معجم «سكيت التـأصيلي للغة الانجليزيّة»، و«معجم Paul التاريخي للغة الالمانية»(*)، يتضح لنا بجلاء الفرق بين المعاجم التأصيلية (Etymological) والمعاجم التـاريخية (Historical). فالمعجم الأول يهتّم ببنية الكلمـة وتـأصيلها وتطورها ويتطلب ذلك دراسة مقارنة بين عدد من لغات العائلة التي تنتمي إليها الكلمة، في حين أن المعجم الثاني، وهو معجم تاريخي، لا

(7) Ibid., p. 203.

يهتم إلا بالتطور الدلالي وحده دون البنية رغم أن البنية قد تغيرت من لغة إلى أخرى. وهذا التطور الدلالي يتطلب بدوره دراسة مقارنة بين لغات العائلة التي تنتمي إليها الكلمة.

ومعنى هذا أن المعاجم التأصيلية والمعاجم التاريخية لابد أن تكون بالضرورة معاجم تلتزم بجوار المنهج التأصيلي أو التاريخي بالمنهج المقارن، ولعل اهتمام المعاجم التأصيلية ببنية الكلمات دون معناها يرجع إلى أن التطور الدلالي يحتاج عادة إلى نصوص كثيرة ومتنوعة يستشهد بها على هذا التطور. والكثير من هذه النصوص قد لا يتوافر في المراحل الأولى من حياة الكلمات.

والحقيقة أن المعاجم التاريخية قد بدأت أولا تأصيلية ثم انتهت إلى أن أصبحت معاجم تاريخية تهتم بتطور المبنى والمعنى معًا يدّل على ذلك ظهور معاجم تأصيليّة تاريخيّة من أشهرها المعجم التأصيلي التاريخي للغة اللاتينية الذي وضعه عالم اللغة الفرنسي انطون مييه عام 1939 م:

A. Meillet & A. Ernout, Dictionnaire étymologique de la langue latine, Histoire des mots, 2 ed., Paris, 1939.

وقد صدرت من هذا المعجم عدة طبعات كما توجد أيضا بعض المعاجم من هذا النوع في بعض اللغات الأوروبيّة[8].

وقد يتبادر إلى الذهن أنّ هذا النوع من المعاجم التاريخية التأصيلية لابدّ له أن يغطي عدة فترات من حياة اللغة. والواقع ان هذا صحيح بشكل عام، غير أننا نستطيع ان نضع معاجم تاريخية كما أشرت من قبل لفترة واحدة من حياة اللغة أو للهجة معيّنة من لهجات اللغة أو حتى لمجموعة محددة من كلمات اللغة مثل الكلمات المعرّبة والدخيلة أو الكلمات المولدة في اللغة العربية أو غير ذلك من مجاميع الكلمات في لغة ما.

---

(8) Ibid., p.203

ومعنى هذا كله أن المعجم التاريخي المنشود للغة العربية سيكون معجما تأصيليًا وتاريخيا ومقارنا في آن واحد، وهو بهذا التصور يحتاج الى درجة عالية من التخصّص في علوم اللغة وفي اللغات الساميّة واللغات غير الساميّة التي اتصلت بها اللغة العربية عبر مراحل حياتها حتى الآن، يضاف الى ذلك حصيلة من النصوص الأدبية واللغوية والدينية والعلمية منذ أقدم عصور العربية حتّى اليوم.

ولعل هذا هو السبب في تأخر ظهور المعجم اللغوي التاريخي للغة العربية حتى اليوم، على الرغم من أن مجمع اللغة العربية في مصر قد اتخذ قرارا بشأن وضع هذا المعجم منذ عام 1934 م كما اشرت من قبل.

بل لقد تعاقد المجمع مع المستشرق الألماني «فيشر» (ت. 1949 م) الذي كان عضوا في المجمع منذ إنشائه للقيام بهذا العمل[9]. وكان «فيشر» قد تتلمذ على كبار المستشرقين الالمان وغيرهم من كبار علماء اللغات الساميّة والدراسات اللغوية التاريخية المقارنة في أواخر القرن الماضي، ومن ثم كان تصوّره للمعجم اللغوي التاريخي للغة العربية تصورا يقوم على مبادىء وأصول هذه المدرسة العلمية في الدراسات اللغوية، يضاف إلى ذلك تجارب وخبرات هؤلاء العلماء في وضع بعض المعاجم التاريخية لعدد من اللغات الاوروبية.

وحدّد «فيشر» منهجه في العمل في هذا المعجم على أنه سيكون على غرار معجم اكسفورد التاريخي للغة الانجليزية. وبدأ العمل فعلا في المعجم منذ عام 1935 م أي بعد قرار المجمع في وضع هذا المعجم بعام واحد، وظل يعمل طوال أربع سنوات تقريبا، ولكن اشتعال الحرب العالمية الثانية باعد بين «فيشر» والمجمع وعمله في المعجم ولكنه استمر في العمل وهو في المانيا، وما أن وضعت الحرب أوزارها حتى قعد

---

(9) مجمع اللغة العربية (محاضر الجلسات) 1/330 ـ 333 سنة 1934.
وانظر ايضا ابراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما ص 61 ـ 72.

به المرض عن العودة الى مصر ومالبث أن توفى عام 1949 م قبل أن يخرج المعجم الى النور[10].

وعبثا حاول المجمع أن يلم شعث ما تفرق من أصول المعجم بين مصر والمانيا ولكنه لم يظفر بعد جهود أربعين عاما كاملة في العمل في هذا المعجم الا بجُذاذات غير مستوفاة حرص على أن يرتبها ويضعها تحت تصرف الباحثين، ولم يستطع المجمع ان ينشر من جهد «فيشر» في وضع المعجم التاريخي للغة العربية، إلا مقدمة ونموذجا صغيرا سبق لفيشر أن أعدّهما في صورة تقرير عن المعاجم العربية القديمة والدعوة الى وضع معجم تاريخي.

وفي هذه المقدمة يأخذ فيشر على المعاجم العربيّة اضطرابها في ترتيب الكلمات والمشتقات وعدم الدقة في الشرح وغموضه أحيانا، كما انها أخلّت بالترتيب التاريخي للفظ والدلالة وغير ذلك من المآخذ التي سبقه اليها كثير من العرب والمستشرقين. ثم حدّد تصوره لما ينبغي ان يكون عليه المعجم التاريخي للغة العربيّة فيما يأتي:

1 ـ يجب ان يشتمل المعجم على كل كلمة وجدت في اللغة بلا استثناء.

2 ـ أن تعرض كل كلمة حسب وجهات النظر السبع التالية:

التاريخية، الاشتقاقية، التصريفية، التعبيريّة (الدلالية)، النحوية البيانية، الأسلوبية.

ثم اخذ يفصل في كل جانب من هذه الجوانب وذلك على النّحو التالي:

1 ـ فالوجهة التاريخية للكلمة تجاوز كل وجهات النظر هذه في الأهمية، وذلك لانه اذا أخذنا اللغة على انها دائمة التطور، فلاشك أن لكل كلمة تطورها التاريخي الخاص ويجب أن يوضّح هذا التطور التاريخي.

2 ـ تتناول ناحية الاشتقاق بما في ذلك توليد الكلمات، بحث أصل الكلمة ونسبها ويرتبط بهذه المسألة علم ضبط الهجاء كما يرتبط بها

---

(10) مقدمة الطبعة الاولى من المعجم الوسيط، ط. قطر 1985 ص 8.

علم العـروض. أمـا المعـرّبـات فترد الى أصلها على قدر الامكان، ولتحقيق هذه الغاية لابد لمؤلف المعجم أن يكون متمكنا في اللغات السامية واللغات الفارسية والتركية واليونانية واللاتينية وغيرها.

3 ـ تتناول الناحية الصرفية تحديد تغير الصيغ للفظة في الكلام، أي تصريف الأفعال والاسماء وغيرهما، ولا داعي لايراد الشواهد على صيغ الالفـاظ المتـداولـة الكـاملة التصريف، وفي مثل هذه الالفاظ يكتفي بإيراد الشـواهـد في الحالات التي يحتمل فيها الشك ولا يجب تعـزيز كل الصيغ المعـروفة ببعض الشواهد فقط، بل بكل الشواهد الموجودة كي يتسنى تقدير صحة هذه الصيغ تقديرا تاماً.

ويحسن الاشارة هنا إلى نقطتين هامتين: أولا هما وجود صيغتين أو اكثر في تصريف الفعل أو الاسم وفي غير جنس الكلمة من ناحية التذكير والتأنيث، وليس من النادر أن يختلف استعمالها باختلاف الزمان والمكان، وثانيتهما عدم وجود بعض الصيغ التي كان يمكن استعمالها وفق القياس المتوقع.

4 ـ تتناول الناحية التعبيرية تحقيق معنى الكلمة أو معانيها وفي حالـة وجـود عدة معـان، ترتّب هذه المعاني حسب علاقاتها التاريخية والعقليّة، ويجب مراعاة القواعد الآتية:

أ ـ يعتبر دائما المعنى الأول لكلمة لها معان مختلفة ذلك الذي يؤخذ من اشتقاق الكلمة.

ب ـ يجب في ترتيب المعـاني تقديم المعنى العام على الخاص والمعنى الحسي على المعنى العقلي والمعنى الحقيقي على المعنى المجازي، وذلك وفق سير تطور الفكر البشري.

وكـذلـك يجب مراعـاة علم المجاز، كما يجب مراعاة استعمال الكلمة كاصطلاح، ويراعي أيضا الترادف إذ هو عون تعبيري هام، لأنه يقارن بين الكلمات المتقـاربة في المعنى من ناحية حصر المعاني وفحوى هذه المعـاني، ولكن لا يصح التجاوز عن اعتبار أنّ الفارق بين الكلمات المتقـاربـة في المعنى يرجـع كثيرا الى أسباب تاريخية وجغرافية صرفة.

وأخيرا من اللازم إيراد نقائض للكلمات اذا ما وجدت ويعرف على قدر الامكان كل نبات وحيوان وجماد تعريفا كاملا وتذكر فصيلته ويوصف باسمه العلمي .

5 ـ تتناول الناحية النحوية جميع الصلات الهامة التي يمكن ان تربط كلمة بأخرى، ومنها أيضا تركيب كلمات لها مواضع معينة في سياق الكلام مثل: فقط، إنما، أيضا وغيرها، كذلك مراعاة المضمر أوْ المحذوف والأمر يتعلق بالمسائل الآتية:

هل استعمال الكلمة استعمالا مطلقا جائز؟ هل الفعل متعدّ أمْ لازم؟ متى وأين ظهر هذا التركيب لأول مرة وآخرها؟

6 ـ تتناول الناحية البيانية تلك العلاقات للكلمة التي استشعر منها أنها لازمة لها أي التراكيب والتعابير التي قضت روح اللغة القومية بوضعها غالبا في موضع خاص دون ان يطرأ عليها أي تغير، وذلك على الأخص لعامل من عوامل البلاغة أو حسن الذوق ومن هذه العلاقات:

أ ـ صيغة الإتباع والمزاوجة

ب ـ صيغة المشاكلة كما في «ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين»

جـ ـ صيغة المبالغة في المعنى مثل: «موت مائت» و«شعر شاعر»

د ـ صيغة ازدواج عبارتين متضادتين للتعبير عن معنى واحد مبالغ فيه كما توجد في «لله الأمر من قبل ومن بعد». ومن هذه العلاقات ايضا تركيب متداول لعبارتين تعمل إحداهما في الأخرى مثل «بذل جهده» وغيرها.

7 ـ تحدد الناحية الأسلوبية المحيط اللغوي الذي تستعمل فيه الكلمة أو التعبير أو التركيب استعمالا عاما، وقد يكون هذا المحيط شاملا جامعا، كلغة القرآن ولغة الحديث وأسلوب الشعر والنثر والأسلوب التاريخي وأسلوب الفنون وغيرها، أو خاصا كالأسلوب الشخصي المحض، حيث أنه قد يميل مؤلف ما إلى استعمال كلمة أو تركيب بالذات لا يستخدم إلا لماما أو لا يستخدم البتة عند غيره وغير

ذلك[11].

هذا هو تصور فيشر لما ينبغي ان يكون عليه المعجم التاريخي للغة العربية وهو تصور يشبه الى حد كبير ما طبق في معجم اكسفورد للغة الانجليزية :

(12) The Oxford English Dictionary, The University Press, Oxford, 1970 وهـــو تصور أيضا يتفق مع ما استقر عليه التفكير المعجمي - كما رأينا من قبل - من ان المعجم التاريخي لأي لغة لابد ان يكون معجما تأصيليا تاريخيا مقارنا.

وهكذا ظل المعجم التاريخي للغة العربيّة حلما لم يتحقق حتى الآن. ولعـل العـذر الوحيد في ذلك ان عَمَلَ مثل هذا المعجم للغة العربية يختلف عن عمل اي معجم تاريخي لايّ لغة اخرى لان اللغات الاوروبية التي ظهـرت لها معاجم تاريخية لغات صغيرة السن حديثة الميلاد، اما اللغة العربية فمن اطول اللغات الانسانية عمرا تقلبت فيها بين ظروف شتى تاريخية وجغـرافية وحـضـارية ودينية وعلمية وفكرية وادبية وغيرها، وكل ذلك يلقي على من يتصدى لمثل هذا العمل مهام لا ينهض بها الا أولو العزم من العلماء والباحثين.

هذا عن المعجم التـاريخي فماذا عن المعـرب والدخيل في هذا المعجم؟ وسنبـدأ أولا في القسم الثّاني من هذا البحث بتحديد ما المعـرّب؟ وما الدخيل؟ اما القسم الثالث والاخير فسنخصصه لمعالجة المعرّب والدخيل في المعجم التاريخي.

---

(11) راجع د. حسين نصار، المعجم العربي 2/625 - 627

(12) انظر المقدمة Vol. 1, pp. XXVII-XXXIV

2 ـ المعرب والدخيل : دراسة في المصطلح

لا شك ان اي لغة عاشت فترة من عمرها في حضارة زاهرة وادب رفيع لا يمكن ان تكتفي بثروتها الخاصة من الكلمات ، كما لا يمكن ان تنجو في الوقت نفسه من تأثير اللغات الاخرى او تأثيرها في اللغات الاخرى. واللغة العربية تعد من اقدم اللغات الانسانية فهي ـ كما نعلم ـ شعبة من شعب اللغة السامية الام ، بل هي ـ كما يذهب كثير من العلماء والباحثين ـ أقرب هذه الشعب شبها باللغة الأم[13].

وخلال تاريخ العربية الطويل منذ ان انفصلت عن السامية الام واستوت لغة مستقلة ناضجة عرفناها فيما وصل الينا من الشعر الجاهلي ، خلال هذا التاريخ وبعده وحتى اليوم تقلبت بين عوامل لا تحصى ، تغيرت فيها وتطورت واتصلت بلغات من عائلتها ولغات اخرى من عائلات لغوية غريبة عنها ، فأثرت وتأثرت ، فأخذت ألفاظا وتراكيب ، كما اعطت بدورها ألفاظا وتراكيب ، وهي سواء آخذة او معطية ، مقترضة او مقرضة تتطور وتتغير حسب الظروف التاريخية والحضارية التي تمر بها.

ومن ناحية اخرى نحن نعلم ان الجزيرة العربية التي عاشت فيها اللغة العربية ردحا طويلا من عمرها لم تكن بمعزل عن العالم سواء قبل الاسلام أو بعده ، اذ كانت ، وبخاصة أطرافها ، على صلة بما حولها وما جاورها من البلاد. كانت على صلة وثيقة ببلاد فارس ، وكانت مملكة المناذرة في الحيرة حركة اتصال دائم بين العرب والفرس ، كما كانت على اتصال ببلاد الروم وكانت مملكة الغساسنة حلقة اتصال بين العرب والروم ، وكان العرب على اتصال بدولة الانباط في سواد العراق ، وبالجاليات العربية التي عاشت واستقرت في الشام ، كما كانت في الجزء

---

(13) راجع جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (القسم اللغوي) 7/20 ـ 21.
وانظر ايضا : اسرائيل ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ص 7.
حسن ظاظا ، الساميون ولغاتهم ص 17.

الجنـوبي من بلاد العـرب دول يمنية ذات حضـارة منهـا المعينيون والسبئيون والحضرميون، كما كانت اليمن حلقة اتصال بين شبه الجزيرة العـربية والحبشة، وكان لليهود جاليات بالعراق والشام والحجاز، كما كانت قوافـل التجارة تسير من والى قلب الجزيرة العربية مخترقة طرقا خاصة وكان اهم هذه الطرق طريق عمان حضرموت الذي كان يمر بالدهناء فنجد ويصل الى الحجاز فيمر بمكة والمدينة فالبتراء، ثم يمتد شمالا الى الشام وفلسطين وغربا الى مصر، وما رحلة الشتاء والصيف التي أشـار اليها القرآن الكريم الا تلك الرحلة التي كانت تقطعها القوافل من قلب الجزيرة العربية الى الشام وبالعكس.

كل هذا وغيره مما لا قبل لنا باستقصائه هنا يدل دلالة قاطعة على أمرين:

الاول: ان العرب قد اتصلوا في عصور حياتهم قبل الاسلام وبعده بمعظم الدول والشعوب التي شاع امرها في العصور القديمة، وان هذه الصلة كانت متعـددة المظاهر فشملت النواحي الاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية والسياسية والعسكرية.

الثاني: ان اللغة العربية قد احتكت واتصلت بمعظم اللغات القديمة في محيطها سواء من عائلتها السامية او من العائلات اللغوية الاخرى.

وكما صور القرآن الكريم حياة العرب قبل الاسلام، جاءت لغته صورة من التطور اللغوي الذي بلغته العربية، ولكن بأسلوب تميز تميزا واضحا عن جميع الاساليب التي عرفتها العربية شعرا او نثرا، ومع ذلك لم يمنع ان ترد في هذا الكتاب الكريم كلمات مما اقتَرضته العربية من اللغات الاخرى، وذلك باعتبار ان هذه الالفاظ اصبحت ملكا خالصا للعـرب والعربية، ولها من الدلالات ودقّة الاستعمال ما لا تُغني عنه ألفاظ اخرى.

ومن ثم لاحظ الدارسون الاول للنص القرآني وجود مثل هذه الكلمات فأفـردوا لها من درسهم للقـرآن الكـريم جانبـا خاصا عرف

عندهم باسم «لغات القرآن»[14] ويبدو ان أول من تكلم في وقوع هذا النوع من الكلمات في القرآن هو عبد الله بن عباس (ت68هـ)، فقد روي انه قال في احرف كثيرة من القرآن انها «أعجميّة» مثل: طه واليم والطور والربانيون فقال انها من السريانية، والصراط والقسطاس والفردوس وقال انها من الروميه، والمشكاة وكفلين انها من الحبشية وغير ذلك[15].

ويلاحظ ان المصطلح «أعجمي» والنسبة اليه «أعجمية» من اول المصطلحات التي استخدمت في الاشارة الى هذا النوع من الكلمات الاجنبية في القُرْآن وهو مصطلح استخدمه القرآن نفسه[16] وهو يدل على كل ما هو غير عربي سواء في اللغة او غيرها.

ثم ما لبث هذا النوع من الكلمات الاجنبية التي وقعت في القرآن أن افردت له معاجم خاصة مثل كتاب السيوطي(ت911هـ) «المُهَذّب فيما وقع في القرآن من المعرب» الذي احصى فيه الالفاظ المعربة التي وقعت في القرآن على حروف المعجم و«المتوكلي» الذي يبدو انه صورة معدلة من الكتاب الاول[17].

وفيما يتصل بدراسة الكلمات الاجنبية في القرآن نلاحظ ما يلي:

1 ـ ان فريقا من علماء العربية القدماء وبعض الفقهاء اختلفوا حول استخدام القرآن لهذا النوع من الكلمات ووقوعها في لغته من حيث أصلها أأعجمية أم عربية، فذهب الشافعي (ت204هـ) وأبوعبيدة (ت210هـ) والطبري (ت310هـ) وغيرهم الى القول بعدم وقوع

---

(14) ابن النديم، الفهرست ص 53.

(15) ابن فارس، الصاحبي 60 ـ 61.

وانظر ايضا: السيوطي، المزهر 268/1

(16) انظر سورة النحل آية 103 وفصلت آية 44.

(17) حقق الكتاب الأول «المهذب» عبد الله الجبوري ونشره في مجلة المورد العراقية 1971، وحقق الكتاب الثاني «المتوكلي» عبد الكريم الزبيدي ونشره في ليبيا عام 1986.

الكلمات الاعجمية في القرآن لقوله تعالى «قرآنا عربيا» وان ما وقع في القرآن من الكلمات التي يظن انها أعجمية إنما هو من قبيل اتفاق اللغات وتبعهم في هذا الراي بعض المحدثين[18].

ولكن بجانب هذه الطائفة المتشددة قديما ومن تبعها في العصر الحديث، لم تعدم العربية طائفة اخرى من العلماء فسروا هذه الظاهرة اللغوية تفسيرا صحيحا، من هؤلاء ابو عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ) وابن فارس[*](ت395هـ) والجواليقي (540هـ) والسيوطي (ت911هـ) فقال أبو عبيد ان هذه الكلمات قد سقطت الى العرب فأعربتها بألسنتها وحولتها من ألفاظ العَجَم الى ألفاظ العرب فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الكلمات بكلام العرب، فمن قال انها عربية فهو صادق ومن قال انها أعجميّة فهو صادق[19].

وبهذا فطن أبو عبيد الى اسباب الخلاف بين الطائفتين، فمن نظر الى أصلها اي من نظر الى مثل هذه الكلمات نظرة تاريخية (Diachronic) قال بأعجميتها ومن نظر اليها نظرة آنية وصفية (Synchronic) قال بعربيتها.

2 ـ أن نسبة الالفاظ الاعجمية في القرآن الى لغات بعينها ترددت بين ثلاث عائلات لغوية:

أ ـ العائلة السامية فنسبوا الى اللغات العبرية والحبشية والسريانية والنبطية

ب ـ العائلة الهندية الأوروبية فنسبوا الفاظا الى اللغات الفارسية واليونانية والهندية

---

(18) انظر السيوطي، الاتقان 1/136.
وانظر ايضا مقدمة تحقيق كتاب «المعرب» للجواليقي لأحمد محمد شاكر ص 13 ـ 14.

(*) [بل كان ابن فارس على رأي أبي عبيدة والشافعي الرافض لوجود الأعجميَ في القرآن
نظر له : الصاحبي في فقه اللغة، ص ص 61 62. (هيئة التحرير)].

(19) انظر السيوطي: المتوكلي، تحقيق عبد الكريم الزبيدي، منشورات جامعة سبها ليبيا 1986 م.

ج ـ العائلة الحامية ونسبوا الى البربرية والقبطية والزنجية[20].

3 ـ عدم الدقة التي اتسمت بها احكام بعض القدماء وبعض المحدثين في نسبة بعض الالفاظ الى لغات بعينها وهو ما لاحظه عدد من الباحثين المعاصرين في الدراسات اللغوية التاريخية المقارنة.

ثم ما لبث هذا النوع من دراسة الكلمات الاجنبية في القرآن ان اتسع نطاقه فشمل اللغة العربية حيث حاول العلماء القدماء رصد وتتبع مثل هذه الكلمات في الثّروة اللفظية للغة العربية، ولم يقف الامر عند حدود الكلمات الاجنبية وحدها بل تعداه الى محاولة التّمييز بين ما استعمله العرب الخلص وما وقع على ألسنة غير العرب سواء كان عربي الاصل أو أجنبيا، ومن ثم ظهرت مصطلحات أخرى بالاضافة الى المصطلح القرآني «أعجمي» الذي كان يدل على غير العربي من الكلمات وهذه المصطلحات هي :[*]

1 ـ المحدث ـ 2 ـ المبتدع ـ 3 ـ المولّد ـ 4 ـ الدخيل ـ 5 ـ المعرّب. أما المصطلحات الاربعة الاولى فقد استعملها الخليل (ت175هـ) وهو يحاول التميز بين مجاميع الكلمات العربية الاصيلة وغير الاصيلة سواء كانت ذات اصل عربي أو غير عربي وذلك وفق معايير صوتية ولغوية استقاها من استقرائه لطبيعة النسيج الصوتي للكلمة العربية بحيث انتهى الى وضع قانون عام يمكن ان نطلق عليه «قانون الذلاقة» وهو كما قال الخليل: «اذا وردت عليك كلمة رباعية او خماسية معراة من حروف الذلق والشفوية [الراء واللام والنون والفاء والباء والميم] ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد او اثنان او فوق ذلك، فاعلم ان تلك الكلمة **محدثة مبتدعة** ليست من

---

(20) راجع عبد المجيد عابدين، بين الحبشة والعرب ص 66 وحسن ظاظا، الساميون ولغاتهم ص 69 ـ 70 وابراهيم السّامرّائي، دراسات في اللغتين السريانية والعربية ص 26 ـ 30

(*) [يُنظر حول دلالات هذه المصطلحات والتأريخ لها وتتطوّرها كتابُ الدكتور محمد رشاد الحمزاوي «العربيّة والحداثة»، ط.2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986، ص ص 157 – 172؛ وقد أضاف إليْها مصطلحًا سادسا هو «الغريب» – (هيئة التحرير)].

كلام العرب»[21].

وسأله تلميذه الليث: «فكيف تكون الكلمة المولدة المبتدعة غير مشوبة من هذه الحروف، فقال نحو الكشعشج والخصعشج والكشعطج واشباهن، فهذه مولدات لا تجوز في كلام العرب لانه ليس فيهن شيء من حروف الذلق والشفوية فلا تقبلن منها شيئا وان أشبه لفظهم وتأليفهم، فان النحارير منهم ربما ادخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب ارادة اللبس والتعنت»[22].

ثم يقول بعد ذلك: فاذا ورد عليك شيء من ذلك فانظر ما هو تأليف العرب وما ليس من تأليفهم نحو قعثج ونعثج ودعثج لا ينسب الى العربية ولو جاء عن ثقة لم ينكر، ولم نسمع به ولكن ألفناه ليعرف صحيح بناء كلام العرب من الدّخيل[23].

ويبدو من سياق هذا الحوار بين الخليل وتلميذه ان الخليل قد استعمل هذه المصطلحات الاربعة بمعناها اللغوي العام، اي يقصد بها الكلمات التي ليست من كلام العرب ووضعها وضعا بعض النحارير من رواة اللغة، يدل على ذلك الامثلة التي ذكرها لهذا النوع من الكلمات والتي - كما قال - ألفها تأليفا ولم يسمع بها لتكون بمثابة نماذج على هذا النوع من الكلمات، هي نماذج ليست عربية او اجنبية مقترضة من اللغات الاخرى وإنما يظهر من بنيتها الصوتية انها تخالف «قانون الذلاقة» الذي وضعه، اي بعبارة اخرى إن استعمال الخليل لهذه المصطلحات لم يكن القصد منه تميز الكلمات الاجنبية التي اقترضتها العربية من اللغات الاخرى.

أما مصطلح «المعرب» فقد استعمل سيبويه (ت 180هـ) مصطلح الاعجمية بجوار مصطلح آخر قريب من مصطلح «المعرب» وهو «أعرب» وذلك في أبواب أربعة من كتابه وهي:

---

(21) العين، تحقيق عبد الله درويش ص 58 - 59.

(22) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(23) المصدر السابق ص 60.

1 ـ باب الاسماء الاعجمية
2 ـ باب ما كان من الاعجمية على اربعة احرف قد أعرب فكسرته العرب على مثال مفاعل
3 ـ باب ما أعرب من الاعجمية
4 ـ باب اطراد الابدال في الفارسية[24]

وقد عرض سيبويه في هذه الابواب لمباحث التعريب من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية واستخلص القواعد التي نطق بها أبناء العربية الخلص الكلمات المقترضة من اللغات الاخرى وخاصة اللغة الفارسية.

ومعنى هذا أن مصطلحات المحدث والمبتدع والمولّد والدخيل والمعرب لم تكن حتى عصر سيبويه قد اكتسبت دلالة اصطلاحية واضحة، ولكن علماء العربية القدماء التقطوا من هذه الكلمات اربعة شاع استخدامها في الدلالة على الكلمات العربية الاصل ولكن حدث لها تغير في الصوت أو الصيغة او الدلالة او فيها جميعا بعد عصر الاحتجاج وكذلك الكلمات الاجنبية التي اقترضتها اللغة العربية من اللغات الاخرى بعد عصر الاحتجاج ايضا. ومن اقدم هذه المصطلحات المولد والمحدث اللذان استخدما في وقت واحد تقريبا ثم المعرب ثم الدخيل.

أما **المولد والمحدث** فقد استخدما في نهاية القرن الثاني وأوائل القرن الثالث لدلالته على الكلمات العربية الاصل التي حدث لها تغير أو الكلمات غير العربية التي دخلت الى اللغة وكلا النوعين استخدمه المولّدون[25].

أما مصطلح «المعرب» فقد أشاع استخدامه أبو منصور

---

(24) سيبويه الكتاب. ط. عبد السلام هارون 3/234، 3/620، 4/303، 4/305.

(25) راجع حلمي خليل، المولد في العربية 158 ـ 160.

الجـواليقي (ت540هـ) في الدلالة على الكلمات التي اقترضتها اللغة العربية من اللغات الاجنبية خاصة سواء وقعت في القرآن الكريم أو في اللغـة العـربية بشكـل عام وذلـك في كتـابـه، «المعـرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم» وهو من أوائل المعاجم اللغوية الخاصة التي اعتنت بهذا النوع من الكلمات على مستوى اللغة كلها، ويشيع استخدام هذا المصطلح في الكتاب للدلالة على الكلمات التي اقترضتها العـربية من اللغات الاخرى سواء حدث فيها تغيرات صوتية وصرفية جعلتها تشبه الكلمات العربية أو بقيت قريبة من النّاحِيتَيْن الصوتية والصرفية الى اصلها الاجنبي[26].

أما مصطلح الدخيل فقد أشاع استخدامه أيضا شهاب الدين الخفاجي (ت1069هـ) في كتابه «شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل» للدلالة على ما استخدمه المتكلمون باللغة العربية بعد عصر الاحتجاج سواء كان عربي الاصل وأصابه التغير في الصوت او الدلالة او الصيغـة أو أجنبيا اقترضته العربية من اللغات الاخرى فأثبت في معجمه هذا كثيرا من الالفاظ التي تنتمي الى المعرب او المولد او العامي او الملحون واعتبرها من الدخيل[27].

وهنا نجد خلطا واضحا في استخدام هذه المصطلحات الاربعة أعني المولد والمحدث والمعرب والدخيل وفي تحديد دلالتها الاصطلاحية وهو خلط واضطراب اشترك فيه القدماء وبعض المحدثين.

أما القدماء فغالبا ما ينقل بعضهم عن بعض دون مراجعة او تمحيص واما المحدثون او بعضهم اذا شئنا الدقة فيتمسكون بالقديم لانهم لا يعرفون سواه.

ولا شك ان هذه المصطلحات لابد ان تحرر بدقة حتى لا نقع

---

(26) راجع الجواليقي، المعرب في مواضع كثيرة انظر على سبيل المثال ص 23، 53، 73.
(27) راجع شفاء الغليل صفحات 16، 27، 41، 46 على سبيل المثال.

فيما وقع فيه القدماء وبعض المحدثين من خلط واضطراب، خاصة اذا أردنا استخدام هذه المصطلحات في المعجم اللغوي التاريخي لكي نُميّز بها مجاميع الالفاظ داخل هذا المعجم، والسبب المباشر في هذا الخلط والاضطراب في تحديد تلك المصطلحات يرجع في ظني الى فكرة الاحتجاج التي آمن بها القدماء وبعض المحدثين ايضا[28] وان كان المناخ السائد الآن في الفكر اللغوي العربي الحديث هو التخلي عن هذه الفكرة[29].

ومعنى هذا أننا عند تحديد هذه المصطلحات، وهي مصطلحات أساسية من المصطلحات التي سيستخدمها المعجم اللغوي التاريخي، لابد ان ننظر اليها كما ينظر اليها هذا المعجم اي في اطار الثروة اللفظية العامة للغة العربية وفي الوقت نفسه نتخلى عن الاحكام المعياريّة التي ارتبطت بها هذه المصطلحات في الفكر اللغوي التقليدي، أي بعبارة اخرى تنصرف دلالتها الى خصائص لغوية وتاريخية، اما الملامح اللغوية فعندما نشير الى البنية Form والمعنى Meaning اما الناحية التاريخية فتتولى الشواهد التي سنستشهد بها على كل لفظ او كلمة من هذا النوع تحديد زمن استعمالها.

وبناء على ذلك يمكن ان تحدد المصطلحات الاربعة وهي: المولد والمحدث والمعرب والدخيل وفق المعايير اللغوية على النحو التالي:

1 ـ المولد:

كما رأينا من قبل، فقد شاع استخدام هذا المصطلح عند القدماء كثيرا في الدلالة على الكلمات العربية الأصل التي طرأ عليها تغير في الصوت أو الصيغة او الدلالة بعد عصر الاحتجاج واقل من ذلك شيوعا في الدلالة على الكلمات التي اقترضتْها العربية من اللغات الاخرى بعد عصر الاحتجاج ايضا، وعلى هذا النحو استخدمه بعض المحدثين.

---

(28) راجع حلمي خليل، المولد في العربية 610 ـ 619.

(29) انظر مقدمة المعجم الوسيط الطبعة الاولى ص 12 ط. قطر 1985.

غير ان من يستقرىء الكلمات التي حكم عليها القدماء بأنها من المولد سيلاحظ أنها غالبا كلمات عربية اكتسبت دلالات جديدة لم يعرفها ابناء العربية الخلص إمّا مع بقاء الكلمة كما هي وإمّا باشتقاقها من اصول عربية على صيغ وأوزان العربية ولكن العربية القديمة لم تعرف هذا المشتق او دلالاته. ومعنى هذا ان المولّد هو لفظ عربي الاصل والجذور اي ينتمي من حيث البنية الى جذور عربية ولكنه من حيث المعنى اكتسب دلالة جديدة سواء بالاشتقاق او بقاء الكلمة كما هي وذلك في مرحلة تاريخية محددة نستطيع ان نحددها عن طريق الشواهد. والامثلة على ذلك اكثر من ان تحصى مثل: الجبرية والقدرية والجريدة والتوقيع والمقامة والمتن والرجعة والخليفة والدّولة والحضارة والسبحة قديما، والمدفع والطائرة والدبابة والهاتف والسيارة والبرقية والاذاعة والمذيع والمذياع والجامعة والكلية والمكتبة والمختبر حديثا، يضاف الى ذلك المصطلحات العلمية القديمة كلها.

وبناء على ذلك يمكن أن نستخدم هذا المصطلح في المعجم اللغوي التاريخي للدلالة على الكلمات العربية الاصل التي حدث لها تغير دلالي واشتقت من اصول عربية بدلالة جديدة قبل العصر الحديث.

2 ـ **المحدث**:

استخدم القدماء هذا المصطلح مرادفا لمصطلح المولد كثيرا اي في الدلالة على الكلمات التي استخدمها المولّدون بعد عصر الاحتجاج مع تغيّر في الدلالة او الصوت او الصيغة او عن طريق الاشتقاق.

وأرى ان يستخدم هذاا لمصطلح في المعجم اللغوي التاريخي للدلالة على المولّد كما حددته من قبل ولكن في نطاق العربية الحديثة، وبناء على ذلك يكون المحدث: **هو كل كلمة عربية الاصل استخدمها المتكلمون بالعربية الحديثة بدلالة جديدة لم يعرفها المتكلمون بالعربية قبل العصر الحديث او بالاشتقاق من جذر عربي ودلالة جديدة ايضا.**

ومعنى هذا أن: الهاتف والسيارة والبرقية والمذياع والاذاعة والطائرة والمطبعة والتأشيرة والصحيفة والمعطف والسجادة وغيرها كثير من المحدث.

3 ـ المعرّب :

كان اتجاه القدماء في استخدام هذا المصطلح للدلالة على الكلمات الاجنبية مبنى ومعنى والتي اقترضتها العربية من اللغات الاخرى قبل عصر الاحتجاج سواء وضعت على صيغ وأوزان عربية أو بقيت ببنيتها واصواتها الاصلية مع تغير في بعض الاصوات بابدالها باصوات عربية، ومن ثم عدّوا كل الكلمات التي وقعت في الشعر الجاهلي من هذا النوع أو تلك التي استخدمها القرآن الكريم من المعرب مثل: جلسان وبنفسج وسيسنبر وسجنجل وبستان وصراط وقرطاس وأساطير وسجيل وابريق وسندس واستبرق وفردوس وجهنم واسفنط وقسطاس وقسط وقنطار ومشكاة وزنجبيل وغيرها من المعرّب.

أما إذا حكمنا المعايير اللغوية فسنجد ان هذا النوع من الكلمات ينقسم الى نوعين: نوع أخذ صورة البنية العربية من حيث الوزن والصيغة مثل: سراط واستبرق وسجيل ونوع بقي على صورته الاجنبية مع تغير بعض الاصوات مثل: فردوس وفرن وقنطار وسجنجل وغيرها ناهيك بما دخل الى العربية الحديثة من هذا النوع مثل: تليفزيون واكسجين وهيدروجين وكومبيوتر وغيرها كثير جدًا.

وبناء على ذلك ارى ان يستخدم مصطلح المعرب في المعجم اللغوي التاريخي في الدلالة على الكلمات التي اقترضتها العربية من اللغات الاخرى سواء قبل عصر الاحتجاج أو بعده ولكنها اخذت صيغا وأوزانا عربية أو أقرب ما تكون الى الصيغ والأوزان العربية.

اما النوع الثاني فهو ما سنطلق عليه الدخيل.

4 ـ الـدخيـل :

استخـدم علماء العربية القدماء هذا المصطلح في الدلالة على الكلمات العربية الاصل التي اصابها التغير في البنية او الدلالة او فيهما معا وكذا على الكلمات الاجنبية التي اقترضتـها اللغة العربية سواء بقيت كما هي أو أخذت صيغة وأوزان الكلمات العربية وكل ذلك بعد عصر الاحتجاج، أي إنّ هذا المصطلح كان يدل على كل ما حدث من تطور في الالفـاظ العـربية كما يشير الى ما اقـترضتـه العـربية بعـد عصر الاحتجاج، فهو مصطلح لغوي تاريخي اكثر ممّا هو مصطلح لغوي خالص.

وأرى انه يمكن استخدام هذا المصطلح للدلالة على الكلمات الاجنبيـة وحـدهـا التي اقترضتها اللغة العربية من اللغات الاخرى وبقيت على صورتها الأجنبية او مع تغير طفيف في بعض أصواتها سواء تم ذلك قبل عصر الاحتجاج أو اليوم مثل : سجنجل وسيسنبر وفردوس وفرند وتليفزيون واكسجين وفريون وهيدروجين وغيرها.

وفي جميع الاحوال فان الشواهد التي سيستعملها المعجم اللغوي التـاريخي عنـد معـالجته لكل كلمة سوف تحدد زمنها التاريخي ومكان استعمالها ايضا ومن اول من استعملها ان امكن ذلك ومتى اختفت من الاستعمال وغيرها من الجوانب التاريخية.

فاذا ارتضينـا هذا التحـديد لهذه المصـطلحـات على النحـو السابق، تبقى بعد ذلك أمامنا مشكلة معالجة هذا النوع من الالفاظ المولدة والمحدثة والمعربة والدخيلة في المعجم اللغوي التاريخي وهو ما سنخصّص له القسم الثّالث والاخير من هذا البحث.

3 ـ معالجة الالفاظ المولّدة والمعربة والدخيلة والمحدثة في المعجم اللغوي التاريخي

لاشـك ان النظرة التاريخية للغة العربية تستطيع ان تميز خمس مراحل كبرى مرّت بها حياة هذه اللغة وهي :

1 ـ المرحلة الساميّة Semitic Period

وهي المرحلة التي اخذت فيها اللغة العربية تنفصل عن اللغة السامية الام وتكون لنفسها خصائص لغوية تميزها عن اللغات السامية الاخرى وفي الوقت نفسه احتفظت بكثير من الخصائص العامة للغات السامية والتي على اساسها وضع علماء الدراسات اللغوية التاريخية اللغة العربية وغيرها من اللغات السامية تحت عائلة لغوية واحدة، ومَازَالَت العربية تحتفظ بهذه الخصائص اللغوية السامية حتى اليوم .

2 ـ العربية القديمة Classical Arabic

وهي المـرحلة التي استخـدمت فيهـا اللغـة العربية في العصر الجـاهلي وحتى انتشار الاسلام في الجزيرة العربية وبعد نزول القرآن الكريم وهو القمة التي بلغتها اللغة العربية في هذه المرحلة . وفي هذه المرحلة تميزت اللغة العربية بخصائص معينة ظلت تحتفظ بها حتى اليوم .

3 ـ العربية المولدة Neo-classical Arabic

وهي المـرحلة التي استخـدمت فيهـا اللغة العربية بعد انتشار الاسلام خارج الجزيرة العربية على ألسنة العرب وغيرهم من الشعوب التي دخلت الاسـلام والتي عبّر بها هؤلاء وهؤلاء عن الحياة الفكـرية والاجتـماعية والحضـارية الجديدة شعرا ونثرا، كما تتمثل ايضا في لغة العلوم والفلسفة وغيرها . وقد استمرت هذه المرحلة منذ النصف الاول من القرن الثاني للهجرة وبلغت ذروتها مع نهاية القرن الخامس الهجري .

4 ـ العربية الوسيطة **Middle Arabic**

وهي اللغة التي استخدمت بعد انهيار الحضارة الاسلامية وتولي الفرس والاتراك والمغول امر العالم الاسلامي وتظهر في شعر الشعراء وكتـابات الادباء والمؤرخين والعلماء في هذه الفترة والتي امتدت حتى العصر الحديث.

5 ـ العربية الحديثة **Modern Arabic**

وهي المرحلة الخامسة من حياة اللغة العربية والتي بدأت تتخلق مع مطلع عصر النهضة في العالم العربي ومازالت مستمرة حتى اليوم. وهي اللغة التي يستخدمها العرب الآن في الادب والصحافة والاذاعة والتأليف العلمي.

وبطبيعة الحال ليست هناك حدود قاطعة وثابتة بين كل مرحلة واخرى او بينها جميعا بحيث يمكن القول باطمئنان ان هذه المرحلة او تلك انتهت عند فترة محددة، اذ الواقع ان هذه المراحل تتداخل وتتعقد بحيث تجمعها خصائص لغوية عامة ثابتة نستطيع منها ان نتعرف على العنصر السامي بالاضافة الى المرحلة الاساسية في حياة تلك اللغة وهي العربية القديمة والتي مازالت آثارها تظهر حتى اليوم في العربية الحديثة ومن قبل في العربية المولّدة والوسيطة. وهذا لا ينفي بطبيعة الحال انفراد كلّ مرحلة بخصائص لغوية تميزها عن المراحل السابقة او اللاحقة.

وقد رأينا في القسم الأوّل من هذا البحث ان المعجم اللغوي التاريخي يهتم بجانبين أساسيين من الوحدات المعجمية او الكلمات وهما البنية Form والمعنى Meaning حيث ينـاط به مهمـة الـرصد التاريخي للتطورات والمتغيرات التي طرأت على مبنى الكلمة ودلالتها خلال هذه المراحل الكبرى بل وخلال المراحل الفرعية الاخرى التي يمكن ان تؤثر في بعض الكلمات نتيجة لوجودها في بيئات خاصة او مستويات لغوية معيّنة، وهو في هذا الرصد وذلك التتبع في إطار هذه المراحل وغيرها يستشهـد على ذلك بالشواهد من عصور اللغة المختلفة حتى العصر الذي يوضع فيه المعجم. هذا بالنسبة لجميع الكلمات التي سيضـمها

هذا المعجم والتي تمثل الثروة اللفظية في اللغة العربية في عمومها وشمولها.

اما بالنسبة للكلمات المعربة والدخيلة والمحدثة بالمعنى الذي حدّدناه لهذه المصطلحات في القسم الثّاني من هذا البحث، فان المعجم اللغوي التاريخي عندما يعالج هذا النوع من الوحدات المعجمية فسيواجه مشكلتين اساسيتين هما:

1 ـ مدخل Entry كل كلمة من هذا النوع في المعجم

2 ـ دلالة الكلمة وزمان استخدامها

وفيما يلي سنتناول كل نوع من هذه الكلمات لنبين كيف نعالجه في المعجم اللغوي التاريخي، غير أنني سأضم المعرب والدخيل معا لانتمائهما الى اصول غير عربية، كما سأضم المولد والمحدث معا لانهما من اصول عربية، كما ساتناول الكلمات المعربة والدخلية من لغات العائلة السامية في قسم خاص اذ لها خصوصية ظاهرة تحتاج معها الى معالجة مستقلة، في حين سأتناول ما اقترضته اللغة العربية من لغات العائلة الهندية الاوروبية في قسم آخر لأن لها معالجة أخرى. ومن الملاحظ ان العربية اقترضت من لغات هاتين العائلتين اكثر من غيرهما ولذا سنخصّها بالدراسة، اما ما اقترضته العربية من العائلات اللغوية الاخرى فسوف نشير اليه عند دراسة ما اقترضته العربية من العائلة الهندية الاوروبية اذ يصدق عليه ما يصدق على لغات هذه العائلة.

1 ـ المعرب والدخيل من لغات العائلة السامية:

من التعريفات التي أشرت اليها من قبل لكل من مصطلح المعرب ومصطلح الدخيل يتضح لنا ان هذا النوع من الكلمات او الوحدات المعجمية في اللغة العربية ينتمي بحكم اصله الى لغات اجنبية عن اللغة العربية سواء من العائلة السامية التي تنتمي اليها العربية او من غيرها.

والحقيقة أننا قد نواجه مشكلة تحتاج الى كثير من التأني والتريث

والبحث العلمي عندما نريد تأصيل الكلمات المعربة والدخيلة وخاصة تلك التي اقترضتها اللغة العربية من لغات العائلة السامية، فنحن نعلم ان اللغة العربية هي اقدم اللغات السامية وان مجموعة اللغات السامية التي تنتمي اليها العربية تشترك في كثير من الخصائص اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ولذلك فان تحديد انتماء كلمة ما الى هذه اللغة السامية او تلك، امر يحتاج الى كثير من الحيطة والحذر، بل ان تحديد اصول بعض الكلمات التي اقترضتها العربية سواء من اللغات السامية او غيرها ينبغي ان يحاط بكبير من الدقة والتأني خصوصا عند إثبات ذلك في المعجم اللغوي التاريخي. والمراحل الطويلة التي مرت بها حياة اللغة العربية التي اشرنا اليها في صدر هذا القسم من البحث تشكل صعوبة ظاهرة لابد من التصدي لها بكل دقة، ذلك لان اثبات انتماء كلمة ما للغة بعينها اقترضتها لغة اخرى امر قد يحفه احيانا كثير من اللبس والغموض لان واقع التاريخ وشواهد التطور اللغوي والحضاري قديما وحديثا، تثبت ان كثيرا من اللغات الانسانية، وخاصة اللغات ذات التاريخ الطويل مثل اللغة العربية، كانت في أغلب مراحل حياتها وتطورها دائمة التقلب في ملتقى تيارات لغوية وبشرية وحضارية تتشابك وتتقاطع بحيث تكون في ثناياها جيوب وعقد تحمل آثارا عميقة من تفاعل هذه التيارات جميعا.

ولكي ندلل على صدق هذه الملاحظة سنأخذ كلمة عربية قديمة وهي كلمة «كميت»وهي كلمة لا يشك احد في أصالتها وقدمها في اللغة العربية، فقد ترددت على ألسنة الشعراء في العصر الجاهلي[30] وهي عربية الوزن والصيغة، فوزن فعيل من أوزان التّصغير العريقة في اللغة

---

(30) من اشهر الابيات التي استعملت فيها هذه الكلمة بيت امرىء القيس من معلقته يصف فرسه: كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل.

وقال الاسود بن يعفر يصفُ التمر:

وكنت اذا ما قرب الزاد مولعا بكل كميت جلدة لم تسوف.

العربية، ومدلولها واضح من استعمالاتها القديمة وذلك في الدلالة على اللونين الأسود والأحمر عند اختلاطهما معا كما نراه في لون أنواع من الخيل والتمر[31]. ومع ذلك نلاحظ ان هذه الكلمة تستخدم دائما في هذه الصيغة المصغّرة ولا نكاد نجد لها صيغة اخرى مكبرة كما نجد مثلا كتاب لكتيب او غير ذلك من الكلمات، وهو ما لفت انتباة سيبويه (ت180هـ) فسأل عنها أستاذه الخليل (ت175هـ). قال سيبويه: «سألت الخليل عن كميت فقال هي بمنزلة جميل الذي هو البلبل، وقال هي حمرة يخالطها سواد ولم تخلص، وانما صغروها لانها بين السواد والحمرة ولم تخلص لواحد منهما فيقال له اسود او احمر، فأرادوابالتصغير انه منهما قريب»[32].

والملاحظ على كلام الخليل كما رواه لنا ابن منظور (ت711هـ) ان الخليل شرح لسيبويه الدلالة، اما البنية فلم يذكر عنها شيئا وهي في ظني موضع سؤال سيبويه، فلم يذكر الخليل مثلا الاصل المكبر الذي صغرت عنه ولا مشتقات اخرى لها او غير ذلك مما يتصل ببنيتها.

ولكن ابن منظور في شرحه للدلالة يذكر بعض المشتقات فيقول «الكميت لون ليس بأشقر ولا أدهم» ثم ينقل عن ابن الاعرابي (ت131هـ) قوله «الكمتة كمتتان، كمتة صفرة وكمتة حمرة، والكميت من الخيل يستوي فيه المذكر والمؤنث، والكميت اسم من اسماء الخمر لما فيها من سواد وحمرة»، كما ينقل قول ابن سيعد (ت 458 هـ)الكمتة لون بين السواد والحمرة يكون في الخيل والابل وغيرهما»[33].

ومعنى هذا ان مشتقات هذه المادة في لسان العرب: كمت، كمتة، كميت وهي ذات دلالة واحدة وهي مشتقات قليلة وقلة عدد المشتقات على هذا النحو من العلامات التي تدعو الى الشك في اصالة

---

(31) انظر لسان العرب مادة (ك م ت).

(32) المصدر السابق نفس المادة.

(33) المصدر السّابق، نفس المادّة.

الكلمة في اللغة العربية، إذ أن وجود سلسلة طويلة من المشتقات سواء الأفعال أو الاسماء مع تنوع الدلالات من علامات اصالة الكلمة.

فاذا علمنا ان «كمت» في اللغة المصرية القديمة تدل على الارض السوداء او على اللون الاسود.

ك : أسود K: Schwarz

كم : الأسود Km: der schwar

فاذا أضيفت اليها تاء التأنيث أصبحت علما على مصر:

Km . t Agypten[34]

ومن كمت Km. t جاء الاسم «قبط»

ومعنى هذا ان المدلول الاصلي للكلمة في المصرية القديمة هو السواد لأننا نجد أن:

سواد الليل : Km grh

سواد العيْن : Km ir. t[35]

وان الصفة Km أو Km . t أقرب في بعض الاستعمالات في هذه اللغة للدلالة على اللون الاسمر او اللون الخمري لا الأسود الصريح الذي لم يكن مستحبا من الناحية الجمالية عند المصريين القدماء[36].

وهذا هو المدلول الذي تدل عليه كلمة كميت في العربية اي السواد الذي تخالطه حمرة، ويؤكد ذلك ان المصريين القدماء كانوا يستخدمون كلمة «كمت» في وصف معبودتهم «ايزيس» فيقولون «ست كمت» اي السيدة الخمرية اللون وليست السواد بطبيعة الحال[37] بل انهم أطلقوا «كمت» على مصر، فاصبحت علما عليها وعلى ارضها

---

(34) أحمد بدوي وهرمان كيس، المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمة ص 262.

(35) المصدر السابق ص 268.

(36) عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها 1 / 1 ـ 2

(37) المرجع السابق نفس الصفحة.

فمصر هي : كيمت وتاكيمت اي السمراء او الخمرية اللون او السوداء إشارة الى لون تربتها وعدوا ذلك تعريفا لها عن الارض الصفراء الصحراوية المحيطة بها.

اذن لاشك أنّ كلمة «كميت» جاءت من هذا الاصل المصري القديم وأنّها دخيلة في اللغة العربية سواء من ناحية البنية أو الدلالة. ولكن كيف دخلت وأي الطرق سلكت ؟. الحقيقة ان هناك تأثيرات لغويّة بين اللغة المصرية القديمة واللغات السامية في فلسطين والشام والعراق. فالمصريون القدماء كانت لهم صلات بالمجموعة السامية في الشمال الشرقي والمجموعة الحامية في الجنوب الشرقي، وقد ظلت هذه الصلات وخاصة ما نتج عنها من تأثيرات لغوية موضوع أبحاث علميّة، حيث أكد كثير من العلماء والباحثين في اللغات والآثار والتاريخ التأثير اللغوي بين اللغات السامية واللغة المصرية القديمة ولذلك اعتبرت من اللغات السامية الحامية[38].

على هذه الصورة الغريبة المعقدة يتم أحيانا التبادل والاقتراض بين اللغات بحيث يختفي أحيانا الأصل الذي جاءت منه الكلمة.

فكلمة مثل «كميت» دخلت الى العربية في عصور موغلة في القدم، ولعلّ قدمها واستعمالها في شواهد ثابتة صحيحة هو الذي أعطاها تلك الصيغة العربيّة التي استطاعت بها أن تختفي عن عقل الخليل (ت. 175 هـ) فلم يشك قط في عربيّتها وراح يلتمس لها أصولا عربيّة.

هذا مثال واحد لهذا النوع من الألفاظ الذي قد نصادفه في الدراسة التاريخية للغة العربية وهو من لغة اشتركت في بعض خصائصها مع اللغات الساميّة، فما بالنا إذا كان تبادل التأثير والاقتراض يتم داخل عائلة لغوية واحدة، اي بين العربية واخواتها من اللغات الساميّة الأخرى أو العكس. لاشك أن هذا يعطي كثيرا من العذر لعلماء

---

(38) المرجع السابق 1/13 ـ 27.

العربية القدماء عندما كانوا ينسبون خطأ بعض الكلمات في العربية إلى هذه اللغة السامية أو تلك، وهو ما يدعونا الى الحيطة والحذر قبل القطع بأن هذه الكلمة أو تلك دخلت إلى العربيّة من إحدى اللغات الساميّة لوجود الكثير من المشترك بين هذه اللغات.

ولكن ليس معنى اشتراك اللغات السامية في كثير من الخصائص الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية اطلاق القول بأنّ العربيّة لم تقترض من هذه اللغات كلها أو بعضها اذ لاشك أن هناك بعض الكلمات التي أثبتت الدراسات التاريخية انها دخلت الى العربية من بعض اللغات السامية.

فمثلا الفعل (ثاب) بالثاء المثلثة عربي الأصل معناه رجع، بينما الفعل (تاب) بالتاء المثناة معرّب عن الآراميّة ويرجع الى نفس الأصل ولكن معناه رجع عن الشر أو رجع إلى الله، وهو معنى ديني خاص. ولاشك أيضا ان كلمة (حاخام) أي الكاهن دخيلة من العبرية، لأن الكلمة العربية المقابلة لها من نفس الأصل هي (حكيم) ومثل ذلك كلمة (السبط) أي القبيلة عبريّة، وكلمة (الناطور) بمعنى الخيال الذي يوضع في الحقول لاخافة الطيور أو الحارس آرامية الأصل، لأن الفعل (نطر) بالطاء المهملة في الآراميّة يقابل الفعل (نظر) بالظاء المعجمة في العربية، كما أن صيغة (فاعول) التي اشتقت عليها كلمة (ناطور) من الصيغ الآرامية السّريانية الشائعة. وكذلك كلمة (البيعة) بمعنى الكنيسة الصغيرة سريانية الأصل، ومثل ذلك كثير من الكلمات النصرانية في اللغة العربية مثل: القس، الناقوس، الساعور، الشعانين وغيرها وهي وان كانت ذات أصول سامية قديمة، الا ان ارتباطها بدلالات دينية وحضارية خاصة يدعو الى القول بدخولها من الآرامية السّريانيّة الى العربية[39].

---

(39) راجع، حسن ظاظا، كلام العرب ص 70.
وانظر ايضا: ابراهيم السّامرّائي، دراسات في اللغتين السريانية والعربية في مواضع كثيرة.

كل هذا له مبررات لغويّة وحضارية ترجّح أنه دخل إلى العربية من إحدى اللغات الساميّة، أما القول بأن كلمة (القدس) مثلا معرّبة فباطل اذ أن السلسلة الاشتقاقية كلها موجودة في العربية ولذلك فان مادة (ق د س) من المشترك السامي وغير ذلك كثير حيث نجد كلمات أخرى أقرب ما تكون الى المشترك السامي وليست دخيلة أو معربة.

وصفوة القول أنه قد يكون من السهل إلى حدّ كبير ردّ كلمة دخيلة أو معرّبة إلى مصدرها الأول، إذا كان هذا المصدر من عائلة لغوية مختلفة، أما اذا تم الاقتراض بين لغتين من عائلة لغوية واحدة فالامر عسير، اذ لابد من أن تكون الكلمة في هذه الحالة منتمية لغويا وحضاريا بشكل واضح إلى غير المجتمع الذي انتقلت الى لغته، وأن تكون بلا سلسلة واضحة من المشتقات.

وبصدد هذا لابدّ من الاشارة الى ما في معاجم اللبنانيين وكتابات بعض الباحثين المسيحيين من مبالغات في الحاق كلمات عربية أصيلة بلغات سامية أخرى وخاصة السريانية والآرامية مثل الأب روفائيل نخلة السيوعي في كتابه (غرائب اللغة العربيّة)[40] والبطريرك أفرام برصوم في سلسلة المقالات التي نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق تحت عنوان (الألفاظ السريانية في المعاجم العربيّة)[41] وكلاهما تسرع في الحاق كلمات عربية باللغة السريانية[42].

على ضوء هذا كله نستطيع أن نتصوّر ما يمكن أن يواجهه واضعو المعجم اللغوي التاريخي للغة العربية من صعاب في المعرّب

(40) انظر على سبيل المثال الكلمات: رب، قدس، مجن، الكافر، جنّة، قرية في هذا الكتاب.

(41) انظر اعداد المجلة المجلد 23 ص 161 الى المجلد 25 ص 178، أعوام 1948/1950 والألفاظ: أب، أبل، جمل، جنّة، دين، سحد، عقل، كفر، قرية.

(42) انظر ابراهيم السّامرّائي، دراسات في اللغتين العربية والسريانية، حيث تتبع الكثير من هذه الالفاظ وردها الى أصولها الصحيحة.

والدخيل من اللغات السامية وهي صعاب كما أشرت من قبل ذات شقين أحدهما يتصل ببنية هذا النوع من الكلمات والآخر يتصل بمعناها وزمن دخولها الى اللغة العربية.

أما فيما يتصل بتأصيل بنية الكلمة فلاشك أن المدخل سيكون باللغة العربية أي توضع الكلمات التي يثبت اقتراضها من إحدى اللغات السامية تحت المداخل العربية المناسبة وبطبيعة الحال سيكون الجذر المكون من الأصوات الصامتة (consonants) هو المدخل مع اثبات الكلمات السامية التي تشترك مع الجذر العربي تحت المدخل في الأصل السامي، دون القول بأن العربية او غيرها من اللغات السامية قد اقترضت من الأخرى، الا عندما يثبت ذلك بما لاشك فيه من الظواهر الصّوتية والصّرفية والاشتقاقيّة بالإضافة الى الأدلّة التاريخية والحضارية، وهو ما فعله العالم اللغوي الالماني «جزينيوس» (Gesenius) في معجمه للغة العبرية في الكتاب المقدس، حيث اعتمد في مداخله على الجذور العبريّة، ولكن تحت كل مدخل كان يذكر الكلمات المتشابهة في اللغات السامية جنبا إلى جنب دون القطع بأن إحداها أخذت من الأخرى، وعندما يثبت ذلك يميل بشكل عامّ إلى القول بأن العبريّة والسريانية والحبشية هي التي اقترضت من العربية التي احتفظت بأكثر وأعرق خصائص اللغة الساميّة الأم[43].

وهو أيضا ما اتّبعه «المعجم الكبير» أو المعجم الموسوعي الذي وضعه مجمع اللغة العربية في مصر، ففي المدخل (أبل) مثلا نجده يرصد المشترك السامي على النحو التالي:
أ ب ل :

---

(43) راجع، Gesenius, A Herbrew and English lexion of the old testement, p. 140, p.185, p. 343, p. 349.

- في العربية الجنوبية القديمة إبل: جمل
- في الاكادية ibilu جمل (دخيلة)
- في عبريّة التّوراة obil : القائم على الأبل
- في السّريانية hebalta هبالتا أو ēbālta إبالتا قطيع الإبل وhabbālā هبالا: راعي الأبل
- في الآرامية السريانية yabla يبلا[44]

ومن الملاحظ ان المعجم لم يذكر تحت هذا المدخل السامي الأصل إلا كلمة واحدة دخيلة في الاكاديّة، ولكنه لم يقطع من أيّ اللغات السامية دخلت لوجود احتمالات كثيرة لذلك.

ومثل ذلك تحت المدخل (أبق) التي ينص على أنها من المشترك السامي[45] وكذا تحت المدخل (أوب)[46] وغيرها كثير.

ولكنه يذكر تحت المدخل (أرس) كلمة الإريس) ويقول:
- معرب ārosa أريسا: الفلاح
- وفي الآرامية والعبرية المتأخرة āris أريس
- والأصل أكادي errēšu إرّيش: الاكار، الفلاح[47]

وطبقا للتعريف الذي وضعناه للمعرب والدخيل فان كلمة arisa أريسا بمعنى الفلاح دخيلة لا معربة، والمعجم يخلط كثيرا بين المعرب والدخيل[48] ولكنه في هذا المدخل قطع بأن الكلمة جاءت من الاكادية وليست عربيّة رغم انتمائها إلى جذر عربي لأن العرب لم يكونوا أهل فلاحة وزراعة.

وقد نجد اختلافا أو تغيرا في دلالة بعض الكلمات المقترضة أحيانا

---

(44) المعجم الكبير 1/47.
(45) المصدر السابق 1/46
(46) المصدر السابق 1/58
(47) المصدر السابق 1/390
(48) انظر على سبيل المثال 1/321، 1/331، 1/348، 2/13، 2/18.

والتي تشترك في جذر سامي واحد، وفي هذه الحالة ينبغي ذكر هذه الكلمات وشرحها وترتيبها تحت هذا الجذر وفق التطور التاريخي لها.

2 ـ المعرب والدخيل من لغات العائلة الهندية الأوربية

يختلف المغرب والدخيل من لغات العائلة الهندية الأوروبية عن مثيله من اللغات السامية، فلعل ما اقترضته اللغة العربية من لغات هذه العائلة مثل: الفارسيّة واليونانية واللاتينيّة قديما والفرنسية والانجليزية والايطالية حديثا، لعل هذا النّوع من الكلمات اكثر سهولة في تحديد أصله من ذلك الذي اقترضته العربية من أخواتها الساميات، مع ملاحظة أنّ للغة الفارسيّة وضعا دقيقا بالنّسبة للغة العربية وخاصة في المرحلتين الكلاسيكية أو العربية القديمة والعربيّة المولّدة، ذلك لأن الفرس قد اتصلوا بعالم الساميين في عصور سحيقة موغلة في القدم، وقد أوجد هذا الاتصال اقتراضا لغويّا بين اللغات السامية والفارسية في عصور سابقة على الإسلام، كما اشتدّت حركة الاتّصال بعد الفتح الاسلامي ونقل العرب عن الفرس وخاصة في العصر العباسي عصر العربيّة المولدة كثيرا من العادات والنظم في الادارة وشؤون الحكم ناهيك بالطعام والشراب والأدوات، وفي هذا الصّدد لابدّ أن يلاحظ واضعو المعجم اللغوي التاريخي أن اللغة الآرامية السّريانية ربما تكون قد توسّطت بين العربيّة والفارسية فقد تدخل الكلمة من الآرامية مثلا وهي فارسيّة الأصل أو من مجموعة اللغات الإيرانيّة، وأحيانا تكون الكلمة قد دخلت إلى اللغتين العربيّة والآرامية من الفارسيّة مستقلة إحداهما عن الأخرى.

وبالرغم من صعوبة القطع أحيانا بالطريق الذي سلكته الكلمة من إحدى لغات العائلة الهندية الاوروبية وخاصة اليونانية واللاتينية، فإنّ المعجم التاريخي لابد له من التثبت من هذا الطريق أو عدم القطع بدخول الكلمة من إحدى هذه اللغات اذا كان من المتعذر إثبات ذلك.

وبصورة عامة فان أهم المشكلات التي سيواجهها واضعو المعجم اللغوي التاريخي بصدد هذا النوع من الألفاظ قد يتمثل فيما يلي :

1 ـ المدخل الذي ستوضع تحته الكلمات المقترضة من لغات العائلة الهندية الأوروبية فهل نضع كلمات مثل : الفردوس، البستان، اسفنط، اسطقس، سجيل، استبرق، ابريق، فالوذج، كردناج، سيسنبر، سجنجل، انجيل، ترياق، اكسير، كافور، ابريسم، جلنار، راديو، تلفزيون، تليفون، اكسجين، نتروجين، وغيرها تحت المداخل العربية كما فعل المعجم الوسيط عندما وضع بعض الكلمات الدخيلة تحت مداخل عربية[49] وبذلك يتوهّم أنّ لها جذورا عربيّة ناهيك بعدم وجود سلسلة اشتقاقية او دلالة تربط بينها وبين المدخل الذي وضعت تحته.

2 – الكلمات المشتقة من هذا النوع من الألفاظ مثل : تأقلم من اقليم، دوّن من الديوان، برهن من برهان، هرطق من هرطوقس، تزندق من زنديق، تفلسف من فيلسوف، كهرب من كهرباء، بلط من بلاط، تلفز من تليفزيون، أكسد من أكسيد وهلّم جرّا.

الواقع اننا لا نستطيع اذا كنا نريد الالتزام بالمنهج التاريخي ان نضع الالفاظ المعربة والدخيلة او المشتقة منها تحت المداخل العربية لأننا بذلك نثبت لها جذورا عربية وهي ليست كذلك حتى ولو قبل المدخل العربي بعض هذه الكلمات، وانما ينبغي ان تكون لها مداخل مستقلة في اطار التّرتيب العام للمداخل الذي سيكون ألف بائيا بطبيعة الحال ويترتب على استقلالها بمداخل خاصة، أن لا نضع مثلا كلمة «سراط» بمعنى الطريق تحت المدخل «سرط» العربية كما فعل صاحب اللسان أو نضع كلمة «لجام» تحت المدخل (ل ج م) ولا كلمة جصّ تحت (ج ص ص) وهكذا، وإنما نفرد لها مداخل مستقلة، وهذا الاستقلال يحل

(49) انظر المعجم الوسيط 1/39، 1/52، 1/66، 1/71 على سبيل المثال.

لنـا بالضرورة مشكلة المشتق من المعرّب والدخيل من العائلة الهندية الأوروبية، حيث يمكن وضـــع المشتقـــات تحت المـداخـل المستقلة للكلمات وهي عادة لا تكون اكثر من مشتق أو اثنين أو ثلاثة على الاكثر.

وهنا قد نواجه مشكلة اخرى وهي أن كثيرا من هذه المشتقات غالبا ما يجري على صيغ وأوزان عربية، فهل نعد هذه المشتقات من المعرّب والدّخيل رغم ذلك ؟

لاشك أن وضع هذا المشتقات تحت المداخل الخاصة بالكلمات المعربة والدخيلة من اللغات الهندية الاوروبية سيبين بطبيعة الحال أنها غير عربية الأصـل، غير أننا يمكن أن نعدها أي المشتقات فقط من المولد أو المحدث حسب زمن دخول الأصل أو استعمال المشتق نفسه والشواهد على ذلك.

وهكذا فان الالتزام بوضع الكلمات العربية والدخيلة من هذه العائلة اللغوية في مداخل مستقلة سيترتب عليه أمران:

الأول ويتمثل في التفرقة الواضحة بين الكلمات العربية الأصل والكلمات المعربة والدخيلة من هذه الاسرة اللغوية التي لا تنتمي إليها العـربية بعكس الأسرة السـامية التي تنتمي اليهـا العربية وترتبط بها بأواصر لغوية وتاريخية.

والثاني وضع ما اشتق من هذا الأصل الاجنبي في صورته المعرّبة أو الدخيلة تحت مدخل يحدد أصله.

3 ـ المولد والمحدث:

يختلف هذا النوع من الألفاظ عن الالفاظ المعربة والدخيلة من حيث البنية. فأصـول المولد والمحدث عربية. وطبقا للتعريف الذي اقترحناه فإن المولد هو لفظ عربي الأصل طرأ عليه تغير دلالي إما مع بقاء اللفظ أو بالاشتقاق من أصل عربي لم يشتق منه العرب القدماء مثل هذا اللفظ، ومثـل ذلـك المحدث إلا أن الفرق بينهما تاريخي حيث يشير

مصطلح المولد الى ما ولد في العربية حتى بداية العصر الحديث في حين ان المحدث حتى اليوم.

وبناء على ذلك فان كلمات مثل: بهلول، التوقيع، الرقيع، العفص، القصف القطر (ماء السكر) المقامة، البابة، الجبرية، القدرية، التفسرة، العجة، الجوالي، الرجعة، الحاجب، الايقاع، السحارة، المزورة وغيرها من المولد ولها جذور ومداخل عربية أصيلة وسلسلة من المشتقات ومن ثم ينبغي ان توضع في مكانها التاريخي تحت المداخل العربية، مع شرح معناها وما طرأ عليها من تغير دلالي وزمنه وشواهده الى ما قبل العصر الحديث أي في مرحلة العربيّة المولدة ومرحلة العربية الوسيطة.

أما كلمات مثل: المذياع، المأمور، المدير، المشير، الطائرة، السيارة، الباخرة، القطار، القاطرة، المذيع، الاذاعة، المذياع، السفارة، الدبابة، الجريدة، المطبعة، الدولة، الحضارة وغيرها فمن المحدث، وهي أيضا كلمات ذات جذور عربية أصيلة وسلسلة من المشتقات، ومن ثم توضع تحت المداخل العربية مع شرح معناها الاصلي وما طرأ عليها من تغير دلالي وزمنه وشواهده في العصر الحديث.

وصفوة القول فان الكلمات المعرّبة والدخيلة من ناحية والمولّدة والمحدثة من ناحية أخرى لابد أن تخضع عند وضعها في المعجم التاريخي لما يلي:

1 ـ المعرب والدخيل من اللغات السامية:

أ ـ يوضع تحت المداخل العربية

ب ـ تذكر النظائر السامية

جـ ـ اذا ثبت دخول اللفظ من إحدى اللغات الساميّة يوضع أمامه مصطلح «معرب» اذا كان يجري على وزن عربي والا فهو «دخيل»

د ـ تحديد زمن دخول الكلمة واللغة السامية التي دخلت منها أو

اللغات التي توسطت بينها وبين العربية .

هـ ـ يحدد اذا ما كانت الكلمة باقية على دلالتها في لغتها أم تغيّرت الدلالة ومتى وشواهد ذلك . وهل ظلت تستعمل حتى الآن أم اختفت من الاستعمال ومتى .

2 ـ المعرب والدخيل من اللغات الهندية الأوروبية :

أ ـ يخصص لها مداخل خاصة وتعتبر حروفها كلها أصولا .

ب ـ تكتب الكلمة بحروفها الأصليّة

ج ـ اذا جرت على أوزان وصيغ عربية فهي من المعرّب والا فهي من الدخيل

د ـ توضع المشتقات منها تحت مداخلها المستقلة .

هـ ـ تحديد زمن دخول الكلمة واللغة التي دخلت منها أو اللغات التي توسطت في ذلك .

و ـ تحدد اذا ما كانت الكلمة باقية على دلالتها في لغتها الأصلية أم تغيرت الدلالة ومتى والشواهد على ذلك . وهل هي باقية في الاستعمال أم اختفت ومتى .

3 ـ المولد والمحدث :

أ ـ توضع تحت المداخل العربية

ب ـ يحدد المدلول الأصلي لكل كلمة مولدة أو محدثة

ج ـ تحدّد الدلالة المولّدة أو المحدثة والشواهد على ذلك .

د ـ تحدد طريقة التوليد بتغير الدلالة أو الاشتقاق أو النحت أو التركيب

هـ ـ تحديد زمن توليدها وهل ظلت مستعملة حتى الآن أم اختفت ومتى .

وفي كل الخطوات السابقة لابدّ من الاستعانة بالنصوص والشواهد الشعرية والنثرية وغيرها وبالتاريخ الحضاري والتطور

الفكـري والأدبي والاجتـماعي للغـة العـربيّة واللغـات الاخرى التي اقترضت منها العربية.

وبـذلـك يصبـح المعجم اللغوي التاريخي صورة صادقة للغة العـربية وخـاصة تيار المعرب والدخيل والمولد والمحدث داخل الثروة اللفظية لهذه اللغة.

حلمي خليل

بعض الاشكالات المنهجية الخاصة بالمعجم العربي التاريخي

بحث : الطيب البكوش

1 ـ تقديم :

1 ـ 1 : إن العلاقة بين اللسان الطبيعي واللغة البشرية تمثّل إحدى العلاقات الاساسية في اللسانيات الحديثة انطلاقا من نظريات فردنان دي سوسور[1] الذي يؤكد أن اللسان هو المظهر الاجتماعي من اللغة البشرية لانه يمثل كنزا مشتركا وإرثا جماعيا يتصرف فيه الفرد في مستوى ما ينجزه من حديث وخطاب تصرفا لا يستوفي مطلقا جميع إمكانياته ولا يزيده أو يغير منه شيئا الا في حدود ما تقتضيه هياكله وقواعده من ناحية، وحاجيات المجموعة التي تشترك فيه من ناحية اخرى.

1 ـ 2 : ولعل المعجم ـ أي مجموع الوحدات الدلالية أو اللفاظم ـ يمثل النظام الذي يبدو لأول وهلة أبسط ولكنه في الحقيقة أعقد الانظمة والهياكل التي تكوّن اللسان، فالهياكل الصوتية والقواعد النحوية تمثل بصفة عامة أنظمة مغلقة قابلة للحصر والوصف الشامل نسبيا. اما الهياكل المعجمية فانها تمثل نظاما مفتوحا شديد التغير قابلا

(1) ـ دروس في الالسنية العامة. تعريب صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة ـ الدار العربية للكتاب ـ تونس 1985.

باستمرار للزيادة والنقصان. هذا بالاضافة الى ثنائية الوحدات المعجمية المتكونة ضرورة من شكل ومحتوى أو دال ومدلول. هذه الثنائية، ولا سيما الوجه المدلولي منها، تجعل دراسة المعجم مرتبطة بدراسة المجتمع الذي يستعمل ذلك اللسان.

وعلى هذا الاساس فان تاريخ مدلول من المدلولات او ظهور كلمة او تطورها هو في نهاية الامر تاريخ جزء من حضارة المجتمع الناطق بذلك اللسان.

ولما كان ظهور وحدة من وحدات المعجم أو تغيرها مؤثرا بالضرورة في المجموعات المعجمية والهياكل التي ترتبط بها، فان تطور المجموعات المعجمية مرتبط بدوره بتطور الهياكل الاجتماعية[2].

1 ـ 3 : بيد انه من النادر جدا ان يبقى الناطقون بلسان من الالسن بمعزل عن غيرهم من الناطقين بلسان آخر. وان الاحتكاك الناتج عن الاتصال لا يمكن ان يبقى بدون اثر في اللغة. ومن البديهي ان تكون درجة التفاعل اللساني في تناسب ودرجة الاحتكاك البشري. ولذلك يمكن التأريخ لعلاقات الشعوب والدول من خلال مقارنة معجم ألسنتهم[3]. وإنه لا غضاضة على اي لسان من تبني الدخيل الذي لا يخلو منه لسان، ان لم نقل مع «فاقنر» إنه «لا يمكن لايّ لسان ان يطمح الى ان يكون لسان حضارة اذا ما اقتصر على رصيده الخاص»[4] فالدخيل الذي يندمج في هياكل اللسان المتقبل يصبح جزءا منه.

---

(2) ـ Dictionnaire et histoire du vocabulaire, R.L. Wagner في *Le Français moderne* عدد 3 جويلية 1970، ص 193 ـ 198.

(3) ـ نفس المصدر ص 197 ـ حيث يدعو الى تسجيل اكثر ما يمكن من ألفاظ المهاجرين الى فرنسا بتواريخها ومراجعها استعدادا لاحتمال استقرار البعض منها وتبني القاموس لها.

(4) ـ نفس المصدر.

1 ـ 4 : وعلى هذا الاساس فان جرد وحدات المعجم العربي بمستعمله وغريبه ومولّده ومعرّبه يمثّل جردا للحضارة العربية الاسلامية باكملها.

وان استغلال هذه المادة المعجمية لا يحقق اهدافه الا اذا تجاوز القائمات المشروحة شرحا لغويا تقليديا كما نجد في القواميس العربية المتداولة وارتقى الى مستوى القاموس التاريخي. بيد ان هذه التسمية لا تخلو من غموض، فهي تثير قضية تحديد الموضوع والمفاهيم التي يقوم عليها.

2 ـ قضية تحديد الموضوع والمفاهيم:

2 ـ 1 : تاريخ الكلمة = قصتها

ان المعجم التاريخي يمكن ان يفهم على انه معجم يضم قائمة من الكلمات لها قصة خاصة هي قصة حياة الكلمة منذ نشأتها وما عرفته من استعمالات وما حفّ بها من دلالات وما طرأ عليها من تغييرات. بل يمكن الخروج عن حدود اللسان الذي تنتمي الكلمة الى نظامه لملاحقة الكلمة في رحلتها عبر الزمان والمكان الى ألسنة اخرى. هذا النوع من المعاجم ليس قاموسا بقدر ما هو قصة حياة مجموعة من الكلمات المحدودة، إذ ليست الكلمات جميعا لها قصة معروفة تستحق الذكر، ولا نعرف في العربية تأليفا من هذا النمط بينما عرفت بعض اللغات الاخرى في السنين الاخيرة مؤلفات من هذا القبيل[5].

2 ـ 2 : تاريخ الكلمة = تأريخها

ويمكن ان نفهم ايضا من المعجم التاريخي الجانب التأريخي المتمثل في ذكر تواريخ الكلمات من حيث ظهورها في نظام لسان من خلال استعمالاتها الاولى.

---

(5) ـ نذكرمنها على سبيل المثال في الفرنسية:

Gilles Henry, *Dictionnaire des mots qui ont* une histoire, Tallandier 1989, 272 p.

ومن البديهي ان ظهور كلمة من الكلمات في نظام لسان من الالسن يسبق في اغلب الاحيان الاستعمالات المسجلة، اذا استثنينا المصطلحات الفنية التي كثيرا ما يسبق استعمالها دخولها النظام اللغوي بعكس الكلمات العادية.

لذلك فان التواريخ التي نجدها في قواميس الالسن الاوروبية لا تعدو أن تكون في كثير من الأحيان **تواريخ نسبية تقريبية** تسجل اول استعمال **مكتوب**، بينما المقول أسبق من المكتوب. بيد أن ذكر تاريخ مضبوط (سنة ظهور الكلمة مثلا) مهما كانت نسبيّته، يمثل احد العناصر الاساسية في تحديد الكلمة لانه يمكن من معرفة اتجاه الاشتقاق مثلا.

فاتجاه الاشتقاق ليس قارا وانما يتغير. فقد يشتق الاسم من الفعل كما يمكن ان يحدث العكس:

باع ← مبيع

خيمة ← خيّم

وقد تتواجد الاتجاهات المتقابلة في نفس المادة:

سَمَر ← مِسمار ← مَسمَر

لذلك يمكن أن نقول إن ضبط التواريخ من العمليات الاساسية في المعجم التاريخي.

لكن التواريخ وحدها غير كافية في تحديد الكلمة لان التحديد عملية معقدة تتطلب تجميع عديد المعطيات انطلاقا من الاصل. ويمكن ان نسمي عملية التأصيل **تأثيلا**[6]. وهو ما يمثّل البعد الثالث الاهم في المعجم التاريخي.

2 ـ 3 : تاريخ الكلمة = تأثيلها

2 ـ 3 ـ 1 : ولما كان المعنى اليوناني الاصلي للكلمة الفرنسية هو

---

(6) ـ Etymologie

«حقيقي»[7]، فان هذا المنهج اللساني يتمثل في الاصل في معرفة المعنى الحقيقي للكلمة اي المعنى الاصلي. وهو ما تدل عليه في العربية صيغة «التأثيل» اي الرجوع الى الاصل الاصيل.

2 ـ 3 ـ 2 : ويدل مفهوم «التأثيل» في اللسانيات الحديثة على فرع من فروع اللسانيات موضوعه دراسة نشأة الكلمات من حيث الزمن ومن حيث العلاقة بين الصيغة الاصلية والصيغة الفرعية المشتقة منها سواء أكان التفرع صرفيا، أي ظهور صيغة جديدة، أم دلاليا، اي ظهور معنى جديد. ومن هذا المنطلق فان التأثيل من ناحية **عملية لسانية** تعتمد المقارنة بين الصيغ والدلالات لتمييز **الاصول والفروع**، ومن ناحية اخرى **عملية تاريخية حضارية** لانها تستعين بدراسة المجتمعات والمؤسسات وسائر العلوم والفنون للبت في القضايا اللسانية بالاضافة الى مقارنة الالسن لمعرفة أنسابها وأنماطها لأن اللسان الذي يكون فرعا تكون ألفاظه فروعا.

2 ـ 3 ـ 3 : فالتأثيل اذن علم يأخذ من كل العلوم وينفتح عليها جميعا فتأخذ منه بدورها، اذ لا فرق في نهاية المطاف كبيرا بين دراسة الاشياء من خلال اللسان او دراسة اللسان من خلال معرفة الاشياء التي يعبر عنها اللسان.

وان تشابك مختلف العلوم في عملية التأثيل يجعل منه عملية دقيقة تتطلب غزارة علم وحصافة رأي وشمول نظر. كما ان تشابك عديد اللغات في هذا الاطار قد جعل البعض يقترح لها «فريقا عالميا يعمل باشراف خبير»[8].

2 ـ 3 ـ 4 : ولقد تطور هذا العلم في اتجاهات ثلاثة[9] قائمة على ثلاث منهجيات:

---

(7) ـ Etumos

(8) ـ P. Imbs : Au seuil de la Lexicographie *Cahiers de Lexicologie* عدد 2 ـ 1960، ص 3 ـ 17.

(9) ـ P. Guiraud; *L'Etymologie* Que sait-je? عدد 1122 ـ ط. 1964/1969 ـ ص 8.

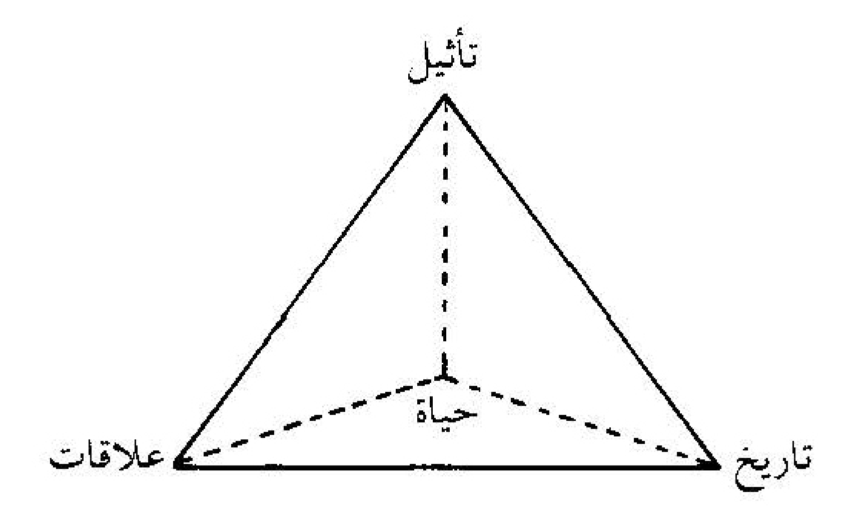
أ ـ **المنهجية الصوتية التاريخية**، المتولدة عن النحو المقارن الذي طبع الدراسات اللسانية في اوروبا في أواسط القرن الماضي. وهي تتميز أساسا بالاعتماد على القوانين الصوتية في درس الظواهر اللسانية.

ب ـ **المنهجية المعجمية التاريخية** التي بدأ تطبيقها بتأثير الهيكلية منذ قرابة نصف القرن في الغرب. وهي لا تقارن صوتيا ظواهر مفردة كالسابقة وانما تقارن جميع الصيغ وجميع الدلالات التي تشترك في صفات تجعل منها مجموعة متميزة.

كما تتميز هذه المنهجية بالتركيز **على العوامل الخارجية** كالزمان والمكان والمرجع وما اليها من ظروف التسمية المتحكمة في نشأة الكلمة المدروسة.

ج ـ **منهجية التحليل الداخلي**، وهي الأخيرة والأحْدَث، وهي لا تُلْغِي ما سبق وانما تكمل دراسة العوامل الخارجية اي التاريخية بدراسة الصيغ داخليا في صلب النظام اللساني وذلك بتحديد مكانة الكلمة وعلاقاتها في النظام اللساني في نفس الوقت وكذلك في إطار الظرف التاريخي.

وهكذا فإنّ **تأصيل الكلمة يمثل قمة هرم ثلاثي تمثل قاعدته**: تاريخ الكلمة وحياتها وعلاقاتها.



2 ـ 3 ـ 5 : ان التـاريخ بحكم تأثيره في حياة الكلمة وعلاقاتها بغيرها في النظام اللساني، يثير عدة قضايا من أهمها:

أ ـ **تحديـد الدلالة الاولى للكلمة** في الفترة التي دخلت فيها نظام اللغة لاول مرة. هذه العملية كثيرا ما يكتنفها الغموض إذا لم يتوفر ما يكفي من القرائن لذلك تبقى المقاربة الاساسية في هذا المجال قائمة على مقـارنـة الـدلالة المعنية بالدلالات السابقة واللاحقة مباشرة اي الحالات الاقرب زمنيا من قبل ومن بعد.

ب ـ **تحديد طبيعة التغير الدلالي عبر الزمن**، هذه القضية تسعى نظرية التطور اللسانية الى معالجتها بجعل كل تغيير مهما كان نوعه قائما أساسا على تغير العلاقات وبالخصوص علاقات التقابل من الناحيتين الزمانية والآنية. فتغير علاقات التقابل **زمانيا** يحدث بين دلالة سابقة ودلالة لاحقة، اما **آنيا** فانه يحدث في صلب النظام بحكم تواجد عدة دلالات.

لذلك لا يكفي تسجيل ظهور دلالة من الدلالات وإنما يجب تسجيل استقرارها الى جانب دلالة جديدة لاحقة وذلك لاهمية الترابط بين الدلالات، ولان الدلالة الجديدة كثيرا ما تستمد قيمتها ومردودها من الدلالة السابقة[10].

2 ـ 3 ـ 6 : ويتبين لنا مما سبق ان علم التأثيل الحديث يقوم على ضربين من التحليل متقابلين[11].

أ ـ التحليل الأول زماني، إذن تأريخي، يعتمد عناصر خارجية يحلل بمقتضاها قضايا اصل الكلمة وتطورها شكلا ومحتوى.

---

(10) ـ Imbs ص 8.

(11) ـ P. Guiraud *Structures étymologiques du lexique français* Larousse, 1967
ص 5 (Self)

ب ـ **التحليـل الثـاني آني، اذن نظامي** يعتمـد العناصر الداخلية المكونة لهيكل اللسان من حيث علاقاتها في صلب النظام اللساني.

هذان التحليلان المتقـابـلان لا يتناقضان الا في الظاهر، وانما يتكاملان لان الكلمة تمثل في الحقيقة أثرا من آثار ضغط التاريخ على نظام اللسان. فلا التاريخ وحده يكفي ولا النظام وحده يكفي لتفسير كلمـة او تعليلهـا نشأة ودلالة وتطوّرا، وانما يتم ذلك بفضل تلاقيهما ومفعولهما معا.

فالـدلالـة الكـامنـة بالقوة في النظام اللساني تحتاج الى حدثان التاريخ لتُحقَّق وتُنجز[12].

وإن ما عبر عنه سوسور باعتباطية الدليل، اي اعتباطية العلاقة الدلالية بين الدال والمدلول انما تكمن من الناحية التأثيلية في العلاقة الفـردية بين الأصل والفرع، اما العلاقة بين المجموعات والأصناف المعجمية فانها لا تكون اعتباطية وانما هي قابلة للتعليل لان كل مجموعة تتكوّن من سلسلة الكلمات ذات الصفات المشتركة صرفيا ودلاليا.

ويتبين لنا إذَن أن المنهج التاريخي في نهاية المطاف ليس تاريخيا محضا وانما تلتقي فيه المقابلات الزمانية والمقابلات الآنية بشكل يدعم في ظاهر الامر على الاقل نزعة اللسانيات الهيكلية الى إخضاع الزمانية للآنية.

لكن الحقيقـة ان **الحـركيـة اللسـانية** هي التي تجعل التناقض الظاهري بين الزمانية والآنية ينتفي او يتحيّد بالتقائهما على صعيد مبدإ التقابل بين العناصر اللسانية.

ويمكن ان نقول ان المنهجية الهيكلية قد أفادت كثيرا علم التأثيل واستفادت منه حين توصلت في النهاية الى حل اشكال التناقض بين المفاهيم الاساسية المتقابلة:

---

(12) ـ نفس المصدر، ص.6.

الزمانية / الآنية
التاريخ / النظام
التعليل / الاعتباط الخ . . .

وعلى اساس هذا التحليل لا يبقى في نظرنا اختلاف جوهري بين مفهومي المعجم التاريخي والمعجم التأثيلي. فالمهم ليس التسمية في حدّ ذاتها وانما هو التحديد وتوضيح المحتوى المقصود.

3 ـ القضايا النظرية والمعجمية المتعلقة بالمعجم التاريخي

ان قضـايا تحديد المـوضوع والمفاهيم الاساسية تقودنا حتما الى معالجة القضايا النظرية والمنهجية المتعلقة بالمعجم التاريخي.

3 ـ 1 : أهم القضايا النظرية :

3 ـ 1 ـ 1 : اذا كان لكـل كلمـة تاريخها كما رأينا، فان هذا التاريخ يبقى نسبيا لانه مقيد بالكلمات الاخرى التي ترتبط بها الكلمة المعنية شكـلا ودلالـة. وانه لدور المعجم التاريخي أن يشعر القارىء أن الكلمـة ليست منعـزلة وانما تشتغل وتتطور ضمن مجموعة. فكل كلمة في اللسان تستمد كما راينا قيمتها من علاقاتها بغيرها في النظام مركّبيّا وجريديا[13].

إن إشعار القارىء بذلك هام لان الكلمات تتجمع في الذاكرة في شكل **شبكات معجمية متعددة**[14]. وهذا التشابك مزدوج اذ يمكن للكلمـة الـواحدة التواجد في عدة شبكات حسب نوع العلاقة سواء أكانت دلالية أم صرفية أم صوتية، لانها تحدّد تباعا المجالات الدلالية والاسلوبية والصرفية والصوتية وغيرها من العلاقات.

(13) ـ على التوالي paradigmatiquement, syntagmatiquement
(14) ـ Imbs ص 6

3 ـ 1 ـ 2 : وان هذا التشابك في العلاقات هو أحد العوامل الأساسية في **تعدد الدلالات** بالنسبة الى الكلمة الواحدة. وهذا التعدد يمثل بدوره مظهرا من مظاهر التطور.

ويكفي ان نقارن في هذا الصدد بين معاني **قطار** او **قنبلة** في العربية قديما وحديثا لنتبين مدى التطور الحاصل فيهما. وهكذا فان الدال الواحد كثيرا ما تتفرع عنه عدة وحدات معجمية ذات حافات متباينة تزيد من حركية اللسان معجميا.

3 ـ 1 ـ 3 : كما تثير الحركية المعجمية قضية مكانة الكلمة في النظام اللساني والانجاز الخطابي انطلاقا من المقابلة السوسورية بين اللسان من حيث هو نظام والحديث[15] من حيث هو خطاب منجز في حدود النظام.

وفي هذا المجال يعتبر «قيّوم» ان **الدليل اللساني** واسطة بين ما يسميه **المدلول بالقوة** في اللسان **والمدول بالفعل** في الخطاب.

إن هذا الثالوث يكاد يتطابق مع ما يسميه «هيلمسلاف» تباعا **الهيكل والاستعمال والنص**.

هذه المستويات الثلاثة تحدد المعجم القائم بدوره على ثالوث مواز يتركب بدوره من النظام والقاموس والنص، وبذلك يكون القاموس «مجموع استعمالات كل كلمة في النصوص»[16].

أما النظام المعجمي فانه مازال في حاجة الى البناء، وان ما يوجد حاليا من بحوث في جميع اللغات انما هي محاولات هامة ولكنها لم تبلغ بعد الهدف المتمثل في ضبط جميع أصناف الكلمات وتعريفها بعلاقاتها في النظام اللساني المدروس. **فالخطاب لا ينجز الا جزءا من النظام**. ويكاد يكون من المستحيل ان يستوفيه، فهو يتوسع في نطاقه دون ان يبلغ جميع حدوده.

---

(15) ـ parole/langue

(16) ـ P. Guiraud- *SELF*
ص 190

ولما كان الهيكل المعجمي لا يحقق الا جزءا من الهيكل العام في اللسان فان التاريخ هو الذي يتولى سدّ الشغور طبقا لحاجات المجتمع الظرفية دون ان يستوفيها كذلك لان إمكانيات النظام اللساني لا حدّ لها[17].

يتضح لنا إذَن مما سبق ان عملية تشخيص المجموعات المعجمية وضبطها هي التي تمكن من تأثيل الوحدات المعجمية والوصول الى بناء أنماطية **الاستحداث المعجمي** وقوانينه[18].

3 ـ 1 ـ 4 : وتتبع عملية التشخيص والضبط عملية ترتيب الوحدات المعجمية في صلب النظام اللساني.

إن المعجم في اي لسان، لا يتكون كما قد يتبادر الى الذهن لاول وهلة من قائمة كلمات[19] وانما من قائمة مجموعات او أصناف من الكلمات ذات مستويين:

مستوى صرفي يهم الدوال ومستوى دلالي يهم المدلولات.

ويتضمن كل صنف مجموعة من الكلمات تشترك في خصوصيات صرفية وخصوصيات دلالية.

فالاصناف تتحول في مستوى حركية المعجم الى قوالب قياسية صالحة للاستحداثات الممكنة او المحتملة، وهو ما يجعل الكلمة تستمد قيمتها الاساسية من علاقاتها ومكانتها في النظام المعجمي اكثر مما تستمدها من أصلها وتاريخها اللذين كثيرا ما ينسيان.

فالعلاقة الاشتقاقية مثلا بين الاصل والفرع هي أساس العلاقة الدلالية بين الدال والمدلول.

ان هذه الحركية توضح كذلك التفاعل بين الاصل والدلالة

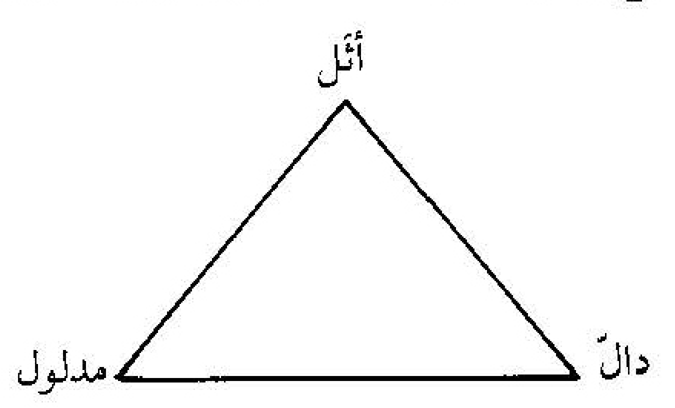
---

(17) ـ لنقارن على سبيل المثال بين مفهومي «المستعمل» و«المهمل» في نظرية الخليل بن احمد العبقرية في كتاب العين.

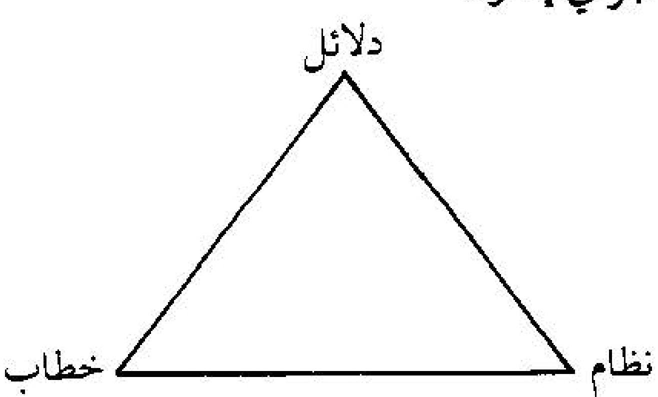
(18) ـ Guiraud ، المصدر السابق ـ ص 189

(19) ـ مفاتيح الالسنية لجورج مونان، تعريب الطيب البكوش ـ تونس 1981 ـ ص 70

وتؤكد تبعا لذلك التكامل بين الآنية والزمانية . فالاصل الاشتقاقي وهو **الأثل**[20] يصبح بمثابة الطرف الثالث الوسيط بين الدال والمدلول[21] .



3 ـ 1 ـ 5 : اما الدلائل الحاصلة باتحاد الدوال والمدلولات[22] والتي يتكون منها المعجم فانها تتوسط بدورها العلاقة بين النظام اللساني والخطاب المنجز في إطاره :



ويلخص «ڤيرو» تلخيصا جيدا هذه العلاقة الثلاثية بقوله : «**ان الخطاب يستحدث الكلمات بواسطة موادّ يمدّه بها التاريخ فيستعمل هذه الكلمات بحكم حاجيات عرضية ولكن طبقا لنظام قوالب معجمية**»[23] .

---

(20) ـ Etymon

(21) ـ Guiraud ، المصدر السابق ـ ص 196

(22) ـ انظر نظرية سوسور حول الدليل اللساني، المرجع المذكور سابقا

(23) ـ Guiraud ، المصدر السابق ـ ص 202

ويتضح من هذا القول تواجد العوامل الداخلية والخارجية في استحداث الكلمات. فالتطور الذي يطرأ على الدال نتيجة التغيرات الصوتية وعلى المدلول نتيجة التغيرات المرجعية يمثل مقياسا تأثيليا أساسيا ولكنه مقياس خارجي بالنسبة الى النظام اللساني. اما التغيرات التي تحدث في مستوى العلاقات القائمة بين الدلائل فانها تمثل مقاييس داخلية في صلب النظام اللساني.

فاذا كانت كلمات الحكاية من الصنف الداخلي إطلاقا، فان الكلمات الدخيلة هي أساسا من الصنف الخارجي، إلا أنها يمكن ان تندمج بسهولة اذا تلاءمت مع الهياكل الداخلية في النظام اللساني كما هو الشأن في مثل مناورة[24].

فاذا كانت المشتقات تندرج ضمن التأثيل الداخلي، فان المعربات والدخيل عموما تندرج مبدئيا ضمن التأثيل الخارجي، لكنها يمكن ان تجمع بين الاثنين في حالات الاندماج المثلى[25] التي تفسر استقرار بعض الالفاظ الدخيلة في نظام اللسان. ولعل حالة الاندماج المثلى هي خضوع الدخيل لعملية الاشتقاق مثل فلسفة قديما ومعاني الطيران حديثا، او مثل دوش في الدارجة التونسية، الخ.

3 ـ 2 : أهم القضايا المنهجية :

3 ـ 2 ـ 1 : ان المعجمية الحديثة تتجاذبها اليوم منهجيتان :

أ ـ الاولى قائمة على جرد واسع للنصوص وهي المنهجية المتبعة لانجاز «كنوز اللسان الفرنسي»[26] هذه المنهجية تعتمد أساسا على الجانب التاريخي.

---

(24) ـ manœuvre

(25) ـ الطيب البكوش، اشكاليات اندماج الدخيل في المعجم، مجلة المعجمية عدد 3، 1987 ـ ص 14 ـ 60.

(26) ـ يمثلها خاصة Wartburg

ب ـ والثانية، هيكلية تعتمد أساسا **البحث عن المناويل**.

بيد ان المنهجيتين لا تتناقضان في الواقع وإنما تتكاملان لان التاريخ هو الذي يكمل نقائص الهيكلية على أساس ما سبق أن رأينا من تكامل بين الآنية والزمانية.

3 ـ 2 ـ 2 : وبفضل هذا التكامل يمكن معالجة قضية **التعريفات القاموسية** في المعجم التاريخي بامكانيات اكبر وأنجع.

3 ـ 2 ـ 2 ـ 1 : ان الوظيفة الاساسية للتعريف القاموسي تتمثل في ضبط المحتوى الادنى المشترك بين جميع المستعملين وهو المميّز للكلمة عن غيرها.

نقول «الأدنى» لان محتوى الكلمة يختلف باختلاف المستوى الثقافي لدى المستعملين للقاموس.

فالتحديد الاساسي يمثل في شكل جملة نعتية معادلة بين طرفين متقابلين هما المعرَّف والمعرِّف. لكن القاموسيين كثيرا ما يختصرون العملية باللجوء الى الترادف رغم ندرة الترادف المطلق. هذا فضلا عن مظاهر السطحية في بعض القواميس العربية المتمثلة في ترديد عبارة «معروف» وخاصة لبعض انواع الحيوان والنبات. فاذا لم يكن التعريف اوضح من الكلمة المشروحة لدى القراء على اختلاف درجاتهم الثقافية فانه يخل بوظيفة التعريف والشرح.

3 ـ 2 ـ 2 ـ 2 : لكن تحديد الكلمة يتغير حسب الظرف والسياق، لذلك يتطلب التعريف تحديدا مسبقا لهما. فالسياق الثقافي والحضاري من العناصر المكونة للتعريف لانها تغير محتواه، ذلك ان تاريخ الكلمة أصلا ومسارا يترك لا محالة بعض الاثر في الدلالة الآنية. ولهذا كان المنطلق في عملية الرجوع الى الاصل متمثلا في تبين البقايا والآثار الدالة على الاصل.

3 ـ 2 ـ 2 ـ 3 : وفي هذا الصدد تكمن الصعوبة الكبرى في

تحديد الفاصل الذي يجعل الكلمة تتغير وتصبح كلمة أخرى. فكيف يمكن إذَن **التوفيق بين التواصل الزماني والتفاصل الدلالي؟** ذلك ان التفاصل الدلالي كثيرا ما يتدرج عبر الزمن من التفاصل الجزئي الى التفاصل التام فيؤول الى ميلاد كلمة جديدة شكلا او محتوى[27]. فالإشكال يتمثل في ان مقاييس التحديد ليست دائما موضوعية وانما هي كذلك نفسية ارتسامية.

ويقترح «أمبس»[27] في هذا المجال مقياسين:

أولهما مقياس مخلفات الصورة الاساسية

وثانيهما **مقياس قابلية الاستبدال بين المترادفات** رغم انه مقياس نسبي لان المجالات الدلالية بين المترادفات يندر ان تكون متماثلة.

3 ـ 2 ـ 2 ـ 4 : وبالاضافة الى ما سبق كثيرا ما يرجع التعدد الدلالي الى تعدد اللهجات الجهوية او المحلية او حتى الاجتماعية والمهنية، ولهذه اللهجات اهمية كبرى في الدلالة على واقع اللغات الرسمية او الثقافية التي تتأثر حتما باللهجات.

هذا الجانب من الموضوع يجعل القاموس التاريخي بالضرورة قاموسا جغرافيا كذلك.

وإذا أضفنا الى ذلك إمكانيات مقارنة الكلمة بمقابلها في اللغات القريبة (العربية واللغات السامية مثلا) او في اللغات التي يمكن ان تكون الكلمة قد انتقلت منها او عبرها، فان القاموس التاريخي يكتسب بالاضافة الى البعد الجغرافي بعدا موسوعيا لانه يعادل حينئذ الموسوعة اللغوية.

ونأخذ على سبيل المثال كلمة بازار الفارسية وكيف مرّت عن

---

(27) ـ Imbs المصدر المذكور أعلاه

طريق العربية والتركية الى الفرنسية مثلا ومنها الى العربية التونسية مع اختلاف دلالي واضح (استهجان في الفرنسية واستحسان في التونسية).

فالتعريف القاموسي الذي يبدو لاول وهلة مسألة بديهية، يمثل في الواقع من الناحية المنهجية قضية دقيقة ذات بعد موسوعي، يزيدها تعقيدا غموض مفهوم الكلمة[28] التي لا تمثل دائما وحدة معجمية دنيا وانما تمثل في جل اللغات وفي أكثر الاحيان مركبا من اللفاظم[29].

3 ـ 2 ـ 3 : ومن النتائج المنجرة عن تغير محتوى الكلمة حسب الظرف والسياق **اختيار الشواهد** لتوضيح محتوى الكلمة في سياقها. وتثير الشواهد عدة قضايا اخرى نحوية وتركيبية بالخصوص تزيد من تشابك المسائل لان الشواهد تقحم الكلمة في شبكات تركيبية من جهة وفي شبكات دلالية من جهة اخرى.

بيد ان علاقات الكلمة داخل الشبكات الدلالية تبقى اهم من علاقاتها داخل الشبكات التركيبية من وجهة النظر المعجمية والقاموسية. ومن الشواهد صنف متميز يحتاج الى عناية خاصة وهو صنف العبارات الاصطلاحية او الجامدة التي قد تتخذ شكل الفرائد والامثال، فهي في الغالب عبارات قديمة تتجمد في قوالب قديمة كثيرا ما يكون لها دور هام في عملية التأثيل.

3 ـ 2 ـ 4 : وقد يرى البعض ايضا ضرورة ذكر **التواتر** في المعجم التاريخي باعتبار التواتر عنصر تقييم هام لتطور الكلمة في المعجم. لكن ترتيبا على اساس التواتر قد يتناقض مع الترتيب التاريخي لان الالفاظ الاكثر تواترا ليست بالضرورة اقدم[30]. وفي هذا تضارب بين مقتضيات الآنية ومقتصيات الزمانية.

---

(28) ـ A. Martinet, *Eléments de linguistique Générale*, C.A.C, ط 3. 1963 ـ ص 112 ـ 115 حول اشكالية «الكلمة».

(29) ـ monème على سبيل المثال الوحدة الصرفية الدخيلة من التركية «جي» الدالة على المهنة خاصة، يمكن عزلها وتأثيلها في معجم عربي تاريخي

(30) ـ Imbs، نفس المصدر

4 ـ إمكانيات توظيف التراث المعجمي العربي في إنجاز المعجم التاريخي :

4 ـ 1 : ان التراث المعجمي العربي لا غنى عنه لانجاز المعجم التاريخي لانه يتضمن مادة ثرية . لا بما يقدمه من شروح ومعان فحسب وانما بما يتضمنه ايضا من شواهد، خاصة ان جلها قديم، نثرا وشعرا وأمثالا، ومن ملاحظات هامة حول اختلاف اللهجات وحول الغريب والفصيح واللحن والمعرب، الخ .

4 ـ 2 : ومن أهم منجزات المعجمية العربية وأقدمها، **كتاب العين** للخليل بن احمد الفراهيدي الذي طبق منذ بداية القرن الثاني للهجرة على المعجم العربي نظرية طريفة قائمة على مقابلة بين الصيغ النظرية الممكنة الكامنة في هياكل اللسان العربي بالقوة، والصيغ المنجزة بالفعل . وهي النظرية التي مكنته من جرد ما سماه «المستعمل» في مقابل «المهمل» الذي يمثل إمكانيات العربية غير المستعملة معجميا، فهي بمثابة الرصيد الاحتياطي . وقد أفادت هذه النظرية «ابن جني» في التعمق في تحليل الاشتقاق ونعتقد ان نظريته تفيد كثيرا في المعجم التاريخي لانها تنبني على تحليل علاقات داخلية في نظام اللغة لم يعن بها غيره نفس العناية .

4 ـ 3 : كما ان المعاجم الاصطلاحية مثل التعريفات «لابي الحسن الجرجاني» (ق. 8ـ9هـ) هامة جدا لتدقيق المفاهيم في الميادين العلمية .

وتتصل بها معاجم الفروق مثل «الفروق في اللغة» لابي هلال العسكري (ق. 4هـ) وهي المعاجم التي تعنى بتدقيق المعاني وضبط حدود المجالات الدلالية بين الكلمات خصوصا ان بعض كتب فقه اللغة[31] تنزع الى تجميع الكلمات في مجموعات تبدو كانها مترادفة .

---

(31) ـ مثل فقه اللغة للثعالبي وغيره

4 ـ 4 : ورغم ان اهتمام العرب **بالدخيل** من خلال جمع **المولّد** قد كان سلبيا في الغالب بمعنى انه لم يدرس لذاته وانما درس من حيث مقابلته للفصيح، فان ما تركوه لنا مثل معرب الجواليقي (ق. 5ـ6هـ) لا غنى عنه ايضا في المعجم التاريخي لان جميع المستحدثات المعجمية تمثل الارصدة الاضافية بحكم تطور الحياة الاجتماعية والتوسع العمراني والحضاري من حدود الحضارة العربية البدوية أساسا الى حدود الحضارة العربية الاسلامية المدنية.

4 ـ 5 : ويمكن ان نعتبر ما تركه اللغويون العرب في موضوع **الغريب** من ناحية ـ وهو يمثل الرصيد المتقادم الذي خرج أو أخذ يخرج من الاستعمال ـ وفي موضوع **اللحن** من ناحية اخرى، دليلا على بداية الشعور بالتغيير اللساني الذي لم يكن يُنظر اليه في الغالب بمنظار التطور وانما بمنظار الفساد المخل بالفصاحة وسلامة اللسان. فهو إذَن يوصف ليقاوم ويجتنب.

ونلاحظ في هذا الصدد ان كتب اللحن بنوعيها، اي لحن الخاصة ولحن العامة تثير قضايا اخرى بالاضافة الى التطور، منها قضية تعدد اللهجات وتداخلها ومنها تفاعل العربية واللغات الاعجمية وتأثر العرب بالاعاجم وتأثر عربية الاعاجم بلغاتهم الاصلية.

4 ـ 6 : ولا يمكن المعجم التاريخي ان يهمل المعاجم التكميلية التي اعتنت بما أهملته المعاجم التقليدية. ونخص بالذكر معجم دوزي[32] الذي يأخذ عن الدارجات ايضا ما سجلته كتب المؤرخين والجغرافيين والرحالة وغيرهم من كلمات تعبر عن مظاهر من الحياة اليومية تتميز بحيويتها وتجددها المتواصل.

---

(32) ـ R. Dozy *Supplément aux dictionnaires arabes*. Leyde. Brill 1881

4 ـ 7 : اما اليوم فان **لغة الصحافة** قد أصبحت مصدرا زاخرا مفعما بالكلمات والمعاني الجديدة استحداثا وتوليدا أو نسخا وتعريبا. هذا بالاضافة الى **المعاجم الاصطلاحية** الحديثة المختصة وما وضعته المجامع ومؤسسات البحث وما ذيل به المترجمون معرباتهم في جميع مجالات المعرفة العصرية.

وفي هذا الصدد يمثل تعدد المقترحات من قطر عربي الى آخر ومن باحث الى آخر عنصر ثراء من ناحية وفوضى من ناحية اخرى مما يتطلب **عملية تنميط وتوحيد** ضرورية لانجاز المعجم العربي التاريخي.

وقد لا نبالغ اذا قلنا ان الجهود التي بذلها المعجميون العرب باعتبار ما يتوفر لديهم اليوم من إمكانيات بشرية ومادية وعلمية قد بقيت نسبيا دون الجهود التي بذلها الاسلاف. بل انهم في بعض الاحيان قد عرقلوا من حيث لا يعلمون التطور اللغوي العظيم الذي عرفته العربية منذ عصر النهضة وخاصة في القرن الاخير. فالاسلاف قد أسسوا ولا يمكن ان نطلب منهم اكثر مما قدموا. اما اليوم فان من حق العربية ان تطلب اكثر مما انجز رغم أهميته.

5 ـ القضايا المتصلة بوسائل الانجاز العملية

5 ـ 1 : بالاضافة الى ما سبق ذكره من استغلال علمي شامل للتراث المعجمي العربي، يقتضي إنجاز المعجم التاريخي عملا جديدا **توثيقيا** يتميز بالجماعية والشمول. هذا العمل يتطلب فرقا توثيقية دائمة على غرار الفرق التي تعمل في خدمة قاموس اكسفورد الانكليزي او كنوز اللسان الفرنسي.

5 ـ 2 : ويمكن ان يتم العمل التوثيقي في اتجاهين أساسيين.

* اتجاه ضبط **بيليوغرافيا** لجميع الاعمال المعجمية العربية الى اليوم
* واتجاه **جرد النصوص** موزعة على اهم الفترات التاريخية طبقا لخطة يضبطها فريق من الخبراء، على ان تتم **حوسبة** حصيلة هذه الاعمال الجبارة اي خزنها في الذاكرات الآلية وذلك باستغلال جميع امكانيات

الاعلاميات التي لا تنفك تبهرنا كل يوم بامكانياتها الهائلة المتطورة.

5 ـ 3 : كما يمكن دعم هذه الاعمال المتواصلة بتوجيه جزء هام من البحوث الجامعية اللسانية في الاقطار العربية في نفس الاتجاه لاثراء العمل نظريا ومنهجيا.

5 ـ 4 : ويقوم فريق من الخبراء الذين يمثلون حلقة الوصل بين الموثقين والمعجميين باستغلال الوثائق المجمعة وترتيب المادة الحاصلة حتى يمكن:

أ ـ **ترتيب الكلمات هجائيا** وهو ترتيب شكلي في مستوى الدوالّ.

ب ـ **ترتيب معاني الكلمة** حسب ظهورها تاريخيا وهو ترتيب المدلولات مع تواريخ ظهور المعاني ومع إبراز تواصل المعنى او انقطاعه او انزلاقه، الخ.

5 ـ 5 : وقد يرى البعض ان وضع المعجم التاريخي يتطلب البدء بوضع **معاجم آنية** لاهم الفترات التاريخية، تصف اللسان العربي في فترة زمانية معينة من تاريخه، كأن نضع معجما لعربية الجاهلية وآخر لعربية صدر الاسلام وآخر للعصر العباسي حتى نصل الى اليوم.

لا شك ان مثل هذه المعاجم عظيمة الفائدة ومازالت العربية تفتقر اليها. ولكننا لا نعتقد انه يجب انتظار انجازها مسبقا اذ نخشى ان يطول انتظارنا وقد طال بعد. وانما نعتقد انه يمكن إنجازها بصفة موازية لإنجاز المعجم التاريخي على أن يعدّل المعجم التاريخي باستمرار كلما تم التقدم في إنجاز المعاجم الآنيّة.

5 ـ 6 : ومن القضايا العملية الدقيقة في مستوى الانجاز، قضية التنسيق بين المؤلفين نظرا لارتفاع عددهم وتباين أساليبهم في معالجة المواضيع، وهو أمر يتطلب ضبط منهجية موحدة دقيقة وتوفير هيكل إشراف في قمة الهرم اذا تعددت فرق العمل.

5 ـ 7 : ومن البديهي ان عملا ضخما كهذا يتطلب من البشر ما يكفي عددا وعدة لانجاز التوثيق والترتيب والخزن والحوسبة ثم التاليف والتحرير. كما يتطلب مقرا دائما يليق بهذا العمل وميزانية قارة تليق بهذا

المشروع الحضاري الذي يجب ان لا يغيب عن الاذهان انه عمل لا ينتهي لانه تاريخي يتجدد بتجدد اللسان وتطوره[33].

وفي الختام يمكننا التأكيد على الملاحظات التالية :

1 ـ ان المعجم التاريخي يجب ان يكون **أشمل ما يمكن**. فلا يهم الحجم اذ يسهل بعد ذلك استخراج معاجم مختصرة أو مبسطة حسب الحاجة وحسب المستوى الذي يتوجه اليه.

2 ـ ان متانة الروابط بين اللسانيات والمعجمية والقاموسية والاعلامية وعلاقة المعجم التاريخي بشتى المعارف الاخرى يتطلب من مؤلفي المعجم التاريخي ان لا يكونوا مجرد لغويين وانما يحتاجون الى ثقافة موسوعية يندر ان تتوفر اليوم في الفرد. ولذلك يعوض هذا النقص **بالعمل الجماعي** المتعدد الاختصاصات الذي تبقى المعجمية محوره وتمثل العلوم الاخرى روافده.

3 ـ ان المعجم التاريخي في حاجة الى ان يقع دعمه بدراسات متعددة الجوانب بما فيها الدراسات اللهجية. ولا غضاضة في القول بان العربية مازالت في حاجة الى الكثير من الدراسات اللسانية في جميع الميادين.

كما أنه لا غضاضة في الاستفادة من تجارب من سبقنا في هذا الميدان من الامم التي فهمت مبكرا ان تقدمها الحضاري يمكن ان يقاس بمعجمها. فعلينا إذَن أن نتدارك ما لا يقل عن قرن[34] من التقاعس عن انجاز المعجم العربي التاريخي.

الطيب البكوش
جامعة تونس الأولى

---

(33) ـ كلّ لسان حيّ يتطور ويتجدد معجمه باستمرار فقد تجدد اللسان الفرنسي خلال عشرية الخمسينات من هذا القرن بنسبة الربع تقريبا من خلال مواد قاموس لاروس الصغير، انظر الارقام بالتفصيل في *Linguistique* باشراف F.François P.U.F., 1980 ص 183.

(34) ـ الانكليز شرعوا في اعداد معجمهم التاريخي منذ اكثر من قرن وأنجزوه في نصف قرن وهم الآن في مرحلة التعهد المتواصل.

صعوبات الاستشهاد الشعري
في المعجم العربي التاريخي

بحث : الدكتور شوقي ضيف
مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة

لا توجد أمة تماثل الامة العربية في كثرة معجماتها اللغوية القديمة إذ ظلت طوال حقبها التاريخية السالفة تعنى بوضع المعاجم، وبدأ ذلك في القرن الثاني الهجري مع وضع الخليل بن احمد لمعجمه «العين» وأخذ يتوالى تأليف المعاجم بعده منذ القرن الرابع الهجري، وعنينا في العصر الحديث بطبع طائفة كبيرة من امهات تلك المعاجم، وهي بالترتيب الزمني لها - الجمهرة لابن دريد والتهذيب للازهري والمجمل ومقاييس اللغة لابن فارس والصحاح للجوهري والمحكم والمخصص لابن سيدة والاساس للزمخشري ولسان العرب لابن منظور والقاموس للفيروز أبادي وتاج العروس للزبيدي سوى معاجم مختصرة مثل المصباح للفيومي. ونشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة طائفة من معجمات نفيسه مثل الجيم للشيباني وغريب الحديث لابي عبيد وديوان الادب للفارابي والافعال للسرقسطي والتكملة للصغاني والتنبيه والايضاح لابن بري والتكملة للزبيدي وانبرى علماء اللغة اللبنانيون في العصر الحديث لوضع المعاجم مثل محيط المحيط للبستاني واقرب الموارد لسعيد الشرقوني. ونشر مجمع اللغة العربية القاهري معجمين لغويين

عصريين هما الوسيط والوجيز، ومازال يحاول اخراج معجم كبير جزءا تلو جزء. ونشرت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المعجم العربي الاساسي.

وكل هذه المعاجم قلما تعنى بالترتيب التاريخي الدقيق للمعاني من حسية وعقلية وعامة كلية وخاصة جزئية وحقيقية ومجازية، وينبغي ان يعنى بذلك كلّه المعجم اللغوي التاريخي العصري، فلا تسرد فيه المعاني سردا بدون نظام على نحو ما نلاحظ مثلا في اللسان، فان من يبحث عن معنى بعينه للفظة قد يقرأ بضع صفحات حتى يعثر على ضالته وايضا فان تاريخ استعمالاتها هي ومشتقاتها لا يتضح له، والمعجم التاريخي العصري لا يتلافى ذلك فحسب، بل يتلافى ايضا نقص النظام في ترتيب المادة بحيث توضع فيه على اساس من التسلسل التاريخي، حتى يستطيع قارىء المادة ان يتتبع تطور الكلمة منذ أقدم عصورها، وبذلك تتجلّى له صورة الحضارة العربية وهي تصعد في معارج الرقي والتقدم، ولابد ان ترتب الافعال والاسماء فيه ترتيبا ثابتا مع توضيح منهج هذا الترتيب في مقدمته توضيحا تاما ولابد ان تشفع المعاني المختلفة للمادة بشواهد من القرآن الكريم: كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن الحديث النبوي للرسول صلى الله عليه وسلم أفصح من نطق بالضاد، ومن كلام فصحاء العرب نثرا وشعرا.

وتكتظ المعاجم الكبيرة القديمة بشواهد شعرية لجاهليين ومخضرمين وإسلاميين، وهي كثيرة كثرة غامرة، غير انها لم ترتب زمنيا، فقد يوضع الشاهد الاسلامي فيها قبل الشاهد الجاهلي او شاهد المخضرمين، اذ كان همهم مقصورا فقط على الاتيان بشاهد شعري فصيح دون اي عناية بزمنه وتاريخه، وهي اول صعوبة تقابل من يحاول وضع معجم تاريخي للغة العربية اذ ينبغي عليهم ان يعيدوا الى الشواهد الشعرية في المعاجم الكبيرة ترتيبها التاريخي، ويقتضي ذلك منهم ان يكونوا على علم دقيق بتاريخ الشعراء الجاهليين والمخضرمين

والاسلاميين حتى يستطيعوا ترتيبهم ترتيبا زمنيا دقيقا، وكثيرون منهم شعراء مغمورون لا يكاد التاريخ يعرف عنهم شيئا، وينبغي ان يرجع فيهم الى كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة وكتب اللغويين مثل الالفاظ لابن السكيت ومجالس ثعلب ومقاييس اللغة لابن فارس وكتاب التنبيه والايضاح لابن بري اللغوي المصري، وهو مليء بمراجعات وتصحيحات على شواهد الشعراء في كتاب الصحاح للجوهري.

والشواهد الشعرية في المعاجم الكبرى القديمة قسمان: قسم منسوب الى ناظمه، وقسم مجهول ناظمه، والقسم الاول مليء بصعوبات متعددة، فكثير منه نسب الى غير ناظمه خطأ، اذ نجد في لسان العرب مثلا بيتا في مادة اطم منسوبا الى الشماخ وهو في ديوان كعب بن زهير، ونجد بيتا ينسب الى الفرزدق وهو لجرير او للعجاج وهو لابنه رؤبة او لسويد بن كراع وهو لسويد بن أبي كاهل، وقد يترتب على ذلك حكم لغوي خطأ، فتنسب لغة في كلمة الى شاعر وقبيلة وهما منها براء، وخير مثل يصور ذلك ان نجد الجوهري في الصحاح ومن تابعة مثل اللسان ينسبون بيتا الى لبيد على هذه الشاكلة:

لو شئت قد نقع الفؤاد بشربة
تدع الصوادي لا يَجُدْن غليلا

ومعروف ان الفعل وجد مضارعه يجد بكسر الجيم، غير ان الجوهري انشده يجدن بضم الجيم ونسبه الى لبيد العامري وقال انها لغة عامرية لا نظير لها في باب المثال وتبعه صاحب اللسان والزبيدي في تاج العروس قائلين: يَجُدْ بالضم لغة عامرية لا نظير لها في باب المثال، وكان حريا بهم جميعا ان يحاولوا مراجعة لبيد في ديوانه، ولو صنعوا لعرفوا كما لاحظ ابن بري في كتابه «التنبيه والايضاح عما وضع في الصحاح» ان البيت ليس للبيد، وتحرى حتى عرف انه لجرير، ولا نعرف كيف وقع الجوهري في هذا الخطأ من نسبته للبيد، وايضا في رواية يجدن فيه بضم الجيم وهو خطأ مركب: خطأ في الرواية ونسبة البيت الى لبيد،

وخطأ في استنتاج انها لغة عامرية دون الرجوع الى ديوان لبيد ودواوين شعراء بني عامر، ولو صنع الجوهري ذلك لعرف انها ليست لغة عامرية كما توهم. ولعل في ذلك ما يدل بوضوح على ما ينبغي من مقابلة الاشعار المنسوبة على دواوين اصحابها للتأكد من صحة نسبتها وصحة نطق ألفاظها نطقا سليما.

ووقع في المعاجم اللغوية تصحيف كثير في ألفاظ الشواهد الشعرية، وللقدماء كتب في التصحيف ويسوق ابن جني في كتابه الخصائص طائفة من تصحيفات أئمة اللغة وسقطاتهم من أمثال ابي عمرو الشيباني والفراء والمفضل الضبي والاصمعي وابي زيد فما بالك بتصحيفات من وراءهم ممن لا يبلغون مبلغهم في الأمانة اللغوية، وعني ابن بري في كتابه التنبيه والايضاح بتعقّب الجوهري في جوانب من نسبة الشواهد الشعرية وما وقع في نسبتها من خطأ وفي ألفاظها من تصحيفات فينبغي أن يكون تلقاء أعين المعاجم العصرية، وبالمثل تعقَب صاحب القاموس للصحاح ومن تعقّبوا القاموس نفسه مثل أحمد فارس الشدياق. وتلقانا في لسان العرب بعض تصحيفات من حين الى آخر، ومن ذلك مثلا ان لفظ خزازى اسم لجبل كانوا يوقدون عليه حين الغارة، وفيه يقول عمرو بن كلثوم في معلقته:

ونحن غداة أوقد في خزازى
وفدنا فوق رفد الرافدينا

وروى صاحب اللسان هذا البيت في مادة خزر: خزارى بالراء وقال انه اسم موضع وهو تصحيف واضح ومن ذلك ان نجد صاحب اللسان في مادة جوش يروي عن ذي الرمة قوله:

تلوّم يَهْيَاهٍ بياهٍ وقد مضى
من الليل جَوْشٌ واسبطرّت كتائبُه

يصف بذلك راعيا. وكلمة «بياه» في البيت مصحفة هكذا: «بباب» ولفظة ياه نداء الراعي على صاحبه، وتلوم انتظر واسبطرت: انبسطت للمغيب اي ان هذا الراعي انتظر يهياه بياه وذلك انه قال «ياه»

وكررها منتظرا ان يجيبه صاحبه بياه وفسّر ذلك ذو الرمة بوضوح في بيت ثان بالقصيدة اذ قال قبله :

ينادي بيهياه وياه كأنه
دعاء الرُّوَيْعِي ظلّ بالليل صاحبُهْ

والرويعي تصغير الراعي ، ولاشك ان هذا التصحيف في ألفاظ الاشعار المنسوبة يضيف الى صعوباتها صعوبات اخرى في التعرف على التصحيف بمراجعة دواوين الشعر ومجاميعه المحققة الكثيرة ، وقد لا يكون التصحيف في الفاظ الشاهد الشعري وانما في اسم الشاعر المنسوب اليه الشاهد ، ونضرب لذلك مثلا من تصحيف اسم الشاعر «سُلْمَى بن ربيعة» الذي انشد له ابو تمام في الحماسة قصيدة تخرج عن اوزان الشعر العربي اقتبس صاحب اللسان منها مع اختلاف في الالفاظ ثلاثة أبيات وسمى ناظمها سليمان بن ربيعة بن دباب على نحو ما يلقانا عنده في مادة تقن ، وعلى هذا النحو تلقانا في الشعر المنسوب بالمعاجم الكبرى مثل اللسان صعوبات تتصل احيانا بصحة اسماء ناظميه واحيانا بصحة الفاظه ، وكثيرا ما تتوارد المعاجم الكبرى على ابيات تختلف فيها روايتها ولذلك ينبغي المقابلة بينها والرجوع الى الاصل في الدواوين وغير الدواوين .

واذا كانت الصعوبات السالفة تقترن بالشعر المنسوب الى ناظميه في المعاجم الكبرى فان صعوبات مختلفة تقترن بالشعر غير المنسوب المجهول القائل ، وهو يكثر في تلك المعاجم حتى ليكاد يبلغ نحو ثلث الشواهد في معجم كبير مثل لسان العرب ، ونعرض اولا لمدى صلاحيته في الاستشهاد به على ابنية اللغة واوضاعها المختلفة ، فقد ذهب قوم من أئمة اللغة مثل ابن الانباري في المسألة رقم 80 من كتابه الانصاف تعليقا على بيت مجهول ناظمه اذ قال: «هذا البيت غير معروف ولا يعرف قائله فلا يكون حجة» وقال مثل قوله ابن النحاس في ابيات شاذة اعتمدها الكوفيون في بعض قواعدهم لا يعرف قائلوها ، ولا رواها احد

من الموثوق بهم في اللغة، وذهب آخرون من أئمة اللغة الى جواز الاحتجاج بالابيات التي لا يعرف قائلوها مستدلين على ذلك بان في كتاب سيبويه الف بيت عرف قائلوها وخمسين مجهولة القائلين، واعتمدها الأئمة بعده، وهي حجة ضعيفة لأن سيبويه كان يتحرى أشد التحري في شواهده وأمثلته، ويكثر من قول: حدثني من لا أتهم - وحدثني من أثق به، فينبغي الاكتفاء منه بهذه الدقة في روايته، وذكر المرزباني عن ابي زيد اللغوي المشهور قال: كل ما قال سيبويه في كتابه: «أخبرني الثقة» فأنا أخبرته به ولما رأى أصحاب هذا الراي ان الاستدلال بالابيات الخمسين المجهولة القائل عن سيبويه لا يتجه قالوا لماذا لا نعدّ الشواهد المجهولة القائلين مثل الاحاديث النبوية المروية بالمعنى لا باللفظ غير ان الاحتجاج بهذه الاحاديث انما حدث في الازمنة المتأخرة فلا تقاس عليها الشواهد اللغوية المجهولة القائلين. والواقع ان الاستشهاد بالشواهد التي لا يعرف ناظموها قد يوقع في كثير من الخلل في ابنية اللغة واقيستها المطرودة، والقواعد والاقيسة لا يصح ان تؤخذ من شعر مجهول القائل لما ذكرنا، واذا رجعنا الى لسان العرب في باب ان وانها قد تكون مصدرية ناصبة للفعل المضارع وقد تكون مخففة من ان الثقيلة رأيناه ينشد لشاعر مجهول قوله:

أن تقرءان على أسماء ويحكما
مني السلام وان لا تعلما أحدا

وواضح ان المضارع: «تقرءان جاء مرفوعا بعد أن، فقال ثعلب - كما في اللسان - شبهت ان في البيت بما المصدرية فلم تعمل في الفعل وتبعه في هذا الراي البغداديون. وقال أبو علي الفارسي: «أن» في البيت مخففة من ان الثقيلة اي انكما تقرآن وفيه تكلف واضح او بعض الصنعة كما في اللسان، وكان يرجح راي الكوفيين غير انه راي يفسد قاعدة لغوية، او يحدث بها شللا واضحا. وهي القاعدة المطردة في اللغة لان المصدرية وان المضارع لابد ان ينصب بعدها، اليس من الواجب ان يهمل هذا البيت الذي ينبني عليه اما تمحل بعيد لتخريجه عند ابي علي

الفارسي واما الغاء قاعدة ان المصدرية وعملها النصب في المضارع التالي لها، وكان ينبغي ان لا يسلكه صاحب اللسان في معجمه ولا اللغويون في كتبهم لان قائله مجهول. وعلى هذا النحو كان ينبغي ان ينحي اللغويون عن معاجمهم الابيات التي لا يعرف قائلها والتي من شأنها ان اخذنا بها ان تفسد القواعد اللغوية العامة، اما الابيات المجهولة القائلين الاخرى فيمكن ان تذكر للاستئناس بها فحسب. على ان ذلك ان قبل في المعاجم غير التاريخية فانه لا يقبل في المعجم التاريخي، بحال، لان تلك الابيات او الشواهد لا يعرف تاريخها ولا الزمن الذي نظمت فيه بالضبط، فلا نستطيع تعيين المكان الذي توضع به في المادة ولا كيف نرتبها مع غيرها من شواهدها، لذلك ينبغي اهمالها جميعا.

وأشرنا فيما أسلفنا الى ان أئمة اللغة الذين وضعوا معاجم العربية الكبرى لم يتجاوزوا فيما انشدوه من الشواهد الشعرية العصر الاسلامي اذ كانوا لا يعتدون بما نظمه المولدون او المحدثون منذ القرن الثاني الهجري لما عرض للعربية عند كثيرين منهم من الاختلال والفساد وهنا تتراءى صعوبة شديدة العسر لمن يحاولون تأليف معجم تاريخي اذ ينبغي ان لا يكتفوا فيه بما في المعاجم الكبرى من شواهد شعرية قديمة توضح استعمالات الكلم ومعانيها اللغوية حتى نهاية العصر الاموي، اذ لابد ان يضيفوا اليها ركاما ضخما من شواهد شعرية جديدة من العصر العباسي وما بعد العصر العباسي، توضح ما حدث من تطور لمعاني الالفاظ واستعمالاتها على مر الزمن، حتى يمكن ان يوصف المعجم اللغوي بانه معجم تاريخي للعربية بحق، وهي طبعا مهمة في غاية الصعوبة ولابد ان يقهر صعوبتها ويتغلب عليها واضعو المعجم التاريخي المعاصر او من يريدون وضعه، ويمكن الافادة في تذليل هذه الصعوبة مما ذهب اليه بعض أئمة اللغة من صحة الاستشهاد في اللغة بأشعار من عرف من المولدين باتقان العربيّة، محتجين بأن سيبويه استشهد في كتابه ببعض شعر بشار بن برد، وردّ عليهم المعارضون لهذا الصنيع بان سيبويه انما اضطر الى ذلك تقربا الى بشار اذ هجاه لتركه

الاحتجاج بشعره في كتابه فحاول ارضاءه بذلك حتّى يكفّ عن هجائه، فلا يتخذ ذلك قاعدة عامة في قبول اشعار المولدين، غير ان الزمخشري خالفهم في رفضهم العامّ لأشعار المولّدين بأوائل تفسيره للذكر الحكيم في كتابه المعروف باسم الكشاف، اذ نجده في التعليق على لفظ (أظلم) في آية سورة البقرة: «يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا» يقول: «أظلم يحتمل ان يكون غير متعدّ وهو الظاهر، وان يكون متعديا جاء في شعر حبيب بن أوس الطائي «أبي تمام» عن العقل والدهر:

هما أظلما حاليَّ ثمت أجليا
ظلاميهما عن وجه أشيب أمرد

ويستمر الزمخشري قائلا: «وهو (أي أبو تمام) - وإن كان محدثا - لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه (اي في الثقة اللغوية به) ألا ترى إلى قول العلماء: الدليل على ذلك بيت (ديوان) الحماسة (التي روى أشعارها) فيقتنعون بذلك بوثوقهم بروايته وإتقانه «ومعنى ذلك ان الزمخشري يستثني من شواهد الشعراء العباسيين التي لا يرتضيها اصحاب المعاجم اللغوية الكبرى اشعار أبي تمام لحسن فقهه بالعربية، على نحو ما استثنى سيبويه أشعار بشار بن برد لاطمئنانه الى انه يتقن العربية.

وينبغي الاخذ بوجهة نظر الزمشخري، فتستثنى الشواهد الشعرية من اشعار العباسيين وغير العباسيين المعروفين بأنهم يفقهون العربية فقها حسنا مثل المتنبي في القرن الرابع الهجري وفيه يقول صاحب معاهد التنصيص «لقد كان المتنبي من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيّها ولا يسأل عن شيء الا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان الشيخ ابا علي الفارسي قال له يوما: كم لنا من الجموع على وزن فِعْلَى؟ فقال المتنبي في الحال: حجْلَى وظِربَى، وقال الشيخ أبو علي: فطالعت في كتب اللغة ثلاث

ليال على ان اجد لهذين الجمعين ثالثا فلم اجد «والمتنبي بذلك من كبار علماء اللغة، وشعره أجدر ان يستشهد به في معاجم العربية من شعر أبي تمام ونلتقى بأبي العلاء المعري المتوفي بعد المتنبي بنحو قرن، وكان إماما كبيرا من أئمة اللغة حتى ليقول تلميذه التبريزي «ما اعرف ان العرب نطقت بكلمة لم يعرفها المعري» وقالوا: كان بالمشرق لغوي وبالمغرب لغوي في عصر واحد لم يكن لهما ثالث، وهما أبو العلاء المعري وابن سيدة الاندلسي صاحب المعجمين الكبيرين: المحكم والمخصص، وبدون ريب اشعار أبي العلاء في ديوانيه «سقط الزند» و«اللزوميات» جديرة بأن تحتل في المعجم العربي التاريخي الحديث حيزا واسعا لصحتهما اللغوية التامة الى ابعد غاية.

ولكي يكون المعجم العربي التاريخي - في رأيي - تاريخيا حقا ينبغي ان يضم الى شواهده الشعرية لا شواهد من شعر بشار وأبي تمام والمتنبي وأبي العلاء فقط، بل ايضا شواهد من الدواوين المحققة لافذاذ شعراء العربية على مر التاريخ، وبذلك يكون هذا المعجم وعاء جامعا لتطور معاني الكلم في العربية ودلالاتها لغويا وادبيا وفكريا من الجاهلية الى العصرالحديث. واني لاهنىء جمعية المعجمية العربية بتونس باتخاذها العدة العلمية السديدة لصنع هذا المعجم العربي التاريخي.

شوقي ضيف

تاريخ الكلمة العربية
وتطورها في الدرس اللغوي عند العرب
مع دراسة وصفية تطبيقية من خلال
لسان العرب لابن منظور

للدكتور هادي نهر
استاذ اللغويات في كلية الآداب
الجامعة المستنصرية
بغداد ـ العراق

هذا موضـوع من اكثـر المـوضوعات طرافة وصعوبة، واشدها تعقيدا، دعاني الى الكتابة فيه ـ على الرغم من وعورة مسالكه ـ أمر أراني دائم التفكير فيه لانه موجب لاقرار الحقائق العلمية التي تزيل كثيرا من الاوهام التي يرددها بعض الباحثين المنبهرين بالدرس اللغوي الحديث دون تبصر بابعاد التراث، ومحتواه العلمي المرموق.

لقد افترى كثيرون على تراثنا، فيحسن بكل من تهمه الحقيقة العلمية الا يكتفي بما يقـال، وانـما يجب الاحـاطـة بوجهـات النظر المخاصمة والمصادقة من اجل تثبيت الحقائق، ودفع ما يقال كي يحتل البحث اللغـوي العربي المكانة التي يجب أن يحتلها في مسار الدرس اللساني عبر التاريخ، تلك المكانة التي اعترف بها كثير من النيرين من

علماء الشرق والغرب.

إنّ المظنون في أغلب الدّراسات اللّغوية قصور الدّرس اللّغوي العربي في مجال البحوث الوصفية التطورية. ولهذا صفر التراث العربي من درس في (تاريخ الكلمات واصولها) او ما اصطلح عليه الاعاجم بـ(الايتيمولوجيا). وليس هذا بحق، فللعرب ما لغيرهم في هذا المجال من دراسة للكلمة على توالي الازمنة، وعلى تفاوت البنيات والدلالات والسياقات اللغوية، فتاريخ الكلمة عند العرب ما هو الا تاريخ لوجودهم وحيواتهم.

ولكي اثبت هذه الحقيقة اعتمدت منهجا وصفيا تطوريا قائما على تلمس آراء، واقوال، وآثار اللغويين العرب القدماء على وجه العموم ولسان العرب لابن منظور على وجه الخصوص، مستخلصا بالادلة والشواهد كثيرا من الجوانب العلميّة التي تؤكّد أنّ للعرب درسا في تاريخ الكلمة وتطورها ووسائل نموّها لا يجوز ان يكون بمعزل عما استقل اليوم علما خاصا واعني به (علم اصول الكلمات).

ولست ازعم ان ما قمت به يتناول جميع النواحي التي يمكن معالجتها في اطار هذا الدرس، بل اني لم اقصد منذ البداية الاحاطة بكل نواحيه، فهي اشد تعقيدا، وتعددا، وتشعبا من ان يحيط بها بحث متواضع مثل بحثي.

ومع هذا لم يكن عملي وليد لحظات عاطفية، او لحظات تعصّب للتراث وانما هو وليد زمن من البحث الصبور بقيت عاكفا عليه مراعيا له الى اليوم، محاولا ان اقول عبره اشياء جديدة، وان اكشف عن ومضة من ومضات التراث اللغوي العربي الخالد ووجها من وجوه اصالته.

أنا ادّعي ذلك، وارجو من الله القدير ان يوفقني الى ان أظفر من غيري من الخيرين بصحة دعواي.

والله الموفـــق أوّلا وآخرا

علم (اصول الكلمات) في التراث العربي

تستبد الاهواء احيانا ببعض الباحثين فيتهم البحث اللغوي عند العرب بانه «بحث معياري وليس بحثا تاريخيا وصفيا وهذه ـ عنده ـ نقطة خلاف جوهرية بين الدراسات اللغوية القديمة والدراسات الحديثة كما تمثلت عند العلماء الغربيين»[1].

فاذا جاؤوا الى الدرس المعجمي عند العرب قالوا انه «ناقص تشوبه شوائب وتعتريه هنات، فيه فوضى في التنسيق والتبويب، وخلط بين مادة واخرى، وبين المعنى الحقيقي والمجازي وانه عديم الدقة في التحديد وتقصّي المعنى، واهمال ذكر المولّد والعامي، وانه ايضا فاشل في تفسير الدخيل»[2]. وانه معجم «مصاب بالتخمة والتضخم، دوّن كل ما هو مسموع ثقة وغير ثقة، واسرف في ذكر الاعلام الاعجمية وتصريفها»[3].

وان المعجميين العرب «قد وجّهوا عنايتهم الى ذكر معاني الكلمات، والاستشهاد عليها احيانا بالقرآن والحديث والمأثور من كلام العرب، ولكنهم اغفلوا اغفالا تاما تعقب كل كلمة في مراحل حياتها وشرح تطور مدلولها في مختلف العصور، وبيان الاصول التي انحدرت منها... وما الى ذلك من البحوث القيمة التي تشغل الآن اكبر حيّز في المعجمات الافرنجية الحديثة، وتهمّ كثيرا من الباحثين في فقه اللغة»[4]. وغير ذلك من الاقوال التي تنتقص من الجهد العظيم الذي اسداه اللغويون العرب القدماء عموما، والمعجميون على وجه الخصوص.

وعلى الرغم من ان توصّل اللغويين المحدثين الى كشف لغات وكتابات باكملها، وتطور وسائل البحث اللغوي التاريخي، وتقدم علم

---

(1) ـ العمري. (زينب عبد العزيز). اللغة بين القدماء والمحدثين. ص 37.
(2) ـ فريحة. (انيس). في اللغة العربية وبعض مشكلاتها. ص 131.
(3) احمد امين. اسباب تضخم المعجمات العربية. ص 36.
(4) وافي. فقه اللغة. ط 4 ص 288.

الاصوات اللغوية، واتّساع المعلومات التي يقدمها علم اللغة العام، قد ساعد على ان يكون البحث في اصول الكلمات وتطورها علما مستقلا، او فرعا من فروع علم اللغة القيمة، غير اننا لا يجوز ان نغمض عيوننا عن الرحلة الطويلة التي قطعها اللغويون العرب عبر التاريخ، وهم يعالجون الكلمة على وجوه شتّى، ومنها البحث في اصولها وتطورها ودلالاتها، فلقد دلّت التحريات التي قام بها العلماء المعاصرون على ان البداية في تصنيف المعجمات بداية سومرية، اذ عثروا على مصنّفات تتناول الهجاء والمفردات وشرح الالفاظ باعطاء مرادف او تعريف لها تقوم جزئيا مقام المعجمات الأحادية اللغة يرجع تاريخها الى عام (2600ق. م) كذلك كشفت التحريات التي اجريت في (اوغاريت) داخل مكتبة (ربعانو) على فهرس رباعي اللغة يشمل السومرية، والاكادية والحورية والاوغاريتية[5]. فاذا تقدمنا مع التاريخ العربي حيث القرن الاول للهجرة، وتفحصنا الآثار العربية فيه وفي القرون التي تلته تبين لنا مقدار الجهد والاهمية التي عقدها علماء العرب الاوائل لدرس الكلمة واصولها، وطرائق نموّها، وما سنّوه من اجل ذلك من سنن وقواعد وضوابط، وما اوجدوه من مصطلحات وتسميات.

لقد فرضت علوم القرآن على العرب المسلمين ان يعمدوا بادىء ذي بدء الى كتاب الله سبحانه، يفسّرونه، ويتعقبون الفاظه، وكانت الحاجة الى معرفة لغة القرآن وغريبه سببا في خوضهم في بحوث عن الكلمة ودلالتها، بل اصولها. فقد وضع (ابو سعيد ابان بن تغلب البكري) (ت. 141هـ) كتابه الموسوم بـ (الغريب في القرآن)، ووضع (ابو عبيدة معمر بن المثنى) (ت. 210هـ) (مجاز القرآن)، (والقاسم بن سلام) (ت. 224 هـ) (غريب القرآن) و(غريب الحديث)[6] و(الغريب المصنف) (وابن قتيبة عبد الله بن مسلم) (ت. 267هـ)

---

(5) انظر: مونين. علم اللغة منذ نشأته حتى القرن العشرين. ص 48 وما بعدها.

(6) - طبع بحيدارباد بين سنتي 1964 - 1967.

(المشكل) و(الغريب). وقد انتهى البحث في لغة القرآن الى القول بان فيها كلمات اعجمية الاصول عربية الالفاظ، والى هذا ذهب ابو عبيد القاسم بن سلام الهرويّ غير ان (أبا عبيدة) ذهب غير هذا المذهب وقال: «اللفظ يوافق اللفظ ويقاربه ومعناهما واحد» وقد تبعه على هذا المذهب (الطبري) (ت. 310هـ) في تفسيره، والثعالبي (ت. 429هـ) في فقه اللغة، وعند هؤلاء ان ما جاء من اشكال يخيل الى الناظر انها اعجمية هو من باب توافق اللغات على ان (ابا حاتم الرازي) (ت. 322هـ) قد ذهب الى ان معاني الاسماء في القرآن منها ما هو عربي عرفته العرب، ومنها ما جاء في القرآن ولم تكن العرب تعرفه، ومنها ما جاء في القرآن من الفاظ العجم [7].

وقد رأى بعض المتأخرين رأيا توفيقيا فما ظن من الفاظ القرآن أعجميا انما هي «الفاظ اقتبسها العرب من لغات اجنبية وصقلوها وهذبوا صورتها ثم شاعت في كلامهم قبل الاسلام فلما جاء الاسلام وجدها تكون عنصرا من عناصر اللغة، ووجد الناس لا يكادون يشعرون بعجمة فيها فمثلها مثل كل الكلمات العربية التي كانت تجري على ألسنتهم»[8]. وقد صرف اللغويون العرب الاوائل جهدا في دراسة القراءات القرآنية والتاليف فيها، ومن المعروف ان القراءات «تقوم على تغيير في الحركات وتغيير في الابنية والصيغ، وتغيير في الاصوات، وتغيير في الالفاظ، ومجموع هذا يدل على ان طرق التعبير الخاصة وجدت طريقها الى لغة التنزيل»[9] وان اهتمام اللغويين العرب بهذا الضرب من الدرس مكنهم ويمكننا اليوم من الوقوف على شيء من خصائص العربية ولهجاتها التي كانت شائعة في القرن الاول للهجرة، وتاريخ

(7) ـ انظر: السيوطي. بغية الوعاة. ج 2 ص 253.
(8) ـ السامرائي. دراسات في اللغة. ص 144 ـ 145.
(9) ـ نفسه. ص 20.

الكلمة العربية وما طرأ عليها من تغيير، كالحذف والهمز، والتسهيل، والفك والادغام، والقلب، والاعلال، والابدال وغير ذلك مما اشتملت عليه القراءات القرآنية ولهجات العرب بها يمنح اللغة العربية ميزة دون سائر لغات العالم اجمع اذ لا توجد لغة في وقتنا الحاضر فيها صورة منطوقة للهجاتها القديمة، فقد درج لغويونا على دراسة اللهجات العربية، - وهي ليست لهجات عامية كما نفهمها في العصر الحديث، وانما هي «عناصر لغوية تنتسب الى قبائل معينة، وقد دخلت اللغة الموحّدة، واصبح لها مستوى من الفصاحة مقرر ومعروف»[10]، ووضعوا في ذلك مصنّفات كثيرة[11] وألفوا كتبا في ظواهر لهجية متعددة كالقلب المكاني، والابدال، وسقوط الهمز، والاعلال، وغير ذلك مما نجده في كتب من نحو: (اصلاح المنطق) لـ(ابن السكيت) (ت. 244هـ) و(المذكر والمؤنث) لـ(ابي بكر بن الانباري) (ت. 328)، و(لحن العوام) لـ(الزبيدي) (ت. 379هـ) و(درة الغوّاص) لـ(الحريري) (ت. 516هـ) وغير ذلك كثير.

وقد لقبوا كل ظاهرة لهجية بلقب معين منسوب او غير منسوب، فهناك: الكشكشة، والفحفحة، والعجرفة، والتلتلة، وغير ذلك مما يوقفنا على شيء من تطور اللغة واسبابه[12]. والناظر في التراث العربي الذي يهتم بالبحث في الكلمة العربية يقف على دراسات مستفيضة للالفاظ العربية المهملة، والمستجدة في شؤون الحياة جميعها دينية، او علمية، او ادارية، او طبية، او تجارية، او غير ذلك مما يؤكد ان لغويينا الاوائل قد ادركوا ان اللغة كائن عضوي يولد ثم يحيا، ثم يموت. فقد نقل (ابن دريد) (ت. 221هـ) عن (ابي عمرو بن العلاء)

---

(10) ـ الراجحي (عبده) فقه اللغة. ص 110.

(11) ـ من هذه الكتب نذكر: اللغات ليونس بن حبيب (ت 183 هـ) واللغات للفراء (ت. 207 هـ) واللغات لأبي عبيدة (210هـ) واللغات للاصمعي (ت. 213 هـ) وفي الصاحبي كلام عن (اختلاف اللغات. ص 48 ـ 52).

(12) ـ انظر. د. رمضان عبد التواب. فصول في فقه اللغة. ص 98 وما بعدها.

(ت. 154هـ) قوله: «مضنى كلام قديم قد ترك»[13] ونقل (ابو جعفر ابن النحاس) (ت. 338هـ) عن (الكسائي) (ت. 189هـ) قوله: «محبوب من حببت، وكأنها لغة قد ماتت»[14]، وكتب (ابن فارس) (ت 393هـ) ما نصّه: «كانت العرب في الجاهلية على ارث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائهم وقرابينهم فلما جاء الله ـ جلّ ثناؤه ـ بالاسلام حالت احوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة الفاظ من مواضع الى مواضع اخر بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فعفى الآخر الاول. . .فكان ممّا جاء في الاسلام ذكر: المؤمن، والمسلم، والكافر، والمنافق. وان العرب انما عرفت المؤمن من الامان والايمان هو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط واوصافا بها سمي المؤمن بالاطلاق مؤمنا، وكذلك الاسلام والمسلم، وانما عرفت منه اسلام الشيء، ثم جاء في الشرع من اوصافه ما جاء، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر الا الغطاء والستر، فأمّا المنافق فاسم جاء به الاسلام لقوم ابطنوا ما أظهروه، وكان الاصل من نافقاء اليربوع، ولم يعرفوا في الفسق الا قولهم: فسقت الرُّطبة اذا خرجت من قشرها، وجاء الشرع بأن الفسق الافحاش في الخروج عن طاعة الله ـ عزّ وجلّ»[15].

وكتب (السيوطي) (ت. 911هـ) في (الضعيف، والمنكر والمتروك من اللغات) و(الردي والمذموم، والحوشي، والغرائب، والشوارد، والنوادر، والمهمل، والمستعمل، والالفاظ الاسلامية)[16]، وهذا وغيره يذكرنا «بدراسات العالم الطبيعي السّويدي (لين) والعالم الفرنسي (كومز) اللّذين استطاعا في ميدان تخصصهما الحصول على معلومات موضوعية عن كيفية تطور الاحياء، مما دفع باللغويين

(13) ـ ابن دريد. الجمهرة. ج 1 ص 106.
(14) ـ السيوطي. المزهر. ج 1 ص 10.
(15) ـ ابن فارس. الصاحبي. ص 79 ـ 80.
(16) ـ السيوطي. المزهر. ج. 1 ص. 10 وما بعدها.

المحدثين ان يستغلوا تلك المعلومات في القول بان اللغة هي ايضا جهاز عضوي مثل الاحياء لانها تولد، وتنشأ، وتكبر، وتترعرع، وتكتهل، ثم تشيخ، وتموت، تماما كما يقع للاحياء[17].

وقد تناول القدماء ايضا الالفاظ الاعجمية بالدرس، فقد خصّص (الثعالبي) الباب التاسع والعشرين من كتابه لبيان ما يجري مجرى الموازنة بين العربية والفارسية، ولما نسبه بعض اللغويين الى اللغة الرومية[18]، مقرّا بذلك مبدأ الاقتراض اللغوي الذي سبق اليه (ابن جني) (ت. 392هـ) في تقرير هذا المبدإ مشيرا الى مظاهر انتقال الكلمات الاجنبية الى العربية وكيفية هذا الانتقال من ذلك تعريفها بالالف واللام، واعرابها على النسق العربي، والاشتقاق منها مع ما يمكن ان يحدث من تغيير عند النقل[19].

وصنيع (الثعالبي) يشبه صنيع (الجواليقي) (ت. 540هـ) في كتابه (المعرب من الكلام الاعجمي)[20].

ولا ننسى في هذا المجال أبا حاتم احمد بن حمدان الرازي صاحب (الزينة) الذي نعده من اظهر الدراسات التطورية التاريخية لعدد من الالفاظ الاسلامية، تتبع فيه (الرازي) اصولها ومعانيها مبتدئا من العصر الجاهلي حتى العصر الاموي.

وحاول (شهاب الدين، احمد الخفاجي)(ت. 1069هـ) في (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل) ان يفرق مجاميع الالفاظ الداخلة من لغات اخرى الى اللغة العربية إذ يقول: «اعلم انهم

---

(17) ـ التهامي. توطئة لدراسة علم اللغة. ص 52 ـ 53.

(18) ـ انظر: الثعالبي. فقه اللغة وسر العربية. ص 450 ـ 453.

(19) ـ انظر. ابن جنّي. الخصائص. باب (في أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب). ج 1 ص 357 ـ 359.

(20) ـ انظر على سبيل المثال، الجواليقي. المعرّب من الكلام الاعجمي. البابين التاسع عشر والعشرين.

قـد يغيرون الكلمـة الاعجميـة كمـا سيـأتي، والتغيير اكثر من عـدمـه، فيبـدّلـون الحروف التي ليست من حـروفهم الى اقـربهـا مخرجـا، وربمـا ابعـدوا الابـدال في مثـل هـذه الحـروف وهـو لازم لئـلا يدخل في كلامهم ما ليس منه، فيبدلون حرفا بآخر، ويغيرون حركته، ويسكنونه، ويحرفونه وينقصون، ويزيدون، فما كان بين الكاف والجيم يجعلونـه جيما او كافـا، او قافـا كما قالـوا، كربـج، قربق، بمعنى: الحانوت... ويبدلون الباء المخلوطة بالفاء بالباء او الفاء نحو: برند، وفرند (فرند السيف: جوهره) ويبدلون الشين سينا نحو: دست في: دشت، وسروال في: شروال، واسماعيل في اشماعيل...»[21].

فاذا زدنا على ذلك ما كتبه اللغويون الاوائل في موضوعات من نحـو: الـقـلب والابـدال[22]، والاشـتـقـاق[23]، والنّحت[24]،

---

(21) ـ الخفاجي. شهاب الدين. شفاء الغليل. ص 4 ـ 5.

(22) ـ وضع (ابن السكيت. ت. 244 هـ) رسالة صغيرة سمّاها (القلب والابدال) جمع فيها نحو (200) كلمة من كلمات اللغة العربية تميزت بانّ كل اثنتين منها تعبّران عن معنى واحد، ولا يختلف لفظهما الا في حرف واحد مثل: التهتان، والتهتال، فكل منهما يعني سقوط المطر، ولا يختلف اللفظ الا في أنّ النون في الأولى قد حلّت محل اللاّم في الثانية.

غير ان (ابن السكيت) لا يدلّنا على ايّ الصورتين هو الأصل، أو أيهما أكثر شيوعا في أساليب اللغة. انظر: انيس. دلالة الألفاظ. ص 69.

(23) ـ حاول (ابن دريد. ت. 321 هـ) في كتاب (الاشتقاق) ان يعتبر لكل إسم من أسماء القبائل العربية مأخذا يشتق منه مواد الكلمة. وقد حاول ابن جني في دراسته الاشتقاق ان يفكّ عناصر الكلمة لمعرفة الطريقة التي بها ركّبت، والعمل الوظيفي لحروفها، وما لها من صلات مع غيرها سواء اكانت ثنائية البنية، ام ثلاثية، ام غير ذلك مما يمكّن من الوصول الى أصل الكلمة، ومعناها العامّ، وبيان تاريخ نشوئها وتكوّنها وتقليب مواقع حروفها، وتنوّع دلالاتها.

انظر: ابن جنّي. الخصائص. ج 2 ص 157 ـ 163.

(24) ـ بنى (ابن فارس ت 392 هـ) معجمه (مقاييس اللغة) على فكرتي الأصول والنحت، وحاول ان يدرج مفردات المادة اللغوية الواحدة تحت أصل أو أصلين.

والمثلثات[25] والاضداد[26] والمداخل[27]، وتلاقي المعاني[28]، وتصاقب الالفاظ[29]، تبين لنا مقدار الجهد العظيم الذي صرفه اللغويون العرب وهم يدرسون الكلمة العربية على وجوهها المختلفة، بنياتها، واصولها، واحوالها، ودلالاتها، وتطورها، وطرائق نموّها. واذا كان البحث في دلالة الالفاظ ليس من مهمة باحث في (اصول الكلمات) غير انه يساعده على الوصول الى اغراضه المتوخاة، فانا قد وجدنا للعلماء العرب حديثا طويلا في صلة اللفظ بمعناه، وعلى الرغم من تضارب الآراء التي طرحها اولئك العلماء في هذا الشأن، وتعارضها فنحن نلمس في تراثنا القديم احساسا قويا باستقلال المعاني عن الالفاظ «ولا يوجد

---

(25) ـ المثلث او المثلّثات هو مجموعة تضمّ مفردات لها الصيغة الصرفية نفسها ومركبة من الحروف عينها، فما يتغيّر الا حركة فاء الكلمة، أو عينها فيحصل بتغير الحركة تغيّر في المعنى، وفيه انتقال من مجال دلالي معين الى مجال ثان وقد تفطّن الى هذه الظاهرة في غير المفردات التي حصرها (قطرب ت 206هـ) في مثلثاته آخرون، واضافوا، فأثروا، وألّفوا المجلدات والتصانيف.
انظر: قطرب. المثلثات. ص 12.

(26) ـ من ذلك كتب الاضداد لابن السكيت، والسجستاني (ت. 225 هـ)، وابي الطيب اللغوي. (ت. 351 هـ).

(27) ـ وهو ان تذكر الكلمة وتفسّر بكلمة ثانية، وتفسّر الثانية بثالثة وبرابعة، وهكذا مع الاستشهاد لهذا كله. وأول من ألّف فيه (ابو عمر الزاهد البغدادي. ت 245 هـ) واضع كتاب (المداخل)، وعُرِفَ هذا الضرب من التأليف عند المتأخرين باسم (المسلسل) فقد وضع (محمد بن يوسفَ السّرقسطي الاندلسي. ت 538 هـ) كتابا سماه (المسلسل).

(28) ـ الاطار الذي عقده ابن جني في (باب تلاقي المعاني على اختلاف الاصول والمباني) هو أن يلتزم بوزن صرفي محدد ثم يسعى لجذب المعاني المتواردة من أصول مختلفة، مثال ذلك ما يأتي على وزن (فعيلة) فجميع موادها تصل الى افادة معنى عام، وهي تؤذن بالالف والملاينة والاصحاب والمتابعة. انظر: ابن جني. الخصائص. ج 2 ص 158 ـ 166. ود. مصطفى مندور. اللغة بين العقل والمغامرة. ص 82.

(29) ـ اكد ابن جنّي في (تصاقب الالفاظ) قوة ارتباط المعاني بالالفاظ فكلما تصاقبت المعاني وتلاحقت تصاقبت في المخارج الالفاظ المعبّرة عنها، وعلى هذا فالتصاقب المعنوي اساس التصاقب المخرجي وعموده الذي يقوم عليه، كما هو في نحو: (أزّ) و(هزّ) وهما يدوران حول التحريك وهو في الأزّ معنوي، وفي الهزّ حسّي، فلما تصاقبا في المعنى العام تصاقبا مخرجا.
انظر: ابن جني. الخصائص ج 2 ص 146.

متكلم، او فيلسـوف، او فقيه، او صوفي إلا ونبّـه انه لا مشاحة في الالفاظ، وان صلة المعنى باللفظ كصلة النفس بالبدن، اي صلة تمييز واستقلال»[30] ولعل موقف (سيبويه ت. 181هـ) كان صحيحا حين «حمل كلام العرب على المعاني، وخلى الالفاظ في حين ان الفراء حمل العربية على الالفاظ والمعاني فبرع»[31]، لان الاهتمام بالدلالة اي افادة المعنى ظاهـرة لغـوية أساسا ومـا المدارس اللغوية المعاصرة الجادّة كالمدرسة التوليدية التحويلية الا ثورة على من اقصى الدلالة في الدرس اللغوي[32]. ان المقابلة بين اللفظ ودلالته مازالت موضع بحث يحاول ان يقدم التفسيرات والحلول المنطقية او النفسية او اللغوية[33].

أصول الكلمات وتطوّرها في لسان العرب

من الجـائـز القول ان العربية قد صفرت من معجم اشتقاقي تأصيلي، او ما يسمى بـ(المعجم التأثيلي) الذي يبحث في اصول الفاظ اللغة ومنابتها الاولى، ومن الجائز القول باننا لا نملك معجما تطوّريًا تاريخيًا يهتمّ بأصل الكلمة ويتتبّع استعمالاتها عبر العصور والنّصوص، وما يطرأ عليهامن تطوّر، فيثبّت ذلك ويؤرّخ، غير أنّه لا يجوز أن نقول ان اللغـويين العـرب لم يعـالجوا تاريخ الكلمة او اصلها عبر آثارهم اللّغوية التي لا تحصى،فقد صرفوا جهدا كبيرا في درس ذلك واننا وان وجـدنـا أغلبية تلك الجهـود قد انصبّت في سياق دلالي على وجـه الخصوص، الا اننا لا نعدم مفاهيم، واشارات، وآراء، ومحاولات كثيرة عن اصول بعض الكلمات، وتاريخها، وتتبع وجوه استعمالها، واسباب

---

(30) ـ الربّاع. ص 85.

(31) ـ انظر: الزبيدي (ابو بكر محمد). طبقات النحويين واللغويين.ص 143 – 144. وقد جسّد الجاحظ (ت. 255 هـ) مفهوم الدلالة كما رآه سيبويه خير تجسيد. انظر: الجاحظ. الحيوان. ج 3 ص 131.

(32) ـ انظر على سبيل المثال: Haya Kawa. (S.I) Language in Thougth and Action. P.27

(33) ـ انظر جون لاينز. ص 32 ـ 33.

نمـوّها، وتطورها، ووسائل هذا التطور والنمو، بما يمكن عدّه بداية مبكّرة في مجال ما يسمى اليوم بـ(الاتيمولوجيا) وعلى وفق وجهة النظر الحديثة.

ولقـد عكفت في الصفحات السابقة على تلمس تلك الآراء، والمحـاولات، والاشـارات عبر عشرات من الكتب اللغـوية التي بين ايدينا، واحاول في الصفحات اللاحقة ان اتصفح المعجم العربي الكبير (لسان العرب)، هذا المعجم الذي احتفظ بمواد لغوية قديمة قد لا نجـدهـا في معجـمات اللغـات التي تدخـل ضمن الارومـة العـربية (السـامية)، وهـذه المـادة اللغـوية تعكس لنا بجلاء حقيقة واضحة تتلخص في ان الذي يسود في جميع عمليات التغيير هو استمرار المادة اللغوية القديمة «فعدم الالتزام بالماضي ليس سوى شيء نسبي وهذا ما يجعل مبدأ التغيير يستند الى مبدإ الاستمرارية»[34]، ومن هنا فانّا يمكن ان نركن الى هذا القـديم ندرسه، ونتفحصه، ونستفيد منه في كتابة تاريخ الكلمـة العـربية وتـطورها، في معجم تطوري تأصيلي منابعه الاساس هي المعجمات العربية المتعددة، ونستفيد منه ايضا في تفسير عدد كبـير من الكلمات الـواردة في النقـوش القـديمـة مثلما فعـل المستعـربـون، فقـد ذكـرت المعجمات ومنها لسان العرب مثلا اسماء الاشهـر الجـاهلية المهجورة مثل: (خوّان، وناجر)[35]، والتي حلت محلها الاسماء الاسلامية كـ(شعبان، رمضان) ولكن مستعربا استعان بها لتفسير اسماء الاشهر الواردة في النقوش قبل الاسلام[36].

---

(34) ـ رولون ولز. علم اللغة الحديث. ص 94.

(35) ـ في اللسان (نجر): «كانت العرب في الجاهلية تقول للمحرم مؤتمر، ولربيع الاول خوّان؛ وكل شهر في صميم الحرّ فاسمه ناجر، لان الابل تنجر فيه اي يشتد عطشها حتى تيبد جلودها، وصفر في الجاهلية يقال له ناجر. . . ويزعم قوم انهما حزيران وتموز، وقيل رجب».

(36) ـ انظر: فريحة (انيس) نظريات في اللغة. ط 2. ص 99.

وعلى الرغم من أنّ المادة اللغوية لا يمكن ان تستكمل في معجم لغوي واحد مهما بلغت سعة الفاظه، لان الصيغ اذا نمت في الحياة الاجتماعية دلّت على معان جديدة، وان الالفاظ المتداولة تدخل في مجال الحياة المعيشة وتأخذ منها دلالاتها إلاّ اننا نجد في لسان العرب مادة لغوية ثمينة عوّل فيها صاحبها ابن منظور (ت. 711هـ) على اصول خمسة ذكرها في خطبته واكثر من الاحالة عليها في ثنايا معجمه[37]، وهي: تهذيب الازهري (ت. 370هـ) وصحاح الجوهري (ت. 392هـ) ومحكم ابن سيده (ت. 458هـ) وحواشي الصحاح لابن برّي (ت. 582هـ) ونهاية ابن الاثير (ت. 606هـ) مما يجعله اثرا لغويا حيّا تقوم عليه دعائم المعجمات الحديثة، ومصدرا معتمدا في التأليف المعجمي الذي يهدف الى بناء المصطلحات اللغوية، والعلمية، والادبية، والفنية وغير ذلك بحسب ما تدعو اليه الحاجة من ضروب القول. ان الباحث المتفحص سيقف من خلال لسان العرب على جملة من الحقائق العلمية التي تشكل اليوم احدى مهمات الباحث (الايتمولوجي) المعاصر، سواء أكانت تلك الحقائق في (اصول الكلمات) ام في تطورها، وطرائق نموّها، لانّا نرى ان البحث في اصول الكلمات يرتبط في اكثر اوجهه بالبحث في طرائق النمو، والتطور اللغوي في أيّة لغة، وعلى العكس فان دراسة تلك الطرائق تقودنا الى شيء أو اشياء من اصول الكلمات ومنابعها الأولى؛ ومن هذه الحقائق نذكر الآتي:

أوّلا:

في أصول الكلمات:

لا نعني هنا باصل الكلمة مكوّنها البنائي كأن يكون ثنائيا، او ثلاثيا، او غير ذلك، فان هذا ما تكشف عنه طرائق النمو اللغوي من

---

(37) - انظر: ابن منظور، اللسان. ج 1 ص 8.

اشتقـاق، ونحت، والحـاق، وغير ذلك مما سيأتي ذكره، ولكني اعني بالاصول هنا عجمة الكلمة أو عروبتها، مما يوقفنا على ملامحها الاولى، ومسيرتها على اللسن العربي. وفي البحث عن أصل الكلمة بهذا المفهوم من خلال لسان العرب نقف على حقائق ثلاث تشير اما الى عجمة الكلمة او عروبتها، او الى بيان اصلهـا اللّهجيّ، او اصلها الفصيح الذي حفظته العاميّة وعلى النحو الآتي:

أ - **عروبة الكلمة او عجمتها :**

. اخذ هذا النوع نصيبا وافرا من جهود العلماء العرب، وعدّ قضية بالغ بعض العلماء في التّعصّب لها، فقد اقّر بعضهم اعجمية الفاظ دخلت اللغة العربية، وجاءت في اشعار شعراء ماقبل الاسلام، وما بعده من الاسلاميين والمولدين وزادت في اشعار العباسيين، وقد ذكرت هذه الالفاظ في مؤلفات الفلاسفة والاطباء وغيرهم. ان مثل هذه الالفاظ (الدخيلة) او (المعربة)[38] موْجود في كل اللغات فهي جميعا تستورد الدخيل بحسب حاجتها، وقد يتسرب اليها ايضا رغم انفها، اذ «لا يكاد يعقل ان تتم عملية تبادل حضاري غير مشفوعة بتبادل لغوي في الوقت ذاته»[39]، ولا يمكن لاية لغة متقدمة عاشت زمنا من عمرها في حضارة زاهرة، وعلم راق، وفكر عال، وادب رفيع ان تكتفي بثروتها المحلية كما انه لا يمكن ان تنجو اللغات الاخرى من تأثيرها[40].

---

(38) ـ اللفظ المعرّب هو لفظ استعاره العرب الخُلّص في عصر الاحتجاج باللغة من أمّة اخرى، واستعملوه في لسانهم، والدخيل لفظ اخذته اللغة من لغة اخرى في مرحلة من حياتها متأخرة عن عصور الاحتجاج الخلص الذين يحتج بلسانهم، وتأتي الكلمة الدخيلة كما هي أو بتحريف طفيف في النطق مثل (كوفيّة) (وهي في اللاتينية غطاء الراس للنساء) و(جمرك) (من اللاتينية كمركيوم اي تجارة، وقد دخلت الى العربية بواسطة التركية:(كمرك) وقد عدّ القدماء العرب المعرب دخيلا انظر: السيوطي : المزهر ج 1 ص 263. ود. ظاظا (حسن). كلام العرب. ص 79.

(39) ـ ظاظا. من كلام العرب. ص 63.

(40) ـ انظر: المصدر السابق. ص 73.

وعلى الرغم من صعوبة البتّ في امر المعرّب او الدخيل والتمييز بينهما في لغتنا بشكل خاص لكونها لغة قديمة موغلة في القدم، وبغض النظر عن اساليب القدماء في تعريب الالفاظ الاعجمية، فانّا نجد أكثر لغويينا قد امتلك مفتاح الشك في اصل الكلمة الدخيلة، وفرزها عن الكلمة العربية الاصيلة، وان لم يجزموا بفرعية الكلمة المعينة المشكوك في اصلها او اصليتها، فاقوال من نحو قول (ابن دريد) «لا احسب الكافور عربيا لانهم ربما قالوا: العفور، والقافور»[41] وقول (الازهري) عن (النسرين) وهو نوع من الرياحين: «لا ادري اعربي ام لا»[42]، وقول (الجوهري) عن (الجيت) «كل ما عبد من دون الله... وهذا ليس محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة من غير حرف ذولقي»[43]، تؤكد ذلك الامتلاك الذي وضح ايما وضوح في لسان العرب، ففيه اشارات الى الفاظ في القرآن الكريم ذات اصول عربية قديمة (سامية)، وجدت في اغلب اللغات المتفرعة عن العربية الام، ومن ذلك كلمة (الطور) في قوله تعالى «والطور وكتاب مسطور»[44] فقد ذكر ابن منظور ان الطور الجبل، وطور سيناء جبل بالشام وهو بالسريانية طوارى[45] وان كلمة (الربانيون) جمع ربّاني وهو العالم الراسخ في العلم والدين او الذي يطلب بعلمه وجه الله... وقيل: العالي الدرجة في العلم... قال ابو عبيدة: «واحسب الكلمة ليست بعربية، انما هي عبرانية او سريانية، وذلك ان ابا عبيدة زعم ان العرب لا تعرف الربانيين... وفي التنزيل كونوا ربّانيين»[46]. و(اليَم) البحر

---

(41) - ابن منظور (كفر).
(42) - نفسه: (نسر).
(43) - نفسه (جبت).
(44) - من سورة الطور/52.
(45) - ابن منظور (طور).
(46) - ابن منظور (ربب). والاية من سورة آل عمران/79.

الـذي لا يدرك قعره ولا شطاه. . . وزعم بعضـهم انها لغة سريانية فعربتة العرب، واصله يمّا»[47].

«وقد وجدت في العربية مواد دخيلة من اصول غير سامية، ولكن العربية طبعتها بطابعها واستعملتها استعمالات كثيرة»[48] وقد أشار الى بعض من هذه المواد ابن منظور من ذلك بعض اسماء المدن والامكنة فـ«بغداد، وبغداذ، وبغذاد، وبغدين، وبغدان، ومغدان، كلها اسم مدينة السلام وهي فارسية معناه: عطاء صنم لأن (بغ) صنم و(داذ) واخـواتهـا عطية يذكـر ويؤنث وحـرفوه عن الذال الى الدال لان داذ بالفارسية معناه اعطى، وكرهوا ان يجعلوا للصنم عطاء، قالوا: داد، ومن قال دان فمعناه ذلّ وخضع»[49].

وان نظرنـا الى اسماء الزهور والرياحين وجدنا كلمات من نحو (سوسن، ونرجس، وياسمين) ترد في اللسان بما نصه «السوسن، نبت اعجمي معرب، وهو معروف، وقد جرى في كلام العرب، قال الاعشى:

وآس وخـيري ومـرو وسـوسـن
إذا كان هِيزَمْنٌ ورحـت مخشـما[50]

وقد يلفت انتباهنا هذا البيت الى الدلالات اللغوية التي تظهر من خلال الفاظ الزهور مثل: آس، وخيري، ومرو، وسوسن، بأنها

---

(47) - ابن منظور (يمم).

(48) - السامرائي. دراسات في اللغة. ص 73.

(49) - ابن منـظور (بغداد). وعندي انّ اصل بغداد/عربي يعود الى عهد حمورابي (ق 18 ق.م) فقد كانت في عهده مدينة مسماة باسم: بكداد. وقد ورد اسم بغداد في الاثار البابلية ايضا قبل احتلال الفرس لهذه الربوع.
وفي أصل هذا الاسم أقوال أخر.
انظر: توفيق وهبي. العقد والاستطراد في اصول معنى بغداد. ص 46.

(50) - ابن منـظور (سـوسن)، و(خشم). وهيزمن وهينـزمن، وهينـزمـر. كلّهـا من أعياد النصارى. ابن منظور (هيزمن). والبيت في ديوان الاعشى. ص 186.

انـواع من الـرياحين تدلّنا على بعض الفاظ الزهور التي تغذي المادة اللغوية وتساعد على تطور معانيها من خلال لسان العرب.

ونجـد لفظ (النـرجس) يرد في اللســان بها نصه:«النرجس من الـرياحـين، معـرب والنون زائدة لانه ليس في كلامهم (فعلل) وفي الكلام نفعل»[51].

ونلقى في اللسان كلمات من نحو (انجيل) مذكورة بها نصه:«هو كتـاب عيسى يذكـر ويؤنث فمن آنّث اراد الصحيفة، ومن ذكر اراد الكتاب وهو اسم عبراني او سيرياني، وقيل هو عربي، وقد اشتق من (النجل) اي :الاصل ويأتي بفتح الهمزة وهذا ليس من كلام العرب»[52].

و(الفـردوس) «البستـان قال الفـراء هو عربي، قال ابن سيده الفـردوس الوادي الخصيب عند العرب كالبستان، وهو بلسان الروم البستان . . . قال الزجاج وحقيقته انه البستان الذي يجمع ما يكون في البساتين وكذلك هو عند اهل كل لغة»[52].

ويفيدنـا اللسان في هذا المقام في ان نرد كثيرا من الاقوال التي تحكم بأعجميّة بعض الالفاظ الى العربية من ذلك نذكر كلمة (لغم) فقـد راى احد الباحثين أنّ كلمة (لغم) دخيلة من اليونانية المتأخرة (ليكيما) بمعنى انفجار جاءت عن طريق التركية[54] والحقيقة انها عربية موغلة في القدم جاء في اللسان «لغم لغما ولغما». وهو استخباره عن الشيء لا يستيقنـه واخبـاره عنـه غير مستيقن ايضـا، ولغم لغما كتم نغـما»[55]. وانـما سمى اللغم بهذا الاسم لانه مستور مخفي، وسواء

---

(51) ـ ابن منظور. (نرجس).

(52) ـ نفسه (نجل).

(53) ـ ابن منظور. (فردوس).

(54) ـ ظاظا. من كلام العرب. ص 72.

(55) ـ ابن منظور. (لغم).

كانت اقوال (ابن منظور) او غيره من اللغويين بعجمة الكلمة المعينة مبنية على البحث والتمحيص والعلم باللغات الاجنبية، ام مبنية على الظّن والتوهم كما يرى بعض المحدثين[56]، فان الذي يعنينا من أقوالهم تلك ما يثبت راينا في ان التراث العربي لم يخل من بحوث ودراسات، وآراء تعنى باصول الكلمة العربية وتاصيلها وتطورها.

ب ـ الاصل اللهجي :

قد يكون تعدد الصيغ، او تكاثر المشتقات في المادة اللغوية الواحدة مظهرا من مظاهر اختلاف اللهجات العربية التي وحّدها القرآن الكريم، وهذا الاختلاف كما هو معروف متعدد النواحي متشعب الجهات، فمنه ابدال الحروف وما نتج عنه من لهجات عربية مخالفة لما وسموه بأنّه افصح الكلام، وهذه اللهجات ثلاثة انواع: لهجات منسوبة الى أصحابها ولها لقب تعرف به، فالعنعنة واصحابها تميم، ومن جاورهم من اسد، وقيس، والفحفحة لهذيل، والوتم لاهل اليمن، والكشكشة لربيعة ومضر، ولهجات منسوبة الى اصحابها وليس لها لقب تعرف به كابدال الف (هنا) هاء فيقولون (هنه) او ابدال الحاء هاء لتقاربهما مخرجا، وقد نسب لسعد بن زيد مناة، ولهجات لا اسم لها، ولم تنسب لاحد[57] ومن مظاهر اللّهجات أيضا التصحيح، والاعلال، والزيادة، والنقصان، والفك، والادغام والقلب المكاني، والمشترك، والمتضاد، والمترادف، وهيئات النطق من إمالة، وتفخيم وترقيق، واخفاء، وهمز، وتسهيل، وغير ذلك مما نعده عنصرا من عناصر التوليد اللغوي قد يحكي قصة بعض الكلمات العربية. ولو تأملنا هذه الظواهر بمعية لسان العرب لوقعنا على مادّة غزيرة، وصيغ متنوعة، وفي

---

(56) ـ السامرائي. دراسات في اللغة. ص 145.

(57) ـ انظر: نجا (ابراهيم محمد). فقه اللغة ص 31 وما بعدها.

الوقت الذي لا نستطيع ان نمثّل لها جميعا في هذه الصفحات المتواضعة نذكر منها (القلب المكاني) وهو تقديم بعض حروف الكلمة على بعض كـ(جبذ) في (جذب) وهو من الابواب الهامة في توليد الالفاظ، وفهم كثير من الصلات بين الالفاظ ودلالاتها واصولها.

ولم تكن كلمة العلماء متفقة في هذا القلب، ففريق يرى انه قد حدث عند قبيلة معينة بمعنى ان الكلمة ومقلوبها نتاج مجموعة لسانية واحدة، او عند العرب جميعهم، ولهذا لم يفرق اصحاب هذا الراي بين صيغة واخرى، ومن هؤلاء (ابن دريد)، و(ابن النحاس) (ت.. 338هـ) في شرحه على المعلقات واليه ذهب نحويّو الكوفة[58].

ولم يعدّه لغويو البصرة كذلك الا اذا امكن الحكم على احدى الكلمتين بالاصلية وعلى الاخرى بالفرعية، معتمدين كثرة الاستعمال والتصرف اساسا في هذا الحكم، فأيّ الكلمتين اكثر تصرفا واستعمالا من الاخرى فهي الاصل، والثانية هي الفرع ولذلك حكموا على (آرام) بانها مقلوبة من (أرآم) لكثرة استعمال الثانية وقلة الاولى عنها[59] فان لم يتمكنوا من الحكم على احدهما بالاصالة، وعلى الاخرى بالفرعية لتساويهما تصرّفا واستعمالا، عدّوا هذا النوع من قبيل اختلاف اللهجات. ذلك فحوى خلاف اللغويين، غير أننا اذا نظرنا في كتب اللغة وجدنا ان اصحاب الفريق الاول لا يسيرون على هذا النهج فكثير من الكلمات التي حكموا عليها بانها مقلوبة وردت على السنة اللغويين على انها من قبيل اختلاف اللغات، وعلى ذلك فيكون حكمهم غير مبني على اساس متين. جاء في اللسان: «المكفهر من السحاب الذي يغلظ ويسودّ، ويركب بعضه بعضا والمكرهف مثله، ووجه مكفهر قليل

---

(58) ـ نفسه: ص 47.

(59) ـ في ابن منظور (ارم): «الآرم، والأرم، والجمع آرام، وآروم. وهي الحجارة تجمع وتنصب في المَفَازَة لتكون عَلَما على الشيء».

اللحم غليظ الجلد، وقيل هو العبوس، والمكرهف لغة في المكفهر، او مقلوبة عنه»[60].

فهذا يدلّ دلالة واضحة على عدم استقرار فكرتهم عند التطبيق على الامثلة مع انهم قطعوا رأيهم آنفا بان ما يرد من هذا النوع فهو من القلب.

ومما يضعف وجهتهم انهم حكموا على (امضحلَّ) بانه مقلوب من (اضمحل) لقصور تصاريف (امضحل) عن المقلوبة عنها، ومعنى هذا الحكم ان الكلمتين من منطوق العرب جميعا او من مقول قبيلة معينة مع ان الوارد عن اللغويين غير ذلك. قال (ابن منظور): «اضمحل الشيء واضمحن على البدل عن يعقوب، وامضحلّ على القلب كل ذلك ذهب، والدليل على القلب ان المصدر انّما هو على اضمحل دون امضحلّ، وهو الاضمحلال ولا يقولون امضحلال»[61]، وقال «واضمحل السحاب تقشع واضمحل الشيء اي ذهب، وفي لغة الكلابيين امضحل بتقديم الميم حكاها ابوزيد»[62] ومن ذلك صاعقة و(صاقعة) فالأولى لغة جمهور العرب، والثانية لغة تميم ففي اللسان ما نصّه «الصاعقة الموت او العذاب المهلك، وفيها ثلاث لغات، صاعقة، وصعقة وصاقعة»[63]، «والصاقعة كالصاعقة حكاه يعقوب، ويقال صقعته الصاقعة، قال الفراء، تميم تقول: صاقعة في صاعقة»[64].

ومنه (طمأن) و(طأمن)، فقد رأى (سيبويه) أن (طأمن) هو الاصل (وطمأن) متفرع منه، واستدل على وجهته هذه بان الزيادة قد

---

(60) ـ ابن منظور (كفهر).
(61) ـ نفسه (ضمحل).
(62) ـ نفسه (ضمحل).
(63) ـ ابن منظور (صعق).
(64) ـ نفسه (صقع).

لحقت (طمأن) والزيادة اذا لحقت كلمة ادركها نوع من الضعف لان اختلاط الزائد بالاصلية اجهاد للكلمة، وتغيير فيها، والتغيير مجرى على حدوث غيره، وخالفه (أبو عَمْرو الجرمي) (ت. 225هـ) فرأى أن (اطمأن) هو الاصل، و(طأمن) متفرع عليه، وقد استدل على ذلك بأن الاصل هو الجدير بتحمل انواع التصرفات في الكلمة ويؤيده ان المصدر المشهور هو (الطمأنة)، وهو الموافق لما عدّ اصلا[65].

إنّ هذه الامثلة وغيرها كثير، قاطعة الدلالة على ضعف لغويّي الكوفة ومن شايعهم لبنائه على اساس ضعيف، وصحة رأي لغويّي البصرة الذي بني على التفرقة، وهو ان القلب يكون اذا لم تتساو الكلمتان تصرفا واستعمالا لإمْكَانِ جعل إحداهما أصلا والأخرى فرعا أمّا إذا تساوت الكلمتان تصرّفا واستعمالا فهو من قبيل اختلاف اللغات كما ظهر من كون (اضمحل) لغة جمهور العرب و(امضحل) لغة قبيلة معينة وهي كلاب، وكذلك (صاعقة) لغة جمهور العرب، و(صاقعة) لغة بني تميم وذلك في رأينا هو الذي يتماشى مع الواقع الملموس. وقد وضح هذا الامر في غير القلب المكاني، فعلى سبيل المثال نجد تخفيف الهمزة، او تسهيلها او تحويلها الى ياء مما «نقله النّحاة بعد ان وجدوا له اصلا في لهجات العرب»[66]، ومنه في اللسان «اهل مكة يخالفون غيرهم من العرب، يهمزون البريئة، والنبيء، والذريئة... وذلك قليل»[67]، ومنه ايضا «قرأ ابو عمرو وحده، بادىء الرأي بالهمز، وسائر القراء قرأوا بادي بغير همز»[68].

---

(65) ـ نفسه (طمن) وانظر: سيبويه ج 3 ص 57، 89.

(66) ـ تيمور (محمود) العامية الفصحى. ص 123.

(67) ـ ابن منظور (برأ).

(68) ـ نفسه (بدأ).

ج ـ الفصيح الذي حفظته العامية :

العـامية مظهـر لغـوي قديم، قائم في كل عصر في التـاريخ العربي، فقد ظهرت العامية ايام (الخليل) (ت. 175هـ)، وغيره من اللغـويين الاوائـل، و(للكسـائيّ) (ت. 189هـ) كتـاب في (لحن العامة)[69]، وتبعه في هذا الضرب من التأليف كثيرون، والذي يعنينا من هذه الـظاهـرة هو الاحتراس من الحكم على اللفظ المعين بصفة (العـامية) دون التحقق من اصـوله من المعجم العربي، فقد تطالعنا كلمات نظن لأول وهلة انها دخيلة او عامية ملحونة، ولكننا حين نحكم المعجم فيها نجدها من الفصيح، او من المحرّف عنه قليلاً.

من ذلك كلمة (فاضي) بمعنى فارغ من اي عمل، وقد شاعت على السنة عوامّ المصريين، وهي فصيحة لها اثر في اللسان بهذا المعنى، جاء ما نصّـه (فاضت نفسه اي مات (خَلاً من الروح) وهي بالضاد لغة. . . وفاض الحديث والخبر واستفاض ذاع وانتشر»[70] اي خلا من كونه مستورا.

ومن ذلـك (خشّ) بمعنى (دخـل) جاء في اللسـان «خشّ في الشيء يخش خشّا وانخش، وخشخش، دخل. . . وخششت في الشيء دخلت فيه، وانخش الرجل في القوم انخشاشا اذا دخل فيهم...» [71].

و(شـاف) بمعنى (رأى) جاء في اللسـان «شاف الشيء شوفا جلاه، والشـوف الجلو، واشتـاف فلان يشتـاف اشتيافـا اذا تطاول (ونـظر)، وتشوفت الى الشيء اي تطلعت، ورايت نساء يتشوفن من السـطوح اي: ينظرن. . .»[72] بل حفظت لنا العامية اصولا لغوية

---

(69) ـ حققه عبد العزيز الميمني سنة 1344 هـ.

(70) ـ ابن منظور (فيض).

(71) ـ نفسه (خشّ).

(72) ـ نفسه (شوف).

قديمة من لغات تنسب الى الأرومة العربية (السامية) نذكر من ذلك على سبيل المثال كلمة (شكارة) وتعني قطعة ارض وهي مستعملة في العراق جنوبه وشماله، وهي من الرواسب الآرامية[73].

ثانيا : تطور الكلمات وطرائق نموّها :

ان معرفة الطرائق التي تسلكها الكلمات في نموها وتطورها يمكن ان يوقفنا على ملامح تاريخها واصولها، بما يساعد الباحث في اصول الكلمات في الوصول الى نتائج علمية محققة. وقد تعددت طرائق نمو الكلمات واساليب تطورها في لسان العرب بما لا يمكن احصاؤه في صفحات معدودات، غير انّي أحاول ايجادها كما ظهرت في لسان العرب بالآتي :

أ- الاشتقاق :

تعددت مفاهيم مصطلح الاشتقاق منذ ان عرف في الدرس اللغوي، ففي اللسانيات الاغريقية كان بمعنى الانطلاق من الاشكال اللغوية التي تتمثل فيها الحقيقة ويفترض ان دلالة هذه الاشكال قد تغيرت وتطورت مع الزمن بالاستعمال، فاصبحت تستعمل مجازا وقد تغيّرت عن اصلها الذي وضعت له في بداية نشأتها الاولى «فالطبيعة اوجدت عناصر الواقع واوجدت معها اسماءها، ولكن الاستعمال اليومي المتكرر لهذه الاشكال زحزحها عن اصلها، فيجب البحث عن الاشتقاق الاصلي، اي البحث عن المعنى الاصلي الذي يمثّل الحقيقة الخالصة»[74].

وفي اللسانيات البنيوية فان معنى الاشتقاق يتغير من مستوى الى آخر، ففي المستوى المعجمي مثلا يعْنَى بالبحث عن المعنى الاصلي

---

(73) ـ انظر هذا ونحوه في: السامرائي. دراسات في اللغة. ص 208 ـ 209.
(74) ـ د. حناش (محمد) البنوية في اللسانيات. ص 374.

للمادة اللغوية دون خلفيات مسبقة، وفي الصرف محاولة فرز ما هو زائد عما هو اصيل في المادة اللغوية. وهناك مفهوم توليدي للاشتقاق مجاله التركيب[75].

والذي نريده هنا هو الاشتقاق الخاص بالالفاظ والصيغ ذلك الاشتقاق الذي بينه وبين القياس صلة وثيقة باعتبار أن القياس هو «الاساس الذي تبنى عليه عملية الاشتقاق وهو المبرر الذي تستند عليه مثل هذه العملية الاشتقاقية كي يصبح المشتق مقبولاً معترفا به بين علماء اللغة»[76]. وقد تنبه علماء العربية القدماء الى فكرة الاشتقاق منذ ان بدأوا يبحثون في اللغة والمعاني المتشابهة واتّضحت لهم ناحية الاصالة والزيادة في مادة الكلمة، وتأكدت ملاحظاتهم فيها بعد يوم بحث المستشرقون في اللغات السامية، وظهر لهم ان الالفاظ السامية تعتمد على جذر، او موادّ وتعتبر الاصل في كل اشتقاق، وان اكثر هذه الجذور شيوعا في اللغات السامية هو الجذر الثلاثي الاصول»[77]، ومن المعروف ان الاشتقاق يعين اللغوي على معرفة اصل الكلمة بشرط ملاحظة مقابلة اللغات، فاذا وجدنا لفظة في العربية ومثلها في الفارسية، او اللاتينية، او اليونانية مثلا، ولم يساعدنا التاريخ على معرفة حقيقة اصلها عمدنا الى اشتقاقها وصيغتها، فاذا لم يكن لها مجانس في اخوات العربية وكان لها ذلك في اخوات الفارسية، او اللاتينية، او اليونانية نرجّح انها من احدى هذه اللغات[78].

من ذلك نذكر كلمة (شطرنج) وقد تكلمت به العرب قال (امرؤالقيس)[79].

---

(75) ـ انظر المصدر السابق. ص 374.

(76) ـ د. انيس (ابراهيم) من اسرار العربية. ص 62.

(77) ـ نفسه.

(78) ـ انظر: جورجي زيدان. تاريخ اللغة العربية. ص 45.

(79) ـ امرؤ القيس. الديوان. ص 485.

ولاعبتها الشطرنج خيلي ترادفت
ورخّى عليها دار بالشاه بالعجل

جاء في اللسان «شطرنج فارسيّ معرّب، وكسر الشين فيه اجود ليكون من باب، جردحل»[80] وهو ليس بفارسي، لان اغلب الروايات تشير الى ان اول من اخترع هذه اللعبة هو الحكيم الهندي (داهر) ومن ثمة فاصل الكلمة هنديّ قديم (شتورنكا) انتقل الى الفارسية في القرن السادس للميلاد، وحرفته ثم انتقل الى العربية من الفارسية بعد ان تصرف العرب في الكلمة وتكلفوا في تحليلها»[81]، ويؤيد ما نذهب اليه من أعجميّة هذه اللفظة ان الطاء والجيم لايجتمعان في كلمة عربية واحدة[82].

وجاء في اللسان ان «الجاموس نوع من البقر، دخيل، وجمعه جواميس فارسي معرّب، وهو بالعجمية كواميش»[83].

ولعل عدم وجود اشتقاق لهذه الكلمة في العربية هو الذي دفع ببعض القدماء الى الحكم باعجميتها ولكن ليس من الثابت ان يكون اصلها فارسيا، والذي يبدو من قول (ابن منظور) ان الكلمة في الفارسية مركبة من (كاو) ثور او بقرة، و(ميش) كبش وهذا لا يؤكد فارسيتها «لانها هندية الاصل بلفظ (جاوميشا) وهو في السنسكريتية، البقرة الكاذبة»[84].

ومن ذلك كلمة (الصّنج) قال ابن منظور «الصّنج العربي هو الذي يكون في الدفوف ونحوه عربي، فأمّا (الصّنج) ذو الاوتار فدخيل معرب تختص به العجم، وكان اعشى بكر يسمى صناجة العرب،

---

(80) ـ ابن منظور (شطرنج).
(81) ـ جورجي زيدان. ص 46.
(82) ـ انظر الجواليقي. المعرّب. ص 269.
(83) ـ ابن منظور. (جمس).
(84) ـ جورجي زيدان. ص 45.

وصنجة الميزان وسنجته فارسي معرب»[85].

ولعل مرد الحكم باعجمية هذه الكلمة عدم جواز اجتماع الصاد والجيم في كلمة عربية ثلاثية اورباعية عدا (جص الجرو) قال (ابن دريد) «وليس يجتمع في كلام العرب جيم وصاد في كلمة ثلاثية ولا رباعيّة»[86]، وفي اللسان «الجِصّ والجَصّ الذي يطلى به وهو معرب... وليس الجص بعربي وهو من كلام العرب، ولغة اهل الحجاز في الجص القص... وجصص الجروّ وفقح اذا فتح عينيه»[87].

ب : التعديل البنائي للكلمة :

اعني به تحول الكلمة من بناء معين الى ابنية اخرى فالحروف المزيدة على اصل المادة تضيف اليها معنى جديدا او تغير معناها الى معنى آخر، فالزيادة تدل على عمق البنية في تضعيف الصيغ مثل : سوّس وشمّس، وطوّق، ووسّع، وغير ذلك، والنقص يدل على سطحيتها، فاذا استعرضنا مادة (شمس) في اللسان الفيناها ترد بما نصّه «وقد أشمس يومنا بالالف، وشَمَس يَشْمِسُ شموسا، وشَمِس يَشْمَس، هذا القياس، وتشمّس الرجل قعد في الشمس وانتصب لها، ويقال: آتينا فلانا نتعرض لمعروفه فتشمّس علينا اي بخل»[88].

فان الملاحظ في صيغ (شمس) و(اشمس) و(تشمّس) انها افعال تتصل بلفظ (الشمس) ويتبين لنا ان نقل الصيغة الى وزن (افعل) يدلّ على الصيرورة في بنية الفعل (أشمس) الذي يفيد في دلالته جمال اليوم المشمس، في حين تعطي صيغة (تشمس) تنوعا في الدلالة فهي في

---

(85) ـ نفسه: ص 46.

(86) ـ ابن دريد. الجمهرة. ج 2 ص 75 والجواليقي. ص 261.

(87) ـ ابن منظور (جصص).

(88) ـ نفسه (شمس).

دلالة طلب الدفء من الشمس، وفي دلالة (البخل) على سبيل المجاز.

وبهذا المعنى فان الباحث في اللسان يعثر على أمثلة كثيرة من الصيغ الواضحة البنية من نحو: برْق، ودفْع، ورعْد، وضرْب، وفجْر وغيرها، وتفاريعها وتغير دلالاتها، فاذا اقمنا على بنية (برْق) بعض التعديل، وحولناها الى بنية (برقية) مثلا وجدناها تدل على كلمة حضارية جديدة قد نمت في حياتنا المعاصرة.

واذا تناولنا بعض ابنية (وثق) الفينا في اللسان ما نصّه: «يقال فلان ثقة، وهي ثقة وهم ثقة ويجمع على ثقات في جماعة الرجال والنساء»[89]، فهي تدل على صفة انسانية يشترك فيها المذكر والمؤنث والجمع، وعلى هذا الاساس فان تنقّل بنية (ثقة) من دلالتها على المفرد المذكر الى دلالاتها على المفرد المؤنث، او الجمع يعطي معنى التوسّع في الاستعمال من خلال اللفظ الواحد، ويضاف الى هذا التوسع ذلك التنقل المعنوي الذي نجده في مشتقات من نحو: وثاق، وميثاق، ووثيقة، وغيرها.

ج ـ النّحت :

النحت نوع من الاختصار في الكلمات، توسعت به العربية واخواتها[90] قال ابن فارس «العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار وذلك نحو رجل عبشميّ منسوب الى اسمين، وانشد الخليل:

أقول لها، ودمع العين جار
ألم تحزنك حيعلة المنادي

هذا مذهبنا في ان الاشياء الزائدة على ثلاثة احرف فاكثرها

---

(89) ـ ابن منظور (وثق).

(90) ـ انظر: ابن جني. الخصائص. ج 1 ص 288، 289، ج 2، ص 114، 115 ـ 117، 366. ج 3 ص 95، 115، 118.

منحوت، مثل قول العرب للرجل الشديد ضبطر، من ضبط، وضبر وفي قولهم: صهصلق انـه من: صهل وصلق، وفي الصّلدم انه من الصلد والصدم»[91].

ورغم المغـالاة في قياسية النحت الا انه يوقفنا على ضرب من التأليف الذي يدخل في صلب الدراسات الايتمولوجية، فمن خلاله نتبين ان كلمات من نحو (البرقع) منحوتة من (برق) ومعه (رقعة) اي خرقة و(برقش) من الفعلين (برق، نقش) و(جمهر) بمعنى جمع التراب على القبر، من (جمع، هار)[92].

ونجد ان المناسبة بين اللفظ والمعنى تظهر في منحوتات مختلفة تكون لها علاقة بابنية اللغة من حيث جعل النحت يتناول الكلمة، او التركيب، او الجملة، فيختصر بعض حروفها ليصير الحذف ويتحقق الايجـاز المـطلوب، فاذا بحثنـا صيغة (بسمل) في اللسان وجدنا انها «بسمل الرجل اذا كتب بسم الله، بسملة.وانشد قول الشاعر:

لقـــد بســـمــلـت ليلى غداة لقـيتـهــا
فيا حبّـذا ذاك الحـبـيـب المـبـســمـل

قال محمد بن المكرم، كان ينبغي ان يقول قبل الاستشهاد بهذا البيت، وبسمل اذا قال بسم الله ايضـا»[93]. يعالج هذا النص صيغة (بسمل) لكونها منحوتة من كلمتين، بسم الله، فنقول ـ بحسب نصّ اللسان ـ بسمل الرجل اذا كتب باسم الله، او قال: بسم الله.

وتبـين (البسملة) معنى المصدرية في تلك الصيغة المنحوتة كما تدل على الحالة النفسية التي يكون عليها الحبيب عند اللقاء بالمحبوب.

---

(91) ـ ابن فارس. الصاحبي. ص 271.
(92) ـ انظر: انيس (ابراهيم) من اسرار اللغة. ص 90
(93) ـ ابن منظور (بسمل).

واذا درسنا صيغة (حوقل) او (حولق) لدلالتها على معنى يتمثل في تركيب لا حول ولا قوة الاّ بالله، وجدناها ترد في اللسان كالآتي «يقال: قد اكثرت من الحولقة اذا اكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله، هي لفظة مبنية من لا حول ولا قوة الا بالله، كالبسملة من بسم الله، والحمْدَلَةُ من، الحمد للّه»«فالحوقلة، والبسملة، والسبحلة، والهيللة احرف جاءت هكذا»[94].

«وسبحان الله: معناه تنزيها لله من الصاحبة والولد، وسبح الرجل قال سبحان الله»[95]، وعلى هذا تبدو لنا ان صيغة (سبّح) اكثر اختصارا ووضوحا من صيغة (سبحل).

واجناس الاختصار على طريقة النحت كثيرة في اللسان، فهناك (عبديّ) نسبة الى (عبد القيس) وهو من القسم الذي اضيف فيه الى الاول لانهم لو قالوا: قيسي لالتبس بالمضاف الى (قيس عيلان) ونحوه وربما قالوا (عبقسيّ)[96].

ومنها «تعبقس الرجل كما يقال تعبشم وتقيّس»[97]ومنها أيضا: «عبد شمس من قريش يقال: عب الشمس ورايت عب الشمس، ومررّت بعب الشمس، يريدون عبد شمس».يضاف الى ذلك انهم قالوا: عَبُشَمسٍ وهو نادر المدغم»[98]. واذا امعنا النظر في تلك الصيغ المنحوتة وغيرها من خلال نصوص اللسان، تبين لنا ان معرفة العبارة المعجمية قبل اختصارها شيء اساس، وذلك لوجود بعض الغموض في الكلمات المنحوتة فصيغة (عبديّ) تثير التساؤل لاننا لا نعرف معنى الصيغة قبل نسبتها الى (عبد القيس) او (عبد الشمس)، وذلك لكونها اخذت صيغة عبد باضافة ياء النسب.

---

(94) ـ نفسه: (حلق) و(حمد).
(95) ـ نفسه: (سبح).
(96) ـ نفسه: (عبد).
(97) ـ نفسه: (قيس).
(98) ـ نفسه: (شمس) و(عبأ).

واما صيغَتَا (عبقسيّ) و(عب الشمس) فانهما اقرب اقرب الى الـذهن لكون الاختصار الوارد فيهما لم يتجاوز حرفي الدال والياء في (عبقسيّ)والدال في(عب الشمس)، سواء اكانت هذه الصيغة المنحوتة مرفـوعـة ام منصوبة، ام مجرورة، واما الافعال المشتقة من التركيبين السابقين (عبد القيس) و(عبد الشمس) فان المنحوت فيهما من (عبد القيس) يتولد من (تقيّس) و(تعبقس) ومن (عبد الشمس) يؤخذ الفعل (تعبشم) وهذا الاختصار يقودنا الى البحث في مادة (قيس) او غيرها من اجل الوصول الى معرفة العبارة المعجمية في صورتها الكاملة قبل نحتها كي نزيل الغموض الحاصل في كون (تقيس) منسوب الى قبيلة (قيس) او الى الشاعر العربي (امرىء القيس) او الى (قيس) آخر قد لا نعرفه.

وعـلى النقيض من ذلـك نجـد الـوضـوح في صيغـة من نحو (تعبقس) المأخوذة من تركيب (عبد القيس) لكون الاختصار واقعا في كلمتي (عبد) و(قيس) فمن الاولى اخذوا العين والباء واهملوا الدال، ومن الثـانية اخذوا القاف والسين، وتركوا الياء، ومن هذا (تَعبشم) المنحـوتة من (عبد الشمس) فقد اخذوا من لفظ (عبد) العين والباء واهملوا الدال، وحذفوا السين من (شمس) واخذوا الشين والميم.

وانا لنجد هذا التوسع في النحت يضيف للمادة المعجمية الفاظا جديدة تعدّ مظهرا من مظاهر النموّ اللغوي الصحيح.

د – التحوير[99] :

يتصـل التحـوير بمعناه العام بابنية الكلمات والجمل وبالتغيير الصوتي الذي قد يأتي للتخفيف في الكلام عند النطق، ويتم بابدال

---

(99) - جاء في اللسان (حور) «أصل والتحوير في اللغة من حار يحور، وهو الرجوع، وكل شيء يتغير من حال الى حال فقد حار يحور حورا». وأرجو ان أكون موفقا في اطلاق هذا المصطلح لاول مرة كما اظن واعني به ما يصيب الكلمة العربية من ابدال أو تحريف أو تصحيف، أو قلب، أو غير ذلك، مما سيجده القارىء الكريم معززا بالامثلة.

صوت بصوت، او تصحيف حرف ليحل محلّ حرف آخر في الكتابة واللفظ، وقد يحدث هذا في لهجة معينة، او تركيب خاص، وهو عند ابن جني ثلاثة انواع: تحريف الاسم الى مقيس ومسموع، مثل قولهم في (نمر): (نمرّي) وفي (خراسان) (خرسيّ) وتحريف الفعل في (اضمحل) (امضحل) وفي (اطيب) (ايطب) وتحريف الحرف مثل: (سوف افعل) (سف افعل) وفي (لابل) (لابن) او غير ذلك[100].

فالنسبة الى (نمر) او (خراسان) اعطت الكلمتين دلالتين جديدتين، وحورتها عن معناهما ومادتها الاصلية، وتحوير الفعل قد زاد صورة ثانية له، وحذف الواو في (سوف افعل) قد اوجد صورة اخرى هي (سف افعل).

ومن ذلك في اللسان ما نصه: «قال ابن خالويه ليس احد يقول بُدِيت بمعنى بُدأت الا الانصار والناس كلهم بَدَيت وبدأت لما خففت الهمزة كسرت الدّال فانقلبت الهمزة ياء»[101].

فهناك لغتان محوّرتان عن الاصل الفصيح (بدأت) هما (بَدِيت) و(بَدَيت) وسواء أكانت الياء مسبوقة بالكسر في لغة الانصار، ام بالفتح في لغة غيرهم، فان التحوير قد وقع في ذلك الاستعمال بسبب الميل الى تخفيف الهمزة ومن ذلك في اللسان ايضا «قريت الكتاب، لغة في قرأت، عن ابي زيد قال: ولا يقولون ف المستقبل الا يقرأ. وقريت لما شاكلت لفظ قضيت قيل مَقْرِيّة كما قيل مقضيّة»[102].

ومن هنا فان تخفيف الهمزة وانقلابها الى ياء قد جعلها تدلّ على التماثل في النطق لكن الصيغة اذا بنيت للمجهول في (قريت) فانها تدل

---

(100) - انظر ابن جنّي. الخصائص. ج 1 ص 7، 12، 18، 20، 64، 124، 139، 141، 162، 211، 237، 306. ج 2 ص: 8، 10، 79، 81، 89، 91، 143، 156، ج 3 ص: 64، 84، 107، 116، 119، 160، 188، 306.

(101) - انظر ابن جني: الخصائص. ج 2 ص 436، 438، 440.

(102) - ابن منظور (قرأ).

على ما يناظرها في الكلام مثل: قضيت، ومقرية التي تشابه مقضيّة وغير ذلك، وقد «اعتقد البدل للتضعيف كباب تقضّيت وتظنّيت، فاعتقد في لَذِذْتُ لَذِيتُ، كما تقول في حَسِسْتُ حسيتُ»[103]، فقد وردالتحوير قصد ابدال الحرف المضعف في الكلام.

وقد ينشأ التحوير ايضا عن التصحيف.جاء في اللسان «وضبأت المراة اذا كثر ولدها هذا تصحيف والصواب ضنأت المرأة، بالنون والهمزة اذا كثر ولدها»[104] ويقرب من هذا ما ورد في اللسان بما نصه «الحنّة: خرقة تلبسها المرأة فتغطي رأسها قال الازهري هذا حاقُّ التصحيف والذي اراه الخبّة، بالخاء والباء، وأما الحنة بالحاء والنون فلا اصل له في باب الثياب»[105]، ومعنى هذا ان التصحيف قد وقع في حرفين هما الخاء والباء اذ تحورت الخاء الى حاء، والباء الى نون ومن ذلك قول ابن منظور «التّأريب: الشح والحرص، هذا تصحيف والصواب التأريث، بالثاء»[106]، وقد يكون استثقال بعض الحروف المكررة مدعاة لحدوث التحوير فنجد في اللسان ان «تذلي فلان اذا تواضع واصله تذلل، فكثرت اللامات، فقلبت أخراهن ياء، كما قالوا (تَظَنَّ) واصله (تَظَنَنَ)»[107] وقد يكون التحوير بتغيير موقع الحروف في الكلمات، او وضع الكلمات في الجمل، فمن الاول قول ابن منظور «يقال للمكان الغليظ شأس وشأر، ويقال مقلوبا مكان شاسيء وجاسيء غليظ»[108] ومن الثاني قوله «والعرب تقول: انتصب العود في الحرباء على القلب، وانما هو انتصب الحرباء في العود»[109] ومعنى

---

(103) ـ نفسه (لذا).
(104) ـ نفسه (ضبأ).
(105) ـ نفسه (خبب).
(106) ـ نفسه (أرب).
(107) ـ نفسه (ذلا).
(108) ـ نفسه (شسأ).
(109) ـ نفسه (حرب).

ذلك ان التحوير اللغوي يؤكد الفرق بين الاصوات في اصلها، وفي نقلهـا وتفسره الكلمات في تغـيرها عن مواضعها، جاء في اللسان ان «القصوى والقصيا الغاية البعيدة قلبت الواو ياء لان فعلى اذا كان اسما من ذوات الواو ابدلت واوه ياء، كما ابدلت الواو مكان الياء فيفَعْلى فادخلوها عليها في فُعْلَى ليتكَافآ في التغيير»[110]، فاستعمل كلمة (تكافؤ) للدلالة على التماثل في ابدال الواو والياء، قال (ابن السكيت) «ما كان من النعوت مثل العليا والدنيا فانه ياتي بضم اوله وبالياء لانهم يستثقلون الـواو مع ضمة اوله، فليس فيه اختلاف الا ان اهل الحجاز قالوا: القصوى فاظهروا الواو، وهو نادر، واخرجوه على القياس، اذ سكن من قبل الواو، وتميم وغيرهم يقولون: القصيا»[111].

ان الواضح من نصّ اللسان ان قلب الواو ياء معروف في لهجة تميم وغيرها، والنطق بالواو لهجة اهل الحجاز وعلى الرغم من خروج ذلك على القياس فان ورود كلمة (قصوى) بالواو بدلا من الياء قد دل على صورتين متماثلتين في التغير، ذلك لان الواو مكافىء للياء في الاستعمال.

هـ ـ الالحاق:

يعـد الالحـاق من الجـوانب اللغوية المتصلة بالدراسة الصوتية للكلمات اذا حلّلنا اصلها في صورة إلحاق حرف في المقطع الصوتي، او زدنا عليه بعض الاصوات الاخرى او اضفنا اليه كلمة من جنسه بحيث تكون تابعا له.

وقد ارتبطت هذه الظاهرة في اللسان بمعنى الزيادة في الحروف او التوسع في الكلمات قال ابن منظور: «اللحق واللحوق، والالحاق:

---

(110) ـ نفسه (قصا).

(111) ـ نفسه (كفأ).

الادراك . . . واللحق، الشيء الزائد[112]، ونستطيع ان نوضح الزيادة الصوتية في الحروف والكلمات من خلال لسان العرب، بالحاق حرف في المقطع الصوتي ليظهر المستعمل في كلام العرب ويتبين المهمل منه .

والـواقـع ان ظاهرة الالحاق كثيرا ما تنتج من اختلاف المقطع الصوتي الاخير للكلمة المعنية فتبعا للحروف الملحقة تتغير الدلالات وتتنوع فعلى سبيل المثال نجد التركيب الصوتي للمواد اللغوية يتم في مقطع (بر) على الصورة الآتيـة :(برأ، برت، برث، برج، برثج، بردج، برنج ، برح ، بربح ، برخ ، بربخ ، برزخ ، برد ، برجد ، برخد ، برقعد ، برند ، برر ، برز ، بربد ، برجس ، بردس ، برطس ، برعس ، برنس ، برش ، برغش ، برقش ، برنش ، برص ، برض ، برط ، بربط ، برقط ، برق ، برزق ، برشق ، برنق ، برك ، برتـك ، برنـك ، برأل ، برزل ، برطل ، برعل ، برغل ، برقل ، برم ، برجم ، برسم ، برشم ، برصم ، برطـم ، برعـم ، برهم ، برن ، برثن ، برذن ، برزن ، بركن ، برهن ، برهمن ، بره ، بري) .

ولهـذه الظاهرة قيمة دلالية توضح اهمية الحروف التي تزاد على الأصـل الثـلاثي ليكـون رباعيا ، او خماسيا فبرج مثلا تصير: برتج ، وبردج ، وبرنج ، وبرخ تصير: بربخ ، وبرزخ وهكذا ومن الجدير بالذكر ان الحاق اللفظ باللفظ يصون المعنى ويحافظ عليه[113] ، فالعناية بمفيد المعنى عند العرب اقوى من العناية بالملحق لان صناعة الالحاق لفظية لا معنوية[114] ومهما يكن من امر، فان اهتمام العرب بالمعنى قبل اللفظ

---

(112) - ابن منظور (لحق) وقـد ورد مـدلول الالحـاق في : ابن جني : الخصـائص. ج 1 ص : 35، 62، 92، 118، 126، 136، 153، 215، 223، 224 231 272 - 273، 319، 341، 363. وج 2، ص :61، 62، 74، 204، 348، 378، 421، 480، 482 - 483 ، وج 3 ص :35، 63 - 66، 83، 113، 169، 191، 232 - 243، 269، 279.

(113) - ابن جني : الخصائص . ج 1 ص 150 ، 223 وما بعدها .

(114) - ابن منظور (غرنق) .

جعلهم يحفلون بالزيادة التي تخدم المعنى.جاء في اللسان ان «امراة خلباء وخلبن : خرقاء، والنون زائدة للالحاق، وليست باصلية»[115] ، فالوقوف على المقطع الصوتي المحدود في صيغة (خلباء) يختلف عن المقطع الصوتي في صيغة (خلبن) وذلك لان المقطع الاول اصلي، والثاني ملحق، لكون النون الساكنة قد دلّت على حالة نفسية معينة تمثلت في الحمق وعدم التبصر في الامور.ومن الجدير بالذكر هنا ان الملحق متعدد في صوره، فمن الحاق حرف في المقطع الصوتي للكلمة المعينة ـ كما مثلنا ـ الى الحاق عنصر مقطعي جديد منفصل عن مادة الكلمة.

فمن ذلك في اللسان «حظيت المراة عند زوجها، وبظيت اتباع له، لانه ليس في الكلام ب ظ ي»[116]، فكلمة (بظيت) قد دلت على الزيادة اللفظية لكونها لم ترد في كلام العرب من حيث مادتها وانما جاءت ملحقة لوصف حالة الرضا التي يكون عليها الزوجان اذا حصل التفاهم والانسجام بينهما.

ومنه في اللسان ايضا قول ابن منظور «ورجل حسن بَسَنٌ اتباع له، وقَسَنٌ اتباع لحسن بسن»[117]، ومنه ايضا قولهم «ذهب دمه خِضرًا مِضرًا، اي هدرا، ومِضَر اتباع»[118] و«تفرق القوم شَذَرَ بَذَرَ، وشِذَر بِذَر، اي في كل وجه. . . وبذر اتباع» و«شَذَر مَذَر، وشِذر مِذر كذلك، ومذر اتباع»[119] وامثلة ذلك كثيرة في اللسان[120]، وهي في جملتها تبين ان الالحاق طريق من طرائق معرفة اصل الكلمة، لان اضافة مقطع صوتي الى الكلمة قد يكون اصليا في بنيتها، او زائدا عليها،أو منفصلا في تركيبه عنها،ولكنه يأتي مُجَانِسًا لها في الصيغة واللفظ

(115) ـ نفسه (خلب).
(116) ابن منظور: (بظا).
(117) ـ نفسه: (بسن وحسن).
(118) ـ نفسه (مضر، خضر).
(119) ـ نفسه (بذر، شذر، مذر).
(120) ـ انظر نفسه: المواد: (جعب، بجر، بثر، بذر).

مثل: حظيت بظيت، وشغب وجغب التي نجدها مزدوجة في الكلام، ومعنى هذا ان التابع يكون مطابقا للمتبوع في بنيته ومختلفا عنه في بعض اصواته كما لاحظنا.

و - التداعي:

تستند الدلالة في بعض طرائق نموها إلى تداعي المعاني التي تقوم في مبناها ومعناها على علاقتي المجاورة والمشابهة[121]، فالمجاورة نلحظها في تغير الاصوات، او تكاثر الصيغ اذا تعاقبت بحيث يستبدل الحرف بما يجاوره من الاحرف الاخرى في الكلمة، او تحوّل الصّيغة الى ما يماثلها من الصّيغ في المعنى، ونقف ايضا في كلامهم على ما يخالف القياس المألوف كاستعمال المذكر في صورة المؤنث أو إيراد المؤنّث في صورة المذكر على غير ما هو معروف عندهم في باب التذكير والتأنيث، والمشابهة نلمسها مثلا في توازن الالفاظ او في ازدواج الكلام، او في تتابع المعاني او تواردها في الاضداد الناشئة اصلا من كلمتين متناقضتين في المعنى او غير ذلك.

ففيما يخص المجاورة نجد ان «الشيء اذا جاور الشيء دخل في كثير من احكامه لاجل المجاورة»[122] فمن مجاورة الاصوات نرى ان «النات: لغة في الناس على البدل الشاذ... أبدل التاء من سين الناس.»[123] وان «عَقْبة وعَقْمة، وعِقْبة وعِقْمة... ويقال: انه لعالم بعُقْمَى الكلام، وعُقْبَى الكلام، وهو غامض الكلام الذي لا يعرفه

---

(121) - انظر: وافي: علم اللغة. ص 316. وقد ورد التداعي بهذا المعنى في ابن جني: الخصائص. ج 1 ص: 44، 139، 150، 171 - 172، وج 2 ص: 176، 316، 363، 375، 478. وج 3. ص: 80، 241، 289، 336.

(122) - ابن جني: المنصف ج 2 ص 2.

(123) - ابن منظور. (أنس).

الناس» [124] ومن تعاقب الثاء والفاء نجد ان العرب «تُعقب بين الفاء والثاء، وتِعاقب مثل جدث وجدف» [125]، ومن تعاقب النون والميم لقرب مخرجيهما نجد: «الايم والاين للحية، والغيم والغَين للسحاب» [126]، ومنه قولهم: «اتيته في عنبرة الشتاء، أي شدّته، وحكى سيبويه: عَمْبَر بالميم على البدل» [127]، ومن تعاقب النون والهمزة ما جاء في اللسان بما نصّه «جؤنة جونة، انما يريدون ان تعاقب في هذا الموضع الهمزة كما تعاقب لام المعرِفة التنوين، أي لا تجتمع معه» [128]، فالعرب تميل بكلماتها الى الخفّة، وتتفادى ما تشعر بثقله على اللسان كـ (جؤنة)، فعاقبت الهمزة النون مثلما عاقبت لام المعرفة التنوين، لأن وجود التنوين في لفظ (رجل)، أو (غلام) مثلا، مرتبط بإِسْقَاط لام المعرفة من: (الرجل) أو (الغلام). [129].

ويمكن ان نعدّ من هذا ما يمكن ان نطلق عليه مصطلح (الابدال غير المطرد)، وهو ما لا يجري به قياس، ولا ينتظمه قانون، وانما يحفظ في كلمات أثرت عن العرب. وهذا الضرب من الابدال يجري في جميع حروف الهجاء، وان كان يكثر في بعضها ويشيع ويقلّ في غيره، قال أبو حيان (ت 741 هـ) في شرح التسهيل: «قال شيخنا أبو الحسن ابن الضائع: قلّما تجد حرفا إلا وقد جاء البدل فيه ولو نادرا» [130] واذكر في هذا المقام ان احرفا جاء فيها الابدال على هذا الوجه غير المطرد فالتزمته العامة، وجعلته منهجها الذي لا تحيد عنه، ومضت به

---

(124) ـ نفسه (عقب).
(125) ـ نفسه (عقب).
(126) ـ نفسه (قعن).
(127) ـ ابن منظور (عنبر، عمبر).
(128) ـ نفسه: (بهر).
(129) ـ نفسه: (أين).
(130) ـ المزهر من مبحث الابدال (ج 1/ص 172).

ألسنتهم، وانطوت عليه حوائجهم، فلا يَرِيمونه ولا يبغون به بدلا [131].

فمن ذلك ابدال الذال دالا، يقول العامة: دكر في ذكر، ودراع في ذراع، وودن في أذن وفيه مع ابدال الذال إبدال الهمزة واوا على حدّ قولهم (ورّخ الكتاب) في (أرّخه). وهي لغة حكاها يعقوب [132] قال ابن منظور: «الدكر لربيعه في الذكر وهو غلط حملهم عليه ادّكر حكاه سيبويه... واما قول الله تعالى: «فهل من مدّكر» فان الفراء قال حدثني الكسائي عن اسرائيل عن أبي اسحق عن الأسود قال: قلت لعبد الله فهل من مذّكِر ومدّكر فقال: أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم مدّكر بالدال قال الفراء: ومدّكر في الاصل: مذتكر على: مفتعل، فصيرت الذال وتاء الافتعال دالا مشدّدة. قال: وبعض بني أسد يقول: مذّكر فيقلبون الدال فتصير ذالا مشدّدة، وقد قال الليث: الدّكر ليس من كلام العرب وربيعة تغلط في الذّكر فتقول: دِكْر.» [133]

ومما يذكر في هذا الموطن ان ترك الذال الى الدال لغة السّريانيّين [134] ومن ذلك ابدال العامة الذال زايا في بعض الكلمات، يقولون: ذبرت الكتاب أي قرأته، ويقال في ذلك أيضا (زبرته) قال ابن منظور «وزبرت الكتاب وذبرته قرأته والزّبر الكتابة.» [135] والظنّ أنّ الزاي بدل من الذال لكون الاولى اسهل في النطق من الذال التي تحتاج إلى الضغط على الثنايا، ومن ثم جرى هذا على لسان العامة لما كانت تدع الصّعب في المنطق وتجنح الى السهل ويقال ايضا: «ذرق الطائر وغيره وذرق اذا حذف به حذفا» [136] ومن ذلك الثاء تبدل تاء. ومنه في

---

(131) - انظر: النجار. محمد علي. الابدال. ص 676.

(132) - ابن منظور: (ورخ).

(133) - نفسه: (دكر) وانظر سيبويه: ج 4 ص 477. والآية من سورة القمر/15.

(134) - انظر: النجار. ص 677.

(135) - ابن منظور (زبر).

(136) - ابن منظور: (زرق).

العربية قولهم في (الخبيث) (الخبيت) قال ابن منظور: «والخبيت الحقير الرديء من الاشياء قال اليهوديّ الخيبريّ.

ينفـع الـطيّب القليل من الـرّز   قِ ولا ينفـع الكثـير الخبيت

وسـأل الخليل الاصمعي عن الخبيت في البيت فقـال له أراد الخبيث، وهي لغة خيبر، فقال له الخليل لو كان ذلك لغتهم لقال الكتير وانـما كان ينبغي لـك ان تقول انهم يقلبون الثـاء تـاءً في بعض الحـروف، وقـال أبـو منصـور في بيت اليهـوديّ أيضـا أظنّ أنّ هذا تصحيف»[137]. وتـرى في ألسنة العامة بعض الكلمات بالسين وأصلها بالثاء كـ(ميراس)واصله (ميراث) و(سمرة) في(ثمرة). ومنه في العربية قولهم «وجرى فمه ثعابيب كسعابيب، وقيل هو بدل...»[138].

والأقرب عندنا ان الثاء في هذا أصل، فان مادة الثعب للسيلان أرغب وأوسع من مادة السعب.

ومن العامة من يبدل القاف همزة، يقولون: أُلت في قلت. وقد ورد في اللسان أنّ (الافز) لغة في (القفز)[139].

واذا نظرنـا الى معـاقبة الكلمات في استعمال الصيغ في اللسان وجدنا أنّ: «فعل وافعل يتعاقبان كثيرا على المعنى الواحد، نحو: جدّ في الامر وأجدّ، وصددته عن كذا وأصددته، وقصر عن الشيء وأقصر، وسحته الله، واسحته، ونحو ذلك»[140]، ومن الملاحظ ان تعاقب الصيغ في مثل: جدّ، لتدلّ على أجدّ، وقصر على اقصر قد حصر معنى الصيغتـين في دلالة واحدة، وعلى النقيض من ذلك تكون الزيادة في بعض الاستعمالات سببا في تغيير الدلالة من ذلك قول ابن منظور:

---

(137) ـ نفسه: (خبت). واليهوديّ الخيبري هو (السموءل بن العريض).

(138) ـ نفسه: (خيت).

(139) ـ نفسه (ألز).

(140) ـ نفسه: (كسا) وانظر (سحت).

«والمتْقِنون من أهل اللغة يقولون فرى للافساد، وأفرى للاصلاح، ومعناهما الشّقّ» [141]. فصيغة (فعل) دلّت على الافساد. و (افعل) على المعنى المضاد.

أمّا علاقة المشابهة فتظهر في صورة اللفظ وتبرز في وظيفته وتتجسّم في توارد معانيه فمن علاقة المشابهة في صورة اللّفظ نجد في اللسان «ان العرب توازن اللفظ باللفظ ازدواجا كقولهم: إني لآتيه بالغدايا والعشايا، وانها تُجمع الغداة غَدوات، فقالوا غدايا لازدواجه بالعشايا» [142] ويظهر من هذا النّصّ أنّ لفظ (غدايا) قد خرج على صيغة (غدوات) اتباعا للفظ (عشايا)، وبذلك كان في بنية الكلمة ما يدعو المعنى لاستكمال الصورة التي نلحظها في الازدواج.

ومنه في اللسان: «عندي ما ساءَه وناءَه، وما يسوءُه وينوءُه» «وكذلك وازنوا الشجيّ بالخليّ، وقيل معنى قولهم: ويل للشجيّ من الخليّ،ويل للمهموم من الفارغ» [143] ويتبينّ لنا من هذا الكلام انهم وازنوا بين الضّدين في المعنى: الشجيّ بالخليّ، فالمهموم قد يتداعى الى ذهنه الفارغ، وقد يكون الثاني غير مدرك لشعور الاول، ومن ثم يكون التداعي في هذا التركيب ملحوظا في الحالتين المذكورتين في نصّ اللسان.

أمّا مظاهر التطور الدلالي للكلمات الذي يساعد الباحث في اصول الكلمات على انجاز مهمّاته فهي كثيرة منها:

المجاز، والمشترك، والمترادف، والمتضاد، والانتقال من الحسيّ الى المعنوي، ومن العام الى الخاص، ومن الخاص الى العام، فقد وضح في اللسان أيّما وضوح، وأدعو الخالق العظيم ان يمنحني القوّة والصبر على دراسته في بحث مستقلّ ان شاء الله.

الهادي نهر

---

(141) ـ نفسه: (فرا).
(142) ـ نفسه (شجا) و(عشا) و(غدا).
(143) ـ نفسه (شجا).

المراجع والمصادر

☆ ابراهيم محمد نجا، فقه اللغة، جامعة الأزهر - مصر 1374 هـ / 1955 م.

☆ احمد امين، اسباب تضخم المعجمات العربية (بحث) مجلة المجمع اللغوي المصري العدد (9) مصر، 1959

☆ الأعشى (ميمون بن قيس) الديوان، دار بيروت 1960

☆ امرؤ القيس، الديوان الجزائر 1974

☆ انيس (ابراهيم) من اسرار العربية، ط 5 مصر 1975

☆ أولمان (استيفن) دور الكلمة في اللغة، تر. د. كمال بشر، القاهرة 1962

☆ التهامي الراجي الهاشمي، توطئة لدراسة علم اللغة (التعاريف) ط 2 بغداد 1984

☆ توفيق وهبي العقد والاستطراد في أصول معنى بغداد (بحث) مجلة المجمع العراقي، 1369 هـ /1950

☆ الثعالبي (ابو منصور عبد الملك) فقه اللغة وسرّ العربية، المكتبة التجارية الكبرى - مصر

☆ الجاحظ (عمرو بن بحر) الحيوان تح، عبد السلام هارون، القاهرة 1945

☆ جرجي زيدان تاريخ اللغة العربية دار الحداثة - بيروت 1980

☆ ابن جنّي (ابو الفتح عثمان)

- الخصائص تح، محمد علي النجار مصر 1952
- المبهج في تفسير اسماء شعراء ديوان الحماسة دمشق 1348 هـ
- المنصف شرح لكتاب التصريف للمازني، تح، ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مصر 1954

☆ الخفاجي (شهاب الدين احمد) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل القاهرة 1325 هـ

☆ ابن دريد (ابو بكر محمد بن الحسن) الجمهرة دار صادر - بيروت
☆ د. الراجحي (عبده) فقه اللغة في الكتب العربية بيروت 1979
☆ د. الرباعي (سامي) اللغة العربية والتجديد (بحث) مجلة دراسات عربية بيروت 1984
☆ الرازي (ابو الفخر) التفسير الكبير القاهرة 1389 هـ
☆ د. رمضان (عبد التواب)
- التطور اللغوي : مظاهره، وعلله، وقوانينه، مصر 1404 هـ /1983
- فصول في فقه اللغة العربية مصر 1977
☆ رولون ولز علم اللغة الحديث تر. د. يوئيل يوسف عزيز بغداد 1407 هـ /1986
☆ الزاهد (ابو عمر المطرز) المداخل قدم له وحققه وعلّق عليه محمد عبد الجواد الانجلو - مصر
☆ الزبيدي (ابو بكر محمد) طبقات النحويين واللغويين مصر 1954
☆ زكرياء (ميشال) الالسنية (علم اللغة الحديث) المبادىء والاعلام ط 2 بيروت 1403 هـ /1983 م.
☆ د. السامرائي (ابراهيم) دراسات في اللغة بغداد 1961
☆ سيبويه (عمرو بن عثمان) الكتاب تح. عبد السلام هارون عالم الكتب - بيروت
☆ السيوطي (جلال الدين) المزهر في علوم اللغة وأنواعها طبعة محمد علي صبيح/مصر.
☆ ظاظا (حسن). كلام العرب، من قضايا اللغة العربيّة مصر 1971
☆ العمري (زينب عبد العزيز) اللغة بين القدماء والمحدثين (بحث) ابحاث اليرموك، العدد 1 - 2 الاردن 1983
☆ ابن فارس (احمد ابو الحسين)
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها حققه وقدم له مصطفى الشويمي بيروت 1383 هـ /1963
- مقاييس اللغة تح. عبد السلام هارون مصر 1366 هـ /1371 هـ
☆ فريحة (انيس)
- اللغة العربية وبعض مشكلاتها بيروت 1980
- نظريات في اللغة ط 2 بيروت 1981
☆ فندريس اللغة تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص مصر 1964
☆ قطرب (محمد بن المستنير) المثلثات تحقيق ودراسة ألسنيّة، د. رضا السويسي ليبيا - تونس 1398 هـ/1978

☆ د. القفرالي (رضوان) علم اللسان بيروت 1984
☆ لاينز (جون) اللغة والمعنى والسياق، تر، د. عباس الوهب بغداد 1987
☆ ماريو باي لغات البشر، اصولها، تطبيقها، تطورها، تر، د. صلاح العربي مصر 1970
☆ د. المبارك (محمد) : فقه اللغة وخصائص العربية ط 2، دار الفكر - بيروت 1392 هـ /1972
☆ د. مصطفى مندور اللغة بين العقل والمغامرة الاسكندرية 1974
☆ ابن منظور (جمال الدين محمد) : اللسان، طبعة بولاق، مصر
☆ مونين (جورج) تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين تر، د. بدر الدين القاسم دمشق 1392 هـ/1972
☆ النجار (محمد علي) الابدال (بحث) مجلة الازهر العدد (18) مصر 1366 هـ
☆ د. وافي (علي عبد الواحد)
- علم اللغة ط 6 مصر 1387 هـ / 1967
- فقه اللغة ط 4 مصر 1375 هـ /1956

محاولة التأريخ لمعجم الرياضيات في العربية

بحث د. محمد سويسي

قديما كتبت ان اللغة كائن حيّ . . . تولد مفرداتها في ظرف من الظروف، ان صح القول، على سنّ قلم الكاتب او على شفاه الشعب، ثم تنمو وتترعرع مكوّنة من حولها أسرة مترابطة الاطراف، يشدّ بعضها بعضا . . . ويأتيها حين من الدّهر تفقد فيه ما كان لها من نشاط وحيويّة وتشيخ وتهجر وتموت. «على أن المهجور من المفردات، وما شاخ من العبارات لا يكون هجره باتّا ولا شيخوخته نهائية» فمن بين ما تراكم من هذه الآثار الثريّة لا يمتنع ان يكون لبعض البقايا من الصلاحية ما يمكنها من الرجوع الى دورة الاستعمال، فلا السماع يجدفي ذلك نفرة ولا القياس خللا، «ويكون لما أعيد للاستعمال من المفردات بعدما هجرت مدلول واضح وضوحا تلقائيا» (لتري).

فمن ذلك لفظ الجذاء وهو العطية الجزلة والنتيجة قد استعاره الخليل بن أحمد «لمبلغ ما يتجمع من الضّرب»، ثم هجر، واعدت استعماله («أصول الجبر») وعاد اليه مجمع القاهرة، كما تبنّاه المعجم الموحّد للرياضيات.

وعلى كل إنّ مظاهر تجدّد اللغة تجدّدا مستمرا «مثلها مثل

التحـولات الـوظـائفية او التشريحية التي يمـر بها جنس من اجنـاس الحيوانات ، ففيها يبقى دائما لما تضاءل من اعضائها اثر هو شبه العلامة على المـاضي» ، فاللفظ ، وخـاصـة المصطلح ، مثلها مثل الصوى في الصحـراء علامـة على مراحـل الأمّة على مسار تأريخها وعلى ما بلغه المجتمع من مستوى في حقل الثقافة والعلوم .

وسنقتصر في حديثنا على لغة الرياضيات ومصطلحاتها ، وسنقف من خلال بعض الامثلة المستمدة من مصادر تمتد على عدّة عصور ، على تطور اللغة ، وعلى ادراك اللفظ في حركته وتحوله ، واجلاء مايسميه لتري «بواقع مفهوم المرور والتحول والنمو» .

وهـذا ما قمنـا به من عمـل في المعجم المكـون لرسالتنا «لغة الـرياضيات في العربية» ـ والشكر لبيت الحكمة التي مكّنتنا من نشره واخراجه للقراء ـ فقد اتبعنا معاني مختلف الاصطلاحات بشواهد رتّبناها قدر الامكان ، حسب الترتيب الزّمني .

. . . وفي البـداية كان الخوارزمي ، كبير العلماء الذي علّمهم الحساب والجبر ، فطبع بطابعه المؤلفات الرياضية كافة ـ العربية وحتى الغربية في القرون الوسطى حين نقلت العلوم العربية الى اللاتينية ـ ومن ذلك آثار باقية في اللغات العلمية الاوروبية فيما يخصّ مسمّيات العمليات الحسابية ونتائجها فمثلا استعمالهم :

Une somme s'élève à...

Le montant en est...

وأصل ذلك من الوضع العربي لعملية الجمع : يقول ابن البنّاء «العمل في الجمع ان تضع المجموعين في سطرين متوازيين وتمد عليهما خطّا ، ثم تضع المرتفع منهما ان كان آحادا على رأسهما ومثاله :

$$\begin{array}{r} \underline{145} \\ 48 \\ 97 \\ 1 \end{array}$$

اجمع السبعة الى الثمانية تكن خمسة عشر، فضع الخمسة على راس المجموعين والعشرة ادخل بها بصورة الواحد تحت التسعة واجمعه اليها والى الاربعة يرتفع لك اربعة عشر» ومن آثار العربية في لغة فيات Viète (القرن السادس عشر الميلادي) استعماله لحرف «في» في عملية الضرب: ضرب كذا في كذا (باللاتينية in .

B 3 in A quad - D plano in A يعني $38.A^2 - D.A^2$ الخ هذا وان اللغة التي توخاها الخوارزمي في كتبه، ولا سيما في «كتاب الجبر والمقابلة» لم تكن ثابتة ولا مدقّقة، بل كانت اقرب ما تكون الى لغة التخاطب، فيستعير الخوارزمي مصطلحه في الغالب، من اللغة المتداولة بين الناس، ويلتصق المصطلح بالواقع المحسوس ويتلوّن بألوان تقرب مدلوله من الذّهن. . . وذلك كالمعين (الشكل الرباعي المشابه للعين) وكالشكل النّاري للهرم الثلاثي المنتظم. . . بل ان الخوارزمي يعدّد المفردات للمدلول الواحد ويترك للقارىء الخيار بينها، وان كانت هذه المفردات غير مضبوطة لا تفي الوفاء الكامل بالمعنى المراد، فقد يكون ذلك مقصودا منه، لما في الدّقّة والضبط من عسر التناول من قبل المبتدئين ـ وهم المعنيّون بالذات في كتابه ـ

ولنتخذ بعض الأمثلة من هذا التأرجح اللّساني :

فلمفهوم الجمع يستعمل الخوارزمي : الجمع (ص30) والضّمّ (42) والزيادة (18) والاضافة والحملان.

ولمفهوم الطرح نجد: الطّرح والنقصان (30) والالقاء (39 , 47) والاستثناء (27) والتفريق والعزل (67) والنزع (69) والاسقاط (43).

كما نجد تأرجحا في تذكير المصطلحات وتأنيثها: المثلث والمثلثة، المربع والمربعة، والمعيّنة والمدوّرة الخ. . .

هذا ولابد ان نلاحظ أنّه «إذا تبنى اهل العلم لفظا من الالفاظ فسرعان ما يفقد مدلوله الاصلي».

وتلك ثنائية كثيرا ما اشار اليها القدماء فميّزوا عند تلفّظهم

بمفردة من المفردات بين ما لها من معنى وما لها من مدلول في الاصطلاح.

فاذا ما استعمل الحاسب مثلا لفظ الضّرب ما أبعد ما يكون ما يقصد عن المفهوم اللّغوي الدّال على اللكم والدّق... وما أبعد ما يكون مفهوم الجبر للعظم المكسور وهو إصلاحه عن مدلول عملية الجبر في الرياضيات.

وكذلك الامر بالنسبة الى العدد الاصم وهو كما يقول ابن سينا «الكم غير المعقول» وكذلك الكرة الصّماء، ضدّ الجوفاء، فما ابعد ما هما عن الصمم وفقدان حاسّة السمع.

ومن جهة اخرى لقد بقي، في البداية، في لغة الرياضيات، اثر للغات المنقول عنها: الارثماطيقي بجوار علم العدد والجومطريا بجوار الاقتباس المعرب عن الفارسية، الهندسة، والاسطرونوميا بجوار علم الفلك، والميخانيقي بجانب علم الحيل، والصفر ومصطلح الجَيْب وسلسلتا الارقام المستمدتان من الهند، المستعملة احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب وسميت بحروف الغبار قبل ان تنقل الى اوروبا فعرفت فيها باسم الارقام العربيّة.

وشيئا فشيئا اصلحت الكتب المترجمة ووضعت المقابلات العربية للمصطلحات الاعجمية.

وتبع ذلك تنقيح للمادة العلمية و«تحرير» لمحتوى العلم (تحرير المجسطي ـ تحرير مصادرات أقليدس ـ تحرير المناظر)، وشيئا فشيئا صارت لغة الرياضيات واضحة مضبوطة وفيّة بالمعنى المراد، وهجرت منها الالفاظ الدّخيلة التي اضطرّ النقلة الأوّلون الى استعمالها، وحتى ما اقترض من الغير قد ادخل عليه تعديل، وصيغ على حسب الاوزان الصرفية العربية.

ونحن نعرض الآن لوحات من مصطلحات استخدمت قديما وسنتتبع مدى ثباتها عبر العصور ونشرح بعض خطواتها وتطوّر مدلولها أحيانا، أو انحجابها في فترة من الفترات، ونختار البعض منها فنشفّعه

بما يعنّ لنا من تعاليق لتوضيح مسار المصطلح وما آل اليه .

ونختم القول بما توحي لنا به اللوحات من ملاحظات قد نستفيد منها في وضعنا الرّاهن .

وهذه نماذج من المختصرات التي سنستعملها في لوحاتنا :

اخوان : رسائل اخوان الصفاء ج2

الخوارزمي : كتاب الجبر والمقابلة ط القاهرة

تلخيص : تلخيص اعمال الحساب لابن البناء ط تونس 1969

كشف : كشف الاسرار عن حروف الغبار، القلصادي ط . تونس 1988

الكاشي : مفتاح الحساب دمشق 1977

أشكال التأسيس : السمرقندي وشرح قاضي زادة

معونة : ابن الهائم خ تونس 10301 . 190

الطوسي : التذكرة في علم الكرة خ تونس

الأسّ : وهو لغة أصل البناء أو الأصل مطلقا

فاستعمله اخوان الصفاء (ص 25) ومفاتيح العلوم (112) في القرن الحادي عشر،وابن البناء في التلخيص (1) في القرن الثالث عشر للدّلالة على مرتبة العدد أسّ الاحاد واحد وأسّ العشرات اثنان وأسّ المئين ثلاثة الخ،وأمّا كشف الاسرار[30] في القرن الخامس عشر فيستعمل المصطلحين مرتبة ومنزلة[31] وقد احتفظ بهذا المعنى في العصر الحديث المعجم الموحّد للرياضيات بمصطلحي المرتبة او المنزلة .

كما استعمل لفظ الأسّ في الجبر بمعنى دليل القوة عند الخوارزمي وفي التلخيص (76) وفي كشف الاسرار (90) العدد لا أسّ له ، واس الشيء واحد، واس المال اثنان واس الكعب ثلاثة الخ . . .

ولم يبق استعمال هذا المصطلح بهذا المعنى في العصر الحاضر سوى في باب الدالة الاسيّة fonction exponentielle ص=أ^س $Y = a^X$.

سطح : وهو لغة يدلّ على بسط الشيء ومدّه استعمل اولا في الهندسة.

(IX) الخوارزمي (22) ما له طول وعرض لا غير وينتهي بالخط

(XI) اخوان الصفاء (54) شكل يحيط به خط أو خطوط السطح ويسمى البسيط ايضا ما له طول وعرض فقط ونهايته الخط شرح اشكال التأسيس (39) للسمرقندي(XIII) شرحه قاضي زاده (XV) (والتعريف تعوزه الدقة) ويذكره العاملي وتقتبس مجلة مجمع القاهرة ج 3 / 64 هذا التعريف منه وهو ادق: هو ما تقع فيه الخطوط المخرجة عليه في أي جهة.

ونجد في العصر الحاضر هذا المصطلح بهذا المعنى مع زيادة في التدقيق:

ك. الهندسة الفضائية القاهرة 1955 Surface plane الرسم الهندسي بغداد 1953 سطح **مستو** الرسم؛الهندسي بغداد سطح **مخروطي** Surf conique وعن طريق **الاشعاع** استعمل هذا اللفظ في الحساب للدّلالة على **جذاء عددين** Produit de 2 facteurs خوارزمي (IX) (22) كشف الاسرار (XV) وتغلب لفظ الجذاء في الوقت الحاضر.

قائم perpendiculaire

القيام لغة الانتصاب:قام على(XI)اخوان (52):مفاتيح (199)، (XIII)طوسي 2705 ، 96 ظ(XIII)السمرقندي أشكال التأسيس (42) شرح قاضي زاده (XV) يسمى الخط القائم على الآخر عمودا عليه،يستعمل الخوارزمي (IX) (55):عمود (IX) وكذلك اخوان 52 (XI) ، مفاتيح 119 (XV)-(XIII) اشكال التأسيس 88، (XV) كاشي 2039، 14 و12ظ.

وفي العصر الحاضر خلط بين عدة مصطلحات: قائم، عمودي، رأسي، شاقولي، ناظم.

وفي الاصطلاح المستخدم بتونس بتوصية منا (1960) يوجد اتجاه نحو تخصص المفردات، فوضعنا بالتدقيق هذه المقابلات.

قائم perpendiculaire

عمودي orthogonal

رأسي Vertical

ناظم normal .

اثر خطإ في الرسم شاقولي ماخوذ حسب البيروني من الثاقول (الثقالة) .

صرف، تصريف conversion

أصل يدل لغة على رجع الشيء يستعمله التلخيص (XIII) (61) وكشف الاسرار(XV)(75)(كشف: الصرف هو انتقال الكسر من اسم الى غيره **سقط هذا المصطلح من المعجم المعاصر**)واستعمل عوضا عنه، توحيد المقامات او التجنيس.

خارج، **ماخرج** ويمكن ان يقارن هذا المصطلح بما اصطلح عليه في القرون الوسطى في اللاتينية resultare (كان نتيجة منطقية لأمر ما) محصّلة résultat – resultante de deux droites, de deux forces نتيجة عملية حسابية بصفة عامة ثم تخصص بعملية القسمة.

(IX) يستعمله الخوارزمي ويستخدم ايضا: ما حصل معك الحاصل.

(XI)اخوان (43)

(XIII) التلخيص (51، 53) يستعمله للضرب والقسمة

(XV) كشف للضرب (69)، وللقسمة (64) واليوم تخصص ناتج الجمع بمصطلحي مجموع somme واحيانا جملة total الطرح (ومنه tare بالفرنسيه) الباقي (كشف 64) الضرب : الجذاء (احيانا السطح 2 facteurs) القسمة: الخارج (يستعمل الخوارزمي ايضا مصطلح القسم) وبقي من هذا الاستعمال ايضا بالمشرق استخدام «مخرج الكسر» dénominateur (حساب المكاييل والمقاييس بغداد 1955 . 116) المقابل للاستعمال المغربي: مقام الكسر.

	القرن التاسع IX	القرن العاشر X	القرن الحادي عشر IX	القرن الثالث عشر IIIX	القرن الرابع عشر XIV	القرن الخامس عشر XV	العصر الحاضر
الأسّ : عبارة عن مرتبة العدد*1 هو لغة أصل البناء أو الأصل مطلقا*2			إخوان (25) مفاتيح (112)	1) تلخيص (1) 2) تلخيص (76)		كشف الأسرار	عوّض بـ مرتبة (المعجم) منزلة (الموحد) أسّ دليل القوة داله اسية
صحيح (عدد)	خوارزمي		إخوان (24) مفاتيح (120)	تلخيص (39)		كشف 75	المعجم الموحد
سطح (حساب جبر) هندسة ماله طول وعرض لا غير	خوارزمي (22) خوارزمي (22)		إخوان (54) مفاتيح (110)	أشكال التأسيس (39) (156) ويسمى البسيط	نيسابوري شرح ت التذكرة 236،5 و	كشف كاشي كاشي (سطح ومسطح وبسيط) كشف 46	المعجم الموحد مجلة مجمع القاهرة 1960،4
صنوبرة الظلّ Cône			مفاتيح 130 ابن سينا الشفاء،208				سقط من الإستعمال عوّض بمخروط
مخروط			إخوان 56	الطوسي ت 236،61 و			المعجم الموحد
صرف،تصريف أصل يدل على رجع الشيء، Conversion				تلخيص 61		كشف الأسرار	سقط من استعمال
باقٍ ج بواق	خوارزمي 19			تلخيص 51		كشف 36	المعجم الموحد حساب البواقي التحليل الرياضي الحديث
فضل - فضلة فضل النهار،فضل الدائر (الفلك) Angle horaire				تلخيص 43			لم يبق إلا في حساب التفاضل معاد تفاضلية

	القرن التاسع IX	القرن العاشر X	القرن الحادي عشر IX	القرن الثالث عشر IIIX	القرن الرابع عشر XIV	القرن الخامس عشر XV	العصر الحاضر
جذاء produit وهو مبلغ ما يجتمع من الضرب (الخليل)			مفاتيح 115				أعيد للاستعمال أصول الجبر 1947 المعجم الموحد 72
مقبب convexe			إخوان 56	أشكال التأسيس 41 (منحدب)			عوض بمحدب
عمود perpendiculaire-hauteur	خوارزمي 55		إخوان 52 مفاتيح 115	أشكال التأسيس (88) الطوسي تحرير 52،4761 ظ، 2039 14، وكاشي 12 ظ			
مسقط العمود			مفاتيح خلط بين (52) الارتفاع ومسقط الحجر ويقال له العمود				
بركار أصل فارسي			إخوان 51 زمخشري : أساس البلاغة: الدوارة وهي القرجار				قرجار : معجم القاهرة 1957 (196) برجل : الرسم الهندسي القاهرة 1954
الضرب العملية المعروفة	خوارزمي 19		إخوان 40 مفاتيح 115	تلخيص 46		كشف 39	المعجم الموحد يلاحظ الاستعمال المشرقي 4 ضرب 3 = 12
بسط numérateur				تلخيص 59		كشف 66 إبن هيدور 80،190 و(المنسوب)	معجم موحّد
مقام dénominateur				تلخيص (إمام) 58		عاملي : صورة؛ كشف (إمام) كاشي 7،2039 و معون 64،10301 و	مجمع القاهرة 1957 المعجم الموحّد في المشرق : المخرج
بسيط surface				أشكال التأسيس (39) = سطح		طوسي 5،236 و	

	القرن التاسع IX	القرن العاشر X	القرن الحادي عشر IX	القرن الثالث عشر IIIX	القرن الرابع عشر XIV	القرن الخامس عشر XV	العصر الحاضر
قطر diamètre à diagonale	خوارزمي 55 خوارزمي 61		إخوان 53 مفاتيح 119	أشكال التأسيس (52) (231)		كاشي 72،2039 و كشف 47 طوسي 108،2705 ظ	المعجم الموحّد
سمت نقط متسامتة			إخوان 64 =	أشكال التأسيس 76			المعجم الموحّد
طرح فضل ما بين عددين	خوارزمي 30 (عزل،ألقي 47)		إخوان 25	تلخيص (43) طلب الباقي بعد اسقاط أحد العددين من الآخر		كشف 36	المعجم الموحّد tare
قاعدة base	خوارزمي 55		إخوان 52 مفاتيح 119	الطوسي 107 و			المعجم الموحّد
قدرج أقدار grandeur مقدار ج مقادير magnitudes تقدير، مقدارية		الخازن يستعمل أعظام	إخوان 187 – 50 مفاتيح 118 الشفاء 251	الطوسي 97، 2705 و			مقدار (المعجم الموحّد)
زيادة addition زائد positif	خوارزمي 18		مفاتيح 109	تلخيص 50 تلخيص 76		كشف 92 كشف 96	سقط من الإستعمال سوى الإستعمال التالي في المشرق 7 زائد 2 = 9
حمل ajouter حملان	خوارزمي			تلخيص 76			سقط من الإستعمال
شيء x	خوارزمي			تلخيص 73		كشف 90	سقط

	القرن التاسع IX	القرن العاشر X	القرن الحادي عشر IX	القرن الثالث عشر IIIX	القرن الرابع عشر XIV	القرن الخامس عشر XV	العصر الحاضر
مال x^2	خوارزمي			تلخيص 73		كشف 90	سقط
قوس courbe مقوس			مفاتيح 122 إخوان 75 51 مفاتيح 118				بقي بمدلول arc قطعة منحن
قائم perpendiculaire			مفاتيح 199 إخوان 52	الطوسي 96 ظ أشكال التأسيس 42			المعجم الموحد
زاوية قائمة	خوارزمي 55		إخوان 53 مفاتيح 118	أشكال 41		سمر قندي	المعجم الموحد
مقعر			إخوان 56 مفاتيح 120	الطوسي 7 و أشكال التأسيس (40) منقعر			عوض بمجوف أو أجوف
خطوط متوازية	خوارزمي 24		إخوان 52 مفاتيح 118	أشكال التأسيس 117			مجلة مجمع القاهرة 1955 المعجم الموحد
عدد منطق			مفاتيح 115 (جذر مطلق اومنطوق به)	تلخيص 63		كشف 76	المعجم الموحد
جذر	خوارزمي 17		مفاتيح 115 155 إخوان 31	تلخيص 63		كشف 76 المعونة 10301، 129 ظ	المعجم الموحد racine

	القرن التاسع IX	القرن العاشر X	القرن الحادي عشر IX	القرن الثالث عشر IIIX	القرن الرابع عشر XIV	القرن الخامس عشر XV	العصر الحاضر
جذر	خوارزمي 17		مفاتيح 115 155 إخوان 31	تلخيص 63 •		كشف 76 المعونة 10301. 129 ظ	المعجم الموحد racine
جبر جبر الكسر جبر عدد arrondir	خوارزمي عنوان كتابه الجبر والمقابلة		إخوان 40 إخوان 40	تلخيص 73 تلخيص 60		كشف 90 الجبر والمقابلة قلصادي تحفة 5 ظ	سقط لفظ المقابله بأروبا منذ Josselin (1577)
خارج، ما خارج (*) Résultat d'une opération ثم تخصص بالقسمة	يستعمل الخوارزمي أيضا حصل معك حاصل	تلخيص 42	إخوان 43	تلخيص 51. (53) : (ضرب قسمة)		كشف (حاصل) الضرب خارج 69 قسمة خارج 64	بقي منه في المشرق مخرج =dénominateur حساب المكاييل والمقاييس بغداد 1955 116

(*) تخصص نـــاتج الجمع
لمصطلحي : المجموع (somme) والجمله (Total)
وناتج الضرب بمصطلح : الجذاء (أحيانا السطح)
وناتج الطرح بمصطلح : الباقي : تلخيص 44 كشف 64
وناتج القسمه بمصطلح : الخارج (يستعمل الخوارزمي : القسم بكسر القاف)

* الخاتمة : وبالنظر في اللوحات التي عرضنا عددا منها، وفيها جاء في معجمنا، نخرج باستنتاج مهمّ هو ان لغة الرياضيات في العربية بقيت في الجملة مستقرة، فلم يهجر من المصطلحات المقترحة قديما ولم يسقط من الاستعمال سوى عدد قليل، ولم يدخل على هذه اللغة سوى تعديلات جزئية او بعض الاستعمالات الجهوية الخاصة المتميزة، ومن ذلك استعمال «مخرج الكسر» بالمشرق بينما يستعمل المغرب مصطلح «المقام» ومن ذلك ايضا سلستا الارقام التي اشرنا اليهما آنفا.

على انه قد أنشئت مصطلحات جديدة حسب العصور لمواكبة تقدم العلم، كاستعمال الجيب وجيب التّمام والظّل في حساب المثلثات، واستخدم عدد من الرموز لاختصار العمل الحسابي، جـ للجذور وش للشيء المجهول وم للمال أي مربّع المجهول وك للكعب وهو مكعّب المجهول ول علامة على التعادل والمساواة.

ولكن لغة الرياضيات في العربية رغم تطورها ومهما ما اتّصفت به من خصال الدّقة والايجاز، لم تبلغ في نهاية المطاف مستوى التجريد والتعميم الذي ترمي اليه الرياضيات العصرية في اتجاهها نحو الوحدة. فهذه الرياضيات صارت تستخدم جملة من الرموز والمختصرات امكنها بواسطتها ان تعبّر عن قواعد مدقّقة بكيفية موجزة واضحة، وان كانت في ظاهرها ركاما من الاشارات اللغزية ومن الاسرار المستغلقة التي لا يفقهها الا العالمون.

وتلك خطوة لابد ان تخطوها لغة الرياضيات العربية كي تواكب التقدم العلمي وذلك بان تتبنى بجوار مصطلحاتها الخاصة، الرمزية العصرية بعد صوغها صوغا يتماشى مع طبيعة كتابتها المتوجهة من اليمين الى الشمال، على غرار المثال التالي :

∀ ε > ٥ ، ∀ س و ش ∈ [أ، ب] ∃ η > ٥ / |س - ش| < η
⇐ |د(س) - د(ش)| < ε

محمّد سويسي

إشكالية التأريخ
لنشأة المصطلح النحوي

بحث : أ.د. عبد القادر المهيري

ان البحث في المصطلح النحوي للسعي الى تأريخ ظهوره وتبلور مفهومه الفني أو تأرجحه بين أكثر من مفهوم يصطدم بنفس المصاعب التي تعترض سبيل الباحث في نشأة النحو وتكوّن مادته وتطورها قبل ظهـور كتاب سيبويه، ومن المعلوم ان المادة النحوية التي يتكون منها «الكتاب» بلغت درجة من الاكتمال والنضج ومن الغزارة والشمول ما يحمل على التأكيد بأنها نتيجة مخاض طويل ومجهودات أجيال متعاقبة يمثل الخليل بن احمد وسيبويه آخر حلقاتها، وحتى اذا ما سلمنا بما تشير اليه كتب طبقات النحاة من ان واضع النحو هو ابو الاسود الدؤلي فان بعض مؤلفي هذه الكتب لم يخف عنهم ان مادة هذا العلم ليست ثمرة مجهود علم واحد من أعلامه، هذا هو معنى ما يذهب اليه الزبيدي في كتابه طبقات النحويين واللّغويين عندما يقول:

«أول من أصّل ذلك وأعمل فكره فيه ابو الاسود ظالم بن عمرو الدؤلي ونصر بن عاصم وعبد الرحمان بن هرمز فوضـعوا للنحو أبوابا وأصّلوا له أصـولا فذكـروا عوامـل الـرفـع والنصب والخفض والجزم ووضعوا باب الفاعل والمفعول والتعجب والمضاف، ثم وصل ما أصّلوه

من ذلك التالون لهم والآخذون عنهم فكان لكل واحد منهم من الفضل بحسب ما بسط من القول ومد من القياس وفتق من المعاني واوضح من الدلائل وبين من العلل».

لا يخفى ما في صيغة هذا القول من تعميم مما يجعلنا نعتبر ان الغموض الذي يحف بنشأة النحو وتكون مادته قديم اذ لم يتسنّ للزبيدي ولا لغيره من أصحاب كتب التراجم ان يوفروا معلومات حول جهود كل واحد من اعلام القرنين الاول والثاني وان ينسبوا الى كل واحد منهم ما استنبطه او أضافه الى ما توصل اليه سلفه من ابواب وقواعد وعلل... ومن الواضح ان الوثائق التي يمكن ان تكون شاهدة على فترة المخاض وممثلة للخطوات الاولى للتأليف النحوي لم يبق لنا منها شيء بل ان أثرها قد امحى في فترة مبكرة، وانعدام هذه الوثائق يمثل عقبة في سبيل تتبع المصطلحات والوقوف على سيرورتها انطلاقا من المعنى العام للكلمة ومرورا بالاستعمال المجازي ووصولا الى تكريس المصطلح، واذا اعتبرنا ان مصطلحات كل علم هي مفاتيحه فان جهل ظروف نشأتها وملابسات تطورها يحول دون تتبع أطوار العلم والالمام بكيفية استنباط مفاهيمه ومراحل ائتلاف عناصره.

وليس للباحث اليوم الا ان يكتفي بما توفر له من الوثائق المتأخرة بالنسبة الى عصر النشأة، وأقدمها كما هو معلوم كتاب سيبويه، ولا يخفى ان هذا التصنيف غير كاف لان يقدم صورة لتطور وضع المصطلحات طيلة قرن ونصف من العمل النحوي بما يفترض ان يكون مرّ به الجهاز الاصطلاحي من تردد او تعدد في تسمية المفهوم الواحد والالتجاء الى وصف المفهوم قبل التوصل الى بلورته في مصطلح وجيز مكتف بنفسه مؤدّ الى المقصود منه بدون ان يكون في حاجة الى توضيح او شرح. فما هو الموقف الذي يتوخاه الباحث امام هذا الوضع؟ كيف يمكن له ان يتلافى ما انجر عن فقدان الوثائق السابقة لكتاب سيبويه من الغموض الذي يحف بنشأة المصطلحات النحوية ويحول دون تتبع تطور الفكر النحوي في عصر تكونه؟

ان المـوقف الذي ينبغي اجتنابه هو الاعراض عن دراسة هذه المصـطلحـات دراسـة تاريخية بدعـوى الافتقار الى الادوات الصريحة اللازمة لمثل هذه الدراسة، فالحل يكمن في اخضاع ما توفر لدينا من أمهات كتب التراث النحوي لقراءة نقدية نعتقد أنها تمكن من الاهتداء الى اشـارات تساعد على معرفة الاسباب الداعية الى تكريس بعض المصطلحات والوقوف على الملابسات التي أحاطت بشيوعها مصطلحا قائم الذات لم يعد في حاجة الى جهاز تفسيري يسمح بادائها للمفهوم المقصود منها.

وسنعترض لثلاثة نماذج من الوثائق التي يمكن في نظرنا استغلال بعض معطياتها والاستفادة منها لاستنباط ملامح الوضع الاصطلاحي النحوي قبل التبلور والاستقرار.

وأول هذه الوثائق كتاب سيبويه نفسه، لا شك ان اكثر ما ورد فيه من المصطلحات استعمل استعمالا يحجب عنا الاطوار التي يمكن ان يكون قد مر بها لوضوح مفهومه الفني وخلوه مما يهدي الى الدّواعي التي حملت على توخيه سوى ما يمكن ان يفيدنـا به الاشتقاق، لكن الكتاب لا يخلو من استعمالات مازالت تنتمي الى ما يمكن اعتباره فترة المخاض، من ذلك على سبيل المثال مصطلح المضارع الذي سيستقر في وعي الدارس للنحو على انه مقابل لمصطلح الماضي ومن ثم يحيل على مفهوم زمني محدد على غرار إحالة الماضي على معنى معين، لكنه لا يبدو في كتاب سيبويه أنّه قد اكتملت صبغته الاصطلاحية او بالاحرى ليس في الكتـاب ما يؤهله لهذا المفهـوم، فعندما صنف المؤلف الأفعال في الباب الاول تصنيفا زمنيا تحدث عن المثال الذي بني «لما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع» بدون ان يجمع هذين المفهومين تحت مصطلح واحد، ولم يرد ذكر ما يستنبط منه مصطلح المضارع الا في الباب الثاني الخاص «بمجاري او آخر الكلام من العربية»، في سياق لا يمت الى المفهوم الـزمني بصلة اذ يقـول «وحـروف الاعراب للاسماء المتمكنة ولـلافعـال المضـارعـة لأسماء الفـاعلين التي في أوائلهـا الـزوائـد

الاربعة. . . ». ومن الملاحظ هنا ان طريقة استعمال كلمة «المضارعة» لا تدل على انها بلغت مستوى المصطلح اذ احتاج المصنف الى توضيحها بتحديد أبنية الافعال التي أشار بها اليها.

ويمكن ان نذكر مثالا آخر من الكتاب يمثل ظاهرة مفيدة للتعرف على كيفية نشأة المصطلح، ذلك هو شأن اسم كان، فمصطلح الاسم كما شاع لتسمية ما أسند اليه هذا الفعل الناقص يبدو غريبا ما لم ندرك انه اختصار لتسمية قائمة على تصور أشمل لبنية الجملة، فسيبويه يصطلح عليه باسم الفاعل كما يصطلح على تسمية خبر كان واخواتها باسم المفعول، ورغم ما في هاتين التسميتين من التباس بين مفهومين احدهما نحوي والآخر صرفي فانهما لا يخلوان من الوجاهة لانهما يقومان على قياس الجملة المصدرة بكان على الجملة الفعلية فكان تقتضي اسما مرفوعا كسائر الافعال ولذ أطلق سيبويه عليه اسم الفاعل بمعنى الاسم الذي يقوم مقام الفاعل ومن هنا يبرر اختيارالمصطلح المذكور.

واذا كان الوصف الذي يتوخاه سيبويه للتعبير عن هذين المفهومين - مفهوم الفعل الدال على الحاضر او المستقبل ومفهوم المسند اليه بعد الافعال الناقصة - يتضمن العبارة التي ستختصر لتفضي الى المصطلح فان بعض المفاهيم الاخرى لم يرد في وصفها ما سيقتطع من الكلمات التي ستكرس للاصطلاح عليها، ذلك هو شأن اسم الآلة اذ يكتفي صاحب الكتاب بتعريفها في قوله «باب ما عالجت به».

وهكذا يجوز لنا القول بان طريقة تعيين جانب من المفاهيم في الكتاب يمكن ان يعتمد نموذجا لمعرفة الاسباب الداعية الى توخي المصطلحات التي ستطلق عليها وللتاريخ التقريبي على الاقل لبروزها فكلما لاحظنا ان تلميذ الخليل حرص على وصف المفهوم يمكن ان نعتبر ان ما يستعمله من التسميات لم تكتسب بعد الصبغة الاصطلاحية التي تغني عن شرحها وتوضيحها.

أما الوثيقة الثانية التي يرجو الباحث ان يجد فيها من المعلومات ما قد يعينه على التأريخ للمصطلحات النحوية فهي كتاب العين الذي أصبح في متناول الدارسين، والواقع انه خلافا لما يجوز ان ننتظر منه لا نجد فيه عرضا للمصطلحات النحوية وشرحا لمدلولاتها الفنية ضمن ما يشرح من المفردات، على ان هذا لم يمنع مؤلف «العين» من استعمال جانب منها عند تعليقه على بنية الكلمات أحيانا أو وصفه لدورها النحوي أحيانا اخرى مما يسمح بتقديم بعض الملاحظات في شأن العمل الاصطلاحي، وأهم ما يلاحظ التردد بين تسميات المفهوم الواحد والمفاهيم المتقاربة او على الاقل المفاهيم التي كرس الاستعمال اللاحق مصطلحا واحدا لها، من ذلك تمييز كتاب العين بين التثقيل والتضعيف فمصطلح التثقيل يخص به الكلمة التي أدغم فيها الحرفان المتجانسان مثل قلّ والتضعيف أطلق على الكلمة التي لم يحصل فيها الادغام مثل قلقل، وتبدو النزعة الى تنويع المصطلحات لتعيين ظواهر متقاربة في الحديث عن تعدية الفعل اذ نجد تسميتين اثنتين لهذه الظاهرة: المجاوز والمتعدي أولاهما للمتعدي الى مفعول واحد والثانية للمتعدي إلى مفعولين، ولعل أحسن مثال يصور تردد النحو بين عديد المصطلحات للمفهوم الواحد ويمكن اعتباره شاهدا على ما يسبق تبلور المصطلح وتكريسه من تنوع في التسميات وعدم الاستقرار قبل اختيار ما يبدو منها موفيا بالغاية اكثر من غيره الالفاظ المتصلة بمفهوم الجمع او مفاهيمه فصاحب العين يستعمل بجانب مصطلح الجمع صيغا تخالف بعض الشيء ما شاع في التراث، من ذلك جماعة الجماعة عوض جمع الجمع ومنه ايضا لفظ الجماعة المستعمل احيانا في معنى الجمع واحيانا اخرى في معنى اسم الجمع كما في قوله «هذه غنم لفظ للجماعة فاذا أفردت قلت شاة» وهذا هو شأن كلمة العدد الواردة احيانا في معنى الجمع عامة «والشياء يصير اسما للجماعة والواحدة شاة والعدد شياه» ولكن احيانا اخرى نجدها تفيد معنى جمع القلة «وأجمال للعدد ودخلت ألف القطع فرقا بين العدد والجماع أو «والثوب واحد» الثياب والعدد

أثواب وثلاثة أثوب».

لا شك في أن توخي مؤلف «كتاب العين» لمثل هذه المصطلحات يمكن اعتباره دالا على ان المفاهيم المعنية لم تبلغ تسميتها بعد مستوى الإستقرار ومصورا لما يمكن ان تكون قد مرت به المفاهيم النحوية من الفوضى الاصطلاحية الطبيعية.

ولعلنا نجد في ثالث الوثائق التي كنت أشرت اليها ما قد يمكن اعتباره شاهدا على عدم الاستقرار الاصطلاحي في عصر المخاض او على الاقل في فترة من فترات تاريخ النحو، هذه الوثيقة هي كتاب «دقائق التصريف» للقاسم بن محمد بن سعيد المؤدب وقد نشره المجمع العلمي العراقي سنة 1987، ولئن كانت المعلومات المتوفرة حول هذا النحوي تنحصر في انه من رجال القرن الرابع فان كتابه جدير بالعناية خاصة من حيث ما تضمنه من رصيد اصطلاحي يمكن الاستفادة منه في ضبط قائمة المصطلاحات النحوية وفي اختلاف وجهات النظر في شأنها او تنوع زوايا النظر الى المفاهيم المعنية بها.

ويمكن تلخيص الملاحظات التي يوحي بها الرصيد الاصطلاحي الوارد في هذا الكتاب في النقط التالية:

أولاها ان عددا من مصطلحات الكتاب يمثل تسميات ثانية واحيانا ثالثة لبعض الظواهر اللغوية يستعملها المؤلف بجانب ما شاع من التسميات في كتب النحو، ذلك هو شأن مصطلحات خاصة بالفعلين الماضي والمضارع فالاول يسمى أيضا عائرا «لأنه عار أي ذهب» على حد تعبير المصنف كما يسمى «معري» لانه «عري من الحروف العوامل والزوائد والحوادث والكواسي» ويسمى المضارع «غابرا» أي باقيا، وبجانب هذه التسميات نجد في الكتاب مصطلحات اخرى تعبر عما يتعاقب على الماضي والمضارع من دلالات زمنية، فكلاهما يستعمل «نصا» و«ممثلا» فالنص في الماضي «ما وافق لفظ الماضي ومعناه» وفي المضارع «ما وافق لفظ المستقبل ومعناه» والممثل في الاول «ما كان لفظه لفظ الماضي ومعناه لمستقبل الزمان ومستأنفه» وفي

الثاني «ما كان لفظه لفظ المستقبل ومعناه لما في الزمان وحاثره».

ونجد للفعل ايضا ثلاثة مصطلحات اخرى ذات صبغة نحوية تفرعه الى ثلاثة أصناف اللازم والمتعدّي والموصول اي المتعدّي بالحرف، وتجدر الملاحظة ان المؤلف يميز بين المتعدي والمجاوز لكن دلالة هذين المصطلحين تختلف عن دلالتهما في كتاب العين فالمتعدي يفيد هنا ما اقتضى مفعولا واحدا والمجاوز ما نفذ الى مفعولين.

الملاحظة الثانية في شأن ما ورد في هذا الكتاب من تسميات تتعلق بتوخي المؤلف في تصنيفه الافعال من حيث نوع حروفها لمصطلحات تختلف احيانا عما شاع، فالأجوف يسميه المنقوص «لنقصان الواو منه في الامر» على حد تعبيره، والافعال الناقصة يسميها باولاد الأربعة «لوقوع الحرف المعتلّ رابع الحروف من غابره» اما اللفيف فيفرعه الى ثلاثة أصناف لكل منها مصطلحه الخاص، فيحصر اللفيف في ما كانت عينه ولامه حرفي علة ويبرز التسمية بقوله «سمي لفيفا لانه التف فيه حرفان معتلان بحرف تقدمهما صحيح»، ويطلق مصطلح «الملتوي» على ما كان معتل الفاء واللام اي ما عرف باللفيف المفروق ويضيف الى هذين الصنفين صنفا ثالثا يسميه «المواثي» وهو الذي يكون حرفه الثالث همزة ويستمد التسمية من فعل وأي وهو أحد الامثلة التي ذكرها له.

لا يتجلى من خلال هذه التسميات خروج عما هو مألوف فحسب بل تتجلى منها أيضا نزعة الى مزيد من التفريع وهذه النزعة نلاحظها في أمثلة اخرى ومنها تصنيف المهموز حسب مرتبة الهمزة في الفعل، فالقطع يطلقه على المهموز الفاء وقد سمي كذلك ـ حسب تعبيره «لقطعك اياه في الادراج» والنبر سمة لمهموز العين «لنبرك اياه الى حنكك الاعلى»، اما مصطلح المهموز فيطلقه على ما كانت لامه همزة؛ والرباعي في نظره اربعة أنواع: المختلف مثل دحرج والمولد مثل ضريب والمضاعف مثل قلقل والمحدث مثل أحسن، ولا يخفي ما في هذا من اغراق في التفريع ولو أدّى الى ضرب من الخلط بين المفاهيم.

والملاحظة الثالثة والاخيرة هي انه بجانب الحرص على التفريع الدال على تتبع أدق الفوارق احيانا وعلى تجسيم ذلك في مصطلحات متنوعة يستعمل المؤلف مصطلحا واحدا لمفاهيم متعددة وأبلغ مثال على ذلك «مصطلح المضمر» فهو الى جانب استعماله المألوف للدلالة على الضمير يطلقه على ظاهرة التقدير والحذف كما فعل غيره، ولكن الاستعمال الخاص به هو في معنى المبني للمجهول في قوله مثلا: فاذا خبّرت عن الرجل «بالفعل المضمر قلت فعل برفع الفاء فرقا بين المضمر والظاهر».

وخلاصة القول ان فقدان ما يمكن ان يكون قد ألف في النحو قبل كتاب سيبويه يحول دون التاريخ للمصطلحات النحوية بالاعتماد على الوثائق التي تمثل الخطوات الاولى من العمل النحوي، ولا يسع الباحث في هذه الحال الا الركون الى ما توفر لديه من مؤلفات متأخرة نسبيا، ولئن ذكرنا ثلاثة نماذج مشيرين الى بعض ما يمكن ان يستفاد منها في المجال الاصطلاحي فان الالمام بالرصيد الاصطلاحي النحوي لا يتسنى الا بتجريد امهات الكتب النحوية جميعها؛ لا شك ان المتون والشروح المتعاقبة عصرا بعد عصر لا يختلف بعضها عن بعض في المادة الاساسية، لكن من فوائد توالي التأليف في نفس الفن بدون تطوير لمعطياته انه يمكّن من الاحتفاظ بمحتوى التصانيف التي لم يكتب لها البقاء ولذا فليس من المستبعد ان نجد في الكتب المتأخرة مصطلحات غير مألوفة في المصنفات السابقة او استعمالا لمصطلحات مغايرة للمألوف من مدلولاتها او واردة في سياق يعين على توضيح مفهومها ومعنى هذا ان المعجم التاريخي للمصطلحات النحوية لا يمكن الاقبال عليه الا اذا تم جرد التراث النحوي في مختلف عصوره.

عبد القادر المهيري
جامعة تونس الأولى

المصطلح الفلسفي
ومنزلته في المعجم العربي التاريخي

بحث : عبد الستار جعبر

ان الفلسفة المستقاة من كلام العرب خلال مراحل ما قبل الاسلام وما تبعها من العصور الاسلامية التي بقيت فيها العربية على اصالتها[1] فلسفة اصيلة وذات دلالة صادقة.

اصيلة لانها ترقى الى أقدم العصور الحضارية حين بدأ التفاهم باللفظ بين ابناء الامة الواحدة، وذات دلالة صادقة لانها تعبّر عن عقلية الامة بمجموعها بوسيلة لا تطولها أيدي المزوّرين، فتكشف عن طرق تفكيرها وعن النتائج التي توصلت اليها في حقول العلم والمعرفة، وذلك لان اللفظة إنّما توضع للتعبير عن معنى، فوجودها في الاستعمال بمعنى ما، يقتضي ان تكون الامة قد ادركت ذلك المعنى، اما الاشتقاق منها فيقتضي ان تكون المعرفة قد اتسعت بمعنى آخر اقتضى ان يشتق له لفظ آخر، واشتقاق هذا اللفظ من المادة اللغوية التي عبر بها عن المعنى

---

(1) - انتهت في منتصف القرن الثاني للهجرة في المدن وامتدت حتى نهاية القرن الثالث الهجري في البوادي.

الاول يدلّ على وجود علاقة بين المعنيين اقتضت هذا الانشقاق بدل اللجوء الى مادة لغوية اخرى مستعملة كانت ام غير مستعملة.

وعليه فان اللغة تتّسم بالاشتقاق من مادة لغوية معينة بمقدار ما يتسم ادراك اهلها للمعاني ذات العلاقة بالمعنى الذي عبّرت عنه تلك المادة او أحد مشتقاتها، فإذا بلغنا غاية الاشتقاق منها في عصر من العصور، نكون قد بلغنا غاية المعاني التي ادركتها الامة في موضوع ذلك المعنى وبعض ماله علاقة به او بمعاني المشتقات من مادته اللغوية، وبذلك تنكشف انواع العلاقات المعنوية الداعية الى الاشتقاق وبالتالي طرق عقل الامة في التحرك وربط الامور بعضها ببعض.

وإذا ما طبق هذا على الالفاظ ذات الدلالات الفلسفية كنّا في الفلسفة الاولى التي هي أهمّ بكثير من فلسفة فلان وفلان ممّن انتحلوا بعض فلسفة الاجيال لمجرد انهم اكتشفوها واحسنوا صياغتها والتعبير عنها، واضافوا اليها شيئا من عندهم قد يكون هو موضوع النقص فيها وذلك لان تجارب الشعوب تفوق عبقرية الافراد مهما علا شأنهم في تلك العبقرية، وقد وعت لغات الامم خلاصة تلك التجارب واهمّ ما فيها، لذلك لا نستغرب ان يكشف تحليل معاني الفاظها عن فلسفات بالغة الاهمية لم تكن تخطر لنا ببال.

وقد كانت الفلسفة العربية المشار اليها تنتظر خلفا يصوغها ويحسن التعبير عنها منذ زمن بعيد الا انها بليت بغرباء حقروا امرها وشغلوا الناس بقواعد اللفظ فصرفوا الانظار عنها. ولذلك كانت المشكلة الهامة في استئناف هذا الجهد هي مشكلة ان الدراسات السابقة بعيدة في مقصودها عن مقصوده فكانت في جلها عديمة الفائدة وربّما معمّاة ومضلة في كثير من الاحيان.

لقد كان همّ علماء اللغة القدماء وقادتهم من الاعاجم، منصرفا الى وضع قواعد ضبط اللفظ وبيان مواضع الاعراب ومواقع البناء واسماء المرفوعات واسماء المنصوبات والتفريق بينها... الخ، وقد استعادوا لذلك قواعد اللغات ومنطق ارسطو ومستحدثات العقل،

فجاؤوا بنظام نحوي معقد ملأ المجلدات وشغل العقول[2] دون أن تكون للعرب من حاجة اليه في ذلك الزمان الا بمقدار ما يحتاج أي انسان الى من يعلمه لغته المحكية اليوم.

ان هذا التعقيد في النظام الاعرابي يعود الى اهمال واضعيه للجانب المعنوي واتجاههم الى صياغة القواعد اللفظية مع ان الجانب المعنوي هو الذي يجب اعتماده لتقدير هذه القواعد، ولا يمكن بالتالي ان توضع قبل الكشف عنه.

ونفس الظاهرة موجودة عند الذين اشتغلوا بفقه اللغة وهو العلم الذي يفترض فيه بحسب دلالة اسمه ان يتناول الجانب المعنوي اكثر من تناوله للجانب اللفظي؛ ففقهاء اللغة يبحثون في صياغة الالفاظ وقلّما يدخلون في أعماقها المعنويّة فلقد كان أهم ما كتبوه في الاشتقاق، والاشتقاق الذي أوفوه حقّه هو ما دعي بالاشتقاق العام أو الاصغر ومنه اشتقاق صيغ الأفعال: الماضي والمضارع والامر، واسماء الزمان والمكان والفاعل والمفعول ممّا يندرج تحت المادة اللغوية الواحدة في المعاجم.

ودون الدخول بالتفصيل فيما أهملوه من انواع الاشتقاق فانه لا يمكن ان نغفر لفقهاء اللغة عدم الاهتمام الكافي بالعلاقات التي تدعو الى جواز الكلمة ذاتها من معنى الى آخر.

وإذا كان أصحاب المعاجم إنّما يعتمدون على النحويين وفقهاء اللغة في فهمها فانهم لم يحسنوا فهمها فبدا ما هو مدرج تحت المادّة اللغوية الواحدة وكأنه فوضى معنوية تجمع المتشابهات والمختلفات والمتضادّات وهذا ما حمل على القول بلا منطقية المعجم العربي[3] وبالتالي لا منطقية العقل الذي قام بعملية الاشتقاق.

---

(2) ـ رزق الله الانطاكي: الوجيز في أصول المحاكمات، مطبعة الجامعة السورية 1957 ص 592.

(3) ـ الاب أ ـ س مرمرجي الدومينيكي: هل العربية منطقية؟ مطبعة المرسلين اللبنانيين. جويلية 1947. ص 4.

والواقع ان المعجم العربي الحالي يستحق هذه الصفة دون العقل وذلك انه لا يسهم في الدّلالة على ذلك العقل الا بمقدار ما يسهم في اعادة بناء قديم من حفظ حجارته من الضياع ولكنه بعثرها أيّما بعثرة.

وما ذلك الّا لان علماء اللغة لم يقدموا للمعجميين ما يسمح لهم بتحديد معاني الالفاظ والتفريق بين المترادفات منها وتعليل اختلافاتها وتضادها وبالتالي الكشف عن طرق عقل الامة في التحرك وربط الامور بعضها ببعض ومعرفة ما توصلت اليه في حقول العلم والمعرفة.

وقد انعكس تقصير المعاجم على العقل عامّة فمن اين للمفكر اذن ان يجد الكلمة المعبّرة اذا كان المعجم لا يعينه على ذلك؟

ومن هنا يفهم عمق المعاناة التي يجدها العالم او الفيلسوف العربي عندما يحاول التعبير عما لديه او حتى ترجمة كتاب اذ تترجم المترادفات للتعبير عن المعنى الواحد دون امكانية الجزم فيما ينطبق من تلك المترادفات على ذلك المعنى او لا ينطبق مثال ذلك تترجم كلمة Entité بما يلي: كيان، كنه، كائن، وجود، امر، وحدة، وتترجم كلمة s'insérer بما يلي: يدخل، يتصل، ينخرط، يندرج، ينسكب، وتستعمل كلمة ثابت مقابلا للكلمات الفرنسية التالية: Figé, Constant, Stéréotype, Statique, Fixe .

وهذا الاختلاف قد لا يعود كله الى مجرد اختلاف معنى الكلمة الفرنسية بحسب موقعها في الجملة وانما الى عدم معرفة ما تعنيه الكلمات العربية بالضبط.

وعليه يتدخل الذّوق في استعمال الكلمات: فقد يستعمل احدهم هذه الكلمة او تلك بحسب الاستحسان فتختلط بعض المعاني ببعضها الآخر ويصعب التفاهم بمعناه العلمي والفلسفي وما ذلك الا لأنّ مراجعة المعاجم لا تفيد كثيرا في التفريق بين معاني هذه الالفاظ وذلك لانها لا تضع حدودا لها.

إنّ عدم الرجوع الى المعنى الأصليّ اي الاشتقاق الاصلي يجعل

التفريق بين المترادفات امرا مستحيلا وهذا ما وقع فيه أغلب اصحاب المعاجم فيعرفون المترادفات بعضها ببعض.

ومشكلة الترادف من المشاكل الكبرى في العربية وذلك وان كان يسهل التّعبير الادبي فانه يفسد الكلام العلمي والفلسفي حيث تجب الدقة التي تقتضي التمييز بين المتردفات التي يمكن ان يكون كل منها دالًا «على حالة خاصة تختلف بعض الاختلاف عن الحالة التي يدل عليها غيره». (4)

وهكذا فهو لا يصح في الفلسفة ولا يأتلف مع وضوح التعقل لان الفلسفـة على حد تعبـير كونديّاك Condillac ليست إلّا استعمال اللغة بغاية الاتقان في الموضوعات، فلا نستفيد من الفلسفة الا اذا حققناها لغويا، والكتب التي يخرجها مدرسو الفلسفة في فرنسا خير شاهد على ذلـك، فقـد أسّسـوا جمعية فلسفية يقـوم بعض اعضائها فيلقي على الآخرين بحثا ما في اصطلاح ما مستشهدا عليه بالقدماء والمحدثين، وبعد التدقيق على قدر اللزوم يخرجون للناس نتيجة اعمالهم في آخر كل سنة في مجلّد حافل(5).

والسؤال الـذي أطـرحـه الآن هو التـالي: ما مكانة المصطلح الفلسفي في معاجم العربية عامة؟ لكن هذا لا يعني ان العرب لم تكن لهم اعمال في هذا الميدان بل لقد صنّف القدماء والمحدثون من الكتب في المصطلح الفلسفي شيئا ليس بالقليل. فمن مباحث القدماء نذكر:

- كتاب «رسائل اخوان الصفاء» طبع في بومباي وهو اربعة اجزاء في مذاهب الفلاسفة الباطنية.
- كتاب «مفاتيح العلوم» للخوارزمي ليدن 1895
- كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي ويهمنا منه باب بيان ما يدل من الفـاظ العلوم في الجزء الاول طبعة مصر ص24-29 ذكر فيه انتقال

(4) - علي عبد الرحمان: فقه اللغة دار النهضة المصرية 1970. الطبعة 6، ص 168

(5) - Vocabulaire philosophique: Société francaise de philosophie. 1902

ألفاظ العلوم من معنى الى معنى.

- كتاب ابن رشد «ما بعد الطبيعة» طبعة مصر، فيه بعض الاصطلاحات في مسألة الجوهر يذكر أن أصله فارسي بمعنى اللؤلؤ داخل الصدف ثم انتقل الى المعنى اليوناني لكلمة ousia (الذات) ويقول: أن هناك اختلافاً عند المتكلمين لأنهم استعملوها على رأي «ديمقريطس» في مسألة الجزء الذي يتجزأ.

- كتب الصوفية الذين أسسوا تقريباً علم المصطلحات مثل:

1 - كتاب الكلاباذي وهو حنفي المذهب في الفروع وصوفي مات سنة 380هـ، وكلاباذ بلدة في خراسان وهو صاحب الكتاب المشهور عند الصوفية «التعرف لمذهب أهل التصوف» وأوسع من الرسالة القشيرية.

2 - رسالة القشيري المتوفي سنة 465هـ وهي مشهورة وطبعت على هامش «شرح الأنصار» للشيخ العروسي (4 أجزاء).

3 - كتاب «كشف المحجوب» للهجريري الجلابي المتوفي سنة 460هـ وقيل سنة 470هـ ترجم الى الانقليزية وطبع باجتهاد المستشرق نيكلسون Nicholson.

4 - «كتاب الشطحيات» لروزبهان البقلي المتوفي 606هـ هو شيرازي وجمع فيه كثيراً من الكلمات ولهذا الكتاب نسختان في الاستانة[6]

ونذكر أيضاً:

- كتاب التعريفات للجرجاني الدار التونسية للنشر 1971

- كتاب كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي طبعة ليدن 1862

- كتاب الحروف للفارابي تحقيق محسن مهدي، دار الشروق، بيروت 1986

- كتاب النجاة لابن سينا تحقيق ماجد فخري، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1985

---

(6) - انظر: لويس ماسينيون: محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية باريس 1983

ـ كتاب الحدود لابن سينا تحقيق أ. م قواشون، القاهرة 1963

ـ كتاب عيون الحكمة لابن سينا تحقيق عبد الرحمان بدوي دار القلم بيروت 1980

ـ كتاب المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين للآمدي تحقيق عبد الأمير الأعصم، دار المناهل، بيروت 1987

فكتاب الآمدي هذا الذي ينشر نصه الكامل لأول مرة له أهمية بالغة في الكشف عن تطور المصطلح الفلسفي عند العرب واستعمالاته منذ بواكير الفكر الفلسفي العربي حتى زمان الآمدي الى القرن السابع الهجري، ان الكتاب بشكله الفني يفوق جميع تلك الرسائل التي بين ايدينا من مؤلفات الفلاسفة السابقين في الحدود والرسوم، كما انه يتجاوز في قيمته الفلسفية من حيث الدقة تلك المحاولات غير المتخصصة في معالجة «التعريف الفلسفي» في مؤلفات لم تكتب لهذا الغرض اولا وبالذات[7]، وألفاظ الكتاب ومساردها من حيث الموضوعية شاملة لمصطلحات المنطق والفلسفة على نحو لا نجده في مؤلفات لاحقة تنوعت مصطلحاتها بتنوع العلوم[8] فلم تكن بمستوى هذا الكتاب من حيث ضبط الالفاظ وشرحها بما يتساوق واستعمالات الفلاسفة العرب.

ان كتاب الآمدي هذا يحتوي على قوائم بالالفاظ تجاوزت مائتين وستين لفظا هي عدد الالفاظ الواردة في الفصل الأول ثم تأتي مسارد لتلك الالفاظ مشروحة شرحا فلسفيا دقيقا تجاوزت في تفسيراتها مائتين وخمسين تفسيرا من محتويات الفصل الثاني، وهو صلب الكتاب، وقد جاءت مسارد الالفاظ في سياقين، أولهما الالفاظ المستعملة في المنطق وثانيهما الألفاظ المستعملة في الفلسفة.

---

(7) يقارن مثلا بين: الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص 80، ط 2، بيروت، بدون تاريخ. والتوحيدي: المقابسات، تحقيق محمد توفيق حسين بغداد 1970، ص 497 ـ 598.

(8) ـ انظر: الجرجاني: التعريفات، الدار التونسية للنشر. 1971.

وعلى الرغم من ان المؤلف لم يرتب تلك الالفاظ او مساردها وفق الترتيب الالفبائي فانه سلك منهجا دقيقا في ايرادها وفق تسلسل الافكار المنطقية في السياق الاول والافكار الفلسفية في السياق الثاني، ان موازنة محتويات الكتاب تتماشى تماما مع الشكل التنظيمي لمؤلفات الفلاسفة في المنطق فالطبيعة وما بعد الطبيعة فمباحث النفس على نحو متدرج لتلك المباحث عند الفلاسفة العرب والمدرسة السينوية بوجه خاص.

ويعتبر الكتاب فريدا في احصائية الالفاظ وممتازا في انتقاء مساردها وهو لذلك خير دليل شامل لاعمال الفلاسفة العرب بايدي طلبة الفلسفة والباحثين فيها خلال اربعة قرون اي حتى زمان الآمدي (551ـ635هـ/1156ـ1237م) ان مادة الكتاب تصلح ان تكون خميرة مشروع تأسيس المعجمية الفلسفية لتراثنا الفلسفي.

اما عن تصنيفات المحدثين في المجال الفلسفي فيمكننا ان نذكر:

- موسوعة الفلسفة لعبد الرحمان بدوي في جزئين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1984.
- الموسوعة الفلسفية العربية باشراف د. معن زيادة، معهد الانماء العربي بيروت 1986
- الموسوعة الفلسفية لعلماء سوفيات باشراف م. روزنتال وب. يودين، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة بيروت 1974.
- معجم الفلسفة لجميل طلبيا بيروت 1978
- معجم الفلسفة لأساتذة تونسيين، المركز القومي البيداغوجي تونس 1977
- المعجم الفلسفي لابراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية بالقاهرة 1963
- المعجم الفلسفي لمراد وهبة ويوسف كرم ويوسف شلالة، دار الثقافة الجديدة القاهرة 1971.

ان هذه الاصطلاحات الفلسفية المخزونة في هذه الكتب تكاد تكون مفقودة في معاجم العربية العامة فقلّما تشير الى المعنى الفلسفي للفظة وذلك في نظرنا انها في غالب الاحيان لم تقف على معرفة الاصل الاول للكلمة وقفة دقيقة ولم تنظر الى تطور معاني الالفاظ نظرة عقلية عبر العصور، ومن هنا جاءت الحاجة الماسّة والاكيدة الى الشروع في وضع معجم العربية التاريخي يقوم أساسا على التأصيل والتأريخ والمقارنة، هذا المعجم المنشود لابد له من ان يهتم بما يلي :

1 ـ ذكر الاصل اللغوي للكلمة فلفظة علّة، او وجود او روح لابدّ ان يكون اصلها اللغوي موجودا، اذ ان اللغة العربية خزانة الحكمة واشتهرت بالحكمة ولهذه الحكم ذوق دقيق غريب.

2 ـ ذكر الاصل الاجنبي وخاصة اليوناني بالنسبة الى الالفاظ الفلسفية لان تحديد الاسم اللغوي في كثير من الاحيان اصله من التقاليد اليونانية كما نجد ذلك في نزعة الحمصي لكتب أفلوطين المنسوبة الى أرسطو، ولنأخذ أمثلة في هذا السياق.

اتراكسيا Ataraxie كلمة يونانية تدل على حالة نفسية تتسم باللذة والاقتران ناتجة عن التوقف عن البتّ في الاحكام.

الهيولى Hulé كلمة يونانية وهي شيء قابل للصور مطلقا من غير تخصيص بصورة معينة نجدها عند كل فلاسفة العرب، يعرفها ابن سينا في «رسالة الحدود» بقوله «الهيولى المطلقة فهي جوهر وجوده بالفعل انما يحصل بقبول الصورة الجسمية لقوّة فيه قابلة للصور وليس له في ذاته صورة تخصه الا معنى القوة، ومعنى قولي لها هي جوهر، هو ان وجودها حاصل لها بالفعل لذاتها، و يقال هيولى لكلّ شيء من شأنه ان يقبل كمالا ما وامرا ليس فيه فيكون بالقياس الى ما ليس فيه هيولى وبالقياس الى ما فيه موضوعا»[9].

---

(9) ـ ابن سينا: رسالة الحدود، تحقيق آن ماري قواشون، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة. 1963، ص ص 17 - 18.

الجوهر كلمة طبيعية فارسية هي «الكوهر» ويذكر ابن رشد في «تلخيص ما بعد الطبيعة» بان أصله فارسي بمعنى اللؤلؤ داخل الصدف ثم انتقل الى المعنى اليوناني لكلمة ousia (الذات) وتوضع هذه الكلمة في اللاتينية مقابلا لكلمة Substantia ولها حدود ثلاثة:

أ- عند الطبيعيين هي الجوهر والعنصر او الجزء الذي لا يتجزّأ.

ب- عند الفلاسفة الجوهر ما ليس في موضوع قائم بذاته.

ج- عند المتكلمين الجوهر ما ليس في محل.

ويرى ابن رشد ان هنالك اختلافا عند المتكلمين لانهم استعملوها على رأي ديمقريطس في الجزء الذي يتجزأ.

ولها الآن مترادفات كثيرة في اللغة العربية مثل: العنصر، والشخص، والعين، والذات، والماهية وغيرها.

4- اسطقس لفظة معربة عن اليونانية تعني العنصر المادي على الاطلاق وقد وردت في استعمالات ارسطو في حديثه عن اصول المادة[10]، ووردت بصيغة الجمع في «كتاب جالينوس في الاسطقسات على راي ابقراط»[11]وقد ورث فلاسفة العرب الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد... الخ، استعمالها من عصر الترجمة في القرن الثالث الهجري حيث لم يستقر المصطلح الفلسفي ولم يوضع بديله العربي، واول ما يطالعنا الكندي في (رسالة في حدودها الاشياء ورسومها، انظر رسائل الكندي الفلسفية 1/168 س 10-11)، حيث يحدها بالمفهوم العام الارسطي ولا تخرج استعمالات الفارابي (انظر مثلا رسالة في معاني العقل، المجموع ص 54 س 3) عن ذلك وكذلك نجد ابن سينا (رسالة في الحدود ص 85 س 4-7) والغزالي (معيار العلم، نشرة دنيا ص 298 س 5-7 من اسفل) واما الاصطلاحيون كالخوارزمي

---

(10) - ارسطو: كتاب الطبيعة، تحقيق عبد الرحمان بدوي القاهرة، 2/950.

(11) - جالينوس: الاسطقسات على رأي ابقراط نقل ابي زيد حنين بن اسحاق العبادي المتطبب، تحقيق محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986.

(مفاتيح العلوم ص 82 س 13 ـ 17) والجرجاني (التعريفات ص 18 س 1 ـ 5 من اسفل) فهم لا يخرجون عن المشهور في استعمال اصطلحين منذ القرن الرابع الهجري انظر: التوحيدي، المقابسات ص 497 ـ 498) ونسج على هذا المنوال سيف الدين الآمدي في كتاب المبين في شرح الفاظ الحكماء والمتكلمين ص 124 ، وكذلك فان هذا المعجم المنشود لا بد له من ان يهتم بما يلي:

3 ـ الترجمة التي نقلت في القرون الوسطى من اللغة العربية الى اللاتينية نرى بيكن Bacon وديكارت Descartes وسبينوزا Spinoza قد استعملوا الاصطلاحات اللاتينية المترجمة عن العرب قبل ذلك بمئات السنين، على ان المترجمين فيها قد قلدوا مؤسسيها تقليدا أعمى فمثلا «الجواهر المفارقة» وهي بمعنى الملائكة او نفوس الاموات قد ترجمت الى اللاتينية بـ« Substantiae Separatae » فاذا نظرنا نظر المدقق الى هذا الاصطلاح اللاتيني الفيناه غريبا بالنسبة الى اللغة اللاتينية ذاتها لان هذا الاصطلاح لا يفيد معنى واسعا كما يفيد باللغة العربية فنرى ان الاصطلاحات العربية قد تأتي بمعان اوسع .

4 ـ الحدود عند فلاسفة العرب كالحدّ الاول مثلا للفارابي فان تحديد اللغة العربية الفلسفية ثبتت في عهد الفارابي فقط وقام في وقته المصطلح الفلسفي الصحيح اما قبله فقد اتّخذت طرق مختلفة

5 ـ المعنى الحالي كنظرنا الى اصطلاح «النشوء والارتقاء» المترجم عن كلمة Evolution فننظر ان كانت هذه الترجمة صحيحة ام لا .

معنى ذلك ان ترجمة المصطلح من اي لغة اجنبية اخرى تختلف عن اخذ كلمة عربية وحمل المعنى عليها سواء قبله اللفظ العربي أو أكره عليه اكراها، فلا يجب ان نلبس اللفظ العربي ثوبا لا يلائمه ولا يرتاح لارتدائه اي لا نكره اللفظ العربي على تحمل معان يدل عليها اللفظ الاجنبي دلالة واضحة صريحة ولا يدل عليها اللفظ العربي الا دلالة غامضة ملتبسة الا انه لا ضير على اللغة العربية من التعريب فهو عملية

تثريها وقد استعملها سلفنا في العصور الاسلامية التي بقيت فيها العربية على اصالتها حينما نقلوا تراث اللغات الاجنبية الى العربية .

6 ـ قضية المترادفات التي كما أشرنا اليها يمكن ان يكون كل واحد منها دالا على حالة خاصة تختلف بعض الاختلاف عن الحالة التي يدل عليها غيره . . . هي قضية هامة جدا يجب الاعتناء بها في معجم العربية التاريخي المرتقب حتى لا نقع في التعريفات الدورية حيث ان اللفظة تعرف نفسها بنفسها وتندرج شيئا فشيئا في تطور معاني اللفظة .

وبهذه الكيفية يمكن ان تسهم الفلسفة في اثراء معجم العربية التاريخي وتستفيد منه ولكن بالرغم من ذلك كله يجب ان ننظر الى معجمنا المرتقب هذا نظرة نسبية لا مثالية حتى نخرج من مجال النظريات الى مجال التطبيقات والعمل مهما عظم شأنه فهو استكمال لا كمال .

عبد الستار جعبر
جامعة الزيتونة – تونس

الخبـــر :
مفهومه ومنزلته في المعجم

بحث : محمد القاضي
كلية الآداب ـ جامعة تونس 1

ان الخوض في مسألة المعجم التاريخي وما يستوجبه إنجازه من جهد وما يترتب عنه من نفع للغة ومستعمليها يضطرنا الى إرساء أسس للتعامل مع المكتوب تختلف عما اجمع عليه أئمّة اللغة العرب القدامى ومن جرى مجراهم ذلـك ان غايتهم تختلف عن غايتنـا، فقـد كانـوا يضعون حدا فاصلا بين الفصيح من الكلام وغير الفصيح، فيثبتون الاول وينكـرون الثـاني معتبرين اياه دنسا وهجرا. وجعلوا للفصيح حدودا زمانية ومكانية لا يتجاوزها والا غدا الكلام لاغيا لا يعتدّ به ولا يحتـج، فمصنّفو المعاجم «انما أرادوا التفرقة الدقيقة بين الفصيح من العـربية وغـير الفصيح، وذلـك بوضـع قانـون للاستعمال الصحيح للكلمات، ويدل هذا الاتجاه ـ دون شك ـ على إحساس لغوي دقيق عند اللغويين، ولكنه عاق القوة الحيوية الدافعة في اللغة عن التقدم والتوسع»[1] فكانت المعاجم القديمة لذلك غير مهتمة برصد تحولات

---

(1) ـ أوجست فيشر: المعجم اللغوي التاريخي. ط 1. نشر مجمع اللغة العربية ـ القاهرة ـ 1967، ص 7.

المعنى التي تصيب بعض المفردات من خلال الاستعمال رصدا منتظما وانحصرت غايتها في اثبات المعنى النمطي القار والتجافي عمّا سوى ذلك.

اما غايتنا فتتمثل أساسا في العودة الى الكتب القديمة لتتبع مختلف المعاني اللائطة بكلمة «الخبر» فيها، اذ لن يكون بامكاننا ان نستنطق وجوه الاستعمال غير المدوّن في تلك الاعصر التي ارتبط فيها التدوين بالدين وبما حام حوله. غير أننا لن نقصر همّنا على المعاجم، بل سنوجّه وجهنا أيضا الى كتب الأدب التي توفر لنا مادة ثرّة متعددة الجوانب لا يزال بعضها في حال البكارة وما تحمله من نفرة واستعصاء. ولئن كنا - على هذا النحو - لا نصل بين معاني الكلمة في القديم ومعانيها المستحدثة، فان ما يهوّن علينا الامر أننا مقتحمون هذه المغامرة سعيا الى غايتين، أولاهما ضبط الدوائر التي يمكن ان تردّ اليها معاني كلمة الخبر باختلاف السياقات التي وردت فيها، وثانيتهما محاولة ارساء مشروع يضبط المراحل الكبرى التي قطعتها هذه الكلمة في مسيرتها.

قبل إن نعدّد المعاني المتصلة بالخبر ونحاول رصد وجوه التواصل والتنافر بين الاخبار وضروب المعارف التي اكبّ العرب على التاليف فيها منذ عصر التدوين لابد لنا من ان نتساءل عن التطور الذي سلكته هذه الكلمة. وقد رأينا - في هذا المقام - ان نهتدي بما وضعه «فيشر» من مبادىء لتحديد أهم المراحل التي قطعتها الكلمة، اذ رأى انه يحسن في ترتيب المعاني ان ينتقل المرء من العام الى الخاص، ومن الحسي الى العقلي، ومن الحقيقي الى المجازي[2] فكيف كان الامر في هذه الكلمة؟

علينا ان نقنع في هذا المجال بتتبع الكلمة في العربية لاننا لا نملك الى الآن معجما كافيا وافيا يتناول الكلمات العربية من حيث

---

(2) - م. ن. ص

اصولها وجذورها المشتركة في اللغات السامية الاخرى[3].

لذلك اعتمدنا على معجمين عربيين هما «القاموس المحيط» للفيروزابادي و«لسان العرب» لابن منظور، فوجدنا ان المعاني المندرجة في مادة «خ ب ر» على غير نظام فسعينا الى ترتيبها بعد ان أخضعناها لما كنا أشرنا اليه من مقاييس.

ان ما استرعى انتباهنا في معاني بعض الألفاظ المشتقة من الجذر الثلاثي «خ ب ر» ارتباطها بالماء، فالخَبْرَاءُ: منقع الماء، والخَبْرُ ج خُبُور: منقع الماء في الجبل، والخَبِرَةُ ج الخَبَارَى والخَبَارِي والخَبْرَاوَات والخَبَارُ، منقع الماء في أصوله.

ومن هذا المعنى الأساسي تفرع معنى ثان يربط بين هذا الجذر والارض، فالخَبْرَاءُ قاع مستدير يجتمع في الماء، والخَبْرُ: منبت السدر في القيعان، والخَبَارُ ارض رخوة تتعتع فيه الدواب، والخَبَارُ أيضا ما استرخى من الأرض وتحفر، وهو ما تهور وساخت فيه القوائم. وهو ما لان من الارض واسترخى. والصلة بين المعنى الاول اي الماء والمعنى الثاني اي الارض طبيعية فيزيائية، اذ الماء يجتمع في ما يشبه المستنقع ولا يكون ذلك الا في المواضع الواطئة.

ومن هذا المعنى تولّد معنى ثالث وهو ما تنبته الارض اذ الشأن في الارض المنخفضة التي تجتمع فيها المياه ان يظهر فيها النبات، فالخَبْرُ: شجر السدر والاراك وما حولها من العشب واحدته خَبْرَةٌ والخَبِيرُ: الزرع والخَبِيرُ: النبات وفي حديث طهفة: نَسْتَخْلِبُ الخَبِيرَ أي نقطع النبات والعشب ونأكله. فمن الطبيعي ان يتصل النبات بالزراعة فالخَبْرُ: ان تزرع على النصف او الثلث من هذا، وهي المخابرة اي

---

(3) - فيليب حتي : تاريخ العرب. ج 1

Henri, Fleish: Introduction à l'étude des langues sémitiques. Adrien-Maisonneuse. Paris, 1947 —

G. Rabin: Arabiyya: (l'arabe pré-classique. EI 2, T1 pp 579 - 585

المزارعة ببعض ما يخرج من الارض، وهو الخِبْرُ ايضا، والخبير: الأكّار (أي المزارع) ومن اجتماع السّائل والكلا والمكان المنخفض نشأ معنى رابع، فالخَبرُ والخِبرُ: المزادة العظيمة (أي الظرف الذي يحمل فيه الماء كالرّاوية والقربة والسطيحة) والخَبْرُ والخِبْرُ ايضا: الناقة الغزيرة اللبن، وفي هذا شيء من التخفي والاستتار لان الماء في المزادة واللّبن في الضرع محتجبان احتجاب الواحة التي لا تكون الا في هدأة من الارض، فكان المَخْبَرُ خلاف المنظر.

وكما هو الشأن في كل مكنون غدا بحاجة الى حظ من المعرفة والتجربة والخبرة ليحاط به، فكانت من ذلك المرحلة الخامسة في مسيرة هذه المادة، فالخَابِرُ: المختبر المجرّب، والخِبْرُ والخُبْرُ والخِبْرَةُ والخُبْرَةُ والمَخْبَرَةُ والمَخْبُرَةُ كله: العلم بالشيء، ومنه قولهم: لأَخْبُرَنَّ خُبْرَكَ، اي لأعلمن علمك، واخْبَرَهُ خُبُورَهُ: أي أنبأه ما عنده.

ومن ثمة تولّد المعنى السادس، وهو من الخامس بسبب متين، اذ أصبح يعني خلاصة العلم ودليله اي الإعلام فالخَبرُ ما أتاك من نبا عمن تستخبر.

هذه هي المراحل التي بدا لنا ان مادة «خ ب ر» قد قطعتها، وقد ألفينا أهل العلم يتعاورونها وينزلونها من شبكة المعارف العربية منزلة رفيعة حتى غدت مندسة في كل هذه المعارف، شائعة فيها، حاملة لطابع جوهري من طبائع الثقافة العربية الاسلامية في طور نشأتها واشتداد عودها.

حين نردّ الطرف الى المعاني التي نسبها الفيروزابادي وابن منظور الى الكلمات المشتقة من مادة «خ ب ر» نلاحظ انهما لم يوليا كلمة «خبر» في معناها الاصطلاحيّ عناية مخصوصة. فاذا عدنا الى «كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» ألفينا صاحبه يقول «ان العلماء اختلفوا في تحديد الخبر، فقيل لا يحدّ لعسره، وقيل لانه ضروري، وقيل يحد

واختلفوا في تحديده»[4].

ومن المنطقي ان نضع حدّا فاصلا بين المفهوم اللغوي للخبر ومفهومه الاصطلاحي، اذ الخبر لغة، حديث او نبأ أو إعلام، وهو «الكلام الذي يدخل فيه الصدق والكذب»[5] وهو بهذا المعنى لا يرتبط بشكل ولا بإطار ولا بقواعد ولا بشروط مهما يكن نوعها.

أما معناه اصطلاحا فأضيق مجالا، ذلك ان الخبر من الناحية الدينية هو الحديث المنقول عن الرسول. «والمحدثون استعملوه بمعنى الحديث»[6] وبهذا المعنى استعمل الجاحظ هذه الكلمة في «البيان والتبيين» حيث قال: «وفي الحديث المأثور والخبر المشهور ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: شعيب خطيب الانبياء»[7].

وبهذا المعنى ايضا وردت كلمة «الخبر» عند الحريري في المقامة السّاويّة حيث قال «آنست من قلبي قساوة حين حللت ساوة فأخذت بالخبر المأثور في مداواتها بزيارة القبور»[8]، وهو يشير ههنا الى الحديث النبوي «عودوا المرضى واحضروا المقابر فانها تزهّد في الدنيا وتذكر الآخرة».

أما من الناحية النحوية فقد اتفق النحاة على ان الخبر هو «المجرد المسند الى المبتدإ»[9] كقولك زيد قائم.

وأما في البلاغة فيقصد بالخبر «الكلام التام غير الانشائي»[10] اذ

---

(4) ـ التهانوي: موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية. ج 2. منشورات شركة خياط للكتب والنشر ـ بيروت. د. ت ص 411.

(5) ـ م. ن. ص 411.

(6) ـ الزبيدي: تاج العروس ج III

(7) ـ الجاحظ: البيان والتبيين ـ دار الكتب العلمية. بيروت. د. ت. ج 3. ص 200.

(8) ـ ابو العباس احمد بن عبد المؤمن القيسي: شرح المقامات الحريريّة. ج 1. ط 2. المطبعة الكبرى الميرية، بولاق مصر 1300 هـ ص ص 174 ـ 175.

(9) ـ التهانوي: موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية. ص 410.

(10) ـ م. ن. ص 410.

الكلام لا يعدو ان يكون خبرا او انشاء وبهذا المعنى وردت الكلمة عند المناطقة والمتكلمين.

غير ان هذه الكلمة قد فاضت عن الاطر التي ذكرنا وكان لها حظوة عظيمة في كتب الادب، واختص بها أناس عرفوا بالاخباريين او أصحاب الاخبار. وفيها كتب الجاحظ إشارات تدل على ان الاخبار ظلت مرتبطة بالمشافهة، فكانت بذلك في تقابل مع المكتوب. يقول: «وقد جمعنا في هذا الكتاب جملا التقطناها من أفواه أصحاب الاخبار»[11] ويقول متحدثا عن احدى الخطب «وأول هذا الكلام مستكره، وهو موجود في كل كتاب، وجار على لسان كل صاحب خبر»[12] وهو يردف ذلك باحتراز واضح يلقي فيه على عاتق الراوي مسؤولية صدق الخبر او كذبه، ويحصر مهمته هو في التدوين فيقول «وانما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه والله أعلم باصحاب الاخبار وبكثير منهم»[13].

ولعل هذا المعنى يؤكده ما جاء في الاحاديث النبوية من ربط بين الخبر وبين معان واضحة الصلة بالمشافهة من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم «ليس الخبر كالمعاينة»[14]. وفي الحديث مقابلة صريحة بين الخبر بمعنى السماع والمعاينة اي المشاهدة، وقوله «عدّة المتوفي عنها زوجها من يوم يأتيها الخبر»[15]، وقد وردت كلمة الخبر ههنا بمعنى النعي، وقوله «أبكي على خبر السماء انقطع»[16] ومعنى الخبر هنا الوحي.

على أننا كثيرا ما نجد كلمة الاخبار بصيغة الجمع في عناوين

---

(11) ـ الجاحظ: البيان والتبيين. ج 2. ص 9.

(12) ـ م. ن. ج 1. ص 202.

(13) ـ م. ن. ج 2. ص 29.

(14) ـ أ. ي. ونسنك و ي. ب. منسنج: المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي. دار الدعوة استانبول 1987. دار سحنون ـ تونس 1987. ج 2. ص 5.

(15) ـ م. ن. ص 5.

(16) ـ م. ن. ص 5.

كتب تدل على سرد للاحداث يساير فيه صاحبه حوادث التاريخ على غرار «اخبار اليمن» لعبيد بن شرية الجرهمي او «أخبار مكة» للازرقي .

وفي هذا السياق تندرج الكتب التي أشار اليها ابن النديم في «الفهرست» «في أخبار الاخباريين والرواة والنسّابين وأصحاب السير والاحداث [. . .] وفي اخبار الملوك والكتّاب والمترسلين وعمال الخراج واصحاب الدواوين وأسماء كتبهم»[17]. وقد أورد صاحب «الفهرست» عناوين كتب كثيرة يبلغ عددها 105 حسب فهرس الكتب الذي أثبته محقق «الفهرست» رضا تجدد المازندراني ، منها «كتاب اخبار الحجاج» و«كتاب أخبار الحسن بن علي ووفاته» و«كتاب أخبار خلفاء بني العباس» و«كتاب اخبار صاحب الزنج» وغيرها . وهي عناوين توحي بان الغرض من وضع هذه الكتب تاريخي اذ يروم اصحابها فيها ان يجمعوا الروايات التي تعرضت الى شخصية او جماعة او عصر . ولعل دورهم لا يعدو النقل والجمع والترتيب .

غير ان ابن النديم يذكر عناوين كتب اخرى من قبيل «كتاب اخبار الجن» و«كتاب اخبار الجن وأشعارهم» وهي تنأى بنا بداهة عن السياق التاريخي وتدخلنا في حيّز جديد لا يحدّه الواقع التاريخي ، ولانها تتخلله الاساطير والخرافات والأعاجيب .

هذا التوسان بين التاريخي والاسطوري واضح تمام الوضوح في كتاب من اقدم كتب الاخبار هو «أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في اخبار اليمن واشعارها وانسابها»[18] . فالصبغة التاريخية بارزة في عنوان الكتاب وفي متنه اذ يوصف فيه عبيد بأنه «أدرك ملوك الجاهلية وهو أعلم من بقي اليوم في أحاديث العرب وأنسابها»[19] . غير ان الكتاب مكتظ

---

(17) ـ ابن النديم : الفهرست ـ تحقيق رضا تجدّد . دار المسيرة ـ بيروت ط 3 . 1988 ـ ص ص 101 ـ 129 .

(18) ـ طبع في مجلد واحد مع كتاب التيجان لوهب بن منبه . مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية . حيدر آباد ـ الهند . 1347 هـ .

(19) ـ م . ن ص 312 .

بأخبار أسطورية من قبيل ما ذكر عن أبرهة بن الرائش من أنه «كان يدعى ذا المنار، وكان من اجمل اهل زمانه فيما يذكر فعشقته امراة من الجن يقال لها العيوف ويروى انها الهيوف بنت (كذا) الرابع، فتزوجها فولدت له العبد بن أبرهة . . . »[20].

فلا شك والحالة هذه في ان ما كتبه شارل بلاّ في مقال «حكاية» بدائرة المعارف الاسلامية من ان «لفظ الخبر وان لم يكن صادقا كلّه في نظر النقاد فليس من الجائز مبدئيا ان يستعمل للدلالة على قصة مخترعة»[21] يحتاج منا الى مزيد التثبت.

ومن هنا يمكن ان نتحدث عن الخبر بوصفه مندرجا في دائرة مخصوصة هي دائرة القصص فالسمعاني يذكر في «الانساب» انه «يقال لمن يروي الحكايات والقصص والنوادر الاخباري»[22].

ولئن كانت الاخبار ههنا اسما عاما دالا على الكل الذي تندرج فيه فنون قصصية دنيا، فانها يمكن ان تكون دالة على الجزء اذ هي عنصر من العناصر التي تتألف منها ثقافة القصاص. فالجاحظ يقول «ومن القصاص ابو بكر الهذلي [. . .] وكان خطيبا بيّنا صاحب اخبار وآثار»[23] وهذا الكلام يشي بأن الاخبار من مكونات القصص.

غير أننا نعثر في مقدمة كتاب «البخلاء» على اشارة بالغة الشأن في هذا السياق تقطع بوجود ضرب من الاحتواء الذي لا يبعد ان يكون مراتبيا. يقول ابو عثمان، «فاما ما سألت من احتجاج الاشحّاء ونوادر أحاديث البخلاء فسأوجدك ذلك في قصصهم - إن شاء الله تعالى - مفرقا، وفي احتجاجاتهم مجملا، فهو اجمع لهذا الباب من وصف ما

---

(20) - م . ن ص 406 .

(21) - Charles Pellat: Hikaya: EI 2. p 381.

(22) - السمعاني: الانساب. ص 21 .

(23) - الجاحظ: البيان والتبيين. ج 1 ص 196 .

عندي دون ما انتهى اليّ من أخبارهم على وجهها»[24]، ومن هذا القول يتجلى لنا أن النوادر تندرج في القصص وان القصص تندرج في الاخبار.

ومن هذه المرتبة يتضخم معنى الخبر حتى يتاخم حدود النثر فيستعمل مقابلا للشعر «ومثل هذا لا يثبت الا بان يستفيض في الشعر ويظهر في الخبر»[25].

ولئن كانت لفظة «الخبر» على هذا النحو من التقلقل والتذبذب والتراوح بين الضيق والاتساع، فان في الثقافة العربية فنونا اخرى او قل ضروبا من المعارف ارسخ قدما، مما يمكّننا من دراسة الوشائج التي تربط بينها وبين الاخبار.

فليس من شك في ان الشعر قد نما بمعزل عن الاخبار ولعل هذا ما يفسر لنا الفصل بينهما في عبارات من قبيل ما أورده ابن قتيبةفي كتاب «المعارف» عند حديثه عن يزيد بن بكر بن دأب، وقد قال عنه إنه «كان عالما بأخبار العرب وأشعارها»[26]، غير ان هذا التمييز بينهما ليس طلاقا، فما اكثر ما تعج الاخبار بالاشعار التي تضمّن في النص النثري وكأنها تشد أزره وتشهد بصحته. وهذه الظاهرة متقدمة نجدها عند عبيد بن شرية الجرهمي الذي يروي الخبر ويرفده بشعر فيقول له معاوية «لقد جئت بالبرهان في حديثك يا عبيد»[27]، وهو في بعض الاحيان يستنشده شعرا «قال معاوية أقيل في ذلك شعر؟»:[28] ولعل ذلك متأت من منزلة الشعر وعظم شأنه عند العربي، وهي منزلة دونها منزلة الخبر. يشهد على ذلك ما جاء في «أخبار اليمن» «قال معاوية وأبيك لقد أتيت

---

(24) ـ الجاحظ: النجلاء ـ تحقيق طه الحاجري. دار المعارف بمصر. ط 4 ـ 1971 ـ ص 5.

(25) ـ م. ن ـ ص 213.

(26) ـ ابن قتيبة: المعارف. تحقيق ثروت عكاشة. مطبعة دار الكتب ـ مصر. 1960 ـ ص 538.

(27) ـ عبيد بن ثرية الجرهمي: اخبار اليمن. ص 330.

(28) ـ م. ن ـ ص 335.

وذكرت عجبا من حديثك عن عاد وقد علمت إن الشعر ديوان العرب والدليل على احاديثها وافعالها والحاكم بينهم في الجاهلية وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول «ان من الشعر لحكما» [...] فهات أسمعني ما حفظت»[29].

ولعل هذه الهيمنة للشعر على النثر هي التي يدل عليها صريح قول الجاحظ في «البيان والتبيين» حيث جعل الشعر أشمل من الاخبار بل حاويا لها. يقول «لو لا شعر الفرزدق لذهب نصف اخبار الناس»[30]. ويمكن ان يكون هذا بابا للخوض في مسألة المفاضلة بين الشعر والنثر وازدراء القصاص على نحو ما يظهر في «البيان والتبيين».

ومن المعارف القارة عند العرب منذ الجاهلية العلم بالانساب، وقد اشتهر من النسا بين دغفل النسابة والنسابة البكري وابو اليقظان النسابة وهشام الكلبي وغيرهم. وقد عقد ابن النديم في «الفهرست» المقالة الثالثة لـ«أخبار الاخباريين والنّسّابين واصحاب الاحداث والآداب»[31]. وتختلف الاستعمالات الواردة في «الفهرست» تدل على ان الاخبار تختلف عن الانساب. من ذلك وصفه لعبد الرحمان بن هرمز بكونه «أعلم الناس بانساب قريش واخبارهم»[32]، وعادة ما تجعل الانساب في درجة واحدة مع الاخبار والاشعار. فالشرقي بن القطامي «أحد النسابين الرواة للاخبار والانساب والدواوين»[33] كما كان حمّاد «راوية للاخبار والاشعار والأنساب»[34]. ويتجلى ذلك في بعض عناوين الكتب الجامعة بين الانساب والاخبار من قبيل كتاب ابي اليقظان النسابة «كتاب نسب خندف وأخبارها»[35].

---

(29) ـ م. ن ـ ص 352.
(30) ـ الجاحظ: البيان والتبيين. ج 1. ص 321.
(31) ـ ابن النديم: الفهرست. ص 101.
(32) ـ م. ن. ـ ص 45.
(33) ـ م. ن. ـ ص 102.
(34) ـ م. ن. ـ ص 104.
(35) ـ م. ن. ـ ص 107.

غير أننا نجد احيانا ان العلاقة بين الاخبار والانساب علاقة احتوائية، فهذا ابن النديم يتحدث عن سعد القصير فيصفه بانه «كان ناسبا، وعنه اخذ العتبي اخبار اهله ومناقبهم وأشعارهم»[36]، ومثل هذا الاستعمال يشي بأن الاخبار لا تعدو ان تكون جزءا من الانساب.

أما ابن خلدون في «المقدمة» فانه يعرف الأدب بكونه «ذكر المهم من الانساب الشهيرة والاخبار العامة»[37] وكأنه بذلك يقلب المعادلة فيجعل الاخبار ـ وقد وصفها بالعامة ـ أعم من الانساب التي تغدو ـ والحالة هذه ـ جزءا من الاخبار، ومهما يكن من امر فان الترابط بين الاخبار والانساب أيا كان مغزاه دال على ان اهل العلم كانوا يميزون بينهما وعلى ان الخبر وثيق الصلة بالجانب البيوغرافي التاريخي.

وإذا نظرنا في الصلة بين الاخبار والطبقات وجدنا ان الطبقات قوامها الشعر المعزز بالاخبار المسندة شأن «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام الجمحي، وقد دأب فيها على استعمال فعل «أخبرنا» وان كانت الاخبار ههنا متصلة اوثق اتصال بالشعر فهي في خدمته توضح مناسبته او رأي النقاد فيه، ومن ثمة جاز لنا القول ان الطبقات انما تعتد بالخبر من حيث هو عنصر لتوضيح الاشعار. فالطبقات حينئذ أشمل من الاخبار وأعمّ.

وكذا الامر في الامثال التي تردف عادة بما يفسرها من ظروف قولها وشخصية قائلها وغير ذلك، ولئن صرح الميداني بقوله: «ذكرت في كل مثل من اللغة والاعراب ما يفتح الغلق، ومن القصص والاسباب ما يوضح الغرض ويسيغ الشرق»[38]، فان حمزة بن الحسن الاصبهاني (ت 351هـ) يقول في «الدرة الفاخرة في الامثال السائرة» «أبدأ الآن في

---

(36) ـ م. ن. ـ ص 103.

(37) ـ ابن خلدون: المقدمة ـ دار الكتاب اللبناني ـ 1956. ص 1038.

(38) الميداني: مجمع الامثال ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج 1 ـ ط 1. 1959 ـ مطبعة السعادة بمصر. ص 4.

تنسيق الامثال [. . .] مفسرة باسبابها واخبارها»[39]. والناظر المحقق في هذين القولين يرى أنهما دائران على تصور واحد، يتمثل في ان المثل يحتاج الى توضيح الاسباب التي قيل فيها والقصة التي أدّت الى قوله، الا ان الميداني استعمل عبارة «القصص والاسباب» في حين استعمل الاصبهاني عبارة «اسبابها واخبارها»، ويؤول بنا ذلك الى نتيجتين: أولهما ان الخبر والقصة استعملتا في سياق واحد فهما اقرب الى ان يكونا مترادفين، وثانيتهما ان الخبر - في هذا المعنى - قصة يؤتى بها لتوضيح المثل وتأطيره، فهو بذلك داخل تحته.

ولعلنا يمكن ان نجعل هذا الرأي منطبقا ايضا على كتب التراجم، فهذا ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» يتحدث «عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم وأسماء آبائهم ومن كان يعرف باللقب او بالكنية منهم وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره»[40]. وظاهر ان الاخبار ههنا جزء من أدب التراجم كما انها جزء من أدب السيرة. فكأنها - والحالة هذه - غدت مادّة أوّلية تتحكم في كل أضرب التواليف التي ازدهر امرها منذ الصدر الاول من الحضارة العربية الاسلامية.

على هذا النحو حاولنا ان نتتبع معاني «الخبر» في المعاجم اللغوية ومن الناحية الاصطلاحية وفي كتب الادب، وسعينا الى اثارة جملة من القضايا واستجلاء فئة من الخصائص التي تعلقت بهذه الكلمة من خلال اوجه الاستعمال المختلفة التي اتصلت بها والسياقات المتنوعة التي وردت فيها.

ولئن كانت معاني الكلمة في المعاجم غزيرة تنم عن تطور في

---

(39) - حمزة بن الحسن الاصبهاني: الدرة الفاخرة في الامثال السائرة. تحقيق عبد المجيد قطامش، ج 1 دار المعارف بمصر 1972 - ص 67.

(40) - ابن قتيبة - الشعر والشعراء - علّق عليه ووضع حواشيه د. محمد يوسف نجم ود. احسان عباس. دار الثقافة. بيروت. ج 1 ص 7.

دلالاتها، فانها بعد الاسلام قد وجدت مجالا آخر للتطور اذ تمحضت في مرحلة اولى للمشافهة والإنباء. وبذلك تخلصت من معانيها المادية «الماء والارض والنبات وغيرها». ثم تسربت بعد ذلك الى مجال التاليف فاخذت معاني مختلفة حسب السياق وربطتها بمختلف المعارف التي صنّف فيها العرب علاقات متعددة الاوجه.

غير ان هذه الكلمـة العجيبـة الثـرية قد افتقـرت في العصور المتـأخرة أيّما افتقار حتى كاد أمرها في عصرنا ينحصر في الدلالة على الانباء التي يتلقاها المرء أو تذاع في وسائل الاعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية او الاحداث الطارئة المتعلقة بالافراد وغيرهم. ولكننا لم نتطرق في عملنا الى هذا الوجه من وجوه التحول الذي شهدته هذه الكلمة، واقتصرنا على تطور الكلمة معنويا في العصور المتقدمة.

ومهما يكن من امر فان تنوع مراجعنا وامتداد الفترة الزمانية التي أخذت منها يجعل محاولتنا هذه عرضة للقصور. فليس الامر في نظرنا الا تحسسا لموضوع لا يزال محتاجا الى العودة اليه والاستقصاء فيه بمزيد من الدقة والشمول.

محمّد القاضي